د. محمد زكي البرواري

الكورد والدولة العثمانية

موقف علماء كوردستان من الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني



الكورد والدولة العثمانية

موقف علماء كوردستان من الخلافة العثمانية

في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

1293-1327هـ / 1876-1909م

الأكراد والدولة العثمانية

موقف علماء كوردستان من الخلافة العثمانية

في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

1293-1327هـ / 1876-1909م

تأليف

د. محمد زكي ملا حسين البرواري



الكورد والدولة العثمانية
موقف علماء كوردستان من الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني
1293-1327هـ / 1876-1909م

تأليف: د. محمد زكي أحمد البرواري

الطبعة الأولى : 2009

الناشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق – سوريا : ص.ب 5292

تلفاكس: 00963 11 5626009

موبايل: 00963 932 806808

E.mail: zeman005@yahoo.com

E.mail: zeman005@hotmial.com

الإخراج الداخلي: دار الزمان

تصميم الغلاف: م . جمال الأبطح

هذا الكتاب كان في الأصل أطروحة دكتوراه تقدم بها المؤلف إلى جامعة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية ومجلس الأمناء في الجمهورية اللبنانية ببيروت عام 1423هـ-2002م لنيل درجة الدكتوراه.



الإهـداء

أهـدي ثمـرة جهـودي المتواضـعة إلى تلـك الـروح الطـاهـرة الـتي يرقـد جسـدها المبارك في سفح جبل بلدة زاويتـه بكوردستان العراق، تلك الـروح الـتي ترفـرف علـى المساجد، وتحوم حول الحلقات العلمية المسجدية كعهدها بها طوال حياته، أستاذي وشـيخي الـذي ولّـى وجهـي شـطر المـساجد منـذ أن فتحـت عـيني في هـذا العـالم، وربّاني على (فاستقم كما أمرت) وعلّمني معاني الحياة وفق معايير الكتاب والسنة.

كما ويحق علي أن أثنيها إلى روح الوالدة المربية التي أرشدتني للعض بالنواجذ علـى التعليم والمواظبـة علـى الـتعلم. ولا أجـد مـا يفـي بـرد جميلـهما إلا رفـع أكـف الضراعة إلى العلي العظيم داعياً: رب ارحمهما كما ربياني صغيراً.

ولا أنـسى هنـا علـى صـفحة هـذه اللوحـة التذكاريـة إلا أن أذكـر صـنيع زوجـتي الـتي حببـت إلي الدراسـة في الأزهـر الـشريف بالقـاهـرة وشـجعتني علـى الرحلـة العلمية صوب دمشق ونحو بيروت لتتويج المسيرة بأرقى وأثمن وأجمل التيجان.

غفـر الله لهـم ولنـا ولمـن علمنـا أجمعـين، وأحلنـا دار النعـيم ضـيوفاً عنـد رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الأيام متداولة بين الناس، يؤتي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء بيده ملكوت السموات والأرض وهو رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للبشرية، رسول الهداية ومعلم الإنسانية سيدنا محمد وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى العلماء العاملين بالشرع القويم، والآل والصحابة أجمعين.

إذا كان التاريخ هو تسجيل الأحداث وضبط الوقائع وذاكرة الأيام، فإنه يعتبر السجل الحيوي لتدوين ما في هذا الكون من الأمور والقضايا وهو صناعة جليلة ومرآة لإفرازات الأيام، وهو الذي أبصرنا بما كان، واكتشف لنا عن مجاري المستحدثات، وقص علينا قصص الأمم الغابرة، ونقل إلينا المعارف والثقافات، وأطلعنا على الديانات وما يتعلق بمختلف الآيديولوجيات، لذا فإن معرفة فن التاريخ واجبة عند بعض علماء المسلمين استناداً إلى مفهوم النص القرآني: (واقصص القصص) والقصص عامة الدلالة والمرمى تشمل المسائل: العقدية والاجتماعية والعسكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها من ألوان الحياة المختلفة، ليتمكن الدارس لها أن يستفيد من محصلاتها ويستنبط النتائج، فيتعلم ما فيها رقيه ويتجنب ما يحط من شأنه.

ولما كان التاريخ مادة مهمة وحساسة فلابد أن يخوض هذا الميدان وخاصة من الناحية السياسية، رجال مشبعة عقولهم بالنضج الوجداني والحس المرهف والرؤية الممعنة، مع الالتزام الكامل بالحياد، والمقارنة بين المصادر المتعددة والمتنوعة وعدم الانصياع لاعتبارات قد تحرفه من إطار الإنصاف، وأن لا تكون تلك الأقلام متأثرة بالأنانية والتعصب على مختلف منطلقاتها، مع الإيمان الراسخ بأن الكتابة في هذا الحقل من أخطر الأمانات التي يجب أداؤها والحفاظ عليها بمنتهى الدقة العلمية والمعايير الخلقية وإيصالها إلى القراء حاضراً ومستقبلاً بكل نزاهة.

ومما يؤسف له قيام بعض الكتاب في مضمار كتابة التاريخ بنسج الافتراءات وتشويه الملامح الناصعة للتاريخ الإسلامي، والإساءة إلى عظماء الأمة الإسلامية، حتى طالت ألسنتهم في الطعن على الكتاب والسنة ونبي الإسلام، وتصوير سيرة الصحابة الكرام على غير حقيقتها والتلفيق عليهم، وذلك بهدف إفراغ التاريخ

الإسلامي من مضامينه الإنسانية وجعله قصص مغامرات حربية تتلهف للقتل والإرهاب، وتتعطش للسطو، وتحارب المدنية وتقاوم التحضر والرقي، وهذا ما تقرأه في كتب المنصرين والمستشرقين الذي امتلأت الأحقاد قلوبهم، خشية أن تكتسح حضارة الإسلام حضارة الأوربيين المبنية على المادية وتأليه العقل، والفراغ الروحي، ومما يحز في النفس أكثر، أن أمر تشويه التاريخ الإسلامي ليس مقصوراً على أعداء الحضارة الإسلامية بل وقلدهم في هذه السنة السيئة بعض الكتاب المنتمين إلى الإسلام، من أولئك الذين أعجبوا بكل ما هو غير إسلامي، والذين عاشوا على فتات موائد الحضارة الغربية أو النظريات الهدامة التي أثبتت التجارب فسادها وغير ملائمتها للفطرة الإنسانية.

وهنا تقع المسؤولية الأخلاقية الكبرى على عاتق الحكومات والهيئات الإسلامية للدفاع عن العقيدة والتراث والإرث لكي تتصدى لمثل هذه الكتابات وأصحابها، والحد من أنشطة هؤلاء الذين يزعمون أن الحرية هي تجاوز المعقول والاعتداء على المقدسات ونسف قيم الأخلاق والتمرد على الواقع والاستهزاء بالإسلام ومشاعر المسلمين.

سبب اختيار البحث

هنا لابد من القول برغبتي أول الأمر في كتابة موضوع فقهي أو أصولي وما شاكله، ولما علمت بكثرة التطرق لمثل هذه الموضوعات وعرض علي تناول موضوع عصري وغير مبحوث فيه لتكون الفائدة أعم وتفيد المكتبة الإسلامية والمعرفية، فقد تم الاتفاق على العنوان (موقف علماء كوردستان العراق من الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909).

وتأتي أهمية هذا الموضوع من جوانب عدة، فهو يتناول قراءة متأنية لمرحلة تاريخية مهمة في سفر التاريخ الإسلامي التي امتد قروناً عديدة، مليئة بالأحداث والوقائع التي غيرت وجه التاريخ وأضافت في معظم حلقاتها أطواراً مهمة في الجوانب التاريخية والجغرافية والسياسية للعالم الإسلامي، وكانت أغلبية تلك الأدوار اندفاعاً لضخ مزيد من العزيمة والروح الجهادية إلى جسم العالم الأسلامي، ومعالم واضحة لنشاط وحيوية المسلمين الذين كانوا يسيرون في الأرض لنشر صروح العدالة وتنصيب رايات المساواة لتكون كلمة الله هي العليا ويعيش

الناس في أمن وتحت ظلال الاستقرار الذي ينشده المنهج الإلهي لسعادة البشرية والتلاحم الأخوي والشعور برابطة الأخوة الآدمية.

ومن جانب آخر فتأتي أهمية الأمر من حيث كون الدولة العثمانية كانت تمثل في معظم الأدوار، دولة تجاهد من أجل الحفاظ على وحدة الأمم والشعوب الإسلامية في منظومة الحكومة العثمانية، كما كانت الحلقة الرابعة لحلقات الخلافة الإسلامية الممتدة من الخلافة الراشدة. وبما أن مدار البحث هو (السلطان عبد الحميد الثاني) الذي حكم من سنة 1876-1909م والمتوفى سنة 1918م والذي كان حامي ديار المسلمين، فقد رأيت من الواجب الشرعي أن أجند قلمي للعمل في معسكر الدفاع عن الحق والحقيقة، وأن أضع زكاة قلمي وكتابتي في مصرف المدافعين عن المظلومين أمثال السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م الذي ظلمته أقلام المستشرقين والمنصرين وتلامذتهم الذين صبوا جام غضبهم عليه وعلى أي خليفة أو حاكم يكون له صوت بجانب الدعوة الإسلامية أو دفاع له عن مصالح المسلمين، أو حتى تعاطف مع قضايا العالم الإسلامي.

لقد تحالفت قوى الشر والبغي العالمية المكونة من الأوربيين والصليبيين والصهاينة وأصحاب الآيديولوجيات المادية المبتدعة ومكرت مكراً كباراً بتآمرهم على السلطان عبد الحميد الثاني والدولة العثمانية، وقامت هذه القوى بافتعال حملات إعلامية ظالمة مفتراة في داخل الدولة العثمانية وخارجها ضد سياسة السلطان، وأطلقت كلمات: الاستبداد، والطغيان، والفساد علماً على ذلك العهد، ودبرت القوى المعادية للإسلام المكيدة عليه وافتعلت الصعاب في مدار عجلة ذلك العهد، وأشعلت نيران الفتن في معظم أراضي الامبراطورية، وكانوا يبتغون من وراء تلك المخططات الرهيبة القضاء على السلطان وعلى عهده، وذلك لأنه كان الخصم اللدود لهم والمعارض الصنديد لسياستهم التي كانت ترمي إلى احتواء الحضارة الإسلامية وكان المجاهد الأكبر والمقاتل المسلم الذي حال دون تحقيق أمنيات الصهاينة التي ترمي إلى اغتصاب أراضي فلسطين لإنشاء مستعمرات في قلب العالم الإسلامي، وكان الحارس الأمين لتكون عقيدة الإسلام في مأمن والشريعة الإسلامية في منجاة.

لقد فندت الحقائق التي ظهرت فيما بعد عن زيغ اختلاقات التهم الباطلة الموجهة إلى السلطان عبد الحميد الثاني، والتي نعتته بأوصاف، هو أرفع منها

شأنا وأعلى مقاماً. فلقد خلف هذا السلطان وراءه الكثير من المآثر والإنجازات والمؤسسات التي تشهد له برغبته الإصلاحية في كل الحقول، رغم انشغاله طيلة فترة حكمه في توطيد دعائم أركان الدولة العثمانية التي كتب له القدر أن يتولى حكمها في خضم ظروف داخلية وخارجية سيئة، ورغم ذلك فمما لا يخفى على المنصف، إن العهد العثماني تميز بصفحات مشرقة بالفتوحات الإسلامية والجهاد والعمران، ولولا إجماع قوى الشر للقضاء عليه لأصبحت أكثر من ثلث أوربا اليوم ضمن المنظومة الإسلامية.

وهناك جانب آخر مهم للغاية في كتابة هذا البحث وهو استعراض مراحل من التاريخ الكوردي والتعرف على هذا الشعب المسلم والاطلاع على إسهاماته في بناء الحضارة الإسلامية من خلال أنشطته وفعالياته المختلفة في مضمار العلوم وميدان الإرشاد وعلى مستوى المؤلفات والمشاركة الجدية في الدفاع عن الإسلام وأرض المسلمين.

ومن خلال هذا البحث نتعرف على علماء الكورد ومناهجهم الدراسية وبيان مواقفهم من الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية إبان حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) خصوصاً ورؤيتهم للخلافة العثمانية ومساراتها المختلفة من جوانب اخرى.

منهج البحث

إن الكتابة في هذا الموضوع تحتاج إلى بذل جهود مكثفة ليتمكن الباحث من التمييز بين الحق والباطل، إذ إن أكثرية المؤرخين الغربيين الذين أدلوا بدلوهم في هذا الباب متفقون على عدم أهلية السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) خليفة دينياً وزعيماً زمنياً وقائداً للشعوب، وتنبع هذه التصورات لديهم لغرض في نفس يعقوب فيكيلون له التهم، وأخف لقب يستعملونه في حقه (السلطان الأحمر) و(المستبد) و(المتعطش لإراقة الدماء) كما يحلو لهم ذلك.

وعلى صعيد العالم الإسلامي فإن أغلبية المؤرخين والكتاب يرددون كالببغاء في هذا الميدان تلك الأنغام التي ألفها ولحنها الغربيون والحاقدون على كل ما هو إسلامي، وعلى الصعيد الكوردي فإن أكثرية الكتاب الكورد ذوي النزعة القومية يتهمون السلطان بأنه قد ألحق بالقضية الكوردية الأذى ووضع في طريق حل

المشكلة العراقيل، وتسبب في تدمير منطقتهم، والمسبب في افتعال الفتن الدموية بينهم وبين غيرهم من الشعوب المجاورة، واستخدمهم العثمانيون في أدوار متعاقبة لضرب أعداء الدولة العثمانية مقابل وعود قطعوها على أنفسهم بمنحهم الاستقلال أو نوعاً من الحكم، ثم نكصوا العهد في كل مرة.

فمن هذا المنطلق يجد الباحث أن الموضوع ليس من المراكب السهلة، بل تحيط به الصعوبات ويكتنفه الإحراج، ورغم ذلك فقد بذلت جهودي المتواضعة وحاولت -معتمداً على الله تعالى- صياغة البحث في إطار المنهجية العلمية وتدوين ما توصلت إليه بفكري القاصر، دون التأثر بالمشاعر والاعتبارات العاطفية وبعيداً عن طغيان الأهواء على العقل والمنطق، والأحداث التاريخية التي تبينت لي صحتها وسلامتها، إذ يجب على الباحث التسلح بالجرأة والوقوف على الحياد، وسرد الاستنتاج للوقائع وإصدار الحكم عن قناعة، ولا يخشى في الله لومة لائم، وهذه محاولتي في تدوين الشهادات وتثبيت الصورة، دون أن أحيد قيد أنملة عن هذا المنهج، عسى أن يكون عملي في الكشف عما أتصوره هو الحق وسواء السبيل.

إن الولوج في هذا الموضوع أمر عسير بسبب ندرة المصادر الأولية التي تتحدث عن مواقف علماء كوردستان من الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) وذلك بسبب الأحداث التي جرت على كوردستان[1]، وكذلك بسبب الحروب التي تفجرت بين العثمانيين والصفويين مرات، وأخرى بين العراقيين والإيرانيين، فكانت كوردستان مسرحاً لجولاتهم وصولاتهم لتصفية الحسابات بين المتحاربين، وكان الكورد وقودها في كل مرة، وتأتي ألسنة نيران تلك الحروب ولهيب حقد الغزاة على المنطقة الكوردية، فتحرق الأخضر واليابس، ولم ينج من العبث والدمار التراث الكوردي، ومؤلفات علمائهم، وتلك المخطوطات المصنفة في مختلف العلوم وفنون المعرفة، وإذا كتبت لبعضها النجاة، فلم تفلت البقية من سحبها من مدن كوردستان وقراها أيام الحكم المركزي العراقي، وإيداعها في دار صدام للمخطوطات في بغداد، أو في المتاحف الأخرى، كما طغت ظاهرة تهريب الكثير منها إلى الخارج بهدف تجريد الكورد من هويتهم الثقافية وخلفيتهم المعرفية.

---

[1] في قواعد الإملاء الكوردي، تقلب الحركات إلى حروف من جنس الحركات، فتقلب الضمة إلى واو، والفتحة إلى رمز (ە) والكسرة إلى ياء، كما أقر بذلك المجمع العلمي الكوردي، لذا اقتضى التنويه حول كتابة كلمة (كورد-كوردستان).

إن هذا الواقع لم يثن من عزيمتي في البحث المستمر عن المطلوب بل دفعني إلى بذل قصار الجهد في سبيل تحقيق الهدف، فسافرت إلى تركيا في رحلة بحثية للاطلاع على المكتبات التي قد تتوفر فيها المصادر التي قد تسعفني وأجد من خلالها ضالتي، وخلال زيارتي تلك في شباط عام 2000م، تمكنت -بتوفيق الله تعالى- من الاتصال بشخصيات علمية متخصصة في هذا الموضوع من ترك وكورد وعرب، فلم يبخلوا علي، وأفادوني بعض الشيء، كما اطلعت على بعض المكتبات المهمة في استانبول بواسطة بعض من كانوا يجيدون اللغة التركية، ولكن الأهداف لم تكتمل دورتها إلا بعد عودتي إلى كوردستان وقيامي بزيارات متعددة إلى مدينة السليمانية وأربيل، وطرق أبواب المكتبات الشخصية وزيارة المكتبات العامة في جامعات كل من دهوك، وصلاح الدين، والسليمانية، كما أرسلت موفداً عني إلى مدينة بغداد، للاتصال ببعض المعارف والأصدقاء بغية اطلاعي على معلومات متصلة بالموضوع من دار صدام للمخطوطات ومكتبات جامعة بغداد، والمستنصرية كما بحثت في جامعة الموصل وزرت قسم الأرشيف العثماني المتخصص بالتاريخ العثماني، وتمكنت من الحصول على بعض المصادر من جامعة الأزهر بالقاهرة عن طريق صديق زائر إلى هناك.

لم أكتف بهذا القدر في البحث والتقصي لجمع المعلومات، بل قمت بزيارات ميدانية متعددة إلى كثير من المدن والقرى الكوردية وأجريت لقاءات مع بعض المعاصرين للسلطان عبد الحميد الثاني، والذين لا زالوا على قيد الحياة واستطلعت آرائهم حول ما شهدوا أو سمعوا من أحوال السلطان ودونت أقوالهم، كما حاورت بعض العلماء الكورد المعمرين وأدلوا بإفاداتهم عن السلطان، وقمت بصياغة استفتاء في إطار أسئلة محددة ووجهتها إلى بعض من علماء الكورد لبيان مواقفهم من الأوضاع العامة إبان حكم السلطان، ووثقت كل تلك الشهادات وضمنتها في البحث.

وحصيلة هذه المساعي أعانني المولى سبحانه في تقديم عمل متواضع في إعداد الأطروحة التي اعتبرها إنجازاً موجزاً في استكشاف مواقف علماء كوردستان من السلطان، ورؤيتهم العامة للخلافة العثمانية.

أضواء على بعض المصادر والمراجع

إن المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها كثيرة ومتنوعة من مخطوطات ومطبوعات باللغات: العربية والتركية والفارسية والكوردية ومصادر أخرى، معظمها مترجمة إلى العربية والكوردية، كما استعنت بكثير من الدوريات والمجلات والصحف ذات الصلة بالموضوع.

ففيما يتعلق بالمصادر العربية التي راجعتها واستفدت منها فهي تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمؤلفه (محمد فريد بك) الذي صدر في عهد السلطان محمد رشاد الخامس، وسهلت مهمتي كثيراً تلك المعلومات التي استقيتها من كتاب تاريخ الدولة العثمانية لمؤلفه التركي يلماز أوزتونا، وأعانني كتاب، عثمانلي مؤلفلري، لمؤلفه (بروسةلى محمد طاهر) الذي يذكر فيه كثيراً من علماء الكورد، وكان لكتاب (علماؤنا في خدمة العلم والدين) لمؤلفه الشيخ عبد الكريم المدرس دور أساسي للاستفادة منه، وكذلك كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لمؤلفه (طاشكبري زاده المتوفى سنة 986هـ، ومن المصادر المهمة المعتمدة عليها كتاب شرفخان البدليسي (الشرفنامه) الذي كان عالماً حاذقاً ومستشاراً للسلطان سليم، والذي قدم خدمات جليلة للدولة العثمانية في توحيد الكورد مع الجبهة العثمانية ضد الروس والصفويين، ولا يمكن للباحث الاستغناء عن مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني التي أماطت اللثام عن كثير من مواضع الشبهة حول السلطان، ومن الكتب الموسوعية كتاب (دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش سنة 1908-1909م)، وكتاب موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909م لمؤلفهما الأستاذ حسان حلاق، ويعد هذان الكتابان من المراجع الموثوقة التي تكشف حقيقة اليهود ودورهم في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، والتسبب في تمزيق أوصال الدولة العثمانية، كما استفدت أيضاً من مصادر أخرى مثل السالنامات العثمانية باللغة التركية وبالحروف العربية والتي هي عبارة عن سجلات سنوية لولايات الدولة العثمانية تتضمن مختلف شؤون الحياة في الولاية، وكتاب الرحالة الانكليزي الميجر سون المكرس للحديث عن المنطقة الكوردية والمسمى رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكوردستان، أما مؤلفات مينورسكي (الأكراد) وباسيل نيكيتين (الأكراد) أيضاً فإنها تبحث عن أصل الكورد وتاريخهم وتنظيماتهم الاجتماعية، كما تعد مؤلفات الراهب الفرنسي الأب توما

بوا (مع الأكراد) و(لمحة عن الأكراد) مهمة جداً، وكتاب خالفين (الصراع على الكوردستان) من المصادر الأساسية التي توضح الصراع الدولي على المنطقة الكوردية في القرن التاسع عشر وتكشف السياسة الأوربية إزاء المنطقة الكوردية. كما أسعفتني كتب المؤرخ الكوردي محمد أمين زكي (خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان) و(مشاهير الكورد وكوردستان) و(تاريخ السليمانية وأنحائها).

خطة البحث

تتألف الخطة البحثية التي يتشكل منها الموضوع على النحو التالي: (المقدمة، الفصل التمهيدي، أربعة فصول، الخاتمة، الملاحق).

المقدمة: هي عبارة عن دليل كشاف وخريطة ناطقة لإرشاد القارئ إلى الوقوف في أبرز محطات الأطروحة، وتبيان أهم العناصر التي يتركب منها البحث، وتوحي بفكرة مقتضبة عن الهيكل العام لإطار البحث، وسياسة الصياغة وسبك التحرير، وتوضيح الأهداف المبتغاة من محاور الدراسة، ويطلع القارئ على جغرافية كوردستان.

1- جغرافية كوردستان

الموطن الأول للسلالة البشرية الثانية، وهو الموطن التاريخي للأمة الكوردية منذ آلاف السنين، وهي بخصائصها القومية المستقلة تشكل مجموعة اثنية مميزة بين شعوب الشرق الأوسط، وهي رابع قومية كبيرة فيه دون أن يكون لها هوية سياسية حتى اليوم، وكوردستان إقليم جبلي لم تشكل وحدة جغرافية متصلة بعضها بالبعض بسبب الجبال والأنهار، ويتمتع بأهمية ستراتيجية واقتصادية وهي تمثل جغرافية قلب الشرق الأوسط وتشكل جسراً ستراتيجياً يربط بين أوربا والمحيط الهندي، وهي مقسمة بين دول عديدة بينها تركيا – إيران - العراق- آذربيجان - أرمينيا، لذا توصف بأنها (بولندا الشرق الأوسط بالنظر للتشابه بين تقسيم كوردستان الحالي مع ما كانت عليه بولندا قبل أن تأخذ شكلها السياسي الحالي[1].

2- الحدود والمساحة

إذا حللنا في مختبر الجمع والمقارنة تلك المعلومات والانطباعات التي دونها بعض أعلام الرحالين والمستشرقين العاملين في حقل الدراسات الكوردية في أوربا موطن الدراسات الشرقية انطلاقاً من بلاد الروس التي هي مهبط الدراسات الكوردية ولا تزال -خلال الجولات العلمية والسياسية والاقتصادية والعسكرية في كوردستان- فقد نهتدي إلى معرفة حدودها وذلك اعتماداً على شهادات أولئك البحاثة، والمصادر القديمة، والتأكد منها بواسطة الخبراء الدوليين في التخطيط بوسائلهم التقنية المتطورة، أمثال:

---

[1] - ينظر إلى: الدكتور ن. آ. خالفين: الصراع على كوردستان، ترجمة د. أحمد عثمان أبو بكر، جامعة بغداد، أكاديمية العلوم السوفيتية، موسكو 1963، مطبعة الشعب، بغداد، 1969م، ص13. ومجلة نداء الحق: السنة الثانية، العدد التاسع والعاشر، 1413هـ-1993م، ص35. عبد القادر البريفكاني: مصطفى البارزاني زعيم الحركة القومية الكوردية المعاصرة، سلسلة الكورد، الكتاب الأول، ط1، القاهرة، 1996م، ص33، 66. واسماعيل بيشكجي: كوردستان مستعمرة دولية، ترجمة زهير عبد الملك، دار APEC للطباعة والنشر، 1998م، ص18. ود. ثناء فؤاد عبد الله: ملف السياسة الدولية رقم (5) ص104 د.ت. ومجلة كولان العربي، السنة الرابعة، العدد 41، 31/تشرين الأول، 1999م، ص81.

1- ياقوت الحموي المتوفى (626هـ-1228م)[1].

2- أبو القاسم بن حوقل النصبيني [كان حياً في القرن العاشر الهجري][2].

3- عبد الرحمن ابن خلدون: 732-808هـ/1332-1406م[3].

4- شرف خان البدليسي مؤلف كتاب شرفنامه[4]، المولود سنة 949هـ.

5- البروفيسور ف. ف. مينورسكي[5]، المتوفى سنة 1966م في لندن.

6- ميجرسون المتنكر باسم ميرزا غلام حسين شيرازي، مؤلف كتاب (رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكوردستان)[6].

---

(1) - حسب ذكر الحموي للأقاليم السبعة للمعمورة فإن بلاد الكورد تقع ضمن الإقليمين الرابع والخامس في الصفحات 32، 33، 34. ينظر إلى: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد 1، دار إحياء التراث العربي، د. ت، بيروت، لبنان.

(2) - يورد ابن حوقل أسماء المدن الكوردية عند ذكره لبلدان الجزيرة ص187 والعراق ص208 خوزستان ص225 وأرمينيا وآذربيجان ص285 والجبال ص304، ينظر إلى: ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1979م.

(3) - يذكر ابن خلدون في كتابه ((مقدمة ابن خلدون)): أن الحكماء قسموا هذه المعمورة على سبعة أقسام ويسمى كل قسم إقليماً، ويعتبر معظم أجزاء كوردستان ضمن الإقليم الرابع، حيث يقول: (... وفي وسط هذا الإقليم بلد، (نهاوند) وفي (الشمال) شهرزور عند ملتقى الجبلين والدينور شرقاً عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية من بلاد أرمينية قاعدتها المراغة، والذي يقابلها من جبل العراق يسمى (باربا) وهو مساكن للأكراد)، ينظر إلى: عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج1، مراجعة سهيل زكار، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، 1408هـ-1988م، بيروت، لبنان، ص88.

(4) - شرفنامه كتاب في تاريخ وجغرافية كوردستان، الفه بالفارسية سنة 1005هـ، وطبعه لأول مرة المستشرق الروسي ف. فليانوف زرنوف سنة 1865م في روسيا، ثم أعيد طبعه في القاهرة سنة 1930م، ينظر إلى: محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ج1، تعريب محمد علي عوني، ط2، 1961، مصر، ص5 الهامش.

(5) - مينورسكي كان أستاذاً في جامعة لندن، وعين عضواً في لجنة تنسيق الحدود بين الدولتين العثمانية والإيرانية سنة 1913م، اشترك في عدة مؤتمرات الاستشراق العالمية، وفي المؤتمر العالمي العشرين للمستشرقين سنة 1940م الذي انعقد في بروكسل ألقى تقريراً عن أصل الكورد، ص6. ينظر إلى: مينورسكي: الأكراد ملاحظات وانطباعات، ألفه بالروسية ترجمة وتعليق معروف خزندار، مطبعة النجوم، بغداد، 1968م.

(6) - ميجرسون (ميرزا غلام حسين شيرازي): رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكوردستان، ترجمة فؤاد جميل، ج1، ط1، مطابع الجمهورية بغداد، 1390هـ-1970م.

7- باسيل نيكيتين مؤلف كتاب: الأكراد[1].

8- المستر ريج البريطاني[2].

9- المستر جيمس برانت[3].

10- الرحالة العثماني الشهير (أوليا جلبي)[4].

حدود كوردستان الكبرى

تبتدئ حدود (كوردستان-البلاد الكوردية) من شواطئ (بحر الهرمز)[5] الملاصق (للبحر الهندي)[6] ممتدة بخط مستقيم حتى ولايتي (ملاطية)[7] و(مرعش)[8]، وفي الجهة الشمالية من هذا الخط ولاية فارس[9] و(عراق العجم)[10] و(أذربيجان)[1] والأرمنيتين، الصغرى والكبرى[2]، ويحدها جنوباً العراق العربي[3] والموصل[4] ودياربكر[5].

---

(1) - باسيل نيكيتين: الأكراد، تقديم المستشرق لويس ماسينيون.

(2) - المستر ريج مدير شركة الهند الشرقية المؤسسة عام (1806)م قام برحلة طويلة في كوردستان عام 1820م وقضى قرابة عام فيها. ينظر إلى: آ. خالفين: الصراع على كوردستان، ترجمة احمد عثمان ابو بكر، مطبعة الشعب، بغداد، 1963م، ص28-29.

(3) - المستر جيمس برانت القنصل الانكليزي في ارضروم دون ملاحظاته عن جزء من كوردستان خلال رحلة قام بها عام 1838م، وله عدة مؤلفات عن الكورد، ينظر إلى: المستر جيمس برانت: رحلة المستر جيمس برانت سكواير إلى المنطقة الكوردية عام 1838م، ترجمة حسين أحمد الجاف، مطبعة الجاحظ، بغداد، 1989.

(4) - أوليا جلبي الذي جاب البلاد الكوردية كلها سنة 1065هـ، ينص على أن الحدود الشمالية لبلاد كوردستان هي بلاد (أرضروم) وهو يبدأ بها من كوردستان وينتهي إلى البصرة ماراً بمدن: وان، هكاري، الجزيرة، عمادية، درتنك، فيبلغ طوله سبعين مرحلة وعرضه أقل من هذا، ينظر إلى: أوليا جلبي: رحلة أوليا جلبي، باللغة التركية في ستة أجزاء في 3 مجلدات في الاستانة سنة 1314هـ، ج4، ص75.

(5) - بحر الهرمز: هو الخليج العربي حيث لا يزال المضيق الموجود به يسمى (بوغاز هرمز).

(6) - البحر الهندي: أي المحيط الهندي.

(7) - ملاطية: مدينة في ولاية (خربوط) في كوردستان الشمالية، كوردستان تركيا.

(8) بلدة كبيرة في شمالي (حلب) وجنوبي (الأناضول).

(9) - ولاية فارس: إقليم كبير في جنوبي بلاد (إيران) ومركزها (شيراز).

(10) - عراق العجم: ويقال لها (بلاد الجبال) وهي إحدى مقاطعات بلاد (إيران) المتاخمة للعراق العربي. ينظر إلى: ابن حوقل: صورة الأرض، ص208.

وبوسعنا أن نرسم الحدود بشكل تقريبي أوضح كما يلي:

يبدأ خط مستقيم عند قمة آرارات[6] في الشمال الشرقي، ينحدر جنوباً إلى الجزء الجنوبي من سلاسل جبل زاغروس[7] وجبل بشتكو في كوردستان، ومن تلك المنطقة نرسم خطاً مستقيماً نحو الغرب إلى الموصل في العراق، ومن ثم خطاً مستقيماً نحو الغرب يمتد من الموصل إلى المنطقة التركية من لواء الأسكندرونة[8]، ومن تلك النقطة يمتد خط نحو الشمال الشرقي حتى أرضروم في تركيا، ثم من أرضروم يمتد الخط نحو الشرق إلى قمة آرارات[9].

---

(1) أذربيجان: إحدى الولايات الإيرانية الشمالية، مركزها مدينة (تبريز).

(2) أرمينية الصغرى: هي البلاد المسماة بولاية (أدنة-كليكيا، وأرمينية الكبرى كانت تطلق على البلاد الواقعة بين بحيرة (وان) من الشمال وبين جبال القفقاس وعاصمتها (آريفان).

(3) إقليم كبير في غرب جنوب بلاد (إيران) ويشمل ولايتي (بغداد) و(البصرة) يبتدئ من بلدة تكريت وجبال حمرين، وينتهي في بحر فارس عند مصب شط العرب ومقاطعة (الحسا). ينظر إلى: ابن حوقل: صورة الأرض، ص208.

(4) الموصل: مدينة على غربي دجلة توصل بين البلاد العربية وكوردستان الشمالية وكان فيها أحياء الكورد كالهذبانية والحميدية واللارية ويعد نصف سكانها الآن من الكورد. ينظر إلى: ابن حوقل: صورة الأرض، ص195، وشرف خان البدليسي، الشرفنامه، ص21.

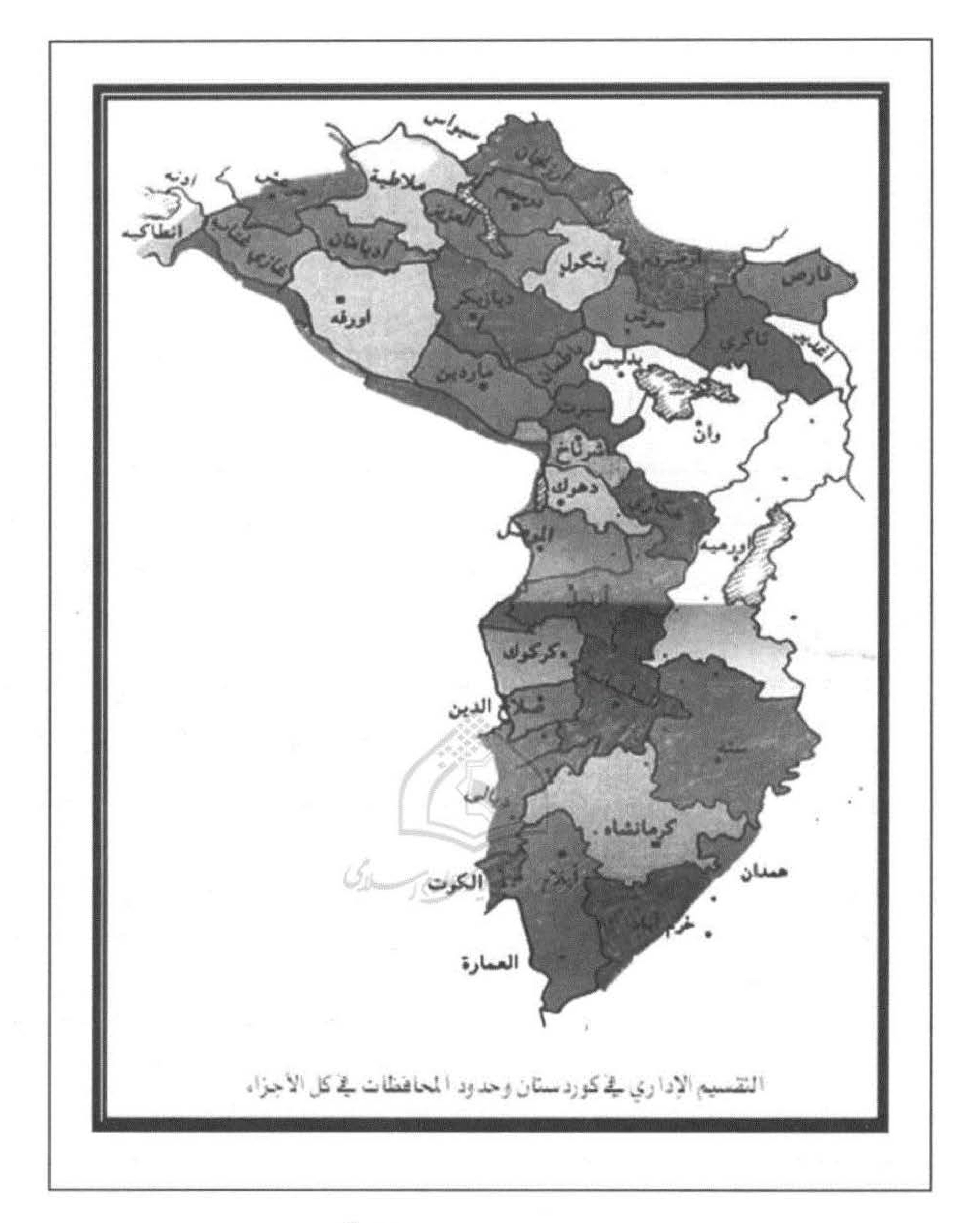
(5) دياربكر: هي بلاد كبيرة واسعة، وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرد وحيزان، ينسب إليها من المحدثين عمر بن علي بن الحسن الدياربكري. ينظر إلى: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص494. وهي تقع في كوردستان تركيا.

(6) آرارات: يعتبر أعلى جبال كوردستان بارتفاع خمسة آلاف متر ويقع في تركيا على مقربة مع أرمينيا وإيران، ينظر: جوناثان راندل: أمة في شقاق: ص27.

(7) زاغروس أو زاكروس يقع في الشطر الجنوبي من آرارات وعلى بعد مسافة أكثر من ألفي فرسخ.تمتد سلاسل جبلية تتحدد بعضها بالبعض الآخر بشكل مستقيم من الشمال إلى الجنوب ثم تتألف من مجموعة سلاسل تنخفض باتجاه الجنوب الشرقي إلى الخليج الفارسي [العربي] فالقسم الأول من هذه السلاسل يسمى (سلاسل الحدود التركية الفارسية وهو يقسم المنطقة إلى مجموعتين جبليتين وبحيرتي وان وأورمية، والقسم الثاني منها يمتد إلى حدود تركيا وبلاد فارس وتسمى هذه الجبال السامقة والسفوح الواقعة بين سلاسل الجبال الإيرانية وبلاد ما بين النهرين حسب المصطلح القديم بـ(زاغروس). ينظر إلى: المصدر السابق، مينورسكي؛ الأكراد، ص12.

(8) لواء الأسكندرونة: مقاطعة سورية تقع على خليج أسكندرون، وضعت تركيا يدها عليها عام 1939 ميناء هام، ينظر إلى: منجد الأعلام: ص43.

(9) ينظر إلى: باسيل نيكيتين: الأكراد، ص26، ومحمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص10-11، وأوليا جلبي: سياحتنامه تاريخ الكورد باللغة التركية، ترجمها إلى اللغة



التقسيم الإداري في كوردستان وحدود المحافظات في كل الأجزاء

خارطة رقم(1)*

الكوردية، سعيد ناكام، ط2، مطبعة أشبيلية الحديثة، أربيل 1977م، ص23-26، ومينورسكي: الأكراد، باللغة الروسية، ترجمة معروف خزندار، مطبعة النجوم، بغداد، 1968م، ص12-15.

* - الحزب الديمقراطي الكوردستاني: المكتب السياسي، كوردستان نبذة تاريخية، جغرافية، اقتصادية، دراسة رقم (33) طبعة 1، منشورات مكتب الدراسات والبحوث المركزية-إقليم كوردستان العراق، 1998، ص39.

كوردستان- بلاد الكورد، هذا البلد الجميل أو كما يصفها الأوربيون بسويسرا الشرق الأوسط، تقع في إحدى أهم المناطق الستراتيجية في العالم وهي رقعة جغرافية كبيرة، تقع بين خط طول .5'36 و 9'4 شرقاً وخط عرض 30.5 و40.5 في قارة آسيا.

ويبلغ طول كوردستان إذا قيست من الشمال إلى الجنوب 1000كم، أما معدل العرض فهو 200كم في الجزء الجنوبي ثم يتزايد شمالاً إلى أن يبلغ 750كم.

إن المساحة الكلية لكوردستان يبلغ مجموعها الإجمالي حوالي 500 ألف كيلومتراً مربعاً[1] أي أنها أوسع رقعة من مساحات بريطانيا، وهولندا، وبلجيكا، وسويسرا، والدنمارك مجتمعة ولا تكبرها من بين دول قارة أوربا الأربع والأربعين إلا ثلاث دول فقط وهي روسيا، وأوكرانيا، وفرنسا[2]. أو أنها توازي مساحة فرنسا تقريباً، أو مساحة ولايتي كاليفورنيا وبنسلفانيا الأمريكيتين مجتمعتين[3].

إن هذه المساحة البالغة 500 ألف كيلومتراً مربعاً موزعة على أجزائها أما مساحة الأجزاء الثلاثة الكبيرة فهي على النحو التالي[4]:

---

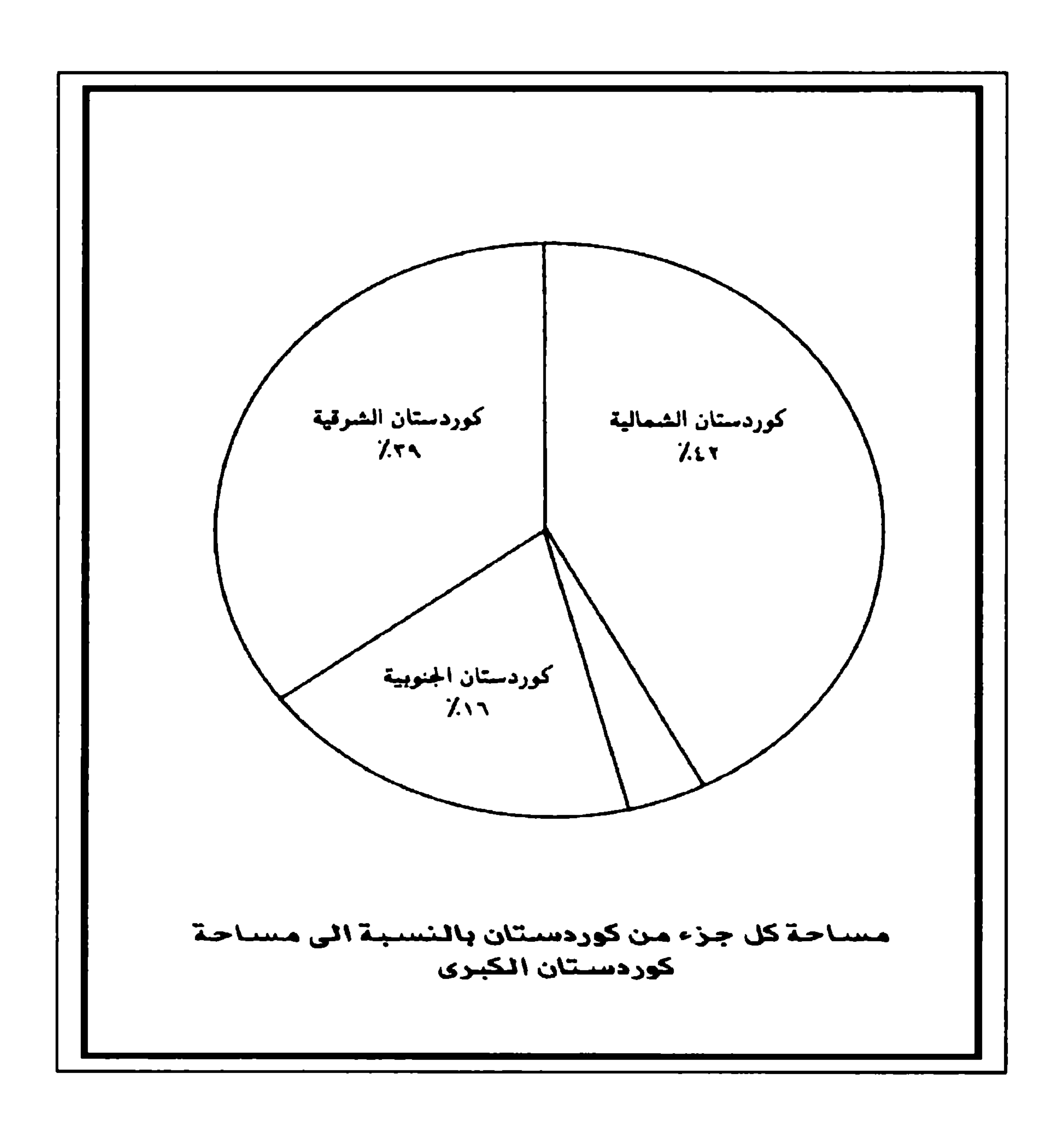
(1) تقول بعض الأوساط الكوردية: أن مساحة كوردستان تتعدى 500.000كم وانها تشمل كل الرقعة الممتدة بين قمة آرارات والخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط راجع الخريطة التي نشرها مركز الدراسات الكوردية في باريس عام 1949م. أما ل. رامبو فإنه يخمن مساحتها بـ530.000 ألف كم. ينظر إلى: عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، المؤسسة اللبنانية للنشر، بيروت د.ت، ص354، هوامش وتعليقات.

(2) ينظر إلى: المصدر السابق: عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص12، والحزب الديمقراطي الكوردستاني، المكتب السياسي: كوردستان نبذة تاريخية جغرافية اقتصادية، ط1 من منشورات مكتب الدراسات والبحوث المركزي دراسة رقم 33، ص31. ومنذر الموصلي: عرب وأكراد، رؤية عربية للقضية الكوردية، الأكراد في وطنهم القومي وفي الجوار العراقي-التركي-الايراني.. ط3 دار الغصون، بيروت 1416هـ-1995م، ص58.

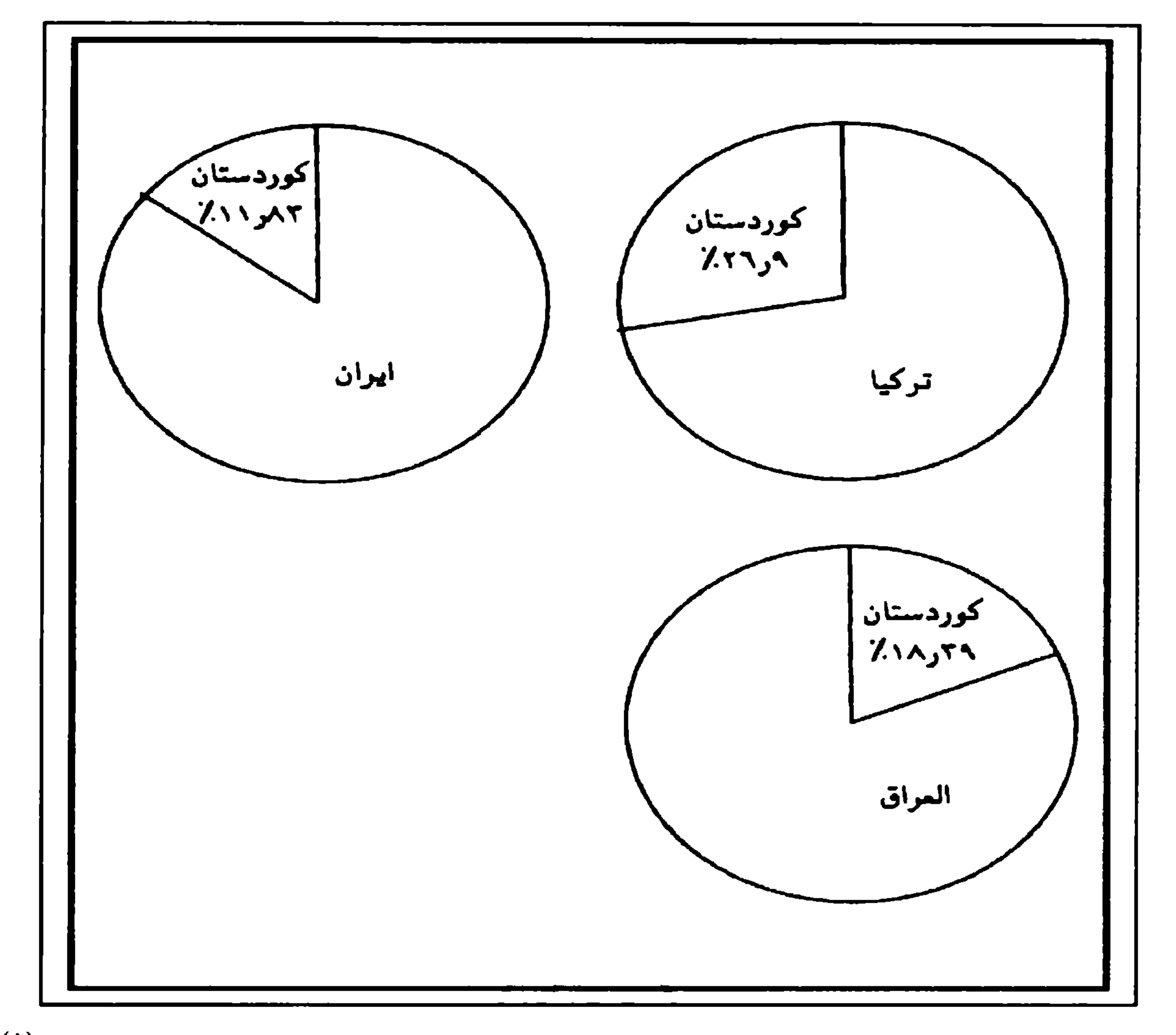
(3) جوناثان راندل: أمة في شقاق، دروب كوردستان كما سلكتها، ترجمة فادي حمود، ط1، دار النهار للنشر، بيروت 1997م، ص27.

(4) صلاح سالم زرقونه: القومية الكوردية، المنشأ والعلاقات مع القوميات المجاورة، السياسة الدولية، العدد 135، يناير 1999، ص88، وعبد الناصر وليد: أكراد العراق وتأثير البيئتين الإقليمية والدولية، السياسة الدولية، العدد 127، 1996م، ص48. ود. محمد سعد ابو عامود: الدولة الكوردية بين الفكر والحلم والواقع، السياسة الدولية، العدد 135، يناير 1999، ص87.

الجزء	المساحة بالكيلومتر	النسبة المئوية من مساحة كوردستان	النسبة المئوية من مساحات الدول الغاصبة لكوردستان
كوردستان الشمالية (التركية)	210000	٪42	26.90
كوردسـتان الـشرقية	195000	٪39	11,83
كوردسـتان الجنوبيـة	83000	٪16	18,39



مساحة كل جزء من كوردستان بالنسبة الى مساحة كوردستان الكبرى



مساحة كل جزء من كوردستان بالنسبة إلى مساحات الدول الملحقة بها[1].

الفصل الأول: فهو يتناول دراسة عن كوردستان من الناحية الإدارية والتاريخية والاقتصادية والسياسية، فقد ذكرت المواقع الجغرافية لكوردستان من حيث المساحة ونسب الأجزاء المغتصبة منها وضمها إلى الدول التي تتقاسم الشعب الكوردي وأشرت إلى تواجد الكورد في روسيا وأذربيجان وبلوجستان والهند وكشمير ولبنان وفلسطين والأردن.

ثم استعرضت المراحل الأربعة لتقسيم كوردستان ولم أغفل عن الإشارة إلى مناخ وسطح وسهول وجبال وأنهر كوردستان، ثم تطرقت إلى أصل الكورد ومنشئهم ولغتهم وديانتهم، وعدد نفوسهم ثم شرحت مرتكزات الاقتصاد الكوردستاني من مصادر معدنية ونفطية وزراعية وحيوانية، ثم عدت إلى عمق التاريخ فاستنسخت من سفره القديم صوراً للحكومات الكوردية قبل الميلاد ثم زحفت إلى ما بعد

---

(1) الحزب الديمقراطي الكوردستاني، المكتب السياسي، كوردستان، نبذة تاريخية، جغرافية، اقتصادية، دراسة رقم (33)ط1، منشورات مكتب الدراسات والبحوث المركزي، 1998، ص31-33.

الميلاد للإشارة للحكومات والإمارات الكوردية التي قامت على أرض كوردستان منذ سنة 230هـ ولغاية 1264هـ.

ثم عرجت على المراحل الأخيرة من السياسة العثمانية والصفوية تجاه الكورد وكيفية تقسيم كوردستان وبمباركة الدول الغربية، كما تطرقت إلى سرد الأحداث التاريخية الموجزة للترك من حيثيات مختلفة ببيان موطنهم الأصلي وتكوينهم العنصري وهجرتهم نحو الأناضول والعوامل التي ساعدتهم في إنشاء مملكة لهم.

الفصل الثاني: شرحت فيه كيفية تكوين الخلافة العثمانية وفترة حكمها كما أدرجت سيرة موجزة لبعض سلاطين وخلفاء الدولة العثمانية مع ذكر فتوحاتهم التي قاموا بها في أوربا وتسجيل بعض أهم الأحداث التي طغت على الساحة أثناء ولايتهم للسلطنة العثمانية.

الفصل الثالث: فقد خصصته لبيان موقف علماء كوردستان من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) ومهدت لكل فقرة للحديث عن الأوضاع القائمة في كوردستان في تلك الفترة وعززتها بالبيانات والتوثيق، ثم أعقبت لكل منها بدرج آراء علماء الكورد إما استناداً إلى المدونة من تلك الآراء أو من خلال المقابلات الشخصية مع الثقات منهم أو الاطلاع على ما عبروا عنه من خلال استفتاءات أجريتها معهم كما تطرقت إلى بعض التنظيمات الإدارية في ولاية الموصل التي تعد ثمانون بالمائة من سكانها من الكورد، وتناولت أيضاً التشكيلات الإدارية لكوردستان العراق مع ذكر الجوانب الاقتصادية الثرية في كوردستان والصناعات المحلية والهيكل التنظيمي للمجتمع الكوردي مع الإشارة إلى دور علماء الدين وارباب الأسر والمراة في المجتمع الكوردي، وعلاقات الدولة العثمانية مع بعض العشائر الكوردية، كما تحدثت أيضاً عن موقف علماء كوردستان من الانتفاضات المناهضة للحكم العثماني.

الفصل الرابع: آراء بعض علماء كوردستان العراق حول السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) وهو يشتمل على موجز الحالة الثقافية والحالة العلمية ودور المساجد المدرسية والمراكز التعليمية في كوردستان، وأتيت على ذكر نماذج من المدارس المسجدية في كل جزء من أجزاء كوردستان والمكتبات الملحقة بها ودور أمراء الكورد في تعضيد هذه المراكز العلمية والإنفاق عليها وعززت البحث بصور لبعض

تلك المدارس المسجدية التي كانت قائمة في العصور الماضية والتي بدأت بالانتشار في كوردستان منذ القرن الثالث الهجري وأعقبت ذلك التعريف بعلماء الكورد الذين تربعوا على كراسي المجد العلمي، وارتقوا المنابر الوعظية، وتصدروا المحاريب، وأتحفوا المكتبات بمؤلفاتهم القيمة ونالوا بفضل علمهم الغزير المرجعية الدينية في كل من العراق سوريا وتركيا وفي يوم من الأيام في الحرمين الشريفين، وغيرها من البلاد الإسلامية، وأردفت الموضوع بذكر سير نماذج من علماء الكورد ومؤلفاتهم، ثم بينت المواقف لهؤلاء العلماء من الخلافة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني، كما ذكرت موقف مشائخ الطرق الصوفية في كوردستان تجاه السلطان.

الفصل الخامس: موقف علماء كوردستان من عزل السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) عن الحكم سنة (1909م) ومهدت لذلك بذكر نبذة من سيرة السلطان وسياساته الداخلية والخارجية، وسياسته الإسلامية المتمثلة بالجامعة الإسلامية وبيان دور التحالف الصهيوني اليهودي في عزل السلطان والتصريح بالنتائج المترتبة على هذه الخطوة، وعززت مواقف العلماء من عدم شرعية العزل بذكر آراء وملاحظات علماء كوردستان وثقاتهم وفق منهج علمي.

الخاتمة والاستنتاج: فتحتوي على خلاصة مختصرة وتدوين استنتاجات عن السياق العام للأطروحة.

وفي نهاية المطاف ومسك الختام لا يسعني إلا أن أقدم أبهى آيات الاحترام وأجل عبارات الشكر وأروع كلمات التقدير إلى أستاذي المحترم الدكتور حسان علي حلاق، المشرف على أطروحتي لما أبداه لي من توجيهاته السديدة وملاحظاته الرشيدة وتصوراته القيمة في إعداد وتنظيم وترتيب الأطروحة وإبرازها بهذا الشكل إلى حيز الوجود، كما وكلي لسان ثناء وتقدير وإعجاب لكافة الأساتذة المكرمين أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور حسان حلاق والدكتور محمد علي قوزي والدكتور نائف معروف لتكبدهم جميعاً مشاق قراءة الأطروحة وتصويبها، وأتقدم بجزيل الشكر إلى العاملين في كلية الإمام الأوزاعي، إداريين وموظفين، كما وأسجل شكري الوفير إلى موظفي مكتبة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، والعاملين في مكتبة كلية الآداب بجامعة دهوك، كما لا أنسى جميل كل أولئك الذين هيأوا لي من أمري رشداً، وأرشدوني في عملي ومدوا لي يداً.

الفصل الأول

كوردستان نظرة عامة

فقه مصطلح كوردستان Kurdistan

في الديباجة الآتية تعريفات كشافة للدلالات الاصطلاحية لمركب (كوردستان) من حيثيات مختلفة في المناحي اللغوية والسياسية والتاريخية.

لغوياً:

إن كلمة (كوردستان) مؤلفة من لفظ (كورد) واللاحقة (ستان) التي يقابلها في اللغات الأوربية (State) وتعني (منطقة، مقاطعة) فالمحصلة تعني كلمة (كوردستان) منطقة الكورد[1]. وللتركيب نظائر مثل (عربستان، أفغانستان، تركستان).

ويقول (سن مارتن) في مذكراته التاريخية: ((إن بلاد كوردوئيني Corduene كانت معروفة باسم (كوردجيخ)، وهذه كلمة أرمنية ومعناها كوردستان الأرمني))[2]، كما يقول الميجر فردريك ميلجين في كتابه (حياة ابتدائية بين الأكراد) في مبحث كوردستان وحدودها ما ملخصه: ((كان لفظ كوردستان في الأدوار القديمة يطلق على مسكن ووطن الكاردوكي المتوطنين بجبال الهكاري))[3].

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية: ((إن لفظ كوردستان وضع للاطلاق على المواطن التي سكنها ولا يزال يسكنها الكورد حتى الآن))[4].

ولفظة (كورد) وقرينتها (طرد-gord) الفارسية المرادفة لكلمة (بهلوان) تعني البطل ووفرة الشجاعة وشدة الحماسة والغيرة، وهذا المعنى مصداق لما ورد في تفسير روح المعاني للشيخ محمود الآلوسي البغدادي المتوفى سنة (1270هـ) لقوله تعالى: (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد) [5] حيث يعني بهذا القوم الأكراد[1].

---

(1) شرف خان البدليسي: الشرفنامة باللغة الفارسية، تعريب وتعليق ملا جميل بندي رۆژبيانى، مطبعة النجاح، بغداد، 1372هـ-1953م، ص21، وجمال رشيد وفوزي رشيد: تاريخ الكورد القديم، جامعة صلاح الدين، أربيل، 1411هـ-1990م، ص16.

(2) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، باللغة الكوردية ترجمة وتعريب محمد علي عوني، ط2، بغداد، 1961م، ص1.

(3) المصدر نفسه، ص9.

وهكاري: مقاطعة صغيرة في أيالة (وان) بكوردستان تركيا، مركزها (جولامرك) ومن بلادها المشهورة (بوهتان) ومنها ينبع نهر الزاب الأعلى أحد روافد نهر دجلة، ينظر شرف خان البدليسي، الشرفنامة ص10.

(4) محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص8.

(5) سورة الفتح: الآية، 16.

وقد ورد في أقوال العلماء والأدباء الكورد ما يؤخذ هذا، من ذلك ما قاله (الملا محمد جلي زاده الكويسنجقي)[2].

حەز ئەكەكی پیت بلیم چیه عاقلي وچایوکی وجەوانمەردی

المعنى: هل ترغب أن أقول لك ما معنى الكوردية؟. إنه العاقلية والنشيطية والشهمية[3].

سياسياً:

يطلق اسم كوردستان على أجمل بقعة فتانة سحرية[4] في قلب الشرق الأوسط وتتوسط أحكم منطقة استراتيجية وممرات اقتصادية، ليس لها راية كغيرها من الأمم تطبيقاً لمدلول الديمقراطية، أو حدود سياسية مرتسمة على الخريطة الدولية، أو منقوشة على الأطالس الجغرافية العالمية، وليس لها ذكر في المفكرة الدبلوماسية[5]، وكأنها أرض من الدرجة الثانية، مملوكة لنبلاء القرون الماضية.

يسكنها شعب قديم في العراقة والتوطين، دلت أبحاث المؤرخين أنهم السكان الأصليون في مناطقهم، رغم ان هذه الدراسات لم تجزم حقيقة القبائل والأقوام الأولى التي تشكلت منها هذا الشعب، والمراحل الزمنية التي وفدت فيها الى المنطقة، وتعددت الآراء في ذلك ، وهي ما زالت بحاجة الى مزيد من الاكتشافات العلمية، والآثارية منها خصوصاً.

إن باطن أرضه كنوز غنية، وأصحابها الشرعيون من أفقر الشعوب في الكرة الأرضية[6]، وهم حقاً يتامى المسلمين في العلانية[1]، وهم كعهدهم حماة العقيدة الإسلامية، ومن بناة فخر الحضارة البشرية.

---

(1) محمود الآلوسي: روح المعاني، ج25، مج9، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت.

(2) الملا محمد جلي زاده عالم وأديب كوردي، ولد في كويسنجق التابعة لمحافظة أربيل، في خلافة السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1293هـ-1876م، شغل منصب الإفتاء وتعين عضو مجلس الولاية، توفي سنة 1362هـ-1943م. ينظر إلى: جواد فقي علي: محمد عبد الله الجلي وجهوده العلمية، رسالة ماجستير على الآلة الطابعة وغير منشورة، من جامعة صلاح الدين، أربيل، سنة 1411هـ-1990م، ص81-93.

(3) شرف خان البدليسي: شرفنامة، الهامش، ص20.

(4) محمد الخال: الشيخ معروف النودهي، دار مطبعة التمدن، بغداد، 1381هـ-1961م، ص أ.

(5) د. عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، المؤسسة اللبنانية للنشر د. ت، بيروت، ص11.

(6) عبد الرحمن قاسملو، ص19.

تاريخياً:

إن إطلاق مصطلح كوردستان في التعبير القومي، يعني بالضرورة (بلاد الكورد-وطن الكورد) إلا أن الحدود الجغرافية لمدلول الكلمة لم تكن شاملة لكافة أنحائها وتتفق دائماً مع الناحية العنصرية ولم تسم مناطق الكورد بهذه التسمية إلا نادراً، ولعل أقدم المصادر التي دون فيها اصطلاح كوردستان هي:

أ- المصادر الأجنبية:

فقد سمى الكتاب اليونانيون والرومانيون (كوردستان) باسم كوردونس Gorduence أو كوردياي Gordiaea، وانتقل الاسم إلى اللغة السريانية بصيغة اسم كاردو Gardu[2].

وأسمتها المصادر الآرامية (بيث كردو أو كاردو أو قاردو Qardu) والذي اشتقت منه المصادر العربية الأولى اسم (قاردا).

كما ذكر اسم كوردستان الرحالة الإيطالي الشهير ماركو بولو (ت 723هـ-1323م) Marco Polo، في الرحلة التي قام بها في أقاليم المشرق سنة (670هـ-1271م)[3].

ولم تغفل المصادر السريانية المؤلفة في العصود الغابرة من إيراد صيغ تطابق مدلول كوردستان، مثل يعقوب الرهاوي (10-89هـ)(632-708م) الذي ذكر (أرعاد قردوابي = أرض الكورد، في كتابه التاريخي[4]، وهناك مصادر تاريخية تضمنت تسميات مماثلة في ذات الدلالة[5].

---

(1) د. فهمي الشناوي: الأكراد يتامى المسلمين، مجلة المختار الإسلامي، العدد 24، السنة السادسة، 1985م، القاهرة، ص8.

(2) ينظر إلى: ج. آ. ر. درايفر: الكورد في المصادر القديمة، ترجمة فؤاد أحمد خورشيد، مطبعة الديواني، بغداد، 1986م. ص20. وشاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، مطبعة الرابطة، بغداد، 1959م، ص13-14.

(3) ماركو بولو Marco Polo: سفرنامه بالفارسية، ترجمة حبيب الله صحيحي، تهران، 1971، ص34-35.

(4) يعقوب الرهاوي: تواريخ سريانية من القرن (7-9م)، تحقيق وترجمة وتعليق يوسف حبي، بغداد، (النص السرياني، ص112، والنص العربي ص180) د. ت، د. ن.

(5) توما المرجي (ق3هـ-9م): كتاب الرؤساء، الترجمة العربية، الموصل، 1966، ص33. الرهاوي المجهول (ت 7هـ-13م): تاريخ الرهاوي المجهول، الترجمة العربية، بغداد، 1986م، ص40.

ب- المصادر العربية والفارسية والكوردية:

إن البلدانيين والكتاب العرب القدماء لم يستخدموا الأسماء اليونانية في الحديث عن بلاد الكورد، بل كانوا يسمونها باسم (إقليم الجبال)[1]، وكان إقليم الجبال ينطبق في الواقع على البقاع التي سماها الكتاب اليونانيون باسم (ميديا = بلاد الكورد في القديم).

يبدو أن الكتاب العرب أخذوا بنظر الاعتبار، أن لفظ (كوردستان) في المعجمات العربية أعجمي تساوي دلالته في المعجمات العربية (موطن الكورد) فلم يروا بأساً في استعمال اللفظ العربي بدل الأعجمي.

تبدو أن كلمة كوردستان كاصطلاح جغرافي قد ظهرت لأول مرة في القرن الثاني عشر في عهد السلاجقة، فقد فصل السلطان (سنجار) القسم العربي من إقليم الجبال ووضعه تحت سيطرة قريبه (سليمان شاه)، وكانت هذه الولاية الجديدة تشتمل على الأراضي الممتدة بين أذربيجان ولورستان (سنه، ديانا وار، همدان، كرمنشاه، الخ) بالاضافة إلى المناطق الواقعة غرب جبال زاكروس، كشهرزور، وكويسنجق. وبعدئذ استعمل المؤرخون العرب هذا الاصطلاح الجغرافي[2].

كما أن المصادر العربية أوردت التسمية في بعض الأحيان باسم قردي، أو باقردي[3].

وابن العبري: تاريخ الزمان، الترجمة العربية، بيروت، 1961م ص27، 35، 72، 321. وفي النص السرياني، باريس 1894م، ص144.

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجلد 2، دار إحياء التراث العربي، د. مط، د. ت، بيروت، لبنان، ص103 والبلاذري: فتوح البلدان، ج2، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص410.

(2) الدكتور شاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، منشورات الثقافة الجديدة، بغداد، 1959م، ص14-15.

(3) البلاذري: فتوح البلدان، نشرة صلاح المنجد، الناشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، ص208. وابن خرداذبه: المسالك والممالك، ليدن، 1889م، وأعيد طبعه في مكتبة المثنى بالأوفسيت، ص59.

والأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم الجزيرة، تحقيق يحيى عبارة ج3، دمشق، 1978م، ص213.

هذا وإن المؤرخ والبلداني المعروف (حمد الله المستوفي القزويني)[1] المتوفي عام (750هـ-1349م) قد ذكر اسم (كوردستان) في كتابه (نزهت القلوب) الذي ألفه باللغة الفارسية (740هـ-1239م) كما أن مؤرخ المغول رشيد الدين فضل الله الهمداني (ت 718هـ-1318م) ذكر هو الآخر اسم (كوردستان) في تاريخ المغول[2].

وفي العهد الجلائري (737-814هـ/1337-1411م) غدت تسمية (كوردستان) الاسم الرسمي للبلاد الكوردية في السجلات ودواوين الدولة الجلائرية[3]، وشاع استعمالها في المصادر الفارسية والأوربية[4].

وتوالى عقب هذه الحقب إطلاق تسمية كوردستان على مدينة كوردية ببلاد إيران واستساغها المؤلفون الغربيون والشرقيون كتسمية لبعض مؤلفاتهم.

وإذا تصفحنا ما تبقى من المؤلفات الكوردية القديمة - بالرغم من ضياع وإتلاف معظمها- فإننا نعثر على ذكر التسمية المذكورة في بعض منها مثل ديوان الفيلسوف والشاعر الكوردي الملا أحمد الجزيري (ق 9هـ-15م)، يقول في ثنايا إحدى قصائده:

ئـــەي شەهنشاهى معڤم حەق نگەهدارێ تەبى

ســــورەتێ (إنا فتحنـــــا) دورو ما دارێ تەبـى

نەتنێ تەبريز وكوردستان لە بەر حوكمێ تەبن

سەد وەكى شاهێ خوراسانێ دفەروارێ تەبێ[1]

---

[1] حمد الله المستوفي: نزهت القلوب، تحقيق محمد دبير سياقي، طهران، 1336هـ ش، ص120-127. و درايفر، انتشار الكورد في العصور القديمة، ص20.

[2] رشيد الدين فضل الله الهمداني: جامع التواريخ، الترجمة العربية، القاهرة د. ت 2/1/261.

[3] النخجواني (ق 8هـ): دستور الكاتب في تعيين المراتب، ج2، موسكو، 1976، ص101.

[4] ليونهارت راوولف الهولندي: رحلة المشرق سنة 1573م، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، 1978م، ص196.

الترجمة:

(يا ملك ملوك الدنيا المعظم، أدعو أن يكون الحق تعالى حافظاً لك من كل مكروه، وأن تكون سورة (إنا فتحنا) حواليك ومحيطة بك، ليس تبريز وكوردستان وحدهما فقط أن تكونا تحت حكمك، بل فليكن مائة ملك مثل ملك خراسان ساكنين في منزلك وبلاطك).

ويقول في قصيدة أخرى:

گولي باغى (إرم)ئێ بوهتانم   شەب چراغێ شەبێ كوردستانم

الترجمة:

(إني وردة بحديقة بوهتان (جزيرة ابن عمر) التي هي بمنزلة إرم ذات العماد، واني سراج ليل كوردستان)[2].

التقسيم الإداري:

لكل جزء من أجزاء كوردستان تقسيماتها الإدارية الخاصة والملائمة للدول التابعة لها.

كوردستان تركيا:

إن كوردستان تركيا التي تقع في نطاق الأناضول الشرقية تنقسم إلى 18 محافظة طبقاً للتقسيمات الإدارية وهي:

1- أرزنجان. 2- أرضروم. 3- قارص. 4- آغري. 5- تونجلي. 6- بينكول. 7- موش. 8- بتليس. 9- وان. 10- آدي يمان. 11- ملاطية. 12- ألازيغ (العزيز). 13- سعرد. 14- حكاري. 15- غازي عنتاب. 16- أورفة. 17- ماردين. 18- دياربكر.

وهناك أعداد كبيرة من الكورد يعيشون في (كيليكيا) وجنوب أنقرة والمدن الكبيرة مثل (اسطنبول، وأنقرة، وأزمير) ويمكن أن نجزم بأن الأكراد في تركيا

---

(1) صادق بهاء الدين ئاميدي: شرح ديوان الملا الجزيري: بغداد، 1977م: ص416-418، وأحمد بن ملا محمد الزفنكي: شرح ديوان الجزيري، القامشلي، سورية، 1958م، ص652-654.

(2) صادق بهاء الدين ئاميدى: شرح ديوان الملا الجزيري، ص509، وأحمد بن ملا محمد الزفنكي: ص824-825. وزرار صديق توفيق: كوردستان في القرن الثامن الهجري، دراسة في تاريخها السياسي والاقتصادي، مطبعة وزارة الثقافة، ط1، 2001م، أربيل، ص40-41.

الحاضرة موزعون إدارياً على 67 مدينة بنسب متفاوتة، و17 منها يقطنها الأغلبية الساحقة من الأكراد على أقل تقدير[1].

كوردستان إيران:

تنقسم كورستان إيران إدارياً إلى:

آذربيجان الغربية (أورمية)، كوردستان (سنه)، باختران، (كرمنشاه)، إيلام، لورستان، جهار محال، بختياري، بوير أحمد، كهكيليوية، خوزستان. وهناك الكثير من الكورد الذين طردتهم السلطات الفارسية من ديارهم ومناطقهم الأصلية حيث يعيشون في خراسان، بنجور، فارس، كرمان، بالاضافة إلى عدد آخر كبير من الكورد في المدن الكبيرة مثل تبريز وما حولها وطهران، وفي شرقي إيران من أقصى الحدود تعيش قبائل كوردية في منطقة بلوجستان.

كوردستان العراق:

تشتمل على: أربيل، السليمانية، كركوك، دهوك، الموصل، وأجزاء من ديالى، الكوت، كما أن مدينتي (خانقين ومندلي) من المناطق الكوردية العراقية التي تشترك في حدودها مع كورد إيران، كما أن الكورد يسكنون في كثير من المحافظات الأخرى وإن عدد الكورد الذين يتمركزون في بغداد يزيد على نصف مليون نسمة.

الأكراد في سوريا:

يوجد الكورد في سوريا ويسكنون في المحافظات التالية: الجزيرة، الرقة، اللاذقية، حماة، دمشق، حلب[2].

كما تعيش جاليات كوردية كبيرة في قارات مختلفة من العالم وهم في معظم الأحوال يعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية؛ في القاموس السياسي رغم ولائهم

---

[1] إسماعيل بيشيكجي: النظام في الأناضول الشرقية، الأسس الاجتماعية والاقتصادية والبنى القومية،ج1، ترجمة شكور مصطفى، مطبعة وزارة التربية، كوردستان، أربيل، 2000م، ص41-42.

[2] ينظر إلى: الكورد في دائرة المعارف الإسلامية، تاليف مجموعة من المستشرقين، ترجمة من الانكليزية إلى الفارسية اسماعيل فتاح القاضي ونقله إلى الكوردية حميد كريم عارف، وعربة من الكوردية حميد بيوار، الناشر رابطة كاوا للثقافة الكوردية، بيروت، لبنان، 1999م، ص6-7. وآ. خالفين: الصراع على كوردستان، ص28، وب. ليرخ: دراسة حول الأكراد، ترجمة د. عبدي حاجي، ط1، منشورات مكتب خاني، حلب، سوريا، 1992م، ص52، 57، 68، 71.

لتلك البلدان وإخلاصهم اللامتناهي وتفانيهم المطلق للصالح العام تلك الخصال المتطبع عليها الكوردي بالفطرة.

الكورد في روسيا:

يورد المستشرق المعروف إيفان دياكونوف في كتابه (تاريخ ميديا) معلومات عن الكورد في روسيا، فقد كتب يقول: ((إن جميع مناطق ما وراء القفقاس كانت في فترة القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد تقع تحت نفوذ الميديين (أجداد الكورد) وينسب بعض المصادر الأرمنية جذور الكورد إلى القرن السابع قبل الميلاد. ومعروف أن الدولة الشدادية الكوردية وجدت في منطقة مدينة (غنجة) في السبعينات من القرن العاشر، لذا فإن بعض الأكراد يعتبرون من أبناء هذه المنطقة الأصليين منذ غابر الأزمان[1].

كما أن السياسة القاسية التي أتبعتها السلطات التركية والفارسية كانت ترغم الكثير من الأكراد على النزوح إلى الدول المجاورة ومنها أراضي روسيا، ونتيجة حروب القفقاس هيمنت روسيا على عدد من المقاطعات التي يقطنها الكورد.

وبموجب معاهدة غوليستان مع بلاد فارس عام 1813م انتقلت إلى السيطرة الروسية أراضي محافظة (اليزابيث بول)، بينما نصت اتفاقية تركمينتشاي عام 1828م على انتقال كورد محافظة (إيريفان) من بلاد فارس إلى روسيا، وفي العام 1878م ازداد عددهم في روسيا بانضمام أكراد منطقة (قارس) و(أردوغان) إليهم.

ولابد من الإشارة إلى أن كوردستان كانت ولا تزال بالنسبة إلى روسيا منطقة ستراتيجية لأن قسماً من حدودها الجنوبية يجاور كوردستان، ولهذا فإن الحكومة القيصرية كانت تحاول جذب الكورد إلى جانبها لدفع المخاطر العسكرية عن الأراضي الروسية في القفقاس من جانب تركيا أو منافسي روسيا الآخرين ولكن روسيا كانت تنسى حلفاءها الكورد في كل مرة بعد تحقيق النصر على تركيا[2].

---

[1] ينظر إلى: محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص445، وصالح قفتان: تاريخ وطن الكورد، باللغة الكوردية ، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، د.ت، ص27، ونيكيتين: الأكراد: ص189، ومجلة سورغول Sorgul، العددان 8/9، كانون ثاني 1998م بيروت، لبنان، ص40،41، الكورد في دائرة المعارف الإسلامية: ص84.

[2] محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص445، وصالح قفتان: ميژووى گەلى كورد له كونەوه تا ئەمرو، مطبعة الأعظمي، بغداد، 1969م، ص27.

الكورد في أرمينيا:

يوجد 80 ثمانون ألف نسمة من الكورد في أرمينيا حسب إحصاء العام 1998م وعاش الكورد هناك أيام وجود روسيا القيصرية في ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة، وكان بعضهم يعيش حياة التمدن إلا أن الأغلبية مارست تربية المواشي، كما أن 40٪ من الكورد بدون أراضي زراعية.

لقد قامت السلطات الأرمنية بتشجيع من السوفييت بخطوات ترمي إلى تطوير الأقلية الكوردية اقتصادياً كما أولت الحكومة اهتماماً بتطوير الثقافة الكوردية وافتتحت المدارس في مناطقهم، وطلب مؤتمر الأكراد الأول المنعقد في كانون الثاني عام 1925م من حكومة أرمينيا وضع أبجدية كوردية على أساس الكتابة بالحروف اللاتينية فوافقت الحكومة على ذلك وطلب من (شامليوف عرب شمو)[1] بصياغة مثل هذه الأبجدية في نهاية العام 1928م، كما صدرت جريدة (ريا تازا) = (الطريق الجديد) وتم إعداد العلماء الكورد للعمل في معهد الاستشراق قسم الدراسات الكوردية، كما أن محطة الإذاعة والتلفزيون في (إيريفان) تبث البرامج باللغة الكوردية، وبذلك حافظ الكورد إلى حد كبير على سماتهم القومية ولغتهم وثقافتهم[2].

الكورد في آذربيجان:

بعد قيام السلطة السوفياتية تم تشكيل قضاء كوردستان (كوردستان الحمراء) المؤلفة من أربع مناطق كوردية في عام 1923م في حدود آذربيجان

---

(1) ولد عرب شامو بيظيض شامليوف (عرب شمو) الكوردي اليزيدي في 23 كانون الثاني عام 1897م في قرية (سوسوز) بمنقطة (قارص)، درس في معهد (لازاريف للغات الشرقية (بموسكو) وتخرج منها، ساهم في وضع (ألفباء كوردي) بالاستناد إلى الأبجدية اللاتينية وفي تأسيس دار المعلمين الابتدائية للشبيبة الكوردية، ثم ساهم في تأسيس أول جريدة كوردية في الاتحاد السوفيتي باسم (ريا تازه = الدرب الجديد) ثم أصبح من المستشرقين المهتمين بالدراسات الكوردية، وله مؤلفات عديدة، منها: (الراعي الكوردي) وروايته التاريخية (دمدم، طبعت 1969م، و(الطريق إلى السعادة) طبع 1971م، كما أن له مؤلفات باللغة الكوردية، ترجمت إلى عدد من اللغات.
- ينظر إلى: أ. شامليوف: حول مسألة الإقطاع بين الكورد، ترجمة وتقديم كمال مظهر أحمد، مطبعة الحوادث، ط2، بغداد، 1984م، ص21-26.

(2) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان: ص466.

السوفيتية بين (كراباغ) و(أرمينيا) وتمكن الكورد من تطوير ثقافتهم ولغتهم في إطار كيانهم الإداري القومي، إلا أن السلطات المحلية ألغت في العام 1929 (كوردستان الحمراء) وقضت على المراكز الثقافية[1].

الكورد في كازاخستان وآسيا الوسطى:

يتصف تاريخ الكورد في هذه المنطقة بالمأساة بسبب سياسة الترحيل التي مارسها (ستالين) في الأعوام 1937-1944-1948-1950م حيث تم تهجير آلاف العوائل الكوردية قسراً إلى آسيا الوسطى وكازاخستان بعد مصادرة أموالهم وأملاكهم، ويكمن سبب عمليات التنكيل بالكورد السوفييت في أن النظام الستاليني كان يخشى من طبيعة حركة التحرر الوطني وأهدافها في كوردستان الواقعة قرب الحدود السوفياتية وبزعم تعاطف الكورد مع تركيا.

وبالرغم من عمليات التنكيل فإن الأكراد في كازاخستان وآسيا الوسطى تمكنوا من المحافظة على لغتهم وعاداتهم وأخلاقهم ويبلغ عددهم في بلدان هذه المنطقة في الوقت الحاضر أكثر من مائة ألف كوردي[2].

الكورد في بلوجستان والهند:

تعيش مجموعة من الكورد في بلوجستان[3] وتقيم أغلبيتها الساحقة حوالي (كلات)[4] فتمتد منطقتها من (كتنا) لغاية (لاس) وهما مدينتان ضمن أراضي بلوجستان أي ما يقرب من (220) ميلاً ويبلغ تعداد هذه الجماعة الكبيرة ثلاثمائة ألف نسمة [طبعاً هذا الرقم سجل قبل حوالي سبعين عاماً]، ويظهر أنها قدمت إلى هذه الجهات من غربي البلاد الإيرانية.

---

(1) مجلة سورغول Sorgul: ص42، و الكورد في دائرة المعارف الإسلامية: ص84، و محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان: ص467.

(2) مجلة سورغول Sorgul، ص42-43.

(3) بلوجستان: مقاطعة تتقاسمها إيران وباكستان، تقع في جنوب شرقي إيران وصحراء كرمان وعلى حدود السند والبنجاب الغربية. ينظر: منجد الأعلام، ص142.

(4) كلات: مدينة في باكستان الغربية، عاصمة محافظة (كلات) (بلوجستان) عدد نفوسها ثلاثون ألفاً، تشرف على الطرق المؤدية إلى أفغانستان ودلتا الهند وبحر عمان. ينظر: منجد الأعلام، ص591.

كما أن بعض العشائر الكوردية سكنت في الهند حيث يقيمون في بلاد السند ويبلغ تعدادها [أيضاً قبل سبعين عاماً] ثمانية وأربعين ألف نسمة[1].

الكورد في كشمير:

يقول الدكتور محمد أحمد مصطفى الكزني في كتابه (الشيخ نور الدين البريفكاني، حياته، وآثاره، وشعره) في سرده لخلفاء الشيخ نور الدين: (إن للشيخ خلفاء ومريدين في الهند وهذا ليس ببعيد لأن هناك في ولاية كشمير حوالي ثلاثة ملايين من الكورد، وفي الوقت الحاضر يتزعمهم عالم كبير يهتم بشؤون شعبه وتاريخ أمته)[2].

الكورد في لبنان:

يعود الوجود الكوردي في لبنان إلى القرن الحادي عشر في عهد الزنكيين والأيوبيين، وقد هاجرت إلى لبنان عائلات وعشائر كوردية سواء برفقة الولاة والقادة والعسكر أو بحكم أيام المماليك ثم العثمانيين منذ القرن السادس عشر حتى مطلع النصف الأول من القرن العشرين، وشكل هؤلاء مجموعة كوردية خارج الوطن الأصلي كوردستان[3].

أكراد الأردن وفلسطين:

تشير المصادر التاريخية إلى وجود الكورد في الأردن منذ بدايات الدولة الأيوبية التي أسسها القائد الكوردي صلاح الدين الأيوبي سنة 1173م وقد شكل الكورد عماد جيشه ممن قدموا من كوردستان إلى الشام ومصر بدافع الجهاد ونصرة الإسلام ضد الغزو الصليبي.

---

[1] محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ كورد وكوردستان، ص445-446. جوثان راندل: أمة في شقاق: ص28. و محمد أمين زكي: خلاصة الكورد وكوردستان، ص467.

[2] د. محمد احمد مصطفى الكزني: الشيخ نور الدين البريفكاني: مطابع الناشر العربي، القاهرة، 1980. ص48.

[3] ليلى الصباغ: من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول، محمد الأمين المحبي المؤرخ وكتابه: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ط1، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق 1406هـ-1986م، ص536-538.

كما أن الملك الناصر داود الأيوبي المتوفى 1358م أسس إمارة الكرك سنة 1229م ودامت نحو ثمانين عاماً، وفي العصر المملوكي (1260-1516) استمر وجود الأكراد في محلتهم في مدينة (السلط)، وفي العهد العثماني (1516-1918م) تذكر السجلات العثمانية وجود محلة للأكراد في السلط سنة 1538، ومرة ثانية سنة 1596م، وبقيت محلة الأكراد في السلط إسماً جغرافياً منذ العصر الأيوبي ولم يمر كاتب أو رحالة عربي أو أجنبي بالسلط إلا وذكر محلة الأكراد، فقد ذكرها الرحالة السويسري بيركهارت سنة 1812م وقال: إن مسلمي (السلط) يتألفون من ثلاث عشائر: الأكراد، القطشيات، العواملة.

كما أن أكراد الأردن ساهموا في بناء الأردن الحديث في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

فعندما شرع الأمير عبد الله بن الحسين في تأسيس الجيش الأردني كان من بين مؤسسي الجيش ضباط من أصل كوردي أمثال الرئيس خليل بكر ظاظا، والرئيس نظمي خليل بدرخان والضابط مصطفى المللي والزعيم رشيد المدفعي.

وفي المجال السياسي برزت شخصيات سياسية في عهد الإمارة الأردنية أمثال: علي سيدو الكوردي، الذي شغل منصب وزير مفوض في وزارة الخارجية حيث كان سفير الأردن في أنقرة أحمد الكوردي ومدحت جمعة وأخوه سعد جمعة وفي المجال الاقتصادي فقد بزر حسني سيدو الكوردي الذي أسس بنك الأردن وفي المجال الثقافي فقد ساهم أكراد الأردن في الحركة الثقافية والفكرية وكان على رأسهم المفكر والأديب سعد جمعة، فقد كتب عشرات المقالات وأصدر جريدة (الحق) عام 1947م.

كما أصدر كتباً فكرية مثل (مجتمع الكراهية) (الله أو الدمار) (معركة المصير) (أبناء الأفاعي)، كما وضع علي سيدو الكوردي أول كتاب في أدب الرحلات وهو (من عمان إلى العمادية) صدر عام 1934م، كما صنف الأستاذ محمد علي الصويركي الكوردي أربعة كتب عن تاريخ الأردن وهي: 1- الأردن في أشعار العرب. 2- نوابغ الأردن في العهد الإسلامي. 3- شرقي الأردن والعهد الإسلامي. 4- مصادر ومراجع عن الثورة العربية الكبرى.

كما أسس الأستاذ عبد الرحمن الكوردي أول دار نشر في الأردن في فترة الخمسينات من القرن العشرين، كما أصدر مجلة (الأردن الجديد) الأسبوعية في

عمان سنة 1950م، ويقدر عدد الكورد في الأردن بنحو ثلاثين ألفاً موزعين على عمان والزرقاء والعقبة.

أكراد فلسطين الموجودون في الأردن:

لجأت إلى الأردن بعد الحرب العربية الاسرائيلية في أعوام 1948و 1967 عائلات وعشائر فلسطينية ذات أصل كوردي، ترجع في جذورها إلى العصر الأيوبي، أو إلى العهد العثماني ومن أشهر هذه العائلات: الأيوبي، الهشلمون، نيروخ، الكورد، ظاظا، عليكو، أبو الهيجا وغيرها[1].

كما أن الظروف الأمنية والاقتصادية والسياسية أجبرت ما يقارب مليونين من كورد العراق وإيران وتركيا إلى اللجوء إلى الدول الأوربية الغربية والشرقية وأمريكا والقارة الافريقية وحتى القارة الاسترالية[2].

مراحل تقسيم كوردستان:

تم تقسيم كوردستان أرضاً وشعباً وفق مخطط مدروس على مراحل، وأبرز محاور ذلك المخطط هي:

1- **التقسيم الأول**: وقد نفذ على يد الأتراك العثمانيين والفرس نتيجة الصراع العنيف بينهما للسيطرة على كوردستان والذي استمر الفترة الممتدة من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر الميلادي وخاصة عقب معركة جالديران سنة 1514م.

ويمكن اعتبار معاهدة أماسيا عام 1554م بين الدولتين أولى المعاهدات الدولية التي قسمت كوردستان وأخضعتها لاحتلال الدولتين، كما تعتبر معاهدة زهاو[3] سنة 1639م أساساً للمعاهدات اللاحقة ذات العلاقة بتقسيم كوردستان

---

(1) مجلة فەژين VEJIN = الحياة، العدد 14، 1999م / محافظة دهوك، إقليم كوردستان العراق، ص232-239، نقلاً من جريدة الميثاق الأسبوعية المستقلة، العدد الصادر في 1999/5/14م.

(2) جريدة خەبات، لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني، العدد 971 في 2000/4/14م، ص10، عن مجلة تايم البريطانية (2-2) ترجمة يوسف عزيز، جوناثان راندل: أمة في شقاق: ص426.

(3) معاهدة زهاو المعقودة في 8 مايو سنة 1639م بين السلطان العثماني (مراد الرابع) والشاه الفارسي (صفي بهادر) لتحديد الحدود بين بلديهما. ينظر إلى: جابر إبراهيم الراوي: الحدود الدولية ومشكلة الحدود الإيرانية العراقية، مطبعة دار السلام، بغداد، 1975م، ص286.

وتخطيط الحدود السياسية بين الدولتين على طول امتداد جبال كوردستان[1].
وكانت المحصلة تقسيم كوردستان إلى إقليمين شرقي (كوردستان الشرقية)، تابع لإيران، وغربي (كوردستان الغربية) تابع للدولة العثمانية.

إن هذه الحدود كما يقول البروفيسور رمضاني: (فلقت الكورد بين الامبراطوريتين[2].

ويلاحظ أن معظم التقسيمات اللاحقة لكوردستان حدثت في كوردستان الغربية (العثمانية) فقط في حين بقيت كوردستان الشرقية (الإيرانية) خاضعة لإيران دون أن يمسها التغيير.

2- **التقسيم الثاني**: هو الذي نفذ بين الروس والفرس وحدث في القرن التاسع عشر نحو ما وراء القوقاز وبحر قزوين والذي أدى إلى توقيع معاهدة دتركمان جاى سنة 1828م، والتي تنازل الفرس بموجبها لروسيا عن مقاطعاتها الممتدة إلى الشمال من نهر آراس ونتج عن هذا الترتيب للحدود فصل الكورد القاطنين في مقاطعة كنجه (GANJA) عن بقية أجزاء كوردستان الشرقية، وبذلك أصبح جزء من كوردستان خاضعاً لروسيا، ثم للاتحاد السوفيتي، والآن لأرمينيا.

3- التقسيم الثالث: وهو الذي أتت به معاهدة سايكس-بيكو[3] السرية سنة 1916م والتي حملت في طياتها اتفاق كل من بريطانيا وروسيا وفرنسا على تقسيم أراضي الدولة العثمانية بضمنها اراضي كوردستان العثمانية إلى مناطق خاضعة لسيطرة تلك الدول وقد خضعت كوردستان العثمانية وفق هذه المعاهدة إلى التقسيم الآتي:

أ- اعتبار مقاطعات بوتان، هكاري، جلمرك، أرزنجان، خربوط، موش بدليس، وان، بايزيد ضمن حصة روسيا.

---

[1] للتفاصيل عن تطور معاهدات الحدود ينظر إلى: نوار عبد العزيز سليمان: العلاقات العراقية-الإيرانية، دراسة في دبلوماسية المؤتمرات، دار الفكر العربي، القاهرة، 1974م.

[2] Ramazani, R. K, The Kurdish Problem, Quarteriy Review Jan. 1967, (London), P. 72

[3] معاهدة سايكس-بيكو السرية عام 1916م، والتي تضمنت اتفاق كل من بريطانيا وروسيا وفرنسا على تقسيم أراضي الدولة العثمانية وبضمنها أراضي كوردستان العثمانية إلى مناطق خاضعة لنفوذ تلك الدول. ينظر إلى: مجلة كولان العربي، العدد (41)، السنة الرابعة، 31، تشرين الأول 1999م، أربيل، إقليم كوردستان العراق، ص83.

ب- إلحاق غزيان تبه، أورفة، دياربكر، رأس العين، قامشلي، ماردين، ملاطية، جزيرة بوهتان، بهدينا، بمنطقة النفوذ الفرنسي.

ج- تبعية المنطقة من نهر الزاب الأعلى وحتى السليمانية وطةرميان ومندلي وخانقين وجبال حمرين، لمنطقة النفوذ البريطاني.

4- **التقسيم الرابع**: وهو الذي جاءت به معاهدة سيفر[1] (10 آب 1920م)، بين الحلفاء والترك ونفذت بين بريطانيا وروسيا وفرنسا، وهي المعاهدة التي أسفرت عن مؤتمر السلام والتي أشارت ضمن تلك التقسيم إلى إنشاء دولة كوردية على مساحة صغيرة من أراضي كوردستان لا تتجاوز 45٪ من مساحة كوردستان الشمالية (التركية) الحالية، أما بقية مناطق كوردستان فوزعت على الشكل الآتي:

أ- أعطيت حصة روسيا من معاهدة سايكس-بيكو إلى أرمينيا.

ب- تم تعديل منطقة النفوذ البريطاني بعد إلحاق منطقة (بهدينان) بها والتي كانت في سايكس- بيكو ضمن منطقة النفوذ الفرنسي، وذلك بعد أن وافقت كل من بريطانيا وفرنسا على هذا التعديل في اتفاقية سان ريمو (24 نيسان 1920م)[2].

5- التقسيم الخامس: وهو التقسيم الحالي الذي تعيشه كوردستان والذي حصل عقب توقيع معاهدة لوزان بين دول الحلفاء وتركيا الكمالية في 24 تموز سنة 1923م والتي انتزعت بموجبها الجمهورية التركية الاعتراف الدولي بها وعلى ضوئها تم تثبيت حدودها الجنوبية مع العراق وسوريا في السنوات 1926 و1930م.

وبذلك فصلت هذه الحدود بين كوردستان العراق (الجنوبية) وأجزائها الأخرى مثلما فصلت الحدود العراقية السورية بين كورد العراق وكورد سوريا[3].

أسباب التقسيم:

يبدو أن الأسباب المفضية إلى تقسيم كوردستان قد تكون استراتيجية واقتصادية وسياسية وجغرافية ودينية.

---

(1) Fisher, Sydney Nettleton, The Middle East: A history, Rautled ge of Kegan London, 1971, P. 370.

(2) مجلة كولان العربي: العدد (41) السنة الرابعة، 31 تشرين الأول، 1999م، ص83.

(3) د. گەرمياني: جيوبوليتيك تقسيم كوردستان: مقاله منشوره في مجله گولان العربي، السنه الرابعه، العدد 41 تشرين الأول 1999م، ص81-83.

1- طبيعة كوردستان الجبلية المشرفة على المناطق السهلية والهضبية المجاورة لها مما جعلتها ذات خاصية دفاعية هجومية واستراتيجية عسكرية، وهذا الوضع جعلتها عبر التاريخ هدفاً لكل غاز لمنطقة الشرق الأوسط، ولم يكن النصر حليفاً للأسكندر المقدوني شرقاً وللعرب المسلمين شرقاً وللمغول والتتار غرباً إلا بعد سيطرتهم على كوردستان وأمسكوا بتلك المفاتيح[1].

2- إن كوردستان لو توحدت وأصبحت دولة مستقلة، ستتحول آنذاك إلى قوة إقليمية يحسب لها ألف حساب.

3- إن بريطانيا وروسيا وفرنسا وألمانيا كانت جميعاً تسعى لسنوات طويلة لتثبيت أقدامها في كوردستان بغية الاستحواذ على ثرواتها النفطية الهائلة أو ربطها بأسواقها[2].

4- وأهم تلك الأسباب السبب الديني وهو انتقام الدول الصليبية من الكورد والثأر لما فعله القائد الكوردي صلاح الدين الأيوبي قبل ألف سنة عندما طرد الأوربيين وطهر الشرق الإسلامي منهم وانقذ بذلك الإسلام من براثن الموت والترك والعرب والفرس من الاستعباد، ولو لا ذلكم الكوردي لكانت أوربا اليوم مالكة الشرق الأوسط.

كوردستان: نظرة جغرافية

السطح:

يتكون سطح كوردستان الذي أودع الله فيه جلال الآيات وجعله مصدر الحياة وفخر الملكات من جبال شاهقات، منتصبات كالأوتاد مجللة بأبهى علائم الوقار وتتعمم هاماتها الثلوج في معظم الأوقات، وتكتسي قاماتها الأحراش والغابات من كل أصناف الشجيرات التي تنفع الحياة وتستغل في كثير من الحاجات والصناعات وغيرها من المثمرات وهي غنية بالنفط والرصاص وخام الحديد وغيرها من الثروات.

---

[1] خورشيد فؤاد حمه: جغرافية جبال كوردستان، المثقف الجديد (باللغة الكوردية، العدد 106، 1985، ص215-322.

[2] أحمد كمال مظهر: كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، مطبعة آفاق عربية، بغداد، 1984م، ص21.

وهي الملاجئ في أغلب الأوقات حيث الكهوف والمغارات، وتتدفق منها المياه العذب الفرات، وتعيش عليها أنواع الحيوانات وأجناس الطيور الصادحات. وعلى كثير منها تبنى المنازل والبيوتات، وفي سفوحها المروج والمراعي الخضراوات وتجري بينها الأنهر السابحات وبجانبها بعض الجبال الجرداء ذات بنية صخرية بركانية تتخللها الأخاديد والانهدامات والفجوات مما يجعل التنقل فيما بينها من الصعوبات.

ويتألف هذا السطح من مرتفعات وهضبات ووديان وسهول منبسطة تدر بوفرة محاصيل المزروعات، وتزرع فيها مختلف الأشجار ذات الثمرات حتى تغدو للناظر كأنها حدائق وجنات وتنتشر عليها المدن والقرى والمعمورات.

هذا وترتفع كوردستان عن سطح البحر بمعدل يتراوح بين 1000-1500 متراً، كما توجد هناك مدن تقع على ارتفاع 1920 متراً مثل (شأن بيجار) ومدن تقع على ارتفاع أقل مثل مدينة أربيل في كوردستان العراق حيث ترتفع بمقدار 430 متراً[1].

وتشتهر جبال كوردستان بعلوها إذ يتراوح بين 3500-5258 متراً وتتألف سلاسل جبال كوردستان المشهورة من 23 جبلاً عدا السلاسل المتفرعة عنها.

ففي غرب كوردستان جبال طوروس والهضبة العليا لما بين النهرين الجزيرة وجبال ماردين السفلى، وفي الشرق الجبال الكوردية التي تنحصر في الرقعة بين بحيرة أورميا ووان، وفي الجنوب الغربي حيث يقع جبل زاغروس.

وتتصل جميع جبال الأناضول وجبال إيران وجبال كوردستان العراق التي هي أعلى جبال الشرق الأوسط، بعضها مع بعض في إقليم آرارات التي يعد جبله أعلى جبال كوردستان ففيه جبل ئاكره والمعروف بجبل ئاكري الكبير الذي يبلغ ارتفاعه 5258 متراً، ثم يليه جبل (رشكو) في منطقة (جيلو- داغ) 4168 متراً، ويعقبه في الارتفاع ئاكرى الصغير وارتفاعه 3925 متراً.

وعلى قمم آرارات تتلاقى الحدود الإيرانية والتركية والروسية فهو بمثابة نقطة العقدة بالنسبة لهذه الجبال[1].

---

[1] ينظر إلى: باسيل نيكيتين: الأكراد، ص26، د. آ. خالفين: الصراع على كوردستان، ص16، بليج شيركوه: القضية الكوردية، مطبعة السعادة، 1349هـ-1930م، ص11.

المنـاخ:

يتميـز بمنـاخ البحـر المتوسـط ذو صـيف حـار وجـاف وشـتاء بـارد وممطـر وتساقط الثلوج بغزارة ما عدا بعض المناطق الجنوبية، إن مناخ سهول كوردستان شبه استوائي، يتراوح معدل الأمطار سنوياً من 200-400ملم، أما في الأراضي المنخفضة الواقعة بين سلاسل الجبال، فيبلغ المعدل السنوي بين 700-2000ملم وفي بعض الأحيان إلى 3000ملم.

أما المناخ في وديان كوردستان الوسطى فهو قاري نوعاً ما، وقد يكون قاحلاً، فيبلغ المعدل السنوي للمطر بين 300-500ملم.

الجدول المرسوم يبين الظروف المناخية لمختلف المدن في كوردستان[2]

الجـزء	المدينـة	معـدل الحـرارة بالـدرجات المئويـة في شهر تموز	معدل الحـرارة بالـدرجات المئوية في شهر كانون الثاني	المعـدل السـنوى للأمطـار بالمليمترات
كوردستان العراق	كركوك	43	14.5	334.5
	خانقين	41.8	2	385.2
كوردستان إيران	كرمنشاه	37.5	15-10	489
	سنه	35	15	500
كوردستان تركيا	دياربكر	31	2.5	470
	أورفا	32	4.5	440
	مالاطيا	26.5	1.5	440
	وان	22.5	3.5	380

---

(1) ينظر إلى: مجموعة من المستشرقين: الكورد في دائرة المعارف الإسلامية، باللغة الانكليزية، ترجمة وتعريب حميد ريبوار، الناشر، رابطة كاوا للثقافة الكوردية 1999م، بيروت، لبنان: ص11، و د. عبد الرحمن قاسملو، كوردستان والأكراد، ص13، وعمر عبد العزيز هوراماني: القضية الكوردية والمؤامرات الدولية: سلسلة 2 منشورات جمعية علماء كوردستان، د. مط. د. م 1413هـ-1993م، ص19.

(2) عبد الرحمن قاسملو، ص14،15، مجموعة من المستشرقين، الكورد في دائرة المعارف الإسلامية، ص17.

الغابات:

تغطي أراضي كوردستان الغابات الطبيعية والمزروعة بنسبة عالية إذا ما قورنت بأقطار الشرق الأوسط الأخرى، وهذه الغابات تتألف من أشجار البلوط والعفص والصنوبر والسرو الجبلي وأشجار القوق والصفصاف والحور وأشجار مثمرة كالجوز واللوز والزعرور، كما تتوفر في بعض المناطق النباتات والأعشاب الطبية وغيرها من النباتات الصالحة للأكل، وفيها من الورود والأزهار الجبلية الكثيرة والمتنوعة الألوان، فقد أعجب بها كثير من السياح والرحالة الأوربيون وسجلوها في مذكراتهم[1]. وتغطي الغابات في كوردستان تركيا حوالي 6٪ من مجموع الأراض، أما في كوردستان إيران فإنها تغطي 32٪ من الأرض في حين تغطي 8٪ في كوردستان العراق، وتبلغ المساحة الكلية للغابات في كوردستان حوالي ستة ملايين هكتار أي زهاء 14٪ من مساحة الأرض[2].

السهول:

تنتشر في كوردستان السهول المترامية الخصبة، وتزرع فيها أنواع المزروعات وعلى الأخص الحبوب والتبغ ومنها:

أولاً: في كوردستان الجنوبية:

- مثل سهل شهرزور: ويبلغ معدل طوله حوالي 45كم وعرضه 15كم وإلى 35كم في الجزء الشرقي منه، ويتراوح معدل ارتفاعه بين 453-610 متراً، ويرويه نهر تانجرو وروافد عديدة.

- وسهل سرجنار: قرب مدينة السليمانية. وسهل مركه: الذي تبلغ مساحته 150كم2، ويتراوح ارتفاعه بين 483-610 متراً، ويرويه الزاب الصغير، وسهل أربيل، وسهل دشت بتوين قرب الزاب الصغير.

- و سهل السليمانية: ويمتد لمسافة 64.5كم وعرضه 14.5كم ويرويه نهر تانجرو وروافده، وسهل بازيان: ويرويه نهر بازيان، وسهل سركال، سهل السندي

---

(1) إحصائية التطور الاقتصادي في الخارج عام 1958م باللغة الجيكية براغ، 1959م، ص633.

(2) عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص18.

وسهل السليفاني[1].

ثانياً: كوردستان الشرقية:

- سهل أورمية التي يعد من أغنى السهول وأخصبها ويبلغ طوله 50 ميلاً بعرض 18 ميل، وسهل مه ركه، وسهل (ته ركه ور) إلى القرب من الرضائية.

ثالثاً: كوردستان الشمالية:

- فيها سهول خصبة تحيط ببحيرة وان، سهل أرضروم، وسهل أرزنجان وسهل (بن كول) بين دجلة والفرات، وسهول خصبة في شمال ملاطية.

الأنهار:

من مميزات نعم الله تعالى على كوردستان أن جعلها غنية بالمياه من أمطار وفيرة في بعض أجزائها وأنهار ومجار سيلية ثرية ومياه جوفية وسطحية كثيرة، وهذه المياه ذات ميزة متعددة جغرافية وإروائية، وتمنح البلاد أهمية اقتصادية وزراعية متعددة الفوائد، ولها سمات سياحية وقيمة سحرية وبما يحيط بها من متنزهات سياحية وبساتين زاهية وتنبع في جبال كوردستان أنهار كثيرة منها:

1- نهر آراس: يبلغ طوله 920كم ويجري في كوردستان تركيا على امتداد 435كم ويشكل ملتقى حدود تركيا وإيران والاتحاد السوفيتي (سابقاً) ثم يصب في بحر قزوين.

2- نهر الفرات: ينبع من دوملوتبه شمال أرضروم وذلك بالنسبة لفرعه المسمى (قره صو) وطوله 460كم، ومن (ألاداغ) الواقعة بين بحيرة (وان) و(آكري) وذلك بالنسبة لفرعه المسمى نهر (مراد) وطوله 615كم، ويلتقي نهرا مراد وقره صو شمال غربي مدينة (ألازيغ) ليكونا نهر الفرات الذي يجري خلال كوردستان مسافة 647كم اخرى إلى حدود تركيا مع سورية.

أما الطول الكلي للفرات فهو 2800كم، ويبلغ مجراه في كوردستان 1110كم ويلتقي الفرات بدجلة قرب مدينة البصرة.

---

[1] منذر الموصلي: عرب وكورد رؤية وطنية، ط3، دار الغصون، بيروت، لبنان، 1416هـ-1995م، ص64-65. ود. شاكر خصباك: الأكراد، مطبعة شفيق، 1972م، ص36-37. و مجموعة من المستشرقين: الكورد في دائرة المعارف الإسلامية: ص21.

3- نهر دجلة وروافده: ينبع هذا النهر من جبل قرب (آمد)[1] بكوردستان الشمالية ويستمر جريانه ويمتد إلى ميافارقين حيث يصب فيه نهر (ساتيدما)[2] ويمر نهر دجلة بحصن كيفا[3] ثم يصب فيه نهر (الرزم)[4] الذي ينبع من أراضي أرمينية ثم يصب فيه نهرا (بيرني) و(باعيناثا)[5] قبل وصول نهر دجلة إلى حزيرة ابن عمر، ثم يصب فيه أنهر أخرى مثل نهر (دوشا) الذي ينبع من منطقة الزوزان[6].

4- الزاب الكبير: (2450كم) والزاب الصغير (2200)كم ينبع كلاهما من كوردستان تركيا، فالزاب الكبير ينبع من موقع بين بحيرة (أورمية) و(وان) ويبلغ طوله 200ميل من منبعه حتى مصبه في نهر دجلة وقديماً يطلق عليه اسم (بادينان)، أما الزاب الصغير فإن منبعه من جبال (لاهيجان)[7] ويبلغ طوله 190 ميلاً وكلاهما في دجلة[8].

5- نهر الخازر: منبعه من منطقة قريبة من عقرة[9] وينحدر حتى يصب في نهر دجلة.

---

(1) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، عبيد الله الخراساني (ت 280هـ-897م)، ص174، وكتاب الأقاليم: الأصطخري محمد بن إبراهيم توفي بعد (340هـ-915م) مكتبة المثنى، بغداد، د ت ص40.

(2) وهو نهر معروف أيضاً باسم (بطمان صو)، ينظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد، بغداد، 1954م، ص143.

(3) بلدة تقع بين آمد وجزيرة ابن عمر ومشرفة على دجلة: ينظر إلى: المصدر السابق شرف خان البدليسي شرفنامه.

(4) ويسمى آفا بوهتان = ماء بوهتان في الوقت الحاضر، ينظر إلى: عبد الرقيب يوسف: الدولة الدوستكية في كوردستان الوسطى، بغداد، 1972م، ص29.

(5) وله تسمية أخرى وهي (باسنفا) ينظر: سهراب، مخطوطة وصف ما بين النهرين، مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، مطبعة جامعة بغداد، رقم 924، ورقة 11.

(6) زوزان كلمة كوردية تعني مصائف الرحل، ينظر إلى: هزار القاموس الكوردي الفارسي.

(7) لاهيجان أو جبال السلق، يقع بين شهرزور وآذربيجان، ينظر: مراصد الاطلاع، ج2، ص652، علي بن عيسى (873هـ-1478م).

(8) الدويبهي: مخطوطة عجائب البلدان والجبال والأحجار، ورقة 224 وفائزة محمد عزت: الكورد في إقليم الجزيرة وشهرزور في صدر الإسلام، دراسة في التاريخ السياسي، رسالة ماجستير في جامعة صلاح الدين، أربيل، غير منشورة على الآلة الكاتبة، 1412هـ-1991م، ص28-29.

(9) عقرة: قلعة حصينة في جبال الموصل، أهلها أكراد، وهي شرقي الموصل، خرج منها طائفة من أهل العلم. ينظر إلى ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد 4، ص136.

وتجري في كوردستان أنهر أخرى كثيرة مثل نهرا بدليس وبوتان في كوردستان تركيا، ونهر سيرفان في كوردستان إيران والعراق، ونماماسياب وجاغتو (240)كم وطاطائو في كوردستان إيران[1] وسعرد كوركيت –بايزيد- آوي ماسي = نهر السمك –ساووج بولاغ في كوردستان تركيا، ونهر (تانجار) في قضاء حلبجة[2] ونهرا (راوندوز) و(موماكا) كما توجد أنهار أخرى ونكتفي بما ذكرناه خشية التطويل.

ومما هو جدير ذكره، أنه توجد في كوردستان شلالات كبيرة تصلح لتوليد الطاقة الكهربائية مثل شلال بيخال[3] الذي يتساقط من ارتفاع 130 متراً وتتفرع عنه خمس شلالات[4] كما تنتشر في كوردستان المياه المعدنية الكبريتية في أماكن متعددة.

السدود والبحيرات:

لقد تم إنشاء الكثير من البحيرات الاصطناعية في عموم كوردستان عن طريق بناء السدود على أنهارها، وأهم هذه السدود هي:

أ- السدود المشيدة على نهر الفرات وروافده في كوردستان تركيا:

- سد كابان: أدى قيامه إلى تكوين بحيرة مساحتها 680كم2 وتصل طاقة خزنها إلى 30 مليارم^3، وينتج الطاقة الكهربائية بحدود (1240) ميكاواط.

- سد أتاتورك: وهو أحد أضخم سدود العالم ويولد طاقة كهربائية مقدارها (2400) ميكاواط، ويخزن حوالي 82 مليار م3 من المياه، وتغطي مساحة البحيرة 877كم.

- سد قره قايا: صمم ليولد 1800 ميكاواط من الطاقة الكهربائية، ومساحة بحيرة السد 300كم2.

---

(1) عبد الرحمن قاسملو، ص16.

(2) حلبجة: بلدة في محافظة السليمانية، تعرضت للقصف الكيمياوي في الحرب العراقية الإيرانية 1987م.

(3) بيخال: مصيف رائع في كوردستان العراق بمحافظة السليمانية.

(4) ينظر إلى: منذر الموصلي: كرد وعرب، ص64، ومجموعة أساتذة جامعة صلاح الدين: جغرافية إقليم كوردستان العراق، ط2، مطبعة وزارة التربية، أربيل، 1999م.

ب- السدود المشيدة في كوردستان العراق وهي:

- سد وخزان الموصل (صدام) أنشئ عام 1980 وهو أكبر سد في كوردستان الجنوبية ويقع على نهر دجلة (شمال مدينة الموصل) ويستوعب (13) مليار $م^3$، ويولد طاقة كهربائية تقدر بـ (100.000) ألف ميغا واط.

- سد وخزان دوكان على نهر الزاب الصغير ويولد قوة كهربائية مقدارها (140) ميكا واط ويستفاد منه في ري أراضي زراعية في محافظات أربيل وكركوك وديالى.

- سد وخزان دربندخان، ويتسع الخزان لـ(3) مليار $م^3$ ويوفر المياه للأراضي الزراعية ويولد قوة كهربائية يقدر بـ (80) ميكاواط.

- سد دهوك: أنشئ على روافد نهر دهوك.

- سد حمرين: تم إنشاؤه عام 1940، وتسقى مياهه الأراضي الزراعية.

- سد بخمه: بدأ العمل بإنشائه عام 1984م ويعتبر أحد أكبر سدود الشرق الأوسط، ولكن توقف العمل فيه بسبب الانتفاضة الكوردية عام 1991م.

وهناك سدود أخرى مثل سد ئاريا جاى في أقصى شرق كوردستان وسد مهاباد وسد قشلاق (سنه) في كوردستان إيران[1].

كوردستان: نظرة تاريخية

منشأ الكورد وأصلهم:

الكورد قوم قائم بذاته، مستقل عن غيره، موغل في أعماق التاريخ جذوره، مميز بخصائصه اللغوية والعنصرية والحضارية[2]، موطنهم كوردستان التي هي الموطن الثاني للسلالة البشرية[3] ومهد الحضارة بإجماع المؤرخين[1] التي يحدها

---

(1) مكتب الدراسات والبحوث إقليم كوردستان العراق: ص45.

(2) يقول المؤرخ عباس العزاوي: (الكرد من العناصر الفعالة في العراق أيام العهد الإسلامي ولهم الأثر الجميل في كافة أنحاء المعرفة والإدارة والعمل والحضارة، وهم قوم قائم بحاله على الأرجح، ولم يكن من بادية إيران كما توهم البعض بل يصح أن تكون إيران قد تولدت منه.. والأدلة كثيرة على قدم هؤلاء ورسوخ حضارتهم. ينظر إلى: عباس العزاوي: عشائر العراق، مطبعة أمير، د.م ج2، 1336هـ=1947م، ص17-18.

(3) يقول سبحانه وتعالى: (وقيل يا أرض ابلعي مائك ويا سماء أقلعي وغيض الماء واستوت على الجودي) سورة هود: الآية 44.

من الشمال القفقاس ومن الجنوب الشرقي والجنوب خط يمتد من خوزستان في إيران، فجبل حمرين في العراق العجمي، فجنوب جبل سنجار في بادية الشام وآكرداغ حتى حدود الأسكندرونة.

وفي الغرب ولاية أدنة وسيواس بالأناضول، وفي الشرق يبدأ من خوزستان ويجتاح العراق العجمي وهمدان وزنجان وتبريز، وينتهي بملتقى نهر (آركس)[2].

لقد كان يسكن كوردستان شعوب جبال (زاغروس) المؤلفة من شعوب (لولو) و(كوتي-جوتي) و(خالدي-كالدي) و(سوبارو-هوري) فهذه الشعوب كلها هي الأصل القديم جداً للشعب الكوردي[3].

ومن الجدير بالذكر هنا – لئلا يلتبس علينا الأمر- أن نذكر بأن الأقوام السابقة كانت تطلق على الكورد تسميات مختلفة بعض الشيء في الكتابة والنطق ويرى بعض المستشرقين أن تلك الأسماء المختلفة في المبنى إن هي إلا كلمات متشابهة في الدلالة على سبيل الترادف اللفظي، إما على مجموع الشعب الكوردي مباشرة أو على تلك العشائر العديدة التي كانت ولا تزال تعيش تحت اسم الكورد بأسماء وعناوين مختلفة[4]. وظاهرة تحريف الأعلام من الشعوب والأمم الأجنبية التي تنطق بها موجودة.

---

(1) فؤاد حمه خورشيد: الأكراد دراسة علمية موجزة: ص9.

(2) باسيل نيكيتين: الكورد دراسة سوسولوجية وتاريخية، تقديم لويس ماسينيون، ترجمة من الفرنسية وتعليق نوري طالباني، ط1، 1998م، ص61.

(3) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص59. و فؤاد حمه خورشيد: الأكراد دراسة علمية موجزة: ص40، و باسيل نيكيتين: الكورد: ص25.

(4) لقد كان الكورد معروفين في الأزمنة الغابرة بالأسماء الآتية:

1- عند السومريين: كوتي، جوتي، جودي.

2- لدى الآشوريين والآراميين: (طوتي، كوتي، كورتي، كارتي، كاردو، كارداكا، كاردان، كاركتان، كارداك).

3- ولدى اليونان والرومان: (كاردوسوى، كاردوخي، كاردوك، كردوكي، كردوخي، كاردويكان).

4- وعند الأرمن: (كوردئين، كورجيخ، كورتيخ، كرخي، كورخي).

5- وعند الإيرانيين: (كوتيوي، سيرتي، كورد راها).

6- ولدى العرب: (كوردي، كاردوي، باكاردا، كارتويه، جودي، جوردي).

ينظر إلى: ج. آر. درايفر: الكورد في المصادر القديمة: ص17. ومحمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان: ص63.

النظريات الجدية عن أصل الكورد:

تعتمد آراء وأبحاث العلماء المتخصصين في دراسات السلالات البشرية والتاريخ القديم والآثار وكذلك الرحالة والمستشرقين في البحث عن أصل الكورد وموطنهم على أساسين:

1- تقاليد الشعب الكوردي ومميزاته الاجتماعية.

2- مميزات اللغة الكوردية والدلائل التاريخية.

فهناك ثلاث نظريات:

نظرية العالم السوفيتي ن.ج. مار Marr:

تستند نظريته على تقاليد الشعب الكوردي ومميزاته الاجتماعية، ويعتقد على هذا الأساس ان الكورد هم السكان الأصليون لجبال آسيا الصغرى، وأنهم لم يفدوا من أي مكان، وإن عادات الكورد الاجتماعية تشبه عادات العناصر السابقة لهم، وإن اللغة الكوردية الحالية هي لغة الكورد الأصليين ومع اعترافه أن لغة الكورد الحالية هي لغة آرية[1] لكنه يعزو السبب إلى تأثير العنصر الآري الذين هاجروا من السهول الممتدة إلى الشرق والشمال من بحر قزوين وعلى شكل موجات بحثاً عن موطن لهم ووصل قسم منهم إلى آسيا الصغرى وجبال زاكروس وكوردستان، وبما أن تلك الموجة الآرية كانت غازية فقد فرضت على السكان الكورد الأصليين لغتها وديانتها.

والواقع أن المؤرخين القدماء يتفقون على وجود شعب يسمى بالكوتيين حوالي 2000 ق.م وقد عاش في منطقة من مناطق الأكراد، وأقدم إشارة إليهم هي تلك

---

[1] لفظ آري: مشتق من الاسم اليوناني الذي أطلقوه على هضبة إيران الممتدة من زاكروس غرباً وحتى نهاية نهر السند شرقاً، حيث كانت هذه المنطقة تعرف آنذاك باسم (آريا) والتي اشتقت منها اسم (إيران).
والآريون: مصطلح يطلق على القبائل التي كانت تتحدث Aran (لغات هندو-أوربية) وكانت حياتها تقوم على تربية الخيل، ونهب الماشية والحرب.
والمذهب الآري: وجهة نظر تروي أن الآريين كانوا أعظم الشعوب لأنهم خلقوا الحضارات المزدهرة على مدى التاريخ. ينظر إلى: شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا انكليزي-عربي، ط1، د.م، 1981م، ص69.

التي عثر عليها في الكتابات السومرية[1].

واعترف السومريون والأكديون بمملكة الكوتيين في المنطقة الواقعة بين الزاب الصغير ونهر دجلة وتلال مدينة السليمانية ونهر ديالى، كما ان الكوتيين كانوا يهددون الآشوريين وكان الآشوريون يسمونهم (قاردو Qardu) أو كاردو Kardu). ونستنتج من هذا أن الكورد أحفاد الكوتيين[2].

النظرية الثانية القائمة على براهين (فقه اللغة) فلولوجية:

يؤيد هذه النظرية نولدكه وهارتمان، وتربط هذه النظرية الكورد بالكرتيين وتحاول أن تبرهن على أن كلمة كيرتي Kyrtii قد تطورت إلى كلمة كاردا Giarda ثم إلى كلمة كاردوخي Kardouehi التي ذكرها القائد اليوناني زينفون[3].

واستناداً إلى أن الكاردوخيين يعتبرون بإجماع الآراء هم الأكراد الحاليون، ونظراً إلى أنه من المرجح أن الكاردوخيين من أصل هندي-آري فيترتب على ذلك أن الكورد الحاليين من نفس الأصل أي آريون.

وفي الحقيقة أن هذه النظرية تستند إلى البراهين اللغوية والشبه الكبير في منطقة السكنى والعادات بين الكرتيين والكاردوخيين.

---

(1) ج. آر. درايفر: الكورد في المصادر القديمة، ص13.

(2) شاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، س12، و C.P.B: مختصر تاريخ كوردستان، ترجمة عن التركية حازم باشا، مقال منشور في جريدة خقبات الأسبوعية السياسية، العدد 988 في 2000/8/11، إقليم كوردستان، ص12.

(3) في عام (401-400) ق.م أراد (زينفون Xenophon) القائد والمؤرخ اليوناني أن يجتاز كوردستان لينصر (لكورش Khorsh-كيخسرو) على أخيه (أردشير Ardsheer) ملك إيران، فاشتبك مع الأكراد بالقرب من مضيق (زاخو الواقعة على تماس الحدود العراقية-التركية في كوردستان العراق). وهناك دون ما حدث بينه وبين (الكاردوخي-الكورد) في التاريخ: ينظر إلى: محمد زكي: إسهام علماء كوردستان في الثقافة الإسلامية، دار ئاراس للطباعة والنشر، مطبعة وزارة التربية، كوردستان، ط1، أربيل، 1999م، ص2.
وزينفون: مسيرة العشرة آلاف عبر كوردستان: ترجمة صلاح سعد الله، دار التآخي، بغداد، 1973م، ص29. مجلة المجمع العراقي، الهيئة الكوردية مج8، 1981، مطبعة المجمع العلمي ص227-228. ود. جمال خورشيد ود. فوزي رشيد: تاريخ الكورد القديم. جامعة صلاح الدين، أربيل، 1411هـ-1990م، ص16.

فلقد ذكر المؤرخون القدماء أن الكرتيين يقطنون في إيران من جبال زاكروس في المنطقة التي كانت تسمى ميديا والتي سميت فيما بعد ببلاد فارس. وبما أن الكرتيين قوم رعاة وحاجتهم تدفعهم إلى الانتشار في المناطق المجاورة فقد استطاعوا الوصول إلى مناطق غربي طورورس والحدود السورية، هذا ومن الواضح أن هذه النظرية تستند إلى براهين مقنعة.

النظرية الثالثة المعتمدة على المعلومات اللغوية والتاريخية:

وهذه النظرية يؤيدها العالم مينورسكي ويعتقد أن الكورد ينحدرون من أصل آري إلا أنهم امتزجوا بعناصر أخرى، وهذه النظرية تشترك مع نظرية نولدكه، وهي ذات أسس تاريخية ولغوية في وقت واحد.

فهي تستنتج عن طريق الأبحاث اللغوية أن اللغة الكوردية ترجع إلى المجموعة اللغوية الإيرانية[1] وبما أن اللغة دليل هام على أصل المتكلمين بها، فلا شك قطعاً بأن أصل الأكراد إذاً آري.

كما نستنتج عن طريق البحث التاريخي الطريق الذي سلكته هذه الموجات الكوردية وهو خلال جبال القوقاز (طريق الموجات الآرية).

هذا ويبدو للمتتبع أن النظريات التي ترجع أصل الكورد إلى المجموعة الآرية هي الراجحة، كما أن المعلومات المستجدة تكشف باستمرار عن دلائل مؤيدة لها[2].

رد على الأقاويل حول أصل الكورد:

لقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك من الدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها باحثون وعلماء غربيون متخصصون بأن الكورد جنس آري، ومن القبائل الهندو-أوربية، وقد أسسوا في أرضهم حضارات عديدة منها الحضارة الميدية في حوالي

---

[1] تضم المجموعة اللغوية الإيرانية العديد من اللغات وهي: الكوردية، البلوجية، السوغديانية، البشتو، الآفيستا، الفارسية القديمة، وتنتمي اللغة الكوردية إلى مجموعة اللغات الإيرانية الشمالية الغربية، بينما تنتمي الفارسية إلى مجموعة اللغات الإيرانية الجنوبية الغربية. ينظر إلى: فؤاد حمه خورشيد: اللغة الكوردية، مطبعة الوسام، بغداد، 1981، ص16-17.

[2] البروفيسور ف. ف. مينورسكي: الأكراد، ترجمة وتعليق معروف خزندار، مطبعة النجوم، بغداد، 1968، ص21-22.

القرن الثامن قبل الميلاد في المنطقة المحصورة بين غرب بحيرة (أورمية) بكوردستان إيران، وجنوب بحيرة (وان) بكوردستان تركيا[1].

وعلى الرغم مما أوردناه، فهناك أقاويل لا تستند إلى المنطق العلمي والواقع التاريخي ولا تقبلها العقول السليمة، تلك الروايات التي ترجع أصل الكورد ونسبهم إلى العرب أو الفرس أو الترك أو إلى الجن[2].

إن صياغة وترويج هذا التلفيق والزيف ناتج عن الحقد والجهل عند أولئك الذي يفقدون أبسط القواعد البحثية، ولا يدركون التمييز بين الحقيقة والخيال وينقلون الأخبار صادقها وكاذبها، وهدفهم تعريض أصل الكورد للتشويه والتضليل، وللرد عليهم نقول:

1- إن رواياتهم ومزاعمهم حول أصول وأنساب الكورد لا تأتلف مع المنهج العلمي والبحث التاريخي وتنطوي على تناقضات لافتقارها إلى الحقائق التاريخية العلمية.

2- إن علماء الأجناس والآثار واللغات والاستشراق قد أثبتوا بوسائلهم البحثية أن الكورد من جنس آري، ومتميزون بخصائص بشرية وجنسية وحضارية ولغوية، ومن أقدم الشعوب في المنطقة وطناً[3].

3- يرفض العلم البتة التناسل بين الانسان والجن، كما ادعى فريق إلى اعتبار أصل الكورد من سلالة الشياطين.

4- إن الإسلام يحارب التعصب المقيت الذي يوحي بترويج مثل هذه الأراجيف من هؤلاء الناس، ويأمر القرآن بإعطاء كل ذي حق حقه حينما أمر المولى سبحانه الرسول ﷺ: في حادثة تبنيه لزيد(أدعوهم لآبائهم).

---

(1) عماد حسين محمد: ملف السياسة الدولية، ص94.

(2) شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ص20، وعباس العزاوي: عشائر العراق الكوردية ج2، د. مط، بغداد، 1366هـ-1947م، ص19. و الجنزال التركي كنعان اسنكين: ملف السياسة الدولية، كتاب المسألة الكوردية من وجهة نظر المؤسسة العسكرية التركية، مقال مقتطف للكاتب عزت عبد الرحمن الصاوي، ص146.

(3) عباس العزاوي: عشائر العراق، (2) الكوردية، ص18، ومصطفى جواد: جاوان القبيلة الكوردية المنسية، ص8، و توما بووا، مع الأكراد، ص3، و مينورسكي: الأكراد، ص21-22.

5- ليست مثل هذه الروايات أمراً مستجداً، فلقد اتهمت أم المؤمنين السيدة (عائشة) بحديث الإفك، فبرأها الله سبحانه، كما أن أمثال هؤلاء الرواة قد اختلقوا ما يقارب أربعة آلاف حديث افتراء على الرسول ﷺ لأغراض في نفوسهم، ولكن الحقائق ظهرت بفضل العلماء المحققين وتبينت الأحاديث الموضوعة المختلقة، كما ظهرت حقيقة أصل الكورد ومنشأهم بجهود العلماء والباحثين.

ونستطيع أن نقول: إن دافع انتساب معظم الأسر الكوردية إلى الصحابة أو القادة المشهورين في التاريخ الإسلامي، كانت لاكتساب الثقة والاعتماد والطاعة من شعبهم، وقد علل الباحث والكاتب مصطفى جواد هذه الظاهرة بدقة عندما كتب يقول: (لا شك أن إلحاق الكورد بالأنساب العربية قد أصبح باطلاً عند أهل التحقيق والتدقيق، وكان السبب فيه على ما أرى إثبات الأخوة في النسب تبعاً للأخوة في الدين وكثرة اختلاط الكورد بالعرب بحيث يعز على الكورد أن لا يكونوا من أصل عربي قديم، فاخترع النسابون تلك النسبة)[1].

7- ويفند الرأي القائل بعروبة الكورد ما قاله الطبري[2] في كتابه (تاريخ الأمم والملوك) عند ذكره قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه ما نصه: (ثم أن نمرود وقومه أجمعوا في إبراهيم ﴿حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾[3].

عن مجاهد[4]، قال: تلوت هذه الآيات على عبد الله بن عمر[5] فقال: أتدري يا مجاهد، من الذي أشار بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار؟ قال: قلت: لا، قال:

---

[1] حارث سليمان الضاري: محاضرات في علوم الحديث، ص52، ومصطفى جواد: مقالة بعنوان: (جاوان القبيلة الكوردية المنسية ومشاهير الجاويين، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج3، ج1، بغداد، 1956م، ص85.

[2] هو محمد بن جرير الطبري، المفسر والمؤرخ، ولد سنة 224هـ-839م بطبرستان وتوفي ببغداد سنة 310هـ-923م. وله مؤلفات: منها أخبار الرسل والملوك ويعرف بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن، ينظر إلى: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج1، ص69.

[3] سورة الأنبياء: الآية، 68.

[4] هو مجاهد بن جبير المكي، شيخ القراء والمفسرين، ولد سنة (21هـ) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، توفي (104هـ). ينظر إلى: تهذيب التهذيب، ج1، ص38.

[5] هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولد في السنة العاشرة قبل الهجرة النبوية (10 ق هـ) = 613م وتوفي سنة (73 هـ) = 692م، ينظر إلى: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص108.

رجل من أعراب فارس، قال: قلت: يا أبا عبد الرحمن، وهل للفرس أعراب؟ قال: نعم، الكورد هم أعراب فارس، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار)[1].

ونستنتج مما ذكره الطبري آنفاً أن نسب الكورد يرتقي إلى عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وذهب البعض إلى أن (إبراهيم) تسمية كوردية مركبة من (إبرا = الأخ أو المتقدم) و (هام-هيم = الكل) بل يذكر الطبري أن مسقط رأسه (السوس) من أرض الأهواز. ويذكر ياقوت الحموي: أن السوس تعريب الشوش[2] ويضيف قائلاً: إن شوش موضع قرب جزيرة ابن عمر[3]، ولشوش قلعة عظيمة عالية جداً قرب عقر الحميدية من أعمال الموصل[4].

ويترتب على هذه الروايات، أنه ليس من الغريب أن يكون مولد سيدنا إبراهيم عليه السلام في كوردستان العراق، والله أعلم.

اللغة الكوردية:

إن اللغة الكوردية التي يتكلم بها الكورد هي لغة آرية نقية ممتازة، ومستقلة تمام الاستقلال، ولها تطوراتها التاريخية الحقيقية وليست لهجة شقيقة للغة البهلوية ولا الفارسية الحديثة بل حتى إنها أقدم من الفارسية القديمة، وتختلف عنها من حيث نظامها الصوتي والاشتقاقي.

ولها قوانينها وضوابطها الخاصة وقواعدها النحوية والصرفية المميزة ثم هي غنية بمفرداتها وقادرة على التعبير عن أبجديات ما في الحياة وهي ككل اللغات مؤثرة ومتأثرة في الأخذ والعطاء من وإلى اللغات الأخرى، وهي ظاهرة عامة تتسم بها اللغات العالمية سواء أكانت منتمية إلى عائلة لغوية واحدة أم إلى عوائل لغوية

---

(1) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، مج1، دار الكتب العلمية، ط2، 1408هـ=1988م، بيروت-لبنان، ص146.

(2) ينظر إلى: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج3، دار إحياء التراث العربي، د. ت، بيروت، لبنان، ص280. ومجلة لالش العدد 9 شباط 1998م. مقال (إبراهيم خليل الرحمن) بين (أور) الكلدان (وأورا) كوردستان بقلم أبو داسن، ص69-71، دهوك، كوردستان العراق.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص372.

(4) العقر: قلعة حصينة في جبال الموصل، أهلها أكراد، وهي شرقي الموصل تعرف بعقر الحميدية، خرج منها طائفة من العلماء، ينظر إلى: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ص136.

مختلفة، مثل اللغة الانكليزية التي تحوي على عشرات المفردات العربية، كما تحوي اللغة الفرنسية على العديد من الكلمات الانكليزية وكذلك التشابه لبعض مفردات اللغة الكوردية ولغة أقدم من الفارسية وهي السومرية وتنتمي اللغة الكوردية إلى مجموعة اللغات الهندو-أوربية التي يعتقد بأنها كانت السائدة في الألف الخامس قبل الميلاد[1].

مجموعة اللغات الهندو-أوربية في آسيا

الفارسية	الكوردية	الأفغانية	الطاجيكية	البشتو	السنسكريتية	لغات
الإيرانية						أخرى

الأبجدية الكوردية:

لا يخفى أن الكورد قوم عريق وذات حضارة موغلة في القدم، فعليه كان لهم كتاباتهم وألفبائهم التي استخدموها في الكتابة وذلك قبل 2800 سنة من الميلاد وقبل ظهور الإسلام ووصوله إلى كوردستان وذيوع الألفباء الكوردية فيها.

أما في العصر الحالي فيقرأ الكورد ويكتبون بثلاث ألفبائيات هي: الأبجدية العربية في العراق وإيران، واللاتينية في تركيا وسوريا، والكريلية في أرمينيا وجورجيا وأذربيجان[2].

---

[1] ينظر إلى: البروفيسور ف. ف. مينورسكي: الأكراد، ص37 وسي.جي أدموندز: كورد وترك وعرب، ترجمة جرجيس فتح الله، دار آراس للطباعة والنشر، مطبعة وزارة التربية، ط2، أربيل، كوردستان العراق، 1999م، ص11. و فؤاد حمه خورشيد، اللغة الكوردية، ص11-12، والمصدر: صلاح سعد الله: عن لغة الكورد وتاريخهم، مطبعة شفيق، بغداد، 1989م، ص9. و عبد الرحمن قاسملو: كردستان والأكراد: ص29، و محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان: ص335.

[2] ينظر إلى: عبد اللطيف (كيوموكريانى): كيونامه، مطبعة كوردستان، أربيل 1960م، ص14-20 و.... قاموس كردي-عربي (فەرهەنگی مهاباد) مطبعة كوردستان، أربيل سنة 2573 الكوردية، ص767-771. ومجلة كولان العربي، السنة الرابعة، العدد 41، تشرين أول، 1999، مقال بعنوان (كان للكورد أيضاً حروفهم التي يكتبون بها) للكاتب والباحث الكوردي محمد الملا عبد الكريم المدرس، ص97، والمصدران أعلاه تعتمدان على كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) للمؤلف أحمد بن أبي بكر بن وحشية النبطي الكلداني، ص134،135.

وهذا الكتاب مؤلف في 23 رمضان سنة إحدى وأربعين ومائتين هـ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة العائلة التيمورية بمصر وبعض المكتبات العامة في ميونيخ وفينا وبرلين والكتاب مترجم باللغة الانكليزية من السيد يوسف هامر وطبع في لندن سنة 1806م، كما تحدث عن هذا

عدد السكان:

يبلغ عدد سكان الكورد الإجمالي في العالم ما بين 35-40 مليون نسمة وبهذا الرقم تأتي كوردستان في المرتبة الثلاثين من حيث الكبر بين تسلسل دول العالم الـ193 دولة، بمعنى هناك 163 دولة مستقلة في العالم وهي أصغر من كوردستان من حيث عدد السكان[1].

يعيش 85٪ من مجموع الكورد في كوردستان أي الوحدة الجغرافية المتصلة التي تكون كوردستان، أما الـ15٪ الباقون فيعيشون في مناطق مختلفة من العالم، في أوربا الغربية، والقارة الأمريكية، وأستراليا وأفغانستان وباكستان ولبنان وفي أماكن أخرى تشردوا نتيجة الاضطهاد.

هذا وحسب التوقعات عن ديموغرافية الكورد، أجراها مهرداد ئيزادي سيبلغ المجموع العام للكورد سنة 2020 إلى 63 مليون نسمة[2].

الكتاب كارل بروكلمان في المجلد الرابع من كتابه (تاريخ الأدب العربي) وذكره أيضاً السيد يوسف إلياس سركيس في كتابه (معجم المطبوعات العربية والمصرية). ينظر إلى: مجلة كولان العربي، السنة الرابعة، العدد 41/ تشرين أول 1999م، ص767و 771، و ملفة السياسة الدولية: المسالة الكوردية، الجذور والآفاق، ص88.

(1) عبد القادر البريفكاني: مصطفى البارزانى زعيم الحركة القومية الكوردية المعاصرة، ط1، القاهرة، 1996م، ص70.

(2) The Kurds, Aconcise Hand book, Crane Russak, Washington, 1992, P. 111-120

وتختلف التقديرات الرسمية عن التقديرات الحقيقية لعدد الكورد بسبب العامل السياسي، إذ ان هناك دولاً تنكر أصلاً وجود الشعب الكوردي فيها، كما كان الأمر في تركيا حتى الأمس القريب، لذا لا توجد إحصائيات دقيقة لعدد الكورد.

ومع ذلك فإن هناك تقديرات عديدة لنفوس الكورد منها ما جاء في:

1- الموسوعة السوفياتية الصادرة عام 1962 والتي قدرت عدد الكورد بـ17 مليون نسمة.

2- الموسوعة البريطانية الصادرة عام 1967 حيث قدرت عدد الكورد بـ17 مليون و400 ألف نسمة.

3- مصادر أخرى حديثة قدرت عدد الكورد ما بين 21 مليون نسمة إلى 22 مليون نسمة.

هذا وقد نشر معهد الدراسات الاستراتيجية في جامعة جورج تاون الأمريكية في أيار مايو 1990م إحصائية عدد الأكراد في الشرق الأوسط وخارج كوردستان وهي كما يلي:

المنطقة	مجموع الكورد	نسبة الكورد الي سكان الدولة
كوردستان تركيا	ثمانية عشر مليون نسمة	33٪
كوردستان إيران	أحد عشر مليون نسمة	16٪
كوردستان	أربعة ملايين ونصف	20٪
الأكراد في سورية	مليون واحد وخمسمائة ألف نسمة	11٪
دول الاتحاد	مليون واحد وخمسمائة ألف نسمة	-
المجموع	ست وثلاثون مليون وخمسمائة ألف نسمة	36.500.000[1]

---

[1] عبد القادر البريفكاني: مصطفى البازراني، ص71، و المكتب السياسي، مكتب الدراسات والبحوث المركزي: كوردستان، ط1، رقم الدراسة 33، 1998م، وصحيفة اللوموند اليومية

الديانة:

حينما أشرق الإسلام لتبديد الظلام بنوره ويكسر قيود الرق لتحرير الإنسان، ويطهر القلوب من زيغ الأوهام، ويوجه العقول للتفكير والاستنتاج بالبرهان لبى الكورد لنداء الإيمان واستجابوا لمبادئ الإسلام واعتنقوه برغبة لا توصف بالبيان وتغلغل في كيانهم وسويداء قلوبهم وأخلصوا له وكأنهم المعنيون بخطاب التكليف والتبليغ[1]، حيث وجدوا الدين الجديد يتفق وما جبلوا عليه من الخلال والسجايا، وأصبحت الحياة الكوردية مشبعة بالإسلام[2]، وتحولوا إلى رأس رمح الإسلام طيلة أربعة عشر قرناً، مسلمين خلص، لم تفتهم معركة حربية من أجل الدفاع عن الإسلام إلا واشتركوا فيها، من الصين إلى المغرب ومن وسط أوروبا إلى خط الاستواء[3].

وقد برهن الكورد في مجرى التاريخ ومنذ أن دخلوا الإسلام أنهم من أهم حماته في كافة الميادين[4]، وهناك اتفاق عام بين المصادر التاريخية على أن الفتح الإسلامي لبلاد الكورد حدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أمر الصحابي سعد بن أبي الوقاص رضي الله عنه أن يرسل ثلاثة جيوش سنة 18 هـ لفتح بلاد الكورد، تحت إمرة كوكبة من القادة المسلمين منهم:

هاشم بن عتبة بن أبي الوقاص، وجرير بن عبد الله البجلي وعياض بن غنم[5] وأبو موسى الأشعري، ولما وصلت الجيوش الإسلامية إلى تخوم بلاد الكورد، جرت مفاوضات بين الطرفين وعرض على الوفد الكوردي مبادئ الإسلام

الفرنسية، العدد 19 كانون الثاني، 1999م مقال بعنوان (حقوق الكورد). وجريدة خبات، 1999/8/13، العدد 937، ص10.

(1) محمد القزلجي: التعريف بمساجد السليمانية ومدارسها الدينية، مطبعة النجاح، بغداد، 1938م، ص4،3.

(2) توما بوا: مع الأكراد، ص107.

(3) د. فهمي الشناوي: الأكراد يتامى المسلمين، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1985م، ص9.

(4) عباس العزاوي: عشائر العراق الكوردية، بغداد. د. مط. 1366هـ-1947م، ص18.

(5) ينظر إلى: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، بيروت، 1968م، ص398، وأحمد بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق صلاح المنجد، مكتبة النهضة، مصر، د.ت: ص381-407. والقلقشندي: صبح الأعشى شرح محمد حسين، ج4، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ، بيروت، ص336-380.

ويفهم من الرد الكوردي، الرضا والقبول حينما تلا أحد علماء الكورد الدينين ما جاء بـ(الأفستا، من التنبؤات عن الدين الإسلامي)[1].

وعاملتهم الجيوش الإسلامية معاملة أهل الكتاب بعد أن راسل سعد بن أبي وقاص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بشأن معاملة هؤلاء الكورد الزرادشتيين فأجابه الخليفة (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)[2].

وهكذا مكن الله تعالى من فتح بلاد كوردستان صلحاً، ولم تحدث مقاومة للفتح إلا في منطقة شهرزور[3] التي كانت مقسمة بين الحكومة الفارسية والحكومة الرومية وكان من بين قوات الحكومتين كثير من القادة والجنود الكورد الذين أجبروا على الحرب مع الجيش الإسلامي ولكن سرعان ما زهق الباطل أمام الحق وتم النصر للإسلام[4] ودخل الكورد في الإسلام أفواجاً.

ويعود اتصال الكورد بالإسلام إلى الأيام الأولى لظهوره، وذلك قبل الفتوحات الإسلامية إذ اعتنق جمع من الكورد الإسلام وممن أشار إليهم المؤرخون الصحابيين الجليلين جابان أو (كابان) الكوردي وابنه ميمون المكنى بـ(أبي نصير أو أبي بصير)[5].

---

(1) أنور المائي: الأكراد في بهدينان، مطبعة الحصان، الموصل، 1960م، ص39-40، ومحفوظ العباسي: إمارة بهدينان، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1388هـ-1969م، ص25.

(2) زرادشت: النبي أو المصلح، ولد في بلدة (أورمية-رضائية) بكوردستان إيران (600 أو 1000 ق.م) وأصبحت ديانته الدين الرسمي بدولتي (ماد الكوردية وفارس)، ويطلق على كتاب زرادشت (أفستا Avesta) ويشتمل على ألف فصل، وأصول عقيدته تتمثل في الحياة الروحية والمعنوية وتقر بوحدانية الله تعالى: وأنه واحد لا شريك له وإنه خالق النور والظلام. ينظر إلى: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، مج1، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2، 1395هـ-1975م، ص236-237، ومجلة المجمع العلمي الكوردي، مج3، عدد 2، 1975م، ص577-583.

(3) شهرزور: في وقتنا الحاضر اسم يطلق على سهل واسع، يقع في أقصى الجنوب الشرقي من المنطقة الجبلية في محافظة السليمانية بكوردستان العراق، بالقرب من الحدود العراقية الإيرانية، وهو منخفض من الأرض لوادي تانجرو. ينظر إلى: توفيق وهبي، أصل تسمية شهرزور، مجلة سومر، ج1، مج17، 1961م، ص129، و حسام الدين علي غالب: الكورد في الدينور وشهرزور، ص5، وجاسم محمد الخلف: محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، القاهرة، 1961م، ص80.

(4) نداء الحق، ص5.

(5) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، مج1 طبعت النسخة طبق النسخة المطبوعة سنة 1853م في بلدة كلكلتا بعد مقابلتها بالنسخة الخطية في دار الكتب المصرية

إن أغلبية الكورد من الشوافع[1]، وفيهم قلة من الحنفية[2]، والشيعة الإمامية[3].

كما توجد بينهم أقليات دينية كالمسيحية[4]، وفرق غالية يحيط بها الغموض كاليزيدية[5] والعلوية[6] وغيرها. وتبلغ نسبة الكورد المسلمين 98٪ من المجموع العام.

بمصر، ص220 وعز الدين بن الأثير: أسد الغابة، مج1، دار الفكر للطباعة والنشر 1409هـ-1989م، ص201.

(1) يظهر أن انتشار المذهب الشافعي في كوردستان يعود إلى تشجيع الأيوبيين له، بفتحهم المدارس والمعاهد الدينية في بلاد الشام واهتمام هذه المدارس بالفقه الشافعي، وقد أقبل على هذه المدارس كثير من الطلاب الكورد، ولدى عودتهم إلى بلدانهم قاموا بنشر هذا المذهب.

(2) علاء الدين سجادي: تاريخ الأدب الكوردي.

(3) يذكر حسام الدين النقشبندي بأن قلة من الكورد اعتنقوا المذهب الشيعي، ينظر إلى حسام الدين علي، الكورد في دينور وشهرزور، ص111، والشيعة واحدة من أكبر الفرق الإسلامية وأقدمها، والفرقة التي تعبر عن الشيعة تعبيراً رسمياً هي فرقة الإمامية الاثني عشرية، والشيعة هم الذين شايعوا الإمام علي على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصاية إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده. ينظر: الدكتور عبد الله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد، 1392هـ-1972م: ص82.

(4) توجد بين الكورد مجموعة من النصاري في كوردستان العراق وإيران وأغلبهم آثوريون، يلبسون ملابس الكورد ويتكلمون الكوردية. ويتداولون الكلدانية في بيوتهم كلغة دينية لهم. ينظر إلى: د. عز الدين مصطفى رسول، شيء عن التصوف في الأدب الكوردي، ص139، 148.

(5) اليزيدية: هم طائفة من الكورد، يقطنون جهات جبل سنجار بكوردستان العراق، وحزيرة ابن عمر في كوردستان تركيا، ولهم تجمعات أخرى في سوريا وروسيا وألمانيا، وعددهم حوالي مئتي ألف نسمة، لهم عقائد خاصة تخالف عقيدة جمهور المسلمين. وتنص المصادر العلمية الحديثة على أن النحلة اليزيدية ترجع في أصل مذهبها إلى (المانوية والزرادشتية) وإن كلمة (يزيد) إن هي إلا محرفة من كلمة (ايزدية) نسبة إلى (إيزد) إله الخير، أو إلى مرادفه (يزدان)، أما العلاقة بين لفظة (اليزيدية) وبني (يزيد بن معاوية) أو (يزيد السلمي) أو (يزيد بن أنيسة الخارجي) فليست علاقة منطقية.

ولهم كتابان صغيران (كتاب الجلوة) ومصحف ره ش = الأسود). ينظر إلى: شرف خان البدليسي، شرفنامه، ص22 الهامش، والمصدر: الدكتور عبد الله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد، 1392هـ-1972م، ص118، وعبد الرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ص8، 162.

(6) العلوية: فرقة من فرق الشيعة، يسكنون في جبال اللاذقية في سوريا، كما يسكنون في جنوب تركيا وبلاد فارس، وهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير النميري البصري (ت 27هـ) وكانوا يسمون أنفسهم النصيرية إلى احتلال فرنسا لسوريا عام 1920 وبعدئذ سموا أنفسهم بالعلويين.

لقد بارك الله في كوردستان، فجعل في ظاهر أرضها الرحمة حيث الأراضي الخصبة الصالحة لكافة صنوف الزراعة في مواسم مختلفة وذات انتاجية وفيرة محسنة، وفيها بساتين متنوعة الفواكه والثمرات للاستهلاك المحلي والتصدير إلى الجوار، وحقول شاسعة للخضروات، وتجري عليها أنهار وتتدفق منها ينابيع للشرب وسقي المزروعات، وجبالها مكسوة بأصناف الأشجار المفيدة للتدفئة والصناعات، وأحجارها ذات الألوان المختلفة والتي تعادل في جودتها أفخر أنواع الأحجار في العالم لصنع المرمر والرخام، والمؤهلة لصناعة السمنت والزجاج، وأجوائها سخية بالثلوج الساقطة وسماؤها مدرارة بالأمطار في فصلي الشتاء والربيع، وتربى على مرابعها الخضراء ووديانها المعشوشبة وسفوح جبالها المنطقة بكثافة النباتات، ملايين المواشي التي تعد مصدراً للرزق.

وأما باطن أرض كوردستان فقد أودع الله فيها بحيرات من النفط ومشتقاته، وكنوزاً لا يحصى عددها من معادن ثمينة كالذهب والفضة والحديد واليورانيوم وغيرها الكثير مما نأتي إلى ذكرها.

إن هذه المكونات للاقتصاد الكوردستاني تجعله ذات أسس ثابتة، دائمة العطاء تتناوب بالتعويض عن النكسات والتقلبات الاقتصادية، ونعلم جميعاً بأن الحياة تعتمد في ديمومتها على الجانب الاقتصادي، والاقتصاد القوي هو المرتكز الذي يبنى عليه صرح الحضارة إذا استخدمه العقل المتنور بمعاني الحياة الإنسانية فيما أراده المولى سبحانه لتحقيق الخلافة عنه جلت قدرته، يقول سبحانه: ﴿هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [1]، والاقتصاد هو المنطلق لازدهار الكون ورفاهية الناس، إذا لم تستغله العقلية الطائشة في تحقيق مآربها وحرمان الشركاء من التنعم به، وإذا لم تحتكره القوى المؤلهة للمادة.

ومع هذه الخيرات في أرض كوردستان فإن شعبها المالك الشرعي محروم من التمتع بها ولو بجزء يسير والاستفادة منها في البنية الاقتصادية التي تدر بالمنفعة

ينظر إلى: الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي طبع الاتحاد العربي، ج1، القاهرة 1968م، ص188.

(1) سورة: هود، الآية 61.

والاستفادة منها، بل قد يستغل الغاصبون لكوردستان تلك الأموال المتأتية منها في قتل أبنائها وهدم دورهم وتشريدهم نحو التيه.

ويعيش الكورد في فقر مدقع في الأغلب، وتخلف مخيف في النواحي العمرانية والتنموية، بفضل العقليات العنصرية والسياسات المتهورة التي تستند على الأنانية وكره الآخرين.

تلك السياسات المتناقضة مع شريعة الله تعالى، التي نزلت لتحقيق مصالح الأسرة البشرية وتأمين سعادتها في أمن واستقرار بعيداً عن الظلم وانتهاك الحرمات. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً. ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً﴾[1].

الصراع على كوردستان:

لقد بدأ الصراع للاستحواذ على كوردستان أرضاً وشعباً، منذ العقود الأولى من القرن السادس عشر لأهميتها الخاصة من الوجهة الحربية والسياسية والتجارية والاقتصادية ولموقعها الستراتيجي على تقاطع حدود تركيا وإيران وروسيا. وذلك عندما غزا القسم الغربي منها السلطان التركي سليم ياوز، وسيطر الشاه الإيراني اسماعيل الصفوي على القسم الشرقي وفي الثلث الأول من القرن التاسع عشر، تحولت كوردستان إلى حلبة تنافس العثمانيين والإيرانيين. وفي القرن التاسع عشر، دخلت الصراع الدول الأوربية[2].

لقد أدت الدول الاستعمارية (بريطانيا-فرنسا) دوراً مهماً في تقسيم كوردستان بالشكل الحالي، بعد انهيار الحكومة العثمانية وتفتيت الوحدة الجغرافية الكوردية بموجب اتفاقية سايكس بيكو عام 1916م وحصلت فرنسا وبريطانيا على حصتها منها، وذلك لتحقيق الهدف في السيطرة على منابع البترول، وامتصاص خيرات كوردستان، وأصبح الشعب الكوردي ضحية تعامل الدول الأوربية مع قضية الأكراد من منظور سياسي-ديني على اعتبار أن الكورد يدين معظمهم بالاسلام، ويعزز هذا الرأي خطاب الدول الأوربية إلى السلطان العثماني، القاضي باستبعاد الكورد في

---

[1] سورة النساء: الآية، 29، 30.

[2] ن.آ خالفين، الصراع على كوردستان، ص33.

الاحصائية التي تحدد غالبية السكان، لترجيح كفة الأرمن في تقرير المصير[1]، ندرج فيما يأتي عناصر اقتصاد كوردستان الكبرى.

الثروة المعدنية في كوردستان العراق

إن بلاد كوردستان غنية بالمعادن مثل الرصاص والنحاس، الكوبلت، النيكل، والألمنيوم والحديد والزنك والفحم والكبريت والمنغنيز والكروم والقصدير، والذهب والفضة والخارصين والزئبق والزرنيخ وحجر الصوان والرخام والفسفور، الصلب والبراقس والطباشير والجير والملح والغاز والكبريت، ولكن أهم هذه المواد الخام هو البترول، وسنحدد مكان وجودها إن شاء الله تعالى[2].

على الرغم من احتواء كوردستان على الثروات المعدنية الهائلة، فإن استثمارها قليل تقريباً، حيث لم تجر في أراضي كوردستان تحريات جيولوجية على المستوى المطلوب ويعتقد الخبراء بعدم اكتشاف واستثمار عدد كبير من الخامات بحيث لو استكشفت واستثمرت بشكل صحيح، لتقدم البلد قفزات نحو الأمام، ولتحولت كوردستان إلى جنة ذات ربوة ومقام كريم[3].

أ- النفط:

في كوردستان العراق مصادر كثيرة جداً للطاقة وخاصة البترول، والجزء الأكبر من النفط العراقي يتدفق من الأراضي الكوردية[4].

ففي كوردستان العراق أحد أغنى حقول البترول في العالم، وهو حقل كركوك (باباكوركور) الذي تم استخراج النفط منه لأول مرة عام 1927م، ويعد خامس أكبر حقل في العالم بمساحته، وهو عبارة عن هضبة طولها ستون ميلاً وعرضها حوالي ميلين ونصف، وتمتد من (ترجيل) بكركوك وحتى قرب قرية (ديبكه) في أربيل.

وإضافة إلى ذلك يوجد حقلان آخران للنفط بالقرب منه، هما حقل (جمبور) (1954) و(باي حسن) 1953م[1].

---

(1) ملف السياسة الدولية، مقال بدر حسن الشافعي: ص138.

(2) منذر الموصلي، عرب وأكراد: ص650-651، والمصدر السابق عبد الرحمن قاسملو، كردستان والأكراد: ص20، والمصدر السابق خالفين: الصراع على كوردستان، ص16.

(3) أساتذة جامعة صلاح الدين: جغرافية إقليم كوردستان، ترجمة مركز برايتي، تحقيق آسو كريم، مطبعة وزارة التربية لإقليم كوردستان العراق، ط2، أربيل، 1999م، ص155،161، 170.

(4) شاكر خصباك، الكرد والمسألة الكوردية: ص42.

ب- المعادن:

فيما يأتي مناطق تواجد المعادن:

نوع المعدن	المنطقة
النحاس ومعدن الكروم	محافظة عقرة[2]
الحديد الخام والفوسفات	منطقة قضاء العمادية
الفحم الحجري	منطقة قضاء زاخو[3]
الحديد، النحاس، الزئبق، المغنسيوم	بين بنجوين ومحافظة السليمانية[4]
الغاز والكبريت[5]	يوجدان بكثرة في مناطق عديدة ومختلفة
حجر الكلس والملح	منطقة سنجار وشيخان وطوز خورماتو والسليمانية
مادة الملح	وتكفي لإنتاج الصودا والكلور: كركوك
معدن الكروم	بارزان[6]

كوردستان تركيا:

أ- النفط:

يوجد النفط في كوردستان تركيا وفي المناطق التالية:

بترول كارزان Garzan المستثمر في (بەتمان) = بطمان، وسيرت، وفي منطقة وان، وقضاء (خنس) وفي ساحل نهر بوتان[7].

---

(1) ينظر إلى: المصدر السابق د. عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد: ص19، و مكتب الدراسات والبحوث المركزي: كوردستان: ص16. و خالفين: الصراع على كوردستان: ص16، و مجموعة المستشرقين: الكورد في دائرة المعارف الإسلامية: ص21.

(2) تومابوا: مع الأكراد: ص7.

(3) المصدر نفسه: ص6،7.

(4) المصدر نفسه: ص56.

(5) مجموعة المستشرقين: الكورد في دائرة المعارف الإسلامية: ص22.

(6) المصدر نفسه: ص21، 22.

(7) ينظر إلى: عبد الرحمن قاسملو، كردستان والأكراد، ص19،20 والدكتور بليج شيركوه: القضية الكوردية في ماضيهم وحاضرهم: ص12،13، و مكتب الدراسات والبحوث المركزي: كوردستان: ص47، و مجموعة المستشرقين: الكورد في دائرة المعارف الإسلامية، ص22.

ب- المعادن:

توجد مناجم غنية بالنحاس المختلط بالفضة والرصاص والقصدير والبراقس والطباشير والجير والسمنت، والحديد الخام: في مناطق؛ أركان (أرغني) و(بالو) وقرب مادن في (كيجي)، وفي ضواحي (وان) و(كيما) و(لوريستان)، كما توجد خامات الحديد في منطقة (ديفرك) و(معدن).

وتوجد أيضاً الكروم والمعدن الخام للذهب والفضة، والنحاس: في بعض مراكز ولاية (دياربكر).

والحديد والرصاص والفحم الحجري والنحاس ومياه معدنية في منطقة (سعرد)، والذهب: في قضاء (نيروخ)، ومنجم الحديد: في قضاء (كيغي)، ومنجم الرصاص والفحم الحجري: في بلدة (كماخ)، منجم الصلب والفولاذ: في قضاء (كسكيم)، ومنجم الرصاص: ولاية (خربوط)، والطباشير والجبس: في (أرزنجان) و(باسينلي)، ومناجم الجير والجبس: في قضاء (خنس)، والفحم الحجري: في منطقة (جمشكز، ومعدن هاريوت)، والذهب: بمنطقة (يوزغو)، والرصاص: في (كيان، و(أزيغ)، و(ماكو).

وتتوفر مياه معدنية كبريتية، ومعدنية صلبة في ضواحي (أرجيش، وبلدة جولمرك، وجوار (باشقلعة) وعلى مقربة من (أرزنجان) و(جبل آغري داغ)[1].

كوردستان إيران:

أ- النفط:

ينبع النفط في كوردستان إيران من الحقول الواقعة في منطقة (شاه آباد) قرب (كرمنشاه)، وفي جنوب غربي إيران.

ب- المعادن:

تتوفر في كوردستان إيران كثير من المعادن مثل:

---

(1) ينظر إلى: المصادر السابقة: مجموعة المستشرقين، الكورد في دائرة المعارف الإسلامية، ص21،22. د. عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص19،20. وباسيل نيكيتين: الأكراد: ص45. وتومابوا: مع الأكراد: ص6،7. ود. بليج شيركوه: القضية الكوردية، الكورد في ماضيهم وحاضرهم: ص12،13. وأنور المائي: الأكراد في بهدينان: ص39.

الكبريت والفوسفات: في إقليم (سنه) = سنندج، والذهب: في جنوب (كرمنشاه)، والفضة: في منطقة (كما) و(كابان)

الأكراد في سوريا

النفط:

توجد في المناطق الكوردية في سوريا حقول للنفط في منطقة (الحسكة) و(كاراجوك) = كره تشوك، قرب منطقة فيشخابور على حدود إقليم كوردستان العراق مع سوريا[1].

جدول إنتاج النفط في المناطق الكوردية ونسبتها إلى إنتاج الدول التي يتواجد فيها الشعب الكوردي عام 1973م.

الدولة	تركيا	إيران	العراق	سوريا	المجموع
الانتاج الإجمالي بـ ملايين الأطنان	3.600.000	193.900.000	94.694.000	7.980.000	
حصة المناطق الكوردية في الإنتاج بـ ملايين الأطنان	3.600.000	15.000,000	57.135.000	7.980.000	83.715.000
النسبة	٪100	٪8	٪60	٪100	
نسبة كل منطقة كوردية إلى الإنتاج الإجمالي للأجزاء كافة	٪4.30	٪17.92	٪68.25	٪9.53	٪100 [2]

---

[1] ينظر إلى المصادر السابقة: د. عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد: ص19. ومجموعة من المستشرقين: الكورد في دائرة المعارف الإسلامية: ص22، ومحب الله: جفرافية كوردستان: ص22.

[2] مكتب الدراسات والبحوث المركزي، كوردستان، دراسة رقم 33، ص49.

الزراعة:

إن كوردستان غنية بمواردها الطبيعية من كافة أنواع المعادن كما أسلفنا وأرضها مؤهلة لإنتاج زراعي وفير لكونها تتمتع بخصوبة قل لها نظير، وللظروف المناخية الملائمة، وكثرة الأمطار، ووجود قنوات الري من الأنهر والمياه الجوفية الغزيرة، وهذه العوامل جعلت كوردستان بلاداً زراعية مربحة وذات إنتاجية عالية.

إن حاجة الكورد إلى توفير المواد الغذائية للاكتفاء الذاتي، وللتصدير أحياناً وعدم تخصيص الدول الغاصبة لنفط كوردستان جزءاً منها للانفاق على البنية الاقتصادية في كوردستان وإهمال إقامة المشاريع للمساهمة في تنشيط الحركة الاقتصادية دفعت بأبناء كوردستان للاهتمام المتزايد بالزراعة.

والأكراد بطبيعتهم مزارعون ممتازون، وقد مارسوا الزراعة منذ القديم، والتي تشكل العنصر الرئيسي في اقتصاد البلد.

كما أن تربة أرضهم قابلة لإنتاج أنواع الزراعات المألوفة في الشرق الأوسط وتتقبل مواصفاتها الطبيعية لأنواع المحاصيل الفصلية على مدار السنة وخاصة من الحبوب الغذائية.

الحاصلات الزراعية:

القمح والشعير والرز والذرة بأنواعها، والعدس والحمص والباقلاء والفاصوليا والسمسم واللوز والجوز والتين والبندق والزيتون والبلوط والعفص والفول والتفاح والخوخ والرمان والمشمش والخوخ (البرقوق)، والعنب بأصناف كثيرة والحمضيات وبنجر السكر وكافة الخضراوات العشبية، والأشجار المثمرة والتوت التي تساعد على تقدم تربية دودة القز والنحل، والكتان والعرقسوس، وإنتاج التبغ كله محصور في كوردستان.

والقطن الذي يقول عنه تومابوا: (ولا يفوتنا أن نذكر بأن بعض أمراء الأكراد من القرن العاشر هم الذين أدخلوا زراعة القطن إلى سوريا)[1].

تربية المواشي:

ما تزال المواشي تتبوأ المركز الثاني في اقتصاد كوردستان بعد الزراعة ويمتهن تربية الحيوانات السكان شبه الرحل، الذين يشكل تربية المواشي مصدر العيش لهم.

---

[1] ينظر إلى: توما بوا: لمحة عن الأكراد: ص31، وبليج شيركوه: القضية الكوردية، ص14.

تساهم المنطقة الكوردية في ثروة البلاد الحيوانية مساهمة فعالة، وتوفر قطعان المواشي للكورد كثيراً مما يحتاجون إليه من أسباب العيش.

ويهتمون بتربية الماعز، الأغنام، والأبقار، والجاموس، والبغال، والحمير، لقد عرفت كوردستان نوعاً من النظام الرأسمالي لأنها كانت مركزاً هاماً في تموين بغداد، وسوريا، والقسطنطينية بالمواشي، فلقد كانت الأخيرة وحدها تستورد ما لا يقل عن مليون ونصف المليون من رأس الغنم والبقر سنوياً من كوردستان.

ومن هنا نستنتج بأن الحياة الاقتصادية في القرن التاسع عشر كانت على قدر كاف من النشاط وبالأخص في مجال التجارة المحلية قبل امتداد النفوذ الاستعماري[1].

كوردستان: نظرة سياسية - تاريخية

الكورد في العصر القديم:

وردت في مدونات ومآثر الإمبراطوريات العظيمة التي برزت في سهول هذه البلاد كسومر القريبة من الخليج الفارسي، وبابل في الفرات الأوسط بالقرب من (الحلة)، وآشور بعاصمتها (نينوى) الواقعة على دجلة مقابل الموصل، أخبار غزوات قبائل تسكن جبال كوردستان الغربية، كما ذكرت هذه المدونات أخباراً عن حملات عسكرية على تلك القبائل، وهذا دليل على وجود الكورد في هذا الموطن منذ آلاف السنين.

إن من يدرس التاريخ الكوردي يطلع على مراحل النشوء والابتداء والأدوار اللاحقة وتتكون لديه فكرة عن تسلسل الأحداث التاريخية التي أحاطت بالكورد منذ القرن السادس قبل الميلاد، ويدرك مدى تأثير الوضع الجغرافي من سلاسل الجبال الشاهقة والتلال والأنهار في عزل الكورد عن العالم المحيط بهم، ومع ذلك لم يمنع العامل الجغرافي عنهم الأفكار ولا المؤثرات الروحية والفلسفية التي كانت رائجة إلى جوارهم في فارس وبلاد ما بين النهرين.

لقد غزاهم الأرمن والآشوريون والرومان واليونان والفرس، فالعرب والعثمانيون وعلى الرغم من هذا الخناق لم تكن القبائل الكوردية خاضعة لتلك

---

(1) المصدر نفسه: ص44-45.

الدول الغازية خضوعاً حقيقياً، بل كانت تعيش في شبه استقلال، وهي معتصمة بجبالها عرائن الأسود.

وغزاهم المغول والتتار دون جدوى، ولكن الفرس والأتراك العثمانيين أخضعوهم وفرضوا الاستعباد على معظم بلادهم[1] نتيجة الخلافات الكوردية الكوردية.

الحكومات الكوردية قبل الميلاد:

بما أن الكورد كانوا من الأمم البارزة على الساحة السياسية في العصر القديم فقد أنشأوا حكومات بالمعنى القومي والسياسي منها:

- حكومة (لولو) التي قامت عام (3500 ق.م) والتي استمرت (140) عاماً في منطقة (زهاو-شهرزور- السليمانية)، وابتداءً من أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ظهر اتصال الجيوش الآشورية بشعب (لولو) ويؤخذ من الوثائق الاشورية المختلفة عن عهد الملك (آشور ناصر بال) الثاني، أن بلاد اللولو كانت على جانب عظيم من العمران والحضارة[2].

وبعدها اشتهرت حكومة (كودي=جودي) التي تنسب إلى جبل (جودي) المذكور في القرآن الكريم ﴿... واستوت على الجودي﴾[3] في إشارة إلى إرساء سفينة نوح عليه السلام على ذلك الجبل. وكانت تشغل منطقة كبيرة في جبال زاغروس[4].

الامبراطورية الميدية الكوردية:

كانت الحضارة الميدية إحدى الحضارات المتقدمة في العالم، وكانت عاصمتها (همدان) المركز الاقتصادي والسياسي المتطور في عالم الشرق القديم، كما أنها كانت المهد الأول للحضارة المادية والروحية للشعوب الآرية قاطبة.

وفي القرن التاسع والثامن قبل الميلاد أقام الميديون العديد من المدن المستقلة ولكنهم تعرضوا لهجمات متتالية من الشعوب المجاورة وبسبب عدم توحيدهم

---

(1) سي. جي. أدموندز: كورد وترك وعرب، ترجمة جرجيس فتح الله، ص9. و شاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية: ص21. و منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص159.

(2) محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان: ص60،61.

(3) سورة هود: الآية، 42.

(4) المصدر نفسه: ص88، وعمر عبد العزيز هوراماني: القضية الكوردية والمؤامرة الدولية، منشورات جمعية علماء كوردستان د. مط: د.م 1413هـ-1993م، ص17.

لمدنهم المستقلة في دولة مركزية واحدة فقد سيطرت الدولة الآشورية على بلادهم منذ نهاية القرن الثامن وحتى أعوام 673-672 ق.م[1].

وفيما بين أعوام 673-672 ق.م قام الملك الميدي (كاشتاريتي) بانتفاضة أدت إلى حصول الميديين على استقلالهم الكامل.

وبعد وفاة الملك الميدي تسلم ابنه كيخسرو زمام السلطة في الدولة الميدية وقام بإحداث تغيرات سياسية وعسكرية وتمكن أن يؤسس واحداً من أقوى الجيوش في التاريخ القديم لبلدان غربي آسيا.

وفي عام 612 ق.م قام الميديون بحملة عسكرية ضد الآشوريين وبعد حصار لمدة ثلاثة أشهر استطاع الميديون الدخول إلى (نينوى) كما دعم الميديون البابليين في الهجوم على (حران) في عام 610 ق.م، وهزمت القوات الآشورية والمصرية[2].

وفي عام 590 ق.م نشبت حرب شاملة بين الامبراطورية الميدية والدولة الليدية الواقعة في القسم الغربي من آسيا الصغرى واستمرت الحرب مدة خمس سنوات ولكن الجانبين أوقفا القتال خضوعاً للتقاليد السائدة حينئذ والقاضية بتوقف القتال بين الدول عند حدوث الكسوف والخسوف حيث حدث كسوف الشمس في 28 أيار 585 ق.م.

توفي كيخسرو بعد مرور سنة على توقيع معاهدة الصلح بين الميديين والليدية وذلك في عام 584 ق.م وتولى السلطة بعده ابنه.

عندما أصبح كيروش ملكاً على القبائل الفارسية واستطاع في هجوم مباغت السيطرة على العاصمة (همدان) ووقع الملك الميدي في الأسر وهكذا أصبحت بلاد الكورد تحكم من قبل الامبراطورية الأخمينية عام 330 ق.م[3].

وفي القرنين الثاني والأول قبل الميلاد استطاع الأرمن أن يسيطروا على البلاد الكوردية إلى أن انتقلت السيطرة من أيديهم إلى الرومان حيث دامت حتى القرن

---

(1) عبد القادر البريفكاني: مصطفى البارزاني: ص40.

(2) ميجرسون: رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكوردستان: ترجمة فؤاد خليل، ط، 1970، مطابع الجمهورية العراقية، ص76.

(3) عبد القادر البريفكاني: مصطفى البارزاني، ص43.

الثالث الميلادي، ومن ثم حكمت الامبراطورية الساسانية كوردستان[1] حتى الفتح الإسلامي عام 640م، 19هـ[2].

الكورد في العصور الإسلامية:

إن التاريخ الكوردي، قديمه وحديثه قد بات على المحك للجدل والانحياز بحيث تعددت فيه الآراء، وتباينت حوله الروايات والاجتهادات ومع ذلك فإن من الثوابت المتفق عليها في التاريخ الكوردي هي:

1- أنهم قطنوا في المنطقة التي أطلق عليها (كوردستان) قبل مجيئ العرب والترك على السواء وبفترة طويلة.

2- وأنهم أسسوا فيها امبراطورية (ميديا).

3- وقد خضعوا لأكثر من امبراطورية، وعانوا بسبب ما كانت تفرض عليها تلك الامبراطوريات من ضرائب، أو من ضرورة تقديم الوقود البشري لحروبها.

4- ويتفق المؤرخون على ان الكورد اعتنقوا الإسلام فور إطلالة إشراقه على العالم. وخدموا الإسلام والمسلمين على اختلاف شعوبهم خدمة تجلل صداها في آذان الزمان وحفرت نقوشها على صفحات الأيام، وتتجلى في النواحي العسكرية والسياسية والعلمية والمدنية، وإن من الكورد من كان من الصحابة ورواة أحاديث الرسول.

5- وهناك إجماع بين المؤرخين أيضاً على أنه كان للكورد عددٌ من الحكومات الإسلامية.

6- وإن الكورد لم يعرفوا النزعة القومية أو العرقية بأي شكل من الأشكال، إيماناً منهم بأن الإسلام يأتي في الدرجة الأولى، والإسلام فوق كل جنس وكل عصبية قومية، وإذا كان قد بدر منهم الوعي القومي فإنما تولد نتيجة رد فعل من حكم بعض العثمانيين وبصورة اضطرارية.

---

[1] شاكر خصباك، ص21.

[2] مؤسس الامبراطورية الساسانية هو الملك (أردشير بابكان) الذي هو من أصل كوردي ويصرح بذلك الكتاب الذي بعثه الملك الأشكاني (أردوان الخامس) إلى القائد المتمرد (أردشير بابكان) الذي أعلن نفسه ملكاً على فارس، وإليكم نص الخطاب: (إنك قد عدوت طورك، واجتلبت حتفك أيها الكوردي المربي في خيام الكورد... الخ)، ينظر إلى: محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، مج1، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت-لبنان، 1408هـ-1988م، ص390، وجريدة خبات، العدد 996، في 2000/10/6م، ص2.

الأنظمة الإدارية في تاريخ كوردستان:

يمكن أن نقسم التنظيمات الإدارية التي كانت في كوردستان إلى مستويين اثنين:

أ- الحكومات ب- الإمارات الكبيرة.

يتكون الانطباع لدى المتتبع للتاريخ الكوردي والمطلع على مسيرة الأحداث التي رافقت حياتهم في الأزمان الغابرة بأنهم قديماً كانوا يتمتعون بالحرية الداخلية ومجاهدين لتحقيق الاستقلال في شؤونهم العامة للاستفادة من الحق الطبيعي الذي منحه الله للإنسان في التشريعات السماوية والأعراف الوضعية.

لقد اكتسبوا هذا الحق حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، ولكن سرعان ما انفرط العقد نتيجة العوامل السياسية والاجتماعية التي سلبتهم الاستقلال الخارجي، وأجبرتهم على الاكتفاء بالحرية الداخلية، والدفاع عن هذا الحق المغتصب منهم وطرد المحتلين لأوطانهم.

لقد تمتع الأمراء الكورد منذ القديم بقسط وافر من الاستقلال الذاتي ضمن مناطق نفوذهم المحصنة بالقلاع، والبلدات المنتشرة في الشعاب والسلاسل الجبلية، وبالسلاح الأقوى المتمثل بالشجاعة والتضحية لدى العشائر الكوردية القوية العديدة.

وكانت كوردستان المستقلة حقيقة ماثلة للعيان خلال القرن الثامن الهجري وما بعده بقرون حيث كان هناك ما ينيف على عشر حكومات بالمعنى القانوني السائد وقتئذ والمتمثل في العمل السياسي المرتكز على مبادئ الشرعية التي لحقها التطور فيما بعد في كل من الشرق والغرب، حيث كان التطور يسير هناك وفقاً للشروط والحالات التي تكون فيها الإدراك التشريعي والأدبي[1].

لقد كانت تتوزع في كوردستان خمس وثلاثون إمارة وكياناً محلياً[2] يمتلك بعض تلك الحكومات والإمارات الكوردية جميع مؤسسات ومرافق الدولة من الوزارة والقضاء والمالية وضرب العملة النقدية والممثليات والمراسلات الخارجية[3].

---

(1) باسيل نيكيتين، ص162.

(2) محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكوردية في العهد الإسلامي، تعريب محمد علي عوني، ج2، الناشر، برهان داود عبد الله، 1364هـ-1945م، بيروت، ص362-363.

(3) عبد الرقيب يوسف، الدولة الدوستكية في كوردستان الوسطى، ط1، مطبعة اللواء، بغداد، 1972م، ص173، 382.

أ- الحكومات الكوردية:

ندرج بصورة مقتضبة بعض تلك الحكومات في العهد الإسلامي والتي أنشئت في كوردستان على رقعة جغرافية شاسعة، وكان لها قوة عسكرية ودور سياسي ابتداءً من العام (230هـ-844م) إلى نهاية العام (618هـ-1220م) وهي على النحو التالي:

1- **الحكومة الروادية** (230-618هـ/844-1220م):

تأسست هذه الحكومة في آذربيجان، وعاصمتها (تبريز)، وهي أقدم الحكومات الكوردية، بدليل أن (ابن خرداذبه)[1] الرحالة يذكر أنه رأى حكومة (محمد الروادي) قائمة في تبريز حين زارها عام (232هـ) وتعاقب الأمراء الكورد في إدارتها حتى انقرضت الروادية بفعل الحروب، بعد أن عمرت أربعمائة سنة[2].

2- **الحكومة السالارية بأذربيجان** (300-420هـ/912-1028م)[3]

مؤسس هذه الحكومة (سالار مرزبان) وهذه الدولة كانت ديلمية كوردية أنشأت في أذربيجان (كوردستان الشرقية)، وبعد حروب طاحنة بينها وبين الحكومات المجاورة قضي عليها.

3- **الحكومة الدوستكية المروانية** (321-486هـ/932-1092م):

تأسست هذه الحكومة في كوردستان الشمالية ومؤسسها (دوستك) من الأكراد الحميدية[4] حوالي سنة (321هـ-931م) وتوسعت على يد ابنه الذي خلفه في الحكم، والذي لقبه الخليفة العباسي، القادر بالله (شاه باز أبي شجاع) واتخذ (ميافارقين) أشهر مدينة بديار كوردستان تركيا عاصمة له، وضرب له سكة

---

[1] ابن خرداذبه (250هـ-864م) عالم جغرافي، كان يشغل منصب البريد والخبر في بلاد الجبل (العراق العجمي) ومؤلف كتاب (المسالك والممالك) بنظر إلى: كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة بغداد، 1373هـ-1954م، ص12.

[2] محمد أمين زكي، الدول والإمارات الكوردية في العهد الإسلامي، ص29،56.

[3] المصدر نفسه: محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكوردية في العهد الإسلامي، ص57،68، و منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص218.

[4] لهذه الحكومة ذكر في: ابن الأثير الجزري، في فهارس الكامل في التاريخ، القسم الأول، دار الفكر، بيروت، 1408هـ-1988م، ص78، وابن الأثير، الكامل، ج10، ص53، والمصدر نفسه، ج9، ص26، حوادث سنة (380) وأبو الفدا، ص95، 116، 118، 119، 123.

خاصة بالنقود عام (360هـ-968م) ونقش عليهما لقبه، كما كان اسمه يتلى في الخطب على المنابر، مقروناً باسم الخليفة[1].

تولى الحكم بعده أقاربه مثل أبو علي حسن بن مروان وسك هو الآخر العمله باسمه واستمر الحكم في الأسرة حتى عام (402هـ-1011م) ثم تسلم الحكم الملك العادل، نصر الدولة (أحمد بن مروان)[2] الذي اعترفت بحكومته الدول الكبرى آنذاك، الدولة العباسية والدولة الفاطمية والدولة البيزنطية، وسك النقود باسمه أيضاً[3].

وفي سنة (486هـ-1093م) زالت من الوجود الدولة الدوستكية الكوردية التي كانت أكبر الدول الكوردية، التي أسست في العصور الإسلامية وأعظمها شأناً في القوة والحضارة، بعد أن عاشت أكثر من مائة سنة[4].

4- الحكومة الحسنوية البزركانية في همدان (كوردستان الشرقية) (330-405هـ/ 941-1014م)

أسس هذه الحكومة الأمير (حسين الكوردي البرزكاني) في منطقة (الدينور[5] وشهرزور[6] وهمدان[7] ونهاوند[8] والصمغان[9] وبلاد من إقليم

---

(1) لمزيد من التفاصيل، ينظر إلى: عبد الرقيب يوسف: الدولة الدوستكية في كوردستان الوسطى، ج1، مطبعة اللواء، بغداد، 1972م، ص14 وما بعدها.

(2) شرفخان البدليسي، الشرفنامه، ص30-31.

(3) عبد الرقيب يوسف: الدولة الدوستكية في كوردستان الوسطى، ص173-382.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، مج1، دار صادر، 1398هـ-1978م، بيروت، ص177.

(5) دينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين، وبين دينور وهمدان نيف وعشرون فرسخاً، ومن الدينور إلى شهرزور أربع مراحل: ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج2، ص545.

(6) شهرزور: هي كورة واسعة في الجبال بين أربد وهمذان، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد، ينظر إلى المصدر نفسه، مج3، ص375.

(7) همدان: أكبر مدينة بالجبال وهي الإقليم الرابع لبلاد فارس جنوب غرب طهران، ينظر إلى ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج5، ص410.

(8) نهاوند: هي مدينة عظيمة في قبلة همدان، بينهما ثلاثة أيام، وهي في الإقليم الرابع، وهي أعتق مدينة في الجبل، وكان فتحها سنة 19 أو 20هـ. ينظر إلى المصدر نفسه، مج5، ص313.

(9) الصمغان: كورة من كور الجبل في حدود طبرستان، واسمها بالفارسية (بميان) ينظر إلى المصدر نفسه، مج3، ص390.

أذربيجان[1] وحكم هذه البقاع من بعده أولاده إلا أنهم لم يتحدوا في حكم دولة ابيهم ودب بينهم الخلاف وطمع فيهم البويهيون واستغلوا انشقاقهم وجعلوهم سائرين في فلكهم، ثم زال حكمهم وانتقل إلى إمارة (بني عناز) الكوردية، وقد كانت لهم نقود ذهبية وفضية مسكوكة باسم الأمير بدر الدين بن حسنويه[2].

5- الحكومة الشدادية في إيران[3] (340-465هـ/ 951-1072م):

مؤسسها محمد بن شداد بن كارعو (قرطق=قرطو) وأشهر مدنها نخجوان[4]، وتفليس[5]، وقرباغ، وعاصمتها (كنجه)[6] وآخر حكامها نوشيروان علي بن موسى[7].

6- حكومة بني العيار[8] أو بني عنان في حلوان[9] (380-510هـ/ 989-1116م):

مؤسس هذه الحكومة الكوردية هو أمير أكراد الشاذنجانيين (أبو الفتح محمد بن عنان)، وقد امتد نفوذها لتشمل محافظات كرمنشاه[1]، ديالى، كركوك،

---

[1] أذربيجان: في الإقليم الخامس، وهو إقليم واسع ومن مشهور مدائنها (تبريز)، ينظر إلى المصدر نفسه، مج1، ص128.

[2] جليلة ناجي الهاشمي، الإمارة الحسنوية في الدينور وشهرزور، مجلة المجمع العلمي الكوردي، العدد 1/ 3، 1975، مطبعة المجمع العلمي الكوردي، 1975، ص729، و ابن الأثير: الكامل، 9، ص215.

[3] أران: ولاية واسعة تقع شمال أذربيجان وغربها من أرمينية، يفصل بينها وبين أذربيجان نهر (آرس): ينظر إلى البلاذري: فتوح البلدان، القسم الثالث، وضع ملاحقه، صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص683.

[4] نخجوان: بلدة بأقصى أذربيجان: ينظر إلى ياقوت الحموي، مج5، ص276.

[5] تفليس: هي قصبة ناجية جرزان بأران في أرمينية الأولى، افتتحها المسلمون أيام عثمان رضي الله عنه، ينظر إلى المصدر نفسه، مج2، ص36.

[6] كنجه: مدينة عظيمة وهي قصبة بلاد أران، وهي من نواحي لرستان بين خوزستان وأصبهان، ينظر إلى المصدر نفسه، مج4، ص482.

[7] المصادر السابقة: محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكوردية في العهد الإسلامي، ص93. وصالح قفتان: تاريخ الكورد، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، 1968م، ص265. و منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص218.

[8] للتفاصيل، ينظر إلى: محمد جميل الروزبياني: إمارة بني عيار وحكومتهم في غرب إيران سنة (380هـ-510م)، ترجمة محمد الملا عبد الكريم المدرس، مجلة المجمع العلمي الكوردي، العدد الخامس، مطبعة المجمع العلمي الكوردي، 1977م، بغداد، ص479.

[9] حلوان العراق: وهي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، وهي في الإقليم الرابع، فتحها المسلمون سنة 19هـ، ينظر إلى ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، ص290.

السليمانية، وجزء من محافظة واسط بالعراق، وتعاقب بالحكم فيها أمراء كورد آخرون، وقد زالت هذه الدولة بسبب الحروب بينها والآخرين[2].

7- حكومة الشبانكاره[3] بفارس (412-658هـ/1021-1259م):

من الدول الكوردية التي سيطرت على أجزاء كبيرة من أراضي كوردستان وقد حكمت مناطق (فارس)[4] و(كرمان)[5] و(أصفهان) الإيرانية.

أسسها الأمير (فضلوية بن علي بن حسن الأيوبي)[6]، وبرز في هذه الدولة من كبار العلماء، أمثال: عوض الدين، وعمر شبانكاره، والشيخ شمس الدين أبو بكر واستمر حكم الدولة، حتى أغار هولاكو سنة (658هـ) على تلك البلاد، ثم خضعت لسلطان الإيلخانيين، ثم لآل مظفر الدين الذي قام ملكهم بفارس[7].

8- الحكومة اللرية الكبرى أو الحكومة الفضلوية (550-827هـ/1154-1424م):

قامت هذه الحكومة في جنوب شرقي (لرستان) بإيران، وعاصمتها (ئيزاج سوس)، وكان هذا الإقليم منذ أواخر القرن الثالث الهجري مؤلفاً من قسمين (اللر

---

(1) كرمنشاه أو كرمان: في الإقليم الرابع، طولها تسعون درجة، وعرضها ثلاثون درجة وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ينظر إلى: المصدر نفسه، مج4، ص454، وأما ديالى-كركوك-السليمانية وواسط فهي مراكز محافظات في العراق.

(2) المصادر السابقة: شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ص39، ومحمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكوردية في العهد الإسلامي، ص126، وعباس العزاوي: شهرزور السليمانية، ص124.

(3) الشبانكاره: عشيرة كوردية، كانت ذات بأس، وتتألف من خمس فرق، تمكنت في وقت من الأوقات من تأسيس حكومة مستقلة في قلب فارس، دامت زهاء قرنين ونصف تقريباً، ينظر إلى المصدر السابق، شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ص45.

(4) فارس: ولاية واسعة أول حدود من جهة العراق، ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج4، ص226.

(5) كرمان: تقع في الإقليم الرابع، وهي ولاية مشهورة بين فارس ومكران، ينظر إلى، مج4، ص454.

(6) الأمير فضلون الأيوبي: تمكن ببطولته التي اشتهر بها من الاستيلاء على جميع أذربيجان، ثم هجم سنة (421هـ) على الخزر- طائفة من الترك- المغيرين على البلاد الإسلامية، فصدمهم صدمة عنيفة وقتل منهم خلقاً كثيراً، فرجع إلى أذربيجان غانماً. ينظر إلى ابن الأثير: الكامل في التاريخ، عند ذكره حوادث (421هـ)، مج9، ص409، و شرفخان البدليسي، الشرفنامه، ص45، الهامش، ومحمد أمين زكي، مشاهير الكورد وكردستان، ج2، ص106.

(7) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ كورد وكوردستان: ص131، 134، وجريدة خبات: العدد 984 في 2000/7/14م، إقليم كوردستان العراق، ص5.

الكبير واللر الصغير)[1] ويحكمها كورديان: (بدر) و(أبو منصور).

وفي أواخر القرن الخامس الهجري، هاجرت إلى (لورستان) أسرة كوردية من موطنها جبل السماق[2] بشمال سورية، وكان زعيمها يدعى (أبو الحسن فضلوي).

وبمرور الأيام تمكن حفيده المدعو (أبو طاهر محمد) من تأسيس الحكومة الفضلوية والاستقلال عن فارس. وقد أطلق لقب الأتابك على حكام (لرستان)[3]، وتولى الولاية أحفاده، حتى قضى عليها السلطان (إبراهيم شاه رخ (1377-1447م) ابن تيمور لنك (1336-1405م).

9- الحكومات الأيوبية (567-685هـ/ 1171-1185م)

مؤسس هذه الحكومات أو الإمارات هو بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين (صلاح الدين يوسف بن نجم الدين، أيوب بن شادي[4] بن مروان الروادي[5]، الدويني[6]، الهذباني الكوردي).

---

(1) اللر بالضم وتشديد الراء: وهو جيل من الأكراد، في جبال بين أصبهان، وخوزستان، وتلك النواحي تعرف بهم، فيقال بلاد اللر ويقال لها لرستان، ينظر إلى ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج5، ص16.

(2) جبل السماق: هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية بجوار أسكندرونة، ينظر إلى المصدر نفسه، مج2، ص102.

(3) أتابك: كلمة تركية مركبة من (اتا = الأب، وبك = الأمير، السيد) وكانت تطلق على من يتعهد بتربية أبناء السلاطين، وحينما استقل أبو طاهر بالحكم أطلق على نفسه لقب (أتابك) وحذا حذوه ذريته، وعليه فإن (أبا طاهر) ونسله أتابكة (جعليون) لا (أتابكة حقيقيون، لأن الأتابكة الحقيقيين هم جماعة من أمراء (سرحد) الذين عهد إليهم الملوك السلاجقة تربية أبناءهم، فخصوا بلقب (أتابك) ثم أطلق اللقب على أمراء الحكومات الكوردية أيضاً. ينظر إلى: شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ص45-46.

(4) شادي بن مروان: كان هذا من أسرة عريقة في السؤدد، ورئيساً في قرية (أجدنكان) على باب دوين، ومن أمراء ملوك الدولة الشدادية الكوردية على عهد فضلون الثالث، غادر بلاده من جراء احتلال الأمير (قرتي التركماني) وإخضاعها لسلطان السلاجقة، ينظر إلى شرفخان البدليسي، الشرفنامه: ص76.

(5) الروندة: فرع من عشيرة الهذبانية الكوردية التي كانت تقطن أنحاء (أربيل)، أذربيجان، وأشنه، وأران. ينظر إلى المصدر نفسه: ص78.

(6) دوين: بلدة من نواحي (أران-أريفان) في آخر حدود أذربيجان قرب (تفليس) منها ملوك الشام بني أيوب، ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص490، وشهاب الدين المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص218. وبهاء الدين بن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964م، ص6.

ولد صلاح الدين سنة 532هـ بقلعة تكريت في العراق، وتوفي 27/صفر/589هـ[1] كان يهدف إلى توحيد العالم الإسلامي ووفقه الله في تأسيس حكومات في مصر وسورية وفلسطين واليمن والجزيرة[2]، وعم ظله سواحل أفريقيا حتى طرابلس وتونس، وكوردستان العراق، وخطب له على المنابر في هذه الجهات، ومن أهم أعماله، الإصلاحات العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والعقدية[3]، والقضاء على الدولة الفاطمية في مصر[4].

10- الحكومة الخورشيدية في لرستان الصغرى (570-1250هـ):

تولى حكم اللر الصغرى شجاع الدين خورشيد بن أبي بكر بن محمد بن خورشيد على سبيل الاستقلال من السلجوقيين في عام (570هـ) واتخذ عاصمتها خورم آباد ببلاد فارس وظلت هذه الحكومة تدار من سلالة آل خورشيد عقباً عن عقب حتى بلغ عددهم عشرة، إلى أن قضى شاه إيران رضا بهلوي 1878-1944م على هذه الحكومة وربطها بالحكومة المركزية في إيران، وأسدل الستار على حكومة (لرستان) الصغرى[5].

11- حكومة بني أردلان بإيران (617-1284هـ/1220-1867م):

أمراء هذه الحكومة من سلالة بني أردلان[6]، تأسست هذه الحكومة في كوردستان الشرقية على رقعة واسعة، تشمل (شهرزور، جبال الأورمان، وشهربازار، والزاب الصغير[1]، والمنطقة الواقعة بين دجلة وقره داغ في سلسلة زاغروس)[2].

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص218.

(2) الجزيرة: هي جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام، ولها رستاق واسع الخيرات. ينظر إلى الحموي، معجم البلدان، ج2، ص138. ولمزيد من التفصيل عن هذه المدينة يراجع ص237، الهامش 36.

(3) المصادر: محمد كورد علي: خطط الشام، ج1، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1389هـ-1967م، ص45، 69. والمصدر: عبد الله ناصح علوان: صلاح الدين الأيوبي، بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، دار السلام للطباعة والنشر، ط5، بيروت، 1403هـ-1983م، ص13، 29، 43، 54.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج9، دار الفكر، بيروت، 1389هـ-1978م، ص111.

(5) المصادر السابقة: شرفخان البدليسي، الشرفنامه، ص58-64، ومحمد أمين زكي: الحكومات الكوردية في العهد الإسلامي، ص149-165، وصالح قفتان، تاريخ الشعب الكوردي، ص265.

(6) أردلان: مقاطعة كوردية في غربي إيران، وهي تؤلف الجزء الشرقي من بلاد كوردستان، مركز مدينة (سنه=سنندج) ومن مراكزها الشهيرة (كرمنشاه- ساوجبلاق- مريوان).

مؤسسها (بابا أردلان)[3]، وينتمي إلى أسرة متنفذة في (دياربكر) بكوردستان الشمالية، وكان جنكيزخان (1167-1227م) قد اعترف بهذه الحكومة التي كانت على جانب عظيم من القوة فقد كانت تقاوم النفوذ الإيراني والعثماني، وتمنع توسع الدولتين في أراضيها.

ودارت بها الأيام وأفل نجمها حينما ألحقت بالدولة العثمانية قهراً سنة 1867م، ويقول (ميجرسون): (وحكم أمراء أردلان مدة خمسمائة سنة، وكان بلاطهم في (سنه = سنندج)[4]، ويبدو أن (ميجر سون) لم يطلع على تفاصيل ما جاء في أوثق المصادر التاريخية الكوردية (كتاب الشرفنامه) لشرفخان البدليسي الذي حدد فترة حكم أمراء أردلان بين الأعوام (1220-1867م) واستقى معلوماته في هذه المسألة من مراجع ثانوية لم تكن دقيقة في تحديد فترة الحكم بخمسمائة سنة.

12- **الحكومة الزندية بإيران** (1166-1209هـ/ 1753-1794م):

بعد مقتل (نادر شاه ملك إيران)[5] تحولت إيران إلى مسرح للفوضى والاضطراب، وعلى أثر ذلك أقام (كريم خان الزندي المولود سنة 1705 والمتوفى 1779م)[6] حكومة كوردية في جنوب كوردستان الشرقية، عاصمتها (شيراز)، وهو مؤسس السلالة الزندية التي حكمت إيران (1753-1794م) وقد كتب القنصل الفرنسي في بغداد رسالة إلى (باريس) عام 1763م، قال فيها عن كريم خان

---

(1) الزاب الصغير: نهر في (كوردستان) العراق، (540)كم، من روافد دجلة، يصب فيه بالقرب من قلعة جعبر، وعليه سد دوكان، يمر ما بين دقاقو وأربل، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة: ينظر إلى: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ص124، ومنجد الأعلام، ص318.

(2) زاغروس: سلسلة جبال في شمال غربي إيران، المصدر نفسه، ص319.

(3) شرفخان البدليسي، الشرفنامه، ص106.

(4) المصادر السابقة: شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ص106، ومحمد أمين زكي: الحكومات في العهد الإسلامي، ص276، وميجرسون: رحلة متنكر، ص278، ومنذر الموصلي: عرب وأكراد، ص224.

(5) نادر شاه (1688-1747م): ولد في مدينة مشهد، وتوفي في فتح آباد، أصبح ملكاً على إيران، كان أول الأمر جمالاً دخل في خدمة الشاه حسين الصفوي، وبعد سقوط العاصمة أصفهان بيد الأفغان ثار عليهم وقاد جيش طهماسب، فبويع له بالملك فتح آسيا الوسطى وقسماً من هندستان حتى دلهي، قتل على أيدي قواده، ينظر إلى المنجد في الأعلام، ص703.

(6) كريم خان الزندي: كان مصلحاً اجتماعياً، حفظ الأمن في البلاد، وتلقب بوكيل الشعب، وبعد وفاته عادت الفوضى إلى إيران إلى أن حكمتها الأسرة القاجارية، ينظر إلى المصدر نفسه، ص588.

الزندي: (يظهر أن البلاد قد استعادت الازدهار والعظمة في ظل هذا الزعيم الكوردي ذي التصرفات الحكيمة، واستتب الأمن، واستأنفت التجارة، وعم العلم والثقافة)[1] وبذلك دامت هذه الحكومة إحدى وأربعين سنة، وقد اضطرت هذه الحكومة من جراء لجوء الأمراء البابانيين إليها وطلب حمايتها إلى محاربة العثمانيين مما أدت إلى سقوطها.

ب- الإمارات الكوردية الكبيرة:

علاوة على ما ذكر من قيام حكومات كوردية حسب الأسس المتعارف عليها سابقاً، فقد برزت على الرقعة الكوردستانية في مختلف أرجائها إمارات واسعة المساحة، ذات آلة عسكرية وإدارات سياسية أخذت طابع الدويلات المستقلة، منتزعة من دول الجوار بواقعيتها الاعتراف بكينونتها، وامتلكت العملة الخاصة بها وأضحت في مصاف الكيانات القائمة.

ونقتصر في الكلام على نماذج منها:

1- إمارة بوتان[2] (645-1264هـ/1247-1847م):

وهي من أقدم الإمارات الكوردية وكانت تسمى قديماً (إمارة الجزيرة) على محاذاة دجلة، ومركزها مدينة (الجزيرة) وهي من الإمارات الكوردية المعترف بها من قبل السلطان سليم الأول (1512-1520) وأول من تولى الحكم فيها (سليمان بن خالد)، وعندما توفي تسلم الحكم ابنه الأمير عبد العزيز، وتعاقب على الحكم فيها أمراء استطاعوا المحافظة على إمارتهم وتوسيعها.

ومن أشهر أمرائها الأمير (بدرخان باشا)[3] وينتهي نسبه إلى الأمير عبد

---

[1] المصادر السابقة: محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكوردستان، ص230، وعبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص45، وشاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص23. وصالح قفتان: تاريخ الشعب الكوردي، ص264.

[2] بوتان: تمتد مقاطعة (بوتان) من الحدود العراقية التركية في منطقة زاخو حتى نهر (بوهتان) وتمتد من دجلة من نقطة التقاء الفرعين إلى (مكس)، وأول ذكر لاسم (بوهتان) يرتقي إلى القرن الخامس قبل الميلاد عندما ذكر المؤرخ اليوناني (هيرودوتس). ينظر إلى عبد الرقيب يوسف: الدولة الدوستكية، ج1، ص16.

[3] ولد بدرخان باشا في مدينة (الجزيرة) مركز الإمارة سنة (1802م). ينظر إلى: علاء الدين سجادي: الثوار الكورد، د.مط، بغداد، 1959م، ص45.

العزيز بن سليمان، تولى بدرخان باشا الإمارة سنة (1237هـ-1821م) وكان يطمح إلى الاستقلال ثم تعاظمت قوته، وقرئت الخطبة باسمه حوالي اثنتي عشرة سنة، وفي عام 1842م ضرب النقود باسمه، وأدى دوراً مهماً في استقرار الحالة السياسية في البلاد حيث كان حاكماً ذكياً وذا نفوذ قوي للغاية، كما أنه كان شخصية كفوءة، ومن أعظم خصاله أنه كان على درجة عالية من الثقافة والتربية الإسلامية والخلق الحميدة، وتطبيقه للعدالة وسعيه لتحقيق الرفاهية لرعاياه، وتوزيع الأراضي على الفقراء واجتماعاته المستمرة مع عامة الناس للوقوف على مشاكلهم وأخيراً قررت الحكومة العثمانية، القضاء على هذه الإمارة عام 1847م[1].

ج- لقد قامت على مر التاريخ في مختلف أصقاع كوردستان حاكميات وزعامات قبلية متعددة، لن نتطرق إليها لضيق المجال.

2- **إمارة بهدينان** (659-1260هـ/1273-1856م):

تأسست هذه الإمارة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري في منطقة بهدينان بكوردستان العراق، حينما أعلن بهاء الدين بن شمس الدين بن شجاع الدين نفسه حوالي سنة (659-1260هـ/1273-1856م) أميراً على المنطقة، ثم تعاقب على الحكم فيها ستة وعشرون أميراً، وكانت عاصمتها مدينة العمادية[2]، وقد اعترفت بها السلطة العثمانية عام 921هـ/1515م، واستمرت الإمارة تنعم بالاستقلال حتى أخضعها العثمانيون لسلطانهم حوالي العام 1273هـ/1856م، وهكذا أسدل الستار على إمارة بهدينان التي عاشت أكثر مما عاشته الدولة العباسية[3].

---

(1) باسيل نيكيتين، الأكراد (ثورة بدر الدين خان بك 1843-1846م)، ص179، ومحمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص236، ومالميسانز: بدرخانيو جزيرة بوتان، ترجمة شكور مصطفى، مطبعة وزارة الثقافة، أربيل، 1998م، ص7، وئارشاك سافر أستيان: تاريخ الكورد وكوردستان، ترجمة عبد الله شالي، السليمانية، 1960، ص36.

(2) العمادية: قلعة حصينة مكينة في شمال الموصل ومن أعمالها، عمرها عماد الدين زنكي بن آق سنقر في سنة 537هـ وكانت قبلها حصناً للأكراد. ينظر الحموي: معجم البلدان، ج4، ص149. وعباس العزاوي: العمادية في مختلف العصور، تحقيق حمدي السلفي وعبد الكريم فندي، مطبعة وزارة الثقافة إقليم كوردستان، ط2، 1998، ص9. والكتاب كله يتحدث عن العمادية.

(3) ينظر إلى: صديق الدملوجي: إمارة بهدينان أو إمارة العمادية، مطبعة الاتحاد الجديدة، موصل، 1372هـ-1952م، ص18. ولمزيد التفاصيل يراجع الكتاب كله حيث ألف خصيصاً

3- إمارة سوران (905-1267هـ/1500-1850م):

تقع هذه الإمارة في منطقة أربيل، أسسها الأمير (عيسى بن كلوس بك) واتخذ أربيل عاصمة لها، لعبت هذه الإمارة أدواراً مشرقة في التاريخ الكوردي سياسياً وعسكرياً وقومياً، وأبرز من تولى الحكم في الإمارة في القرن التاسع عشر محمد باشا الكبير، الملقب بـ(ميركور = الأمير الأعور) في عام 1813م.

ومن أعماله إنشاء مجلس السيادة، وإنشاء لجنة العلماء لتشريع القوانين المدنية المبنية على الشريعة الإسلامية، والإشراف على تطبيق الشريعة، وقام بسك النقود وأسس معملاً لصنع الأسلحة.

أوجس العثمانيون منه خيفة حينما توسعت إمارته حتى وصلت إلى ماردين وجزيرة ابن عمر، مما أهاج ثورة وغضب العثمانيين والتآمر على قتله، ولم تستمر الإمارة بعده طويلاً حيث ضمها العثمانيون في حدود عام 1850م[1].

4- إمارة الهكارية[2] (1009-1262هـ/1600-1845م):

أقيمت هذه الإمارة على مساحة شاسعة تتوسط إقليمي أرمينيا الكبرى[3] وأذربيجان وإلى جنوب بحيرة وان وكانت عاصمتها (جولميرك) وتولى الحكم فيها (أسد الدين موسى بن منكلان، ثم حفيده (عماد الدين مجلي) وتعاقب على تصريف شؤون الإمارة ذريتهم وينتمي أمراء جولميرك إلى أسرة كوردية عريقة، وقد

للتعريف بهذه الإمارة، ومجلة طولان العربي، السنة الخامسة، العدد، 52 في 30 أيلول 2000، ص109. وأنور المائي: الأكراد في بهدينان، ط2، ص118، 155.

(1) حسين حزني موكرياني: تاريخ أمراء سوران، أربيل، 1962م، ص30. و نبز جمال: الأمير الكوردي، أربيل، 1994م، ص105. و جليلي جليل: من تاريخ الإمارات في الامبراطورية العثمانية، ص67. و عبد الله محمد علي: كوردستان في عهد الدولة العثمانية من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدء الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة صلاح الدين، أربيل، 1419هـ، ص28. وزبير بلال: تاريخ أربيل، مطبعة الثقافة، أربيل، 1986م، ص182.

(2) حكاري أو هكاري: مقاطعة صغيرة في إيالة (وان) مركزها بلدة جولميرك، ومن بلادها المشهورة بوهتان، ومنها ينبع نهر الزاب الأعلى، أحد روافد نهر دجلة، ومن بلادها المشهورة (شمدينان)، ينظر إلى شرفخان البدليسي، الشرفنامه، ص10.

(3) أرمنية: صقع واسع بين بحر الخزر شرقاً ووادي الفرات غرباً، أصبح اليوم منه قسم من تركيا الشرقية، وهو الأكبر، وقسم في إيران (شمال أذربيجان) وقسم في الاتحاد السوفيتي: ينظر إلى البلاذري، فتوح البلدان، القسم الثالث، ص685.

استمرت هذه الإمارة في الحكم حتى القرن التاسع عشر ثم أخضعتها السلطنة العثمانية لحكمها عام 1845م[1].



خارطة رقم (٢)
الإمارات الكوردية

5- إمارة بابان: (1060-1268هـ/1650-1851م):

موقعها الجغرافي عند ملتقى الحدود الإيرانية التركية، وعاصمتها (قلعة جولان قرب السليمانية) مؤسسها (بيربوداق بقبة) من الأسرة البابانية، وهي من الإمارات المعترف بها من الدولة العثمانية، حكمها عدة أمراء ودامت أكثر من مائتي عام ولو لم ينشق أمراء البابان على أنفسهم، ويضربوا بسيف الترك والفرس أبناء كوردستان لكانت من الدول التي تهدد الحكومتين التركية والفارسية، ولو تآزرت مع بقية الإمارات الكوردية، لأنتج اتحادهم دولة كبرى لا تقل نفوساً ومساحة عن إيران أو الدولة العثمانية، ولكن الخلافات الكوردية والحروب الدينية بين

---

(1) ينظر إلى المصادر: شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ص125، و مينورسكي: الأكراد، ص31، و جمعية علماء كوردستان، صفحات مشرقة من تاريخ الكورد، ص33.

السنة والشيعة والهجمات المتناوبة المتعاقبة على الإمارة من العثمانيين والإيرانيين عجلت من إخضاعها وإسقاطها.

وكانت الإمارة على جانب مشرق من الحضارة والخدمات الجليلة في بناء الجوامع ودور العلم[1].

النقود والعملات الكوردية:

ذكرنا في مبحث الحكومات والإمارات الكوردية، أن معظم هذه الإمارات كانت مستقلة أو شبه مستقلة وبمقاييس مختلفة، وأن بعض الحكومات قد اعترفت بالمستقلة منها وتبادلت معها السفراء فكانت تلك الحكومات الكوردية مثلما استقلت سياسياً، خطت خطوات للاستقلال الاقتصادي فضربت النقود والعملات الوطنية الكوردية، نذكر نماذج بعض تلك العملات في الملحق:

1- **عملة حكومة آل حسنويه** (300-406هـ/912-1015م):

حكمت حكومة آل حسنويه منطقة شهرزور ودينور[2]، وكان من أبرز حكامها (بدر الدين حسنويه) وضرب باسمه الدينار الذهبي والدرهم الفضي وحسب النموذج الصوري[3].

2- **نقود الدولة الدوستكية:** (321-486هـ/933-1093م):

ضربت هذه الدولة النقود سنة (410هـ-1019م) في فارقين، آمد = دياربكر، الجزيرة، نصيبين، وتوجد نماذج من تلك النقود في المتحف البريطاني بلندن،

---

(1) ينظر إلى المصادر: جليلي جليل: من تاريخ الإمارات في الامبراطورية العثمانية، مطبعة الهلال، ط1، مطبعة الأهالي، دمشق، 1987م، ص51، و صالح قفتان: تاريخ الشعب الكوردي: ص268. ومنذر الموصلي: عرب وأكراد، ص225. ومحمد الخال: الشيخ معروف النودهي البرزنجي، مطبعة التمدن، بغداد، 1961م، ص15. وسي.جي أدموندز: كورد وترك وعرب، ترجمة جرجيس فتح الله، ص14. و عباس العزاوي: شهرزور السليمانية، ص178.

(2) دينور: اسم يطلق على إحدى المدن الكوردية الإيرانية القديمة وعلى المنطقة التي كانت هذه المدينة تقع فيها. ينظر إلى: محمد جميل بندي الروزبياني: مدن كوردية قديمة، ط1، مطبعة هوال، السليمانية، 1999م، ص203.

(3) عباس العزاوي: شهرزور السليمانية، تقديم علي القرداغي، ط1، مطبعة السالمي، بغداد، 1420هـ-2000م، ص123. وجليلة ناجي الهاشمي: الإمارة الحسنويه في الدينور وشهرزور، مجلة المجمع العلمي الكوردي، العدد 1975/3/1م مطبعة المجمع العلمي الكوردي، 1975م، ص729.

اطلعنا من بينها على صورة درهم، مكتوب على الوجه والظهر اسم الدولة الدوستكية، ضرب في فارقين[1] سنة (410هـ) وعليه اسم (نصر الدولة، أحمد بن مروان بن دوستك الكوردي)[2].

وزن الدرهم مثقال واحد و 8/1 قيراط، وقطره تسعة وعشرون ملماً، والدرهم موجود في متحف استانبول (موزه همايون) تحت رقم (904) والصورة من لوحة (5) من (مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي)، دليل المتحف المذكور تاليف اسماعيل غالب، ص371[3].

3- عملة إمارة بوتان والجزيرة (645-1264هـ/1247-1848م):

قام الأمير بدرخان باشا، أمير حكومة الجزيرة وإقليم بوتان بضرب النقود باسمه سنة 1842م.

وكتب على أحد الوجهين عبارة: (أمير بدرخان بوتان) وعلى الوجه الآخر التاريخ (سنة 1258م)[4].

4- عملة إمارة بدليس[5] الكوردية:

من الإمارات الكوردية القديمة والتي تعود جذورها إلى العصر العباسي، إمارة بدليس، حكمها زعماء قبائل الروذكي، وهم من أجداد المؤرخ الكوردي شرفخان البدليسي، وذلك في حدود 750هـ-1349م.

---

(1) ميافارقين: أشهر مدينة بدياربكر، طولها أربع وسبعون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، داخلة في الإقليم الخامس. ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج5، ص236.

(2) ابن خلكان (608- 681هـ): وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، مج1، دار صادر، د.مط، د.ت، بيروت، ص177.

(3) عبد الرقيب يوسف: الدولة الدوستكية، ج1، ص382، والغلاف.

(4) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص236. و عبد الله محمد علي، كوردستان في عهد الدولة العثمانية، ص35. وعباس العزاوي: تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية (665-1335هـ) إلى (1258-1917م)، بغداد، 1958م، ص123-128.

(5) بدليس: بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط ذات بساتين كثيرة، ينظر معجم البلدان، مج1، ص358، ويصفها شرفخان البدليسي: (هي واقعة في مضيق محاطة بجبلين منيعين، وتقع قلعة في وسطها، وهي مشيدة فوق قمة جبل مخروطي الشكل لا يرتقي إليها إلا من طريق واحد، وليس في الدنيا كلها مضيق مثله، فإن عشرة رجال فيه، يستطيعون تعويق ألف نفر من اقتحامه. ينظر شرفخان البدليسي، الشرفنامه، ص368.

كانت بدليس تحت إمرة الأمير ضياء الدين الروذكي ثم أخذت في التوسع خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وخطت خطوات نحو الاستقلال التام، حيث سك الأمير (شمس الدين الروذكي) العملات الذهبية والفضية المعروفة آنذاك بالنقد (الشمس الديني).

ويقول شرفخان البدليسي مؤلف كتاب الشرفنامه: بأنه رأى هذه العملات مع ثلاث قطع من العملات الأخرى لثلاثة أمراء من أجداده وهم: (شرف بن محمد، ومحمد بن شرف، وشمس الدين بن ضياء الدين)[1]، ويحتفظ المتحف البريطاني بثلاثة منها مسكوكة من الفضة لا يحمل أي منها تاريخ ضربها، وهي تحت الأرقام:

(246، 247، 248) إحداها باسم الأمير شرف بن محمد (الواثق بالصمد)، والآخريين باسم الأمير شمس الدين بن ضياء الدين تحمل شهادة التوحيد في وسط الوجه، وأسماء الخلفاء الراشدين في الأطراف الأربعة، وعلى الظهر اسم صاحب العملة ولقبه مع ذكر مكان الضرب، وهي مدينة بدليس العاصمة.

وفيما يلي أوصاف تلك العملات:

العملة الأولى:

الوجه: (داخل شكل مسدس الأضلاع).	الظهر:
أبو بكر لا إله إلا الله محمد رسول الله علي (عمر / عثمان على الجانبين)	**الواثق بالصمد** **شرف بن محمد** **ضرب بدليس**

العملة الثانية والثالثة متشابهتان:[2]

الوجه:	الظهر:
أبو بكر لا إله إلا الله محمد رسول الله عثمان (عمر / علي على الجانبين)	**خلد الله** **شمس الدين** **بن ضياء الدين** **ملكه** **ضرب بدليس**

[1] المصدر نفسه: ص406، و عبد الرقيب يوسف: الدولة الدوستكية، ص382.

[2] زرار صديق توفيق: كوردستان في القرن الثامن الهجري، ص227

5- **عملة إمارة سوران** (267-905هـ/1500-1850م):

قام محمد باشا الكبير أمير إمارة سوران في عام 1813م بسك النقود الموصوفة بالشكل الآتي:

كتب على أحد وجهي العملة (الأمير المنصور محمد بك) مع التوقيع وعلى الوجه الآخر عبارة: (ضرب في راوندوز)[1].

أسباب سقوط الإمارات الكوردية في منتصف القرن التاسع عشر

يبدو أن من أهم أسباب سقوط الإمارات الكوردية هي:

1- قسوة الدولتين العثمانية والإيرانية في قمع المقاومة الكوردية وعدم تكافؤ ميزان القوى العسكرية والبشرية والاقتصادية.

2- فقدان عناصر التعاون بين هذه الإمارات.

3- الصراعات والمنافسات الحادة في أغلب الظروف بين أفراد العائلات الحاكمة داخل الأسرة.

4- الخيانات الكوردية الكوردية، لعبت دوراً سلبياً في بعض الحالات.

5- العوامل الخارجية حيث كانت الدول الأوربية عامة وبريطانيا وروسيا خاصة، تساند العثمانيين والفرس ضد هذه الإمارات.

تطور الحركات القومية الكوردية في كوردستان الكبرى:

لم يهدأ للكورد بال ولم تقف شرايين الجسم الكوردي من ضخ الدماء لتحرير الرقبة من أسر الاستعباد وفك قيود الاستغلال من الأرض، والعيش تحت الشمس كباقي الشعوب بحرية، وهذه الأهداف هي المحركة للكورد جيلاً بعد جيل للقيام بثورات وانتفاضات منذ عقود مديدة والحركة خير من السكون ومنها:

ثورة بدرخان بك: 1843-1846 في كوردستان تركيا.

ثورة الشيخ عز الدين يزدان شير: 1853-1855 في كوردستان تركيا.

ثورة الشيخ عبيد الله النهري: 1878-1881م في كوردستان تركيا.

---

[1] حسين حزني موكرياني: تاريخ إمارة سوران، أربيل، 1962م، ص30. و نبز جمال: الأمير الكوردي، أربيل، 1994م، ص105.

ثورة إسماعيل آغا سمكو 1892م في كوردستان إيران.

ثورة الشيخ محمود الحفيد: 1922م في كوردستان العراق.

ثورة القاضي محمد ومؤسس جمهورية مهاباد: 1946 في كوردستان إيران.

ثورتا بارزان: 1943-1945م في كوردستان العراق[1].

الانتفاضة الكوردية في كوردستان العراق عام 1991م.

اضطر أكراد العراق فراراً من الإبادة الجماعية للقيام بانتفاضة مليونية واللجوء إلى صديقهم الحميم الوحيد جبال كوردستان، وبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة تقريباً.

في هذا الظرف العصيب أصدر مجلس الأمن الدولي القرار 688 في 5 نيسان 1991م بإنشاء الملاذ الآمن للكورد وحمايتهم والتحقيق من تنفيذ برامج الإغاثة الإنسانية من خلال التدخل العسكري.

كما أصدر المجلس القرار 986 في 14 نيسان 1995م برنامج النفط مقابل الغذاء وأقر فيه تخصيص حصة كوردستان 13٪ من مجموع مبيعات النفط العراقي[2].

جمهورية مهاباد الكوردية في إيران (1366هـ-1946م):

تأسست جمهورية مهاباد الكوردية في كوردستان الشرقية بإيران في 22/1/1946م ورفع علم كوردستان ذات الألوان (الأحمر والأبيض والأخضر في وسطه شمس ذهبية) في العاصمة مهاباد، وانتخب القاضي محمد[3] رئيساً للجمهورية وأدى اليمين الدستورية كأول رئيس للجمهورية في يوم 23/1/1946م.

---

[1] عبد القادر البريفكاني: مصطفى البارزاني زعيم الحركة القومية الكوردية المعاصرة، ص48،49، 117.

[2] المصدر نفسه: ص256. ومارل ويكر خبير القانون الدولي: المناطق الآمنة للأكراد والقانون الدولي، صحيفة التايمز اللندنية، أبريل، نيسان، 1991م وملف السياسة الدولية: القضية الكردية في العراق، ص19. وجريدة خبات 14/1/2000، شوال 1420هـ، العدد: 959.

[3] ولد القاضي محمد بن القاضي علي في مدينة مهاباد بكوردستان إيران عام (1901م) وتلقى العلوم الشرعية في جوامع المدينة المذكورة على أيدي العلماء الكورد، ثم عين قاضياً بعد وفاة والده، توفي مشنوقاً على أيدي السلطة الإيرانية عقب قيامه بتشكيل الجمهورية الكوردية.

وأصدر القاضي مرسوماً جمهورياً في 1946/2/11م بتشكيل وزارة مؤلفة من ثلاثة عشر وزيراً لتنفيذ البرنامج الإصلاحي والدفاع عن مصالح الشعب وتعميم التعليم وتطبيق الشريعة.

وفي الشهر الثالث من عام 1946 منح الملا مصطفى البارزاني[1] لقب جنرال في جيش مهاباد وكان بإمرته ألفين من الرجال المسلحين الكورد.

عاشت الجمهورية قرابة أحد عشر شهراً حيث سقطت بهجوم الجيش الشاهنشاهي على العاصمة مهاباد، وإنزال علم كوردستان وذلك في 1946/12/17 وتم اعتقال أركان الدولة باستثناء الملا مصطفى البارزانى الذي قاوم الجيش الإيراني، ولم يستسلم وآثر اللجوء إلى الاتحاد السوفيتي في مسيرة بطولية عبر نهر آراس.

وفي 1947/1/20م شكلت محكمة عرفية صورية وحكمت على القاضي ورفاقه بالإعدام حتى الموت في 1947/1/23م ونفذ الحكم الجائر يوم الخميس 1947/3/30م وهكذا انتهت الجمهورية[2].

حكومة إقليم كوردستان العراق:

منذ عام 1991م تسيطر الإدارة الكوردية على 41.939كم2 أي حوالي 48.61٪

---

[1] ولد البارزاني الملا مصطفى سنة (1903) وهو الابن الثالث لأسرة ذات مكانة دينية رفيعة، توارثت الطريقة النقشبندية، أباً عن جد، كما توارثت القيادة الزمنية والدينية، وروح الثورة على الظلم، قام بثورات عديدة وجاهد طول حياته لإيصال الشعب الكوردي إلى ما وصل إليه الآخرون في التحرر والاستقلال، وظل البارزاني قائداً للحركة الوطنية الكوردية في العراق ورمزاً لها ولسائر الكورد أينما كانوا في شتى بقاع كوردستان طوال أربعين عاماً ونيف، توفي إثر مرض عضال في إحدى مستشفيات أمريكا في 1979/3/1م. ينظر إلى: عبد القادر البريفكاني: مصطفى البارزاني زعيم الحركة القومية الكوردية المعاصرة، القاهرة، 1996، ص233.

[2] ينظر المصادر: صلاح الدين محمد سعد الله، كوردستان والحركة الوطنية الكوردية، مطبعة الأهالي، بغداد، 1959م، ص47. و عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد: ص104، و عبد القادر البريفكاني: مصطفى البارزاني زعيم الحركة القومية الكوردية المعاصرة، ص134. وزهير عبد الملك: الأكراد وبلادهم كوردستان بين سؤال وجواب، دار APEC، 1999م، ص136،164، مقال: دانا آدم شمدت: رحلة إلى رجال شجعان في كوردستان، بيروت، 1972م. وجريدة خبات، العدد 954 في 1999/12/10م، 2 رمضان 1420هـ، ص11، والعدد 969 في 2000/3/31م-25 ذي الحجة 1420هـ، ص11.

من مساحة كوردستان العراق البالغة حوالي 86 ألف كم^2، ويبلغ عدد السكان في القسم المسيطر عليه حوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون وتشكل حوالي (58٪) من إجمالي عدد سكان كوردستان العراق البالغة حوالي ستة ملايين نسمة الآن.

أكبر مدن هذا القسم من كوردستان هي: أربيل العاصمة، وتليها مدينة السليمانية، ثم مدينة دهوك، وفي هذا الإقليم ثلاث جامعات معترف بها من اتحاد الجامعات العالمية واليونسكو، وهي جامعة صلاح الدين بأربيل، وجامعة السليمانية، وجامعة دهوك.

برلمان كوردستان:

بعد انتفاضة الكورد في آذار عام 1991م وإقامة الملاذ الآمن وانسحاب إدارات حكومة بغداد من كوردستان في تشرين أول عام 1991 أقامت الجبهة الكوردستانية سلطتها وأقرت وضع مشروع لقانون الانتخابات وتمت الموافقة على المشروع في 1992/4/28م باسم القانون رقم (1) لسنة 1992م (قانون المجلس الوطني لكوردستان العراق)، وأجريت الانتخابات العامة لاختيار أعضاء المجلس عن طريق الاقتراع العام السري في 1992/5/19م وأقر المجلس الفيدرالية بموجب القرار الصادر المرقم (22) في 1992/10/4م وتم تشكيل أول حكومة وزارية في الإقليم بتاريخ 1992/7/5م(١).

مراحل التاريخ الكوردي:

يمكن حصر التاريخ الكوردي ضمن ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تقع بين الفتح الإسلامي وخلفاء المغول القرن السادس إلى القرن الخامس عشر الميلادي.

المرحلة الثانية: تمتد من القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي حيث كانت تركيا والعجم تضمان إليهما قبائل الكورد من كل ناحية.

---

(1) الحزب الديمقراطي الكوردستاني: المكتب السياسي، مكتب الدراسات والبحوث المركزي، كوردستان نبذة تاريخية جغرافية، اقتصادية، ط1، منشورات مكتب الدراسات والبحوث المركزي، دراسة رقم (33)، 1998م، ص63، 67.

المرحلة الثالثة: وهي الأخيرة وتلك التي تسير نحو انتزاع الحقوق من الفرس والترك[1].

المرحلة الأولى من الفتح الإسلامي والمغول القرن السادس إلى القرن الخامس عشر الميلادي:

إن أمهات كتب التاريخ؛ أمثال الطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري، وفتوح البلدان للبلاذري، معجم البلدان للحموي وغيرها قد ذكرت كثيراً أدوار الكورد، السياسية والعسكرية والإدارية والعلمية ضمن سياق الحوادث في عصر الخلافة الراشدة والعهد الأموي والعباسي، ونستشهد على ذلك بما ورد في مواضيع كثيرة من كتاب الكامل المذكور[2].

لقد كانت كوردستان على امتداد فترة حكم الدولة الإسلامية في العهدين الأموي والعباسي ولعدة قرون بعدها، تدار وتحكم من قبل حكام وأمراء كورد على نمط حكومات وإمارات مستقلة وشبه مستقلة.

---

(1) باسيل نيكيتين: الأكراد، ص164. والمصدر: جليلي جليل: من تاريخ الإمارات الكوردية في الامبراطورية العثمانية، الأهالي للطباعة والنشر، ط1، 1987م، ص5. و ملف السياسة الدولية: المسألة الكوردية، الجذور والآفاق، ص89.

(2) ينظر إلى: ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979-1982، 13 جزء الأجزاء التالية:

ج1/ 98

ج2/ 4، 5، 543.

ج3/ 38، 42، 48، 82، 85، 99-100، 367-368.

ج4/ 227، 279، 345، 433-434، 467، 473، 482، 484، 461، 445، 472-475، 502.

ج5/ 354، 356، 370-371، 666-372، 585.

ج6/ 15-16، 506-507.

ج7/ 240، 294-295، 307، 323، 330، 331، 325، 359، 360، 372، 423، 454، 466، 470، 487، 488، 538، 540.

ج8/ 12، 129، 163، 177-178، 322، 334، 382-383، 405، 443، 444، 512، 593، 702.

ج9/ 116-121، 125-126، 131-132، 133، 134، 136، 142-143، 174، 189، 337-339، 353، 361، 373-374، 377-380، 387، 390، 397، 402، 410، 440، 403-444، 495، 496، 450، 572-573، 586-587، 596-598.

ثم تعرضت لعمليات غزو أجنبية ولفترات طويلة، وألحقت تلك الغزوات الضرر بالشعب الكوردي شأن منطقة الشرق الأدنى برمتها، وتعاقبت الهجمات من السلاجقة الأتراك عام 1051م، والمغوليين بقيادة الخان الكبير (مانكو) وأخيه (هولاكو) في عام 1231م والمغول الإيلخانيين ثم التتار تحت قيادة (تيمورلنك) في القرن الرابع عشر الميلادي.

لقد أسفرت هذه الغارات عن متاعب اقتصادية واجتماعية جمة للبلاد الكوردية واثقلت كاهلها، إلا أنها لم تثبط من عزائمهم بل دفعتهم لمقاومة قل نظيرها في تاريخ الحروب.

ظلت كوردستان من ديار الإسلام من ناحية التبعية الروحية والإسمية فحسب، أما من الناحية الإدارية والسياسية فكان يحكمها الأمراء الكورد حكماً مباشراً بدليل عدم تعيين الولاة عليها، لتصريف شؤونها باسم الخليفة، ولم تعقد البيعة للخليفة فيها عن طريق هؤلاء الولاة. علماً بأن هذه المراسيم تعتبر رمزاً لتبعية البلاد المفتوحة للحكم الإسلامي[1].

المرحلة الثانية: من (ق15-19م):

السياسة الصفوية تجاه الكورد:

في بداية القرن السادس عشر الميلادي (1502م) تكونت في أذربيجان إمارة باسم (الإمارة الصفوية) على يد الشاه إسماعيل الأول الصفوي[2]، الذي كان سنياً وشيخاً للدراويش الكورد في منطقته، ثم تشيع ونشأت هذه الدولة على أساس ديني، مذهبي متطرف، واستولت على مناطق شاسعة وأصبحت بعض أجزاء كوردستان تحت سيطرة الشاه.

كان يستعمل الإرهاب ضد مخالفيه في المذهب، وقتل أشياعه القزلباش كوكبة من العلماء لكونهم من أهل السنة.

---

[1] محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص155، عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص43. منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص170.

[2] إسماعيل الصفوي الأول، تولى السلطنة من سنة 1502-1524م وهو من أصل كوردي. محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص177. جمال نبز: المستضعفون الكورد وإخوانهم المسلمون: ص110، جريدة خةبات: الجمعة في 2000/7/7، العدد 983، ص12.

لم تكن كوردستان بمنجاة من هجماته ومحاولة الاستيلاء عليها، وإنه وإن لم يكن منتصراً في جميع المعارك ضد الإمارات الكوردية[1] إلا أنه استولى على بقاع منها وأخضعها لحكمه إما فعلياً أو بالولاء[2]، وذلك عام (1507م).

لقد كانت سياسة الشاه إسماعيل الصفوي تجاه الكورد تتميز بعدم الاعتماد على أمراء الكورد ولعل ذلك يعود إلى أسباب مذهبية[3] وعنصرية حيث كان يحث الكورد على تغيير مذهبهم السني، والقضاء على الحكومات الكوردية المحلية لإحلال السلطان الشيعي محل سلطات تلك القوى الكوردية.

وذلك بعكس السياسة العثمانية التي كانت تهدف إلى إرضاء الكورد واجتذابهم إليها بوضع قوانين وأنظمة إدارية تحقق طموحات الكورد نوعاً ما.

السياسة العثمانية والكورد:

من المعلوم أن الهجمات المغولية أدت إلى هجرة العشائر التركية إلى آسيا الصغرى وإلى بعض مناطق أذربيجان الكوردية، وقامت تلك القبائل ببسط نفوذها وتتريك مناطق كوردية شاسعة في أذربيجان، ثم أنشأت إحدى هذه القبائل التركية في نهاية القرن الثالث عشر (1299م) في أقصى الركن الشمالي الغربي من الأناضول وعلى حدود الدولة البيزنطية إمارة باسم (الإمارة العثمانية).

انتهز العثمانيون فرصة توتر العلاقات الكوردية مع الفرس وتأزم الأوضاع الأمنية والسياسية، فاستغلوا المشاعر الدينية الفياضة لدى الكورد الذين يتبوأ الإسلام في ضميرهم الدرجة الأولى ويعتبرونه فوق كل جنس وعصبية قومية.

وعلى أثر ذلك ندب السلطان سليم العثماني[4] الشيخ مولانا حكيم الدين ملا ادريس البدليسي[1] للتجوال في أصقاع كوردستان والاتصال بأمراء الكورد للعمل على إثارتهم ضد الشيعة والوقوف مع العثمانيين.

---

[1] شرفخان البدليسي: الشرفنامه: ص184-208.

[2] جمال نبز: المستضعفون الكورد وإخوانهم المسلمون، ص31.

[3] عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ط1، القاهرة، د.ت، ص28، 29.

[4] السلطان سليم العثماني (1512-1520) قاهر الصفويين في معركة جالديران (1514م) وفاتح مصر في (1517م) وحامل لقب الخليفة. ينظر إلى تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ص190، 192، 195.

لقد نجح البدليسي في مهمته، وثارت كوردستان من أقصاها إلى أقصاها ضد الفرس، وهجم الكورد والترك على الصفويين، وانتصر الكورد والعثمانيون عليهم في معركة (جالديران)[2]، (نسبة إلى القرية الكوردية التي وقعت فيها الواقعة) وذلك في 1514/8/23م وتكبد الصفويون خسائر جسيمة وسقطت عاصمتهم (تبريز) بيد الكورد والترك.

لقد استمر البدليسي في مساعيه الحميدة كمفاوض مقبول بين الطرفين وتمكن بفضل عبقريته الفذة إدخال جميع البلاد الكوردية في حكم العثمانيين مقابل قبول العثمانيين باستقلالية الحكومات والإمارات الكوردية.

وكلف البدليسي من قبل العثمانيين بتقنين القوانين ورسم لائحات التنظيم الإدارية الكفيلة بضمان الحقوق للأكراد، وتمت الموافقة من السلطان سليم العثماني 1512-1520م حيث أصدر فرماناً شاهانياً بذلك[3].

وأبرمت وثيقة العهود بعقد رابطة كوردية-تركية على شكل اتحادية تركية كوردية، وتم ذلك سنة 1514م، إلا أن العثمانيين نقضوا شروط هذه المعاهدة بعد خمسة عشر عاماً من التوقيع[4] عليها شيئاً فشيئاً حتى طوت صفحة آخر إمارة كوردية سنة 1266هـ-1850م.

تقسيم كوردستان بين الدولتين الصفوية والعثمانية:

لقد جرى تقسيم كوردستان والإمارات الكوردية مع ابتداء الصراع العثماني والصفوي في بداية القرن السادس عشر ولا سيما بعد معركة (جالديران) عام

---

(1) ملا ادريس حسام الدين علي البدليسي: شخصية كوردية معروفة بسعة الاطلاع والثقافة، عمل لدى سلاطين (آلان قونيلو)، دخل في خدمة السلطان بايزيد الثاني (1481-1512م) وشارك في معركة (جالديران) إلى جانب السلطان سليم الأول، ضد الشاه إسماعيل الصفوي. توفي في استانبول سنة (1520م)، ينظر إلى صديق الدملوجي: إمارة بهدينان الكوردية أو إمارة العمادية، تقديم عبد الفتاح علي البوتاني، مطبعة ئاراس، ط2، 1999م، أربيل، ص31.

(2) جالديران: لمزيد التفاصيل: ينظر إلى: لطفي باشا : تواريخ آل عثمان، طبعة عالي، استانبول سنة 1341هـ: ص206 وما بعدها . وكذا كتاب الشعب، دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها بالانكليزية والفرنسية والألمانية نخبة من العلماء، النسخة العربية، أعداد وتحرير زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي وآخرين، مج10، القاهرة، ص413-414.

(3) ينظر إلى نص الفرمان باللغة التركية وترجمته بالعربية في الملحق.

(4) شرف خان البدليسي: شرفنامه، ص436، 437. ومحمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص165، 171. وباسيل نيكيتين: الأكراد، ص169.

1514م، ومن الجدير بالذكر أن كوردستان كانت تسود فيها إمارات وأسر كوردية حاكمة بصورة مستقلة قبل استيلاء الشاه اسماعيل الصفوي (1501-1524م) مؤسس الدولة الصفوية في إيران على الحكم فيها، وقبل وصول العثمانيين إلى تخوم البلاد الكوردية ونتيجة معركة (جالديران) جرى في الواقع تقسيم كوردستان بين إيران والامبراطورية العثمانية، وخضع الجزء الأكبر لحكم العثمانيين، وأقر ذلك التقسيم في اتفاقية معاهدة (زهاب) في 8 مايو 1639م بين الشاه الفارسي عباس (صفي بهادر) والسلطان العثماني مراد الرابع[1].

المرحلة الثالثة: وهي الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي وما بعده:

مصير كوردستان فارس:

في الربع الأول من القرن التاسع عشر، قسم الجزء الواقع من كوردستان داخل الحدود الفارسية إلى قسمين، استحوذت روسيا القيصرية على الجزء الواقع في شمال غربي كوردستان، وذلك في أعقاب الحروب التي دارت بينها وبين الفرس. والقسم الآخر ظل تحت السلطان الفارسي.

إن الأحداث الحاسمة التي أرست دعائم الوضع الحالي في كوردستان إنما وقعت بعد الحرب العالمية الأولى، وهذه الأحداث هي التي أوجدت عقدة القضية الكوردية، وتعزى الأسباب إلى الوقائع التي حصلت بين الأعوام 1915-1925م[2]. وهناك أسباب أخرى منها:

ما كان من الداخل بسبب النزاعات العشائرية وممارسة الخيانة من بعضهم للبعض، وتدخل القوى الإقليمية المجاورة والقوى الدولية التي لها مصالح في المنطقة وذلك ما يدلل على أن الكورد كانوا دوماً ورقة سياسية استخدمتها كافة هذه القوى بأشكالها المختلفة[3].

---

(1) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج4، بغداد، 1949م، س236-237. وجابر إبراهيم الراوي: الحدود الدولية، ومشكلة الحدود العراقية الإيرانية، مطبعة دار السلام، بغداد، 1975م، ص286. وعبد الله محمد علي: كوردستان في عهد الدولة العثمانية من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدء الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة صلاح الدين، أربيل، 1419هـ، ص15.

(2) إسماعيل بيشنكجي: كوردستان مستعمرة دولية، ترجمة زهير عبد الملك، دار APEC للطباعة والنشر، روما، 1998م، ص45.

(3) ملف السياسة الدولية، ص80.

معاهدتا الأمل (سيفر) والألم (لوزان):

معاهدة سيفر Sevre[1]:

تعد معاهدة (سيفر) أول وثيقة رسمية دولية، تعترف قانوناً بالحقوق السياسية الكوردية في المعاهدات العالمية.

فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية، شرعت شعوب المنطقة تطالب الدول المنتصرة في الحرب بالاستقلال.

وكان الشعب الكوردي ممثلاً بالجنرال (شريف باشا السليماني) قد أوصل مطاليب الكورد إلى مؤتمر السلام العالمي في باريس عام 1920م، ومن خلال المذكرتين، الأولى في 22 مارس 1919م، والثانية في أول مارس 1920 ضمنها خريطة كوردستان وطلب الكورد في حقهم بالاستقلال.

وعقد الحلفاء بينهم مؤتمرات وكانت المسألة الكوردية إحدى القضايا المتداولة وتم موافقة المجلس على المذكرتين.

وفي 10 آب 1920م تم التوقيع على معاهدة (سيفر) وتوجت بما يسمى نظام (فرساي) من قبل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ودول أخرى من جهة وبين الدولة العثمانية من جهة أخرى.

وقد تضمنت المعاهدة في القسم الثالث البنود (62، 63، 64) الاعتراف بالحقوق السياسية الكوردية[2]، إلا أن هذه المعاهدة وبعد أقل من ثلاث سنوات على توقيعها لم تنفذ وذلك بعد انتصارات تركيا على اليونان في عام 1921م وتحرير الأناضول وتركيا عام 1922م[3].

---

(1) معاهدة سيفر: تحتوي على 13 باباً و433 بنداً، أعدتها خمس لجان تفرعت من مؤتمر باريس، وكان الهدف منها تمزيق الدولة التركية وتحويلها إلى شبه مستعمرة ومعالجة المسألة الكوردية والأرمنية. ينظر إلى: كمال مظهر أحمد: كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة محمد الملا عبد الكريم، مطبعة المجمع العلمي الكوردي، بغداد، 1977م، ص244-245.

(2) مسعود البارزاني والحركة التحررية الكوردية، ص10. وحسن الجلبي: نزوع الخصوصيات الاجتماعية إلى الاستقلال الذاتي ضمن الدولة الواحدة، مجلة متين، العدد 46، دهوك، 1995م، ص85.

(3) محمود الدرة: القضية الكوردية، 37.

معاهدة لوزان:

ثم عقد الحلفاء معاهدة (لوزان) في 24 تموز 1923م وتنكر الحلفاء لمعاهدة (سيفر) وتصلب الترك أزاء الكورد، ولم تتضمن المعاهدة أي إشارة إلى حقوق الكورد، ولم توفر لهم ضمانات كالتي أعطيت للأقليات غير المسلمة كاليهود والأرثوذكس، إلا أن معاهدة (سيفر) ستظل اعترافاً بحقوق الكورد، ودليلاً على خيانة الدول العظمى لهم في آن واحد[1].

بعض القادة ممن صنعوا التاريخ وضاع تاريخ أمتهم:

القادة التاريخيون هم صناع القرارات بعقلهم الثاقب الهندسي لبناء صرح حضاراتهم، والأيدي المهرة لإنشاء بنيانهم، ويرسمون الخرائط لمستقبل شعوبهم، ويفكرون بإمعان لترسيخ ثوابت حدودهم، ويؤسسون ترسانات الوقاية لضمان أمتهم، ويصنعون احتمال الفرضيات التي تجنب تلك الأمة من الانقراض، ويبذلون الجهود بغية تأمين تداول الإرث بين أصلابها، ويستميتون من أجل إدامة تسلسل نسلها، فأمثال هؤلاء القادة هم الأمناء لأممهم، والموفون بعهودهم في تحمل مسؤولياتهم الإنسانية والتاريخية وهذا ما نفهمه من القراءات الأولى من وثائق التاريخ، وسفر الأحداث وهو ما نشاهده على أرض الواقع اليوم.

فكل قائد عظيم لأمة عظيمة، قد أرسى هذه القواعد الثابتة لشعبه منذ فجر التاريخ، حتى أصبحت تلك الأسس هي شريعة العصر المعمول بها في الأعراف الدولية، وهي الشهود العدول التي تنطق في المحافل العالمية، وهي إثباتات لا ترد، تمثل القوة التي تفرض نفسها بدون منافس، إلا القادة الكورد الذين صنعوا التاريخ، وضاع تاريخ أمتهم، فلم يدر بخلدهم مستقبل شعوبهم، ولم يدونوا ذلك في قاموس مذكراتهم، ولم يقتدوا بمعاصريهم من قادة الشعوب الذين أشعلوا الحرب، وصالوا وجالوا لتبقى أممهم حية عبر الأزمان.

لقد كان بمقدور قادة الكورد أن يدشنوا على أرض الواقع وفي صفحات التاريخ، أعظم دول وكيانات بحيث لم تزحزحها عوادي الدهر، وتصمد صمود

---

[1] جوناثان راندل: أمة في شقاق، ص160. باسيل نيكيتين: الأكراد، ص185. وجريدة خبات: إقليم كوردستان في 2000/8/18م، العدد 989، ص17، والعدد 954 في 1999/12/10م، ص11. محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان: ص268.

الجبال لما تحمل أمتهم من مقومات البقاء وعناصر الثبات القومي.

إن قادة الكورد هؤلاء يتحملون المسؤولية التاريخية وقسطاً من الظلم الذي وقع على الكورد، وتسببوا في جعل الشعب الكوردي المسالم أسرى عند هذا الحاكم او ذاك، بفعل القوى التي قسمت أوطانهم إرباً إرباً، وأذاقتهم سوء العذاب، واغتصبت خيراتهم، ومنعتهم من شرب المياه التي تتدفق من أراضيهم وهم عطشى، ومن التمتع بأبحر نفوطهم، وهم يئنون من وطأة الفقر، واستولت على مزارعهم وهم جوعى. لم تشفع لهم الروابط الدينية والتاريخية لدى الشعوب الإسلامية المحتلة لهم بما قدم الكورد من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين في المجالات السياسية والعسكرية والعلمية، وتناسى إخوانهم بأن الكورد قد دفعوا ثمن ما فعله صلاح الدين الأيوبي بالصليبيين وثأروا منهم بالتقسيم.

إن القادة الكورد الذين لم يعالجوا القضية الكوردية وأبقوا عليها معلقة هم:

1- عبدالرحمن بن مسلم الملقب (أبو مسلم الخراساني) والذي اسمه الحقيقي (بهزادان) (ت137هـ- 755م):

ينسبه البعض إلى اصل فارسي، ومثل هذا التحريف على التاريخ الكوردي عادة شائعة لدى كثير من المؤرخين الترك والفرس وغيرهم، والهدف من هذا التزييف هو إنكار وجود قوم باسم (الكورد) او سلخ كل مجد من الكورد، وليس هذا غريباً في التعامل مع الشعوب المستضعفة، التي يكتب تاريخها القوى المستكبرة المهيمنة على رقابها.

لقد نتجت غلطة نسبة (أبو مسلم الخراساني) إلى الفرس عن عدم التحقيق والبحث، والصحيح أنه كوردي الأصل، يدل على ذلك ما جاء في أبيات الشاعر العربي (أبو دلامة) المتوفى حوالي سنة (780هـ-1378م) إذ يلعن فيها أبا مسلم الخراساني ويسميه أبا مجرم، ويشتمه وآباءه الكورد فيقول:

أبا مجرم ما غير الله نعمة　　على عبده حتى يغيرها العبد

أفي دولة المنصور حاولت غدره　　ألا إن أهل الغدر آباؤك الكورد[1]

---

[1] ينظر إلى: كمال الدين الدميري: حياة الحيوان الكبرى، باب الهمزة (الأسد) ج1، مصر، 1321هـ، ص7. وابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، مج4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م، ص335. ومحمد أمين زكي، مشاهير الكورد وكوردستان في العهد الإسلامي، تعريب الآنسة كريمته، مطبعة دار السعادة، مصر، 1366هـ-1947م، ص31. ومحمد أمين زكي: تاريخ

لقد كان القائد الكوردي مؤسس دولة آل عباس، توجه بجيش مكون من الكورد والفرس إلى بغداد، بعد أن هزم جيش الأمويين في منطقة (الزاب الكبير) بجنوب كوردستان، وأسقط العائلة الأموية، وسلم مقاليد الأمور إلى عائلة بني العباس العربية بتواضع وإيثار، يتجسد فيها كل معاني البذل ونكران الذات.

لنقرأ كتاب (إبراهيم الإمام) العباسي الموجه إلى أبي مسلم الخراساني يطلب منه في هذا الخطاب أن يبيد العرب في خراسان وكتبه بالحرف الواحد: (.. إن استطعت ألا تدع بخراسان أحداً يتكلم بالعربية إلا قتلته فافعل)[1] ولكن الخراساني استمسك بسماحته وأصر على نبله، فلم يعمل على إذلال العرب وهو في موقع السلطة وقائد النصر، بل عاملهم بالحسنى، إلا أن أبا جعفر المنصور (عبد الله بن محمد) الخليفة العباسي (136-158هـ-754-775م) لما تربع على دست الحكم بفضل أبي مسلم وتضحيات الكورد والفرس، كافأه بالعزل والقتل.

لم يؤد أبو مسلم حينما كان في عز القدرة الواجب الإنساني والقومي تجاه الكورد ويقال له (في الصيف ضيعت اللبن).

2- الزعيم الكوردي كريم خان الزندي[٢] (1113-1193هـ/1701-1779م):

بعد مقتل نادر شاه ملك إيران (1688-1747م) وهو في طريقه للزحف على

السليمانية وأنحائها، تعريب وتعليق محمد جميل بندي الروزبياني، طبع شركة النشر والطباعة العراقية، بغداد، 1370هـ-1951م، صفحة المقدمة.

وجمعية علماء كوردستان، سلسلة تاريخ الكورد (1): صفحات مشرقة من تاريخ الكورد، تقديم مصطفى مسلم، ط1، مؤسسة الجريشي للتوزيع، الرياض، 1412هـ، ص24.

(1) ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، ط2، مج4، ص37، جمال نبز: المستضعفون الكورد وإخوانهم المسلمون، ص16-17.

(2) كريم خان الزند: تعتبر أسرة الزند الكوردية العريقة من فروع عشيرة (اللك) إحدى أشهر الأسر الحاكمة التي عرفتها إيران والتي دامت حكمها أكثر من اربعة عقود، من عام 1752 ولغاية 1794م برزت هذه الأسرة وتألفت في عهد مؤسس أمجادها كريم خان بن إيناك الزند (1701-1779م) والذي استطاع بحنكة وشجاعة الوصول إلى كرسي الحكم ولم يكتف بالمكاسب التي حققها على صعيد بلاده إيران، بل سعى أيضاً لضم بعض مناطق نفوذ العثمانيين إلى حدود مملكته، فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة شقيقه صادق خان إلى جنوب العراق وتمكن من احتلال البصرة عام 1776م. ينظر إلى: محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص230-231. والمعلومات المتوفرة عن طارق حسين الزند وهو من أحفاد إبراهيم خان بن كريم الزند نقلاً من جريدة خةبات، العدد (1003)، في 24/11/2000م، ص11.

كورد خراسان للتنكيل بهم، اضطربت الأمور في البلاد الإيرانية، وظهر نشاط الكورد في هذا الأثناء، وتأسست الحكومة الزندية الكوردية.

لقد كان كريم خان مصلحاً اجتماعياً، بسط لواء العدل على أرجاء مملكته وعاشت البلاد في بحبوحة من الاستقرار في ظل حكمه وهو أول من لقبه الشعب بلقب (الوكيل) حيث لم يشأ أن يحمل لقب (الشاه) وفي عهده ازدهرت الثقافة وتقدمت العلوم، وبعد وفاته حكم أسرته سنوات لحين أفول نجمها وانتهاء سلطتها عقب القضاء على لطفي خان آخر حكام الزند من قبل خصومهم القاجاريين عام 1794م.

يقال هنا بان الفرصة كانت مواتية لهذا الشاه الكوردي أن يؤسس كياناً كوردياً وينقذهم من العواصف السياسية والحربية التي تأتي على الكورد بكرة وعشياً، ولكن هذا الزعيم الكوردي لم يشذ عن بني قومه الذين يضحون بأرواحهم من أجل أن يعيش الآخرون ولم يفعل شيئاً[1].

3- القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي (532- 589هـ/1138- 1193م).

هو من أكابر قادة المسلمين، مؤسس الدولة الأيوبية في مصر والشام وليبيا والحجاز واليمن وكوردستان، قاهر الصليبيين ومحرر بيت المقدس، أنقذ الإسلام والمسلمين من المحنة الكبرى، أقام العدل في الأرض، وحكم في الناس بالقرآن، وأنشأ المدارس وقنوات الري، وعمر البلاد، فكان من الله رحمة مهداة لم يفرض صلاح الدين الأيوبي ذاتيته الكوردية على الشعوب المأمورة بأمره بل عامل الجميع بمنتهى العدل وغاية المساواة.

لقد كان هذا الملك قادراً على جعل كوردستان عاصمة للدولة الإسلامية وكان في مستطاعه أن يؤسس كياناً كوردياً لبني جلدته بحيث ينقذهم من التشتت والويلات، والتنكيل والتقسيم، ولم يفكر في مصير أمته الكوردية التي استضعفهم من بعده إخوانهم العرب والترك والفرس، وضربوا عرض الحائط مآثر صلاح الدين وشعبه الكوردي.

---

[1] محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص217، وعبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص45. وشاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص23.

ومع هذا كله فأرى بان هذا البطل المسلم كان صائباً في سياسته، حيث كان يعمل من أجل إعلاء كلمة الله، ولم يكن عصره قد نبتت فيه بعد البذرة القومية، فلله دره، وبارك فيه يوم مولده، ويوم محياه، ويوم مبعثه[1].

4- **محمد علي باشا الكبير** (1183- 1266هـ/1769- 1849م):

تقول الكاتبة والصحفية الكوردية المصرية درية عوني: (حسب مقابلة مع ولي العهد الأمير محمد علي، كان قد أجراها عباس محمود العقاد في مجلة المصور في سبتمبر عام 1947م، قال فيها: (إن الأسرة المالكة وعلى رأسها محمد علي الكبير، مؤسس مصر الحديث، كانت من أصل كوردي، ولد في قرية (قولة) ولكن أسرته من ديار بكر) كما يذكر عباس محمود العقاد إن أجداد محمد علي باشا والي مصر، هم أكراد وأن الكورد يكفيهم شرف إنجابهم فيما بعد البطلين الخالدين، صلاح الدين الأيوبي، ومحمد علي باشا الكبير للعالم الإسلامي[2]. ومن المعلوم أنه جد السيدة (أمينة خانم) عقيلة شريف باشا الكوردي (1865-1898م).

عين محمد علي والياً على مصر (1805-1849م) وانتصر على الجيوش البريطانية عام (1808م) وقضى على المماليك، ووجه حملة إلى الجزيرة العربية عام (1811-1819م) وفتح السودان، بلغ إلى الأناضول ولم يوقفه إلا التدخل الأوربي، عمل على النهوض بالبلاد علمياً وزراعياً.

ومما يؤخذ على هذا الحاكم، عدم إبراز لفتة سياسية نحو بني قومه، وهناك الكثير من الكورد تبوأوا الصدارة على الصعيد الإداري والعسكري والسياسي في بلدان الشرق الأوسط، وأنستهم المناصب المشاعر والانتماءات الكوردية، بل ويشاركون بالقرارات والأفعال المؤثرة في محاولة لقهرهم وصهرهم.

---

[1] فهمي الشناوي: الأكراد يتامى المسلمين، ص74. جمال نبز: الأكراد وإخوانهم المسلمون، ص27.

[2] عمر بوتاني: الحوار، وقائع ووثائق مؤتمر الحوار العربي الكوري، تقديم سعد الدين إبراهيم، القاهرة، مايو 1998م، ط1، د.مط، 1999م، ص49، وتذكر الصفحة نفسها عقب الرواية المذكورة، عبارة بين قوسين (العقاد كتب أن أمه كوردية) ولعل العقاد دون معلومته قبل أن يجري المقابلة مع الأمير محمد علي. وينظر: روهات آلاكوم: شريف باشا، سنوات عاصفة لدبلوماسي كوردي، ترجمة شكور مصطفى، ص5، 24، 28، 29.

الفصل الثاني

الخلافة العثمانية، مراجعة تاريخية

تكوين الخلافة العثمانية وفترة حكمها:

بما أن الأتراك أمة ملأت الأسفار أخبارهم منذ القدم وأشغلت حيزاً شاسعاً من جغرافية الكرة الأرضية، فأرى لزاماً علي أن أمهد بالتطرق إلى أصلهم ومنشئهم وأقوم بسرد بقية فقرات الموضوع.

الأتراك القدامى:

الأتراك عرق أبيض عريض الجمجمة، يطلق عليهم لفظ (طوراني) (بالفرنسية (Touranlen) ينحدرون من فرع آلتاي (Altay) التابع لمجموعة أعراق أورال-آلتاي Ural-Altay.

كان الأتراك القدامى يدينون بدين (كوك تنرى Goktenri) وهذه الديانة، لا نبي لها، ولا ترتكز على كتاب مقدس وليست لها طقوس منظمة، وتدعي لها معبوداً واحداً، وهو رب الأتراك فقط، وليس رباً للعالمين كإله المسلمين.

إن النظام الأساس في المجتمع التركي القديم يستند على النظام العسكري بسبب معاركهم منذ فجر التاريخ مع الصينين من أجل الحياة أو الموت.

تعلم الأتراك تطويع المعادن وصناعة الأسلحة وترويض الخيول والأغنام ولم يكونوا يميلون إلى الاستقرار ويسرهم التنقل والارتحال[1].

وكانوا يعتبرون قبل اعتناقهم الإسلام أن الامبراطور التركي المسمى (خاقان) شبيه بالإله.

موطنهم:

إن موطن الترك ومنشأهم محل نقاش بين المؤرخين ولكن أغلب الظن أن وطنهم هو المثلث الكبير الذي يقع بين بحيرة آرال وبين جبال آلتاي، ولكنهم في الأزمنة المبكرة انتشروا وتقدموا نحو الشمال الشرقي، واستوطنوا شمال الصين[2].

وكانت المنطقة الرئيسية للدولة التركية البدوية في القرن الثالث قبل الميلاد

---

[1] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، مراجعة محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ط1، استانبول، 1408هـ-1988م، ص17-18.

[2] يلماز اوزتونا: تاريخ الدول العثمانية، ص21.

هي شمال المنطقة الوسطى لدولة منغولستان الحالية.

لقد أسس الأتراك امبراطوريات في تركستان وفي الهند وفي أوربا الشرقية قبل الإسلام ولكنهم عجزوا عن مثلها في تركيا وإيران والهند ومصر إلا بعد الإسلام.

وبموت تيمور أغلو شاه رخ في عام (1447م) ينتقل مركز ثقل التاريخ التركي من الشرق (تركستان) إلى الغرب (تركيه) وهي الدولة العثمانية إذ تعاقب في الجلوس على عرش الخاقانية في الدولة التركية الأساسية (182) خاقاناً = ملكاً تركياً، وهم ينقسمون إلى (11) سلالة حاكمة تنحدر من سلالة تدعى (آجينا أو مته Emete).

كان الخاقانات حتى سنة (924م) يدينون بدين (كوك تنري) اما الذين أتوا بعد هذا التاريخ فهم مسلمون سنيون حنفيون كما وردت كلمة (ترك) اسم محرف من كلمة (Tukiu توكيو) التي ظهرت في مدونة صينية، وهي اسم القبائل التي سكنت في منطقة هضبات ستبس (Steppec) ما بين حدود الصين إلى البحر الأسود حيث شكلت امبراطورية عاشت فترة قصيرة، وتوفي مؤسس هذه الدولة عام (552م) ويعرفه أهل الصين باسم (تومين) وورد في النقوش التركية باسم (يومين)[1].

اعتناق الأتراك الإسلام:

تتفق روايات التاريخ على دخول الترك في الإسلام منذ أمد بعيد ولكنها تختلف في السنة التي اعتنقوا فيها الإسلام.

تذهب إحداها إلى أنهم رضوا بالإسلام ديناً في القرن الرابع الهجري الموافق للعاشر الميلادي[2].

وتقول رواية أخرى اجتاز الأمير الأموي قتيبة بن مسلم نهر جيحون ودخل تركستان وفتح بخارى في سنة (709م) وأصبح الأتراك وجهاً لوجه أمام الإسلام

---

(1) ينظر إلى: كتاب الشعب: دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها بالانكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم، ويشرف على تحريرها الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، النسخة العربية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي وأحمد الشناوي وآخرون، مج2، د .مط، د .ت، القاهرة، ص56، 57.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، إصدار أئمة المستشرقين، مج2، ص71.

في معركة شديدة، وبعدئذ أصبح الأمير العباسي زياد بن صالح في مواجهة عسكرية مع الجيش الصيني في تالاس Talas عام (751هـ-1349م) وعندئذ انضم الجيش التركي إلى صفوف الجيش الإسلامي والوقوف ضد عدوه التقليدي الصين، وبذا تمكنوا من هزيمة الصينيين، وبدأ انتشار الإسلام في تلك الأمصار.

ثم أعلن الخاقان الأكبر (قره خانلي) الذي سمى نفسه (عبد الكريم) واعتلى العرش في (924هـ-1517م): أن الدين الإسلامي (السني-الحنفي، والمذهب الماتريدي، هو الدين الرسمي الوحيد للخاقانية والسلالة التركية.

وكان هذا الحادث نقطة التحول، ليس في التاريخ الإسلامي فحسب بل في التاريخ العالمي من حيث الآثار والتطورات المستقبلية[1].

وتابع الأتراك المسلمون نشر الإسلام بين الأتراك الآخرين، وتأثروا بالحضارة الإسلامية.

وتفيد الروايات بأن العثمانيين اعتنقوا الإسلام في وقت مبكر حيث اعتنق الأمير عثمان الإسلام وتبعه الأتراك العثمانيون، وكانوا قبل ذلك وثنيين حتى وفدوا إلى الأناضول[2].

وتبدو هذه الرواية واهية إذا ما علمنا أن الإسلام قد انتشر في الأصقاع التي هاجروا منها.

فتح الأتراك للأناضول:

كانت بعض الأقوام التركية قد غزت الأناضول قبل الإسلام، كما جاب الجنود الأتراك في عهد الخليفة العباسي (المعتصم) بخيولهم سفوح جبال (طوروس) وسواحل الفرات ردحاً من الزمن وظهرت أهمية الترك وحكموا الدولة العباسية وأسسوا حكومات وراثية في بعض الأقاليم من تلك الدولة في القرن التاسع الهجري، ثم أصبح الأتراك يمثلون غالبية الحكام في الدولة العباسية في القرن الحادي عشر الميلادي.

---

(1) الطبري: تاريخ الطبري، ج3، ص249، ود. علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية. د.ت، ص7. يلماز أوزنونا: تاريخ الدولة العثمانية، ص46.

(2) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، القاهرة، ص36. واحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني: ط1، دار الشروق، 1402هـ-1982م، بيروت، ص31.

لقد كانت الأناضول في هذه الفترة من جملة الأراضي البيزنطية (روما الشرقية) وتمكن الجيش الإسلامي، من فتح جنوب شرقي الأناضول فقط ونادوا في سكانها باعتناق الإسلام، ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء على البيزنط.

وشرع المسلمون بمهمة الجهاد ضد البيزنط والدفاع عن الحدود الإسلامية في الأناضول بعد أن أصاب الوهن الدولة العباسية العالمية العظمى وفقد الخليفة لسلطانه في بغداد[1].

وتؤكد الوقائع التاريخية أن أول من فكر في فتح الأناضول هم السلاجقة[2] وهم من أشهر القبائل التركية من طائفة (الأوغوز)، هم السلاجقة الذين هاجروا من تركستان إلى المنقطة المعروفة باسم ما وراء (نهر جيحون) في القرن العاشر، وجدّ هذه العائلة يسمى (دقاق) وقد استقر في جوار (بخارى) حيث اعتنقوا الإسلام وخدموا في جيوش إسلامية كثيرة، ثم شكلوا قوتهم الخاصة بهم واستطاعوا أن يفتحوا مناطق واسعة ويمدوا نفوذهم نحو الغرب بقيادة (طغرل بك)[3] وتابع السلاجقة توسعهم إلى أن سيطروا على سورية وفلسطين، كما امتدت موجة أخرى نحو الأناضول بقيادة أرطغرل بك نفسه في عام (1054م) واستولى على قلعة بايبرت Bayburt[4].

لقد قام السلاجقة بترتيب غزوات على الأناضول في كل سنة، حتى تمكن

---

(1) برنارد لويس: استانبول، ترجمة سيد رضوان علي، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي، 1973م، ص21، 24.

(2) السلجوقيون: أمراء تركمانيون، جدهم سلجوق، كان منهم عدة فروع أهمها: (1) السلاجقة الكبار (الفرس) (1037-1175م) أنشأهم طغرل بك، وجغري بك، حفيد سلجوق، اشتهر منهم ألب أرسلان، وملكشاه، وركياروق، (2) سلاجقة كرمان (1041-1118هـ) أسسهم قره أرسلان. (3) سلاجقة سوريا (1094-1117) أسسهم تتش بن أرسلان. (4) سلاجقة العراق وكردستان (1117-1194) أسسهم مغيث الدين محمود، (5) سلاجقة الروم في آسيا الصغرى (1177-1300) ومن هذه الفروع برزت عدة سلالات صغيرة اسسها الأتابكة.

ينظر: المنجد في الأعلام، دار المشرق، ط22، د.ت، بيروت، ص360، 361.

(3) طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق (ت 1063): قائد سلجوقي مؤسس السلالة السلجوقية قضى على البويهيين، ودخل بغداد (1055م) فخلع عليه الخليفة القائم العباسي لقب السلطان وملك الشرق والغرب، قهر البساسيري الذي احتل بغداد وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر، وأعاد الخليفة العباسي (1060م). ينظر إلى: منجد الأعلام، ص436.

(4) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ص66.

السلطان السلجوقي (ألب أرسلان) من هزيمة الامبراطور البيزنطي رومانوس السادس ديوجنيس Romanos Diogens في معركة (ملاذكرد) سنة (1071م) في أرمينيا[1] [كوردستان تركيا الحالية] وبذلك تمكن السلاجقة هذه المرة بعد أن أخفق المسلمون السابقون من أن يزيحوا حدود المسيحية اليونانية إلى غرب الأناضول ويضموا هذه المنطقة الجديدة إلى بلاد المسلمين.

وتعد واقعة (ملاذكرد) إحدى الحوادث الأم في التاريخ التي أسفر عنها تحول الأناضول إلى أراضٍ إسلامية، ويمكن النظر إليها على أنها كانت الحادثة التي هيأت الأسباب لولادة الدولة العثمانية[2].

وبعد هذه الحادثة أطلق الصليبيون سنة (1190م) على تلك المنطقة اسم (تركيا) لأول مرة في آسيا الصغرى[3].

لقد خدم السلاجقة العالم الإسلامي ووقفوا زمناً طويلاً في وجه الحملات الصليبية وقد دافعوا عن العالم الإسلامي ضد غارات المغول وأعادوا المذهب السني إلى الخلافة العباسية بعد أن قضوا على الدولة البويهية الشيعية في بغداد وظلت دولة السلاجقة موحدة في بادئ الأمر، ثم أصابها التفكك والانحطاط بعد سلاطينها الكبار وكانت دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى التي اتخذت قونية[4] عاصمة لها، من أهم الدول التي أدت دوراً كبيراً في الصراع ضد

---

(1) عماد الدين الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح الأصفهاني دار الآفاق الجديدة، ط2، 1978م، بيروت، ص26،27،37،44.

(2) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ص67.

(3) آسيا الصغرى Asiemineure: شبه جزيرة بأقصى غرب آسيا، وتسمى أيضاً بالأناضول يحدها البحر الأسود شمالاً، والبحر المتوسط جنوباً وبحر إيجه غرباً ويتصل ببحر ايجه بحر مرمرة، ومضيقها البوسفور والدردنيل، وبقرب الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، تمتد جبال طورورس، وكانت آسيا الصغرى ملتقى الحضارتين الشرقية والغربية في العصور القديمة. استولى عليها الأتراك العثمانيون فيما بين القرنين 13، 15 ودخلت بعد ذلك ضمن الامبراطورية العثمانية. ينظر إلى: بطرس البستاني، دائرة المعارف المجلد الأول، ص103. ولجنة من الخبراء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص163.

(4) قونية: من أعظم مدن الإسلام بالروم، وبها قبر الامبراطور الحكيم بالكنيسة التي في جنب الجامع. ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج4، ص415.

البيزنطيين ومثلت إحدى سلطنات الثغور[1].

نشأة الدولة العثمانية:

أولاً: اصل الأتراك العثمانيين:

اختلف المؤرخون في أصول العثمانيين، وتباينت آراؤهم في تاريخ دخولهم إلى الأناضول، وذهبوا مذاهب متعددة في معرفة الأسباب التي ساقتهم للهجرة من آسيا الوسطى والتوجه صوب الغرب، وعلى الرغم من أن المؤرخين استقوا الروايات من الحوليات العثمانية القديمة فإنهم في شجار عميق حول قيمتها التاريخية، وخاصة إذا علمنا بان التاريخ العثماني لم يكن مكتوباً في بدايته وإنما دون بعد فتح القسطنطينية عام 858هـ-1453م[2].

ويمكن تلخيص هذه الآراء في السياق الآتي:

1- ينتمي العثمانيون إلى عشيرة (قايي)[3] وهي من عشائر (بوزأوق) الغزية أو الأغوز التي هاجرت من آسيا الوسطى إلى إيران في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وتوطنوا بعدئذ في خلاط[4]، وعندما زحف المغول تركوا خلاط سنة (1221م) ثم واصلوا المسير حتى استقروا في الأناضول.

2- وللمؤرخ كلود كاهن Claude Cahen نظرية يجعل فيها الأتراك القدماء أصلاً لكثير من الشعوب؛ منها الترك والفلنديون والمجر والسلاف والبلغار، وإنهم يتصلون بالأقوام الهندوأوربية، وكان أجداد الترك هم الأوغوز أجداد العثمانيين.

3- يؤكد عدد من المؤرخين الأتراك أمثال سعد الدين، والبياتي، وفؤاد

---

(1) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1981م، ص12، 13.

(2) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص15.

(3) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، معهد الدراسات العربية العالمية جامعة الدول العربية، د. مط، 1957م، ص11. و دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين، إعداد: إبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، ص62.

(4) خلاط: البلدة العامرة في الإقليم الخامس، وهي من فتوح عياض بن غنم، سار من الجزيرة إليها فصالحه بطريقها على الجزية، وهي قصبة أرمنية الوسطى. ينظر إلى: معجم البلدان، مج2، ص380.

كوبريلي أن (قايى) الذي ينتسب إليه العثمانيون هو ابن (أوغوز) لا حفيده[1].

ثانياً: تأسيس الدولة العثمانية:

مر الإسلام خلال قرنين كاملين من الحملة الصليبية الأولى إلى القدس حتى ظهور الدولة العثمانية بأدق مرحلة في تاريخه كله، فقد تدفقت عمليات الغزو من أطرافه الثلاث: وتمثلت بالحملات الصليبية من الشمال، ومن الشرق، بالغزو التتري المغولي ومن الغرب عن طريق الأندلس بغزو الفرنجة والأسبان، وكانت اوروبا هي التي تقذف العالم الإسلامي بالقوى الغازية عن طريق آسيا الصغرى غير أن العالم الإسلامي واجه الموقف بالمقاومة والوحدة، واستطاع أن يمزق القوى الصليبية وأن يصهر القوى التترية المغولية في بوتقته فيحولها إلى الإسلام، وفي الغرب قاوم المسلمون قوى البغي ولم يستسلموا لها، وكان هدف حملات الغزو القضاء على الإسلام.

ومن هنا كان لابد لتاريخ الإسلام أن يستقبل موجة من موجات القوة وقد تمثلت هذه القوة في الدولة العثمانية الشابة التي حملت راية الإسلام بعد أن ضعفت السلاجقة والبربر والمماليك، بعد أن أدوا أدوارهم وفي خضم هذه الأحداث الرهيبة، كانت يد القدر تنبت البذرة الأولى للدولة العثمانية الوليدة[2].

البذرة الأولى لتكوين الدولة العثمانية:

أمام غزوات المغول وحينما اكتسح جنكيزخان[3] أراضي دولة خوارزم شاه[4] سنة 617هـ-1220م، هاجر سليمان شاه بن قيا ألب[5] مع قبيلته، وكان موطن

---

(1) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص16، 17.

(2) علي حسون: الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، ط3، 1403هـ-1983م، بيروت، ص14.

(3) جنكيزخان بن يشوكي (1167-1227): منشئ الامبراطورية المغولية التي انتشرت في العالم أجمع. ولد في إقليم (دولون) ببلاد الروس، كان اسمه الأصلي (تيموجين) هز بفتوحاته أركان العالم فيما بين الصين والبحر الأسود. منجد الأعلام: ص219.

(4) تقع بلاد خوارزم اليوم تحت الاحتلال الروسي، قرب بحيرة خوارزم، وهي ما تعرف اليوم باسم بحر آرال.

(5) إن اسم والد (أرطغرل بك) هو كندز ألب. ويبدو أن الروايات التي تقول بأن هذا الاسم هو (سليمان شاه) ضعيفة. ينظر إلى: يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ص84.

قبيلته بالقرب من مرو، قاعدة بلاد التركمان، فيمم نحو الغرب حتى وصل أخلاط (622هـ-1224م) على بحيرة (فان) Vine، واستقر هناك وحينما هدأت موجة المد المغولي، رغب سليمان شاه في العودة إلى وطنه واتخذ طريقه إلى دياربكر، فالرقة، وأراد العبور من نهر الفرات فهوى فيه وغرق عام (629هـ-1231م) ودفن هناك قرب قلعة جعبر، حيث ما زال قبره معروفاً باسم (تورك مزاري)[1]، وكان ذلك في عهد السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الأول.

اختلف من بعده أنجاله الأربعة في الطريق التي يجب السير فيها، أما ابنه الكبير (سنقور تكن) فأراد تحقيق أمنية والده، ورجع مع أخيه (كون طوغري) إلى موطنهم الأول، وتولى قيادة القبيلة من بعد موت والده، وأما أخواه الآخران وهما (أرطغرل) و(دندان) فقد عادا في طريقهما واتجها صوب الشمال حيث وجدا مرعى للمواشي واستقراراً في العيش، وكان في معيتهما (أربعمائة أسرة تركمانية[2]، تولى أرطغرل قيادة القبيلة الذين بقوا في الأناضول وأخذ يتجول في تلك الربوع، وصادف ان شاهد جيشين يتقاتلان، فوقف (أرطغرل بن سليمان شاه)[3] التركماني على ربوة يمتع نظره بهذا المشهد المألوف لدى الرحل من القبائل المحاربة، ولما آنس التقهقر في أحد الجيشين، تحركت فيه النخوة القتالية، ودخل هو وفرسانه في ميدان المعركة لنجدة أضعف الجيشين، وهاجم الجيش الثاني[4] بقوة حتى أدخل الرهبة في قلوب الذين على وشك النصر، فتمكن من إلحاق الهزيمة النكراء بهم وكان ذلك في أواخر القرن السابع الهجري.

وبعد تمام النصر أدرك (أرطغرل) بان الله قد قيضه لنجدة الأمير علاء الدين

---

(1) من المعلوم ان الفرنسيين قد وافقوا على ترك الموقع المسمى (تورك مزارى) أي (القبر التوركي) قرب قلعة جعبر = جابر للأتراك في معاهدة لوزان، 1921-1923 على الرغم من أنه يقع داخل الأراضي السورية كما سمح الفرنسيون للأتراك بحق رفع العلم التركي على هذا الموقع وحراسته بجنود الأتراك. ينظر إلى: يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مج1، ص85.

(2) ينظر إلى: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ص59.

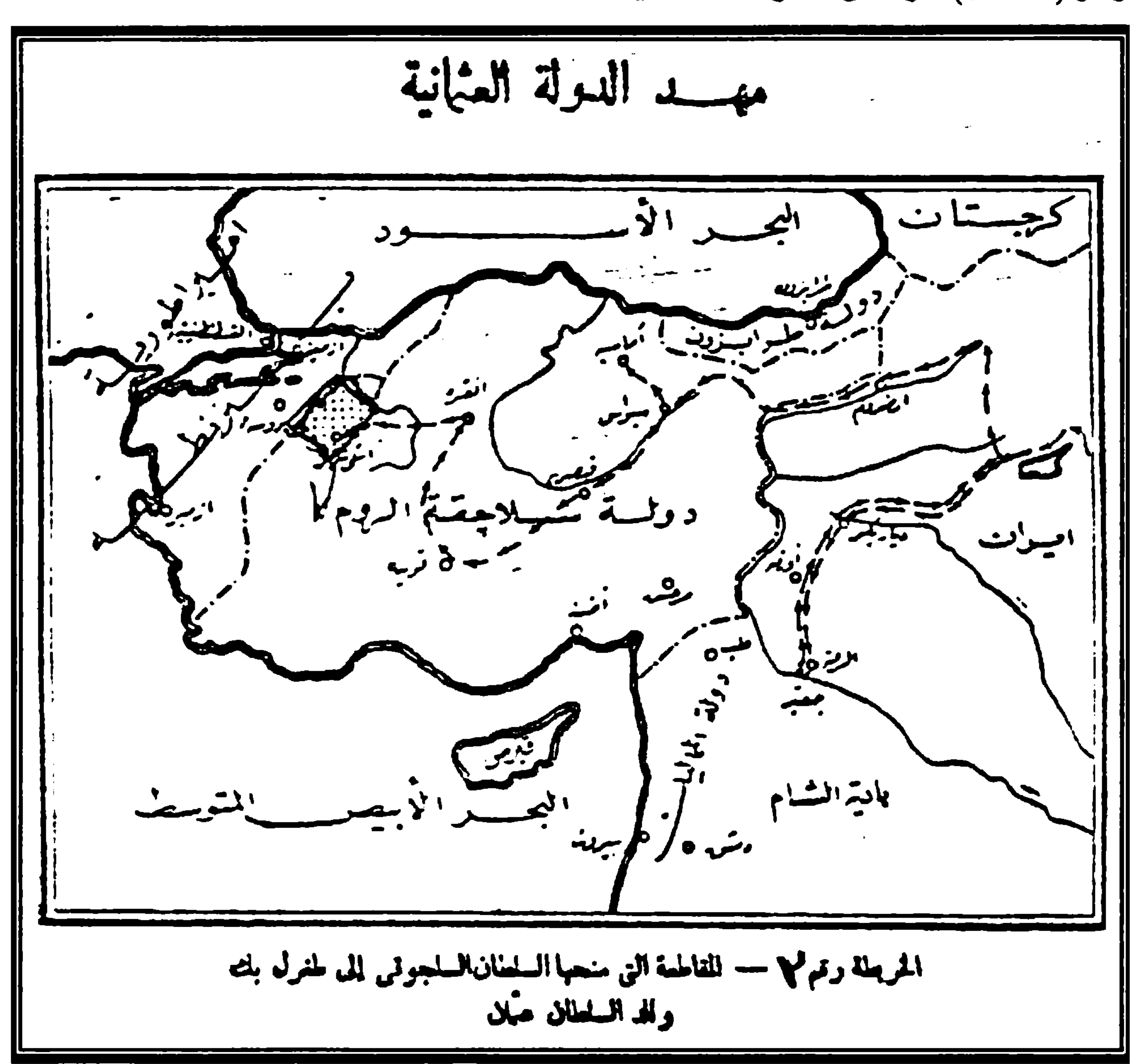
(3) شاه: معناه ملك ولكنه إذا أتى عقب الاسم فإنه يعني (السيد) كما أن مسلمي الهند وباكستان يطلقونه على أولاد فاطمة الزهراء للتعظيم. ينظر إلى محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية: ص115، الهامش.

(4) تروي بعض القصص أن الجيش الثاني هو جيش هولاكو المغولي أو كان الجيش البيزنطي. ينظر إلى علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ص17.

سلطان قونية إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انهيار دولة آل سلجوق بموت السلطان (ملك شاه) سنة (485هـ-1092م)[1].

فكافأه علاء الدين على مناصرته له في ساعة العسرة، وأقطع له عدة أقاليم وصار المعتمد عليه وعلى رجاله في حروبه مع جيرانه، وكان عقب كل انتصار يقطعه أراضي جديدة، ثم لقب قبيلته بمقدمة السلطان ليكون له عوناً في مدافعة غارات البيزنطيين[2].

ولما توفي أرطغرل سنة 687هـ-1288م عين الملك علاء الدين أكبر أولاده مكانه وهو (عثمان) مؤسس الدولة العثمانية[3].



الخريطة رقم ٢ — المقاطعة التي منحها السلطان السلجوقي إلى طغرل بك والد السلطان عثمان

---

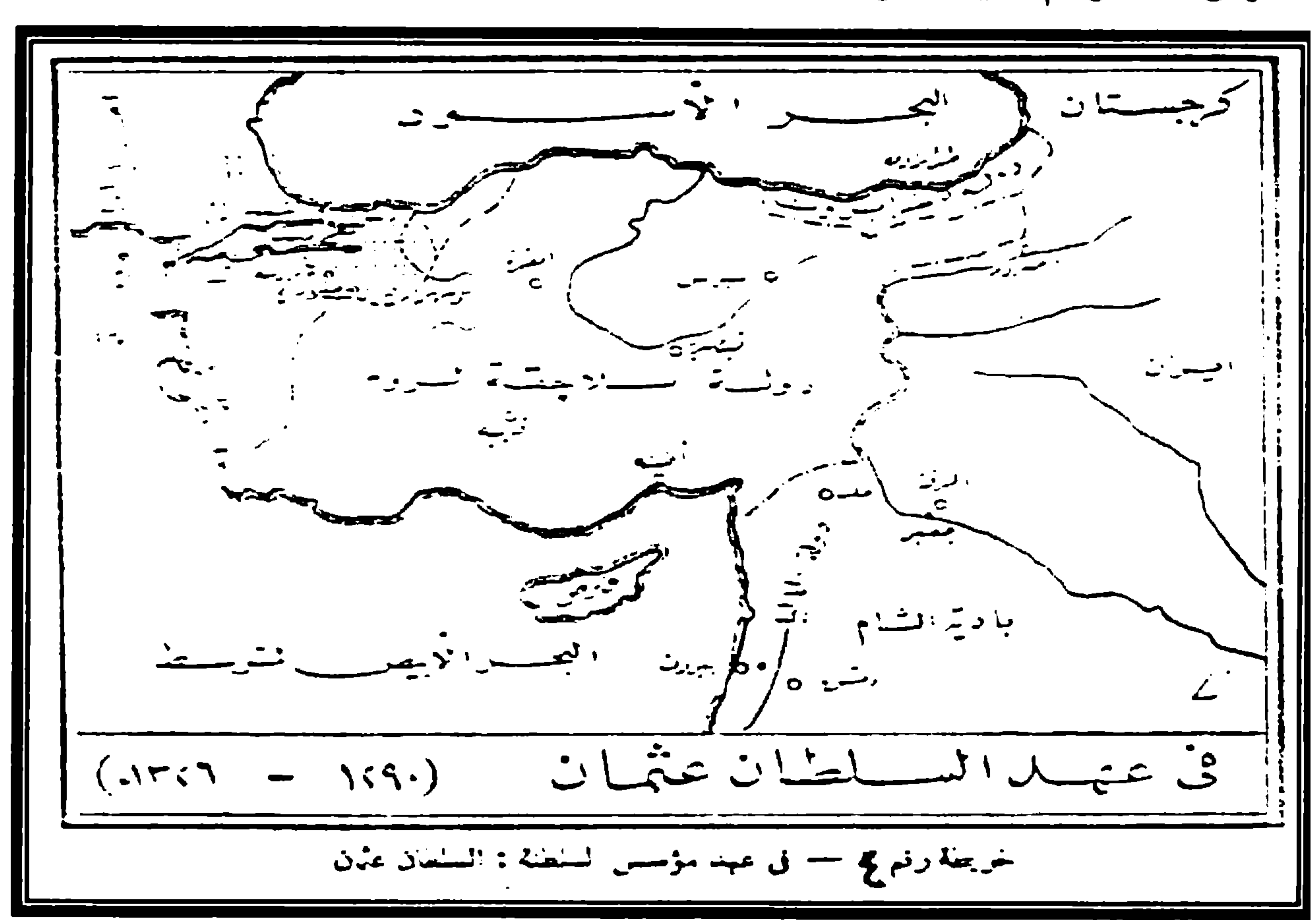
(1) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية: ص115.

(2) سعيد أحمد برجاوي: الامبراطورية العثمانية، تاريخها السياسي والعسكري، ص24.

(3) إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة حسن الزين، دار الفكر، 1988م، بيروت، ص9-10.

فترة حكم أمراء وسلاطين وخلفاء العثمانيين:

امتدت فترة حكم العثمانيين من سنة (699هـ-1343هـ/1300-1924م) وتوالى على عرش الدولة العثمانية ستة وثلاثون سلطاناً، كان منهم رجال عظماء امتازوا بالدهاء والحكمة والإرادة والإدارة والعفة والصلاح، وهم ممن قد لا يجود الدهر باتيان أمثالهم إلا على فترات متباعدة، وكان منهم بين بين وكان آخرون غير مؤهلين للوصول إلى الملك إلا كونهم ينتسبون إلى الأسرة السلطانية فدفعوا إلى العرش دفعاً وهم لا يصلحون له.



خريطة رقم ٤ — في عهد مؤسس السلطنة : السلطان عثمان

وقد درج المؤرخون إلى تصنيف فترات حكمهم تبعاً لإنجازاتهم على مختلف المستويات أو تقاعسهم وفشلهم وفق معطيات الظروف المحيطة بهم وتقسيم سلاطين وخلفاء الدولة العثمانية إلى مجموعتين:

الأولى: سلاطين الفترة الأولى وهم عشرة سلاطين: ابتداءً من عثمان الأول وانتهاءً بالسلطان سليمان المشرع، وقامت على سواعد هؤلاء السلاطين عظمة الدولة من حيث التوسع في القارات آسيا وأوربا وأفريقيا، كما كانوا صناع الأنظمة العسكرية والسياسية والإدارية التي أرسوا قواعدها. وقد حكموا فترة تقرب من (267) سنة بين العام (1299) إلى (1566م).

الثانيـة: ويطلـق عليهم لقـب الخليفـة بالاضـافة إلى السلطان وعـددهم سـتة وعشرون خليفة وسلطاناً، أولهم الخليفة سليم الثاني بن سليمان وينتهون بالخليفة محمد السادس، وقد حكموا فترة تقرب من (357) سنة بين العام 1566 إلى 1924م.

لقد ورد هـذا اللقـب في مكاتبـات بعـض سـلاطين آل عثمـان وفي إطلاقـه علـى أنفسهم، وهـذا مـا يفسـر ادعـاء السلطان مـراد الأول (1359-1389م) بالخلافـة، ووصـف السلطان محمـد الأول (1403-1413-1421م) لعاصـمته بـدار الخلافـة، وكذلك السلطان مراد الثاني (1421-1444-1446-1451م) بينمـا لقـب السلطان سـليم الأول (1512-1520م) نفسه (خليفـة الله في طـول الأرض وعرضـها) منـذ (1514م) قبل فتح الشام ومصر، كما أنه في رسالة له إلى (شاه شـروان)، بعد فتح مصر طلب منه فيها أن يتقبل (خلافته العليا)، وأن يذكر اسمه في الخطبة.

وفي رسـالتين متبـادلتين بـين الـسلطان سـليمان القـانوني (1520-1566م) وشريف مكة وصف سليمان نفسه، بأنه تسنم عرش السلطنة والخلافة، وجاء في مقدمة قانونه، وصف سليمان بأنه وريث الخلافة الكبرى، حتى إن المؤرخين العـرب في القرنين؛ العاشر والحادي عشر الهجريين وصفوا استنبول بأنها دار الخلافـة، واتخـذ السلطان أحمـد الثالـث (1703-1730م) في معاهـدة لـه مـع نـادر شـاه ملـك فارس سنة 1727م لقب خليفة جميع المسلمين[1].

الدولة العثمانية: مساحتها ونفوسها:

تشغل الدولة العثمانية حيزاً كبيراً للغاية في التاريخ والجغرافيا سواء في العالم الإسلامي والعالم الأوربي المسيحي، حيث امتدت فتوحاتها إلى القـارات الأوربيـة والآسـيوية والأفريقيـة، وكانـت جيوشـها أفـضل مـن الجيـوش الأوربيـة تـسليحاً وتنظيماً.

واسـتولت علـى بـلاد متـسعة الأرجـاء متباعـدة الأكنـاف، تمتـد في الجنـوب الشرقي من أوربا وغـرب آسـيا وشمـالي أفريقيـة، معظمهـا محـيط بمشارق البحـر

---

[1] علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص90-91. وهاملتون جب، ستانفورد شو، وليم بولك: دراسات في حضارات الإسلام، ص185-191، وبروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص449.

المتوسط وضفتي البحر الأحمر والشاطئ الغربي لخليج العجم (الخليج العربي) وشواطئ البحر الأسود الجنوبية والغربية، وتنقسم إلى حكومات وأقاليم بعضها تابع على استقلاله للسلطنة العثمانية والبعض الآخر ولايات وقد بلغت تلك الولايات إلى تسع وثلاثين ولاية في الربع الأول من القرن السابع عشر ولم يكن عددها ثابتاً وإنما كانت هناك عوامل تتداخل في العدد[1].

وفي أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التالي، بلغت مساحة الدولة الكلية مليوناً وثمانمائة ألف ميل مربع. وسكانها أربعون مليوناً منهم سبعة عشر مليوناً في أوربا، وثمانية عشر مليوناً في آسيا، وخمسة ملايين في أفريقيا[2].

لقد عبر العثمانيون البحر من الأناضول إلى أوربا عام 1356م على عهد السلطان أورخان الثاني واكتسحوا أقاليم مسيحية اوربية واستولوا على بلاد اليونان بما فيها شبه جزيرة المورة، وبلغاريا ورومانيا والصرب، والمجر وترسلفانيا والبوسنة والهرسك وألبانيا والجبل الأسود، وتقدمت جيوشهم حتى بلغت مشارف فينا عاصمة النمسا في قلب أوربا، وقامت الدولة العثمانية في هذه الأقاليم بدورها في نشر الإسلام في أصقاع هذه الأقاليم الأوربية وقد كان ولاؤهم للإسلام وهدفهم الجهاد[3].

لقد عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون واجتاحت جيوشها اقاليم شاسعة في جنوبي أوربا ووسطها، وأحرزت الانتصارات باسم الإسلام.

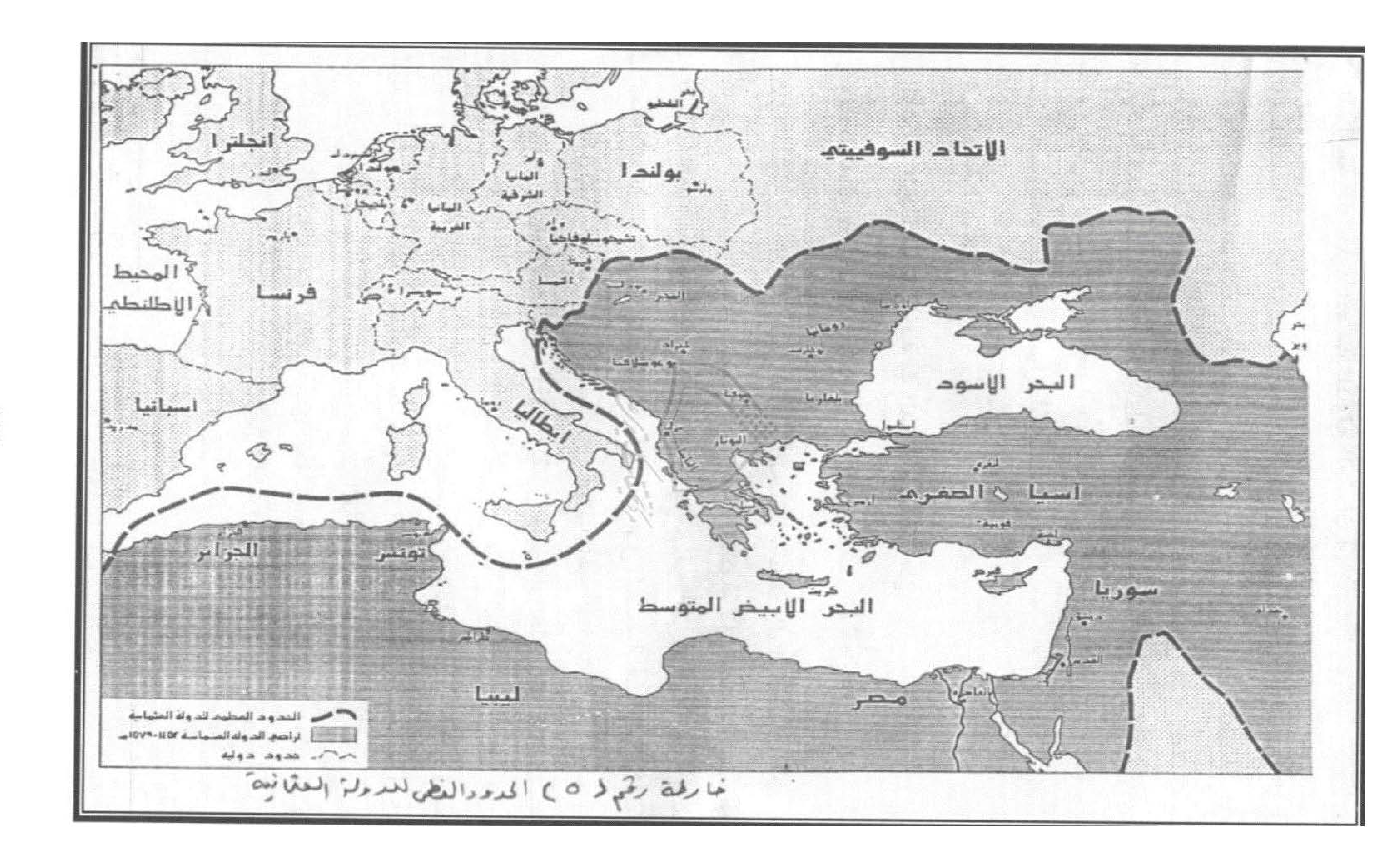
لقد عاشت القوة الإسلامية العثمانية خلال حكمها منتصرين خلال ثلاثة قرون ومدافعين ثلاثة قرون، بين صراع القوة والنصر ثم في صراع الدفاع والمقاومة وامتدت توسعاتها نحو أوربا والعالم العربي وبلاد فارس.

---

[1] سيار جميل: العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص181.

[2] محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني (1808-1839م)، مطابع المختار الإسلامي، دار السلام، ط1، 1338هـ-1978م، ص18.
البستاني: كتاب دائرة المعارف، ص717.

[3] عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية، ج1، ص6.



خارطة رقم (٥) الحدود العظمى للدولة العثمانية

السياسة الداخلية العامة للدولة العثمانية:

إن مطامع الدولة العثمانية وأهدافها كانت تنصب في أن تكون الوريثة الشرعية للخلافة الراشدة والأموية والعباسية من حيث العقيدة الإسلامية وأهدافها التطبيقية والعملية على الساحة العالمية، والعمل على إقامة وحدة إسلامية، والقضاء على الدولة البيزنطية التي وقفت حائلاً دون توسع الإسلام إلى أوربا عن طريق القسطنطينية مدة ستمائة عام والتوسع في أوربا، وكبح جماح الدولتين الصفوية في فارس والمغول في الهند.

الحكومة العثمانية:

الهيئات الحاكمة المركزية في الدولة وتتألف من:

أولاً: السلطان:

كان السلطان العثماني رئيس الدولة والحاكم والقائد العام للقوات العثمانية وفي نفس الوقت رئيس الهيئة الدينية الإسلامية الحاكمة، لأن السلطنة السنية هي بمنزلة الخلافة الإسلامية الكبرى، والسلطان هو حامي الدين الإسلامي. والمنفذ للشريعة الإسلامية، وله السلطة على رؤساء الملل المختلفة غير الإسلامية في الدولة، وتعتبر الدولة ملكاً خاصاً بالسلطان، فكانت أهم الهيئات على الإطلاق في السلطنة تنحصر في شخص السلطان، ويقرر بعض الباحثين أنه كان للسلطان العثماني نفوذ مطلق على رعاياه أكثر مما كان لأي حاكم معاصر في أوربا. كان من صلاحياته: نصب الوزراء وفصلهم ومنح الرتب والأوسمة وضرب النقود، وعقد المواثيق وإشهار الحرب، وإبرام الصلح، وولاية الجيوش البرية والبحرية وإجراء أحكام الشرع الشريف، وسن القوانين وضرب العقوبات والعفو عنها[1]، كانت تطلق على السلطان العثماني عدة ألقاب، منها: خنكار: (خندكار) بادشاه – ملك الملوك، سلطان البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين وخاقان الشرقين والغربين، فاتح أبواب السعادة للبشر، صاحب الجلالة، ثم الخليفة[2]، لم يكن السلاطين

---

(1) البستاني: كتاب دائرة المعارف، مج11، ص722.

(2) ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق ونشر محمد مصطفى، ج5، ط2، 1380هـ-1961م، القاهرة، ص233، 234. و السير توماس آرنولد: الخلافة، ص151.

العثمانيون حتى عهد الفاتح حكاماً مستبدين بالمعنى الشامل، فقد كانت الصلوات التي يؤدونها يوم الجمعة مع عامة الشعب بمثابة اجتماع كبير بين الناس والعلماء والسلطان، وكان يتحدث إلى الناس ويستمع إلى شكواهم وظل السلاطين حتى عهد محمد الفاتح (1446-1451-1481) يؤدون الصلوات الخمس مع الشعب، وعندما تخلى بايزيد (الصاعقة) (1389-1402م) عن صلاة الجماعة، إنهال عليه نقد لاذع من الشيخ البخاري الذي رفض قبول شهادته في المحاكم لعدم قيامه بواجباته الدينية، فاضطر بايزيد إلى بناء مسجد بالقرب من قصره وداوم على الصلاة فيها[1].

ورغم الانفراد بالحكم، فقد كانوا حريصين على رضا علماء الدين وخاصة شيخ الإسلام وعلى انتزاع رضا الشعب، وكانوا يتظاهرون بالتقى ويمنعون المحرمات بالرغم من تعاطي بعضهم لها، وكانوا يوزعون الصدقات على الفقراء والدراويش، ويبدون تمسكهم بالشريعة، فقبل إقدام السلطان سليم الأول (1512-1520م) على غزو مصر استصدر من شيخ الإسلام فتوى تبيح له حرب المسلمين في مصر والشام[2].

وبالرغم من أن السلاطين العثمانيين جعلوا الشريعة الإسلامية منهجاً لدولتهم، فقد ظلت مسألة وراثة السلطان أو خليفته بعيدة عن الإسلام وأحكامه، ففي الإسلام لا توجد وراثة الحكم وإنما يتم ذلك عن طريق مبدأ الشورى وساروا في هذا الخلف على منهج الأمويين والعباسيين والفاطميين والمغول وسلاجقة الروم.

ومما يندى له جبين الفقه الإسلامي ممارسة عمليات قتل الإخوة بصفة قانونية ورسمية نسبة فتاوى الإباحة من علماء الدين، وذلك في عهد محمد الفاتح (1451-1481م) فقد أصدر قانوناً خول بموجبه السلطان الجديد بمباشرة عملية قتل إخوته تأميناً لسلامة الدولة وأمنها القومي وجاء في هذا القانون –قانون نامة آل عثمان ما يلي:

---

[1] قفلجملي (حكمت): التاريخ العثماني رؤية مادية، تعريف فاضل لقمان، دار الجيل، 1987م، ص168، 169.

[2] ليلى الصباغ: تاريخ العرب الحديث، جامعة دمشق، دمشق، 1982م، ص122. و بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ص479.

(على أي واحد من أولادي يؤول إليه السلطان أن يقتل إخوته فهذا يناسب نظام العالم، وإن معظم العلماء يسمحون بذلك ولذلك فعليهم أن يتصرفوا بمقتضاه)[1].

وينسب أيضاً إلى السلطان بايزيد الأول (1388-1403م) أنه استن تقليداً، أطلق عليه بعض الباحثين (حمامات الدم) وهو قتل جميع إخوة السلطان الجديد يوم اعتلائه العرش وكان هذا السلطان قد استند في الجواز على فتوى من علماء الدين، كما وضع أحد الباحثين ثبتاً بأسماء أربعة عشر سلطاناً أقدموا على قتل أبنائهم وإخوتهم وأعمامهم للتخلص من منافسة العرش[2]. وكان من بين القتلى الصبي والرضيع والكهل والشاب.

وينسب المؤرخون التفسيرات في هذا الصدد إلى أن التضحية بعدد صغير لا يعد شيئاً مذكوراً بجانب تعريض أمن الدولة الداخلي والخارجي إلى الخطر، وإن السلاطين حصلوا على فتوى بعض فقهاء العثمانيين سنداً لهذا القتل الحرام مستندين على قوله تعالى: ﴿والفتنة أشد من القتل﴾[3].

رأي المؤرخين في هذا الصدد:

انقسم المؤرخون في تصديق أو تكذيب رواية استصدار السلاطين لفتاوى تبيح قتل منافسيهم من ذوي صلة الرحم والقربى ويشككون في إقدام السلطان محمد الفاتح 1451-1481م على تقنين مرسوم بهذا القتل.

الفريق الأول: ومعظمهم من المؤرخين الغربيين ويقودهم في هذه الحملة المستشرق الألماني (هامر) يدعون صدق الرواية وجعلوها مادة خصبة في الهجوم على العثمانيين ونظامهم الإسلامي واقتفى أثرهم بعض المؤرخين الترك أمثال

---

[1] إليكم النص الحرفي لما جاء في القانون العثماني: (هركيمه نة أولاد مدن ميسراولا، قرندا شلريني نظامي، عالم أيجني قتل ايتمك مناسبدر أكثري علما دخى تجويز اتمشدر، أنونلة عامل أولة كر) ينظر المرجع عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، ص349.

[2] ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، الناشر دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1965م، ص33. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ج2، ص15-16. و قفلجملي (حكمت): التاريخ العثماني رؤية مادية، تعريب فاضل لقمان، ص212. لوريس برنارد: استانبول والحضارة العثمانية، ترجمة سيد رضوان علي، جامعة بنغازي، 1973، ص55.

[3] سورة البقرة: الآية، 217.

خليل أينالجك وحكمت قفلجملي[1].

الفريق الثاني: يشك بعض المؤرخين الترك الاخرين في صحة القانون المذكور، مثل القاضي علي همت آلاقسكي، ويراه مدسوساً على السلطان محمد الفاتح، لأنه وجد هذا القانون بعد اكثر من مائة وخمسين سنة في مكتبة إمبراطور النمسا، ولو لم يكن القانون ملفقاً ومختلقاً لكان محفوظاً في خزانة الدولة العثمانية، وقصر السلطان كما يجب ان لا نغفل بان النمسا كانت في تلك الآونة من ألد خصوم الدولة العثمانية ولا ننسى بان صياغة نص القانون مشوش النسق وفيه أيضاً أسماء مغلوطة كاسم أحد أبناء محمد الفاتح إذ لا يعقل أن ينسى الوالد اسم ولده، كما يرتاب في هذا القانون المؤرخ محمد بيك النقشبندي الذي يرى أنه استن أيام بايزيد الثاني (1481-1512م) إثر صراعه مع أخيه جم (ت900هـ-1495م) ويرجعه أحمد تيمور باشا إلى بايزيد (الصاعقة) (1389-1402م) الذي قتل أخاه يعقوب بعد تسلمه السلطة[2].

ظل القانون المزعوم والمنسوب إلى السلطان محمد الفاتح ساري المفعول حتى أواخر القرن السادس عشر حين وضع نظام آخر، يقضي بنفي أمراء الأسرة الحاكمة بدلاً من قتلهم.

تعقيب على القانون المذكور:

مهما كانت المبررات في صياغة وتنفيذ القانون المذكور، ومن أية جهة كانت الفتاوى الصادرة فإن مثل هذا العمل حرب على الله تعالى الذي حرم قتل الأنفس البريئة ومعاداة صارخة لسنة الرسول ﷺ ومنافية جملة وتفصيلاً للشريعة السمحاء ومعاكس لحكمة الفقه الإسلامي.

وإذا صح صدور الفتوى بإباحة إزهاق أرواح الأبرياء من وعاظ السلاطين فأولئك العلماء الجهلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ونسوا أو تناسوا قول المولى تبارك وتعالى: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس او فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا

---

[1] قفلجملي (حكمت): التاريخ العثماني رؤية مادية، تعريب فاضل لقمان، ص251-252. علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص136.

[2] سيد رضوان علي: مجلة كلية الآداب في جامعة بنغازي، ص211.

الناس جميعاً﴾[1].

ثانياً: الديوان الهمايوني[2] = الديوان الامبراطوري:

الديوان هو جهاز الحكومة أي السلطة الإدارية، ويتألف من كبار رجال الدولة، وكانت وظيفته الاجتماع بالشعب، وبحث قضاياه ودراسة الشؤون الاقتصادية والسياسية والعدلية للبلاد وهو يشبه ديوان المظالم في العهود الإسلامية السابقة من مهامها الأساسية:

1- الوظائف السياسية، وكانت من اختصاص الصدر الأعظم والوزراء.

2- الوظائف الاجتماعية والعسكرية وكانت من اختصاص قضاة العسكر.

3- الوظائف الاقتصادية، وكانت من اختصاص الدفتردارين والنيشانجى.

تشكيل الديوان وأركان الدولة:

يتألف الديوان من:

1- الصدر الأعظم:

هو الوزير الأول رئيس الوزراء وكان أعظم امتياز ظفر به الصدر الأعظم هو كونه وكيل السلطان ويحمل الخاتم السلطاني للتوقيع على المراسيم وكان الصدر الأعظم في العهد الأول يضع ذلك في إصبعه وفي العهد اللاحق كان يضعه في جيبه في حافظة من القماش المذهب. ويعد سحب الخاتم من الصدر الأعظم بمثابة أمر سلطاني بإقالته من منصبه.

امتدت سلطات الصدر الأعظم إلى الإدارة المركزية في الدولة وفي الولايات، ويهيمن على شؤون الجيش وله الحق في حالة الضرورة حمل البيرق النبوي إلى ساحة القتال[3].

وجاء في القانون الأساسي للدولة العثمانية والمسمى قانون نامه ما نصه:

---

(1) سورة المائدة: الآية، 32.

(2) همايون: لفظة فارسية هي في الأصل اسم طائر كانوا يزعمون أن من وقع عليه أو أظله وصل إلى أعلى المراتب، ولذا أطلق على العزيز، والملك وقولهم (باب همايون) معناه باب السلطان. ينظر إلى: المنجد في اللغة، ص874.

(3) عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج1، ص360.

(لتعلم أولاً أن الصدر الأعظم هو رئيس الوزراء والأمراء إنه أعظمهم جميعاً وصاحب الصلاحيات المطلقة في إدارة شؤون الدولة، أما القيم على أملاكي فهو الدفتردار، غير أن الصدر الأعظم هو رئيسه وللصدر الأعظم في حركاته وسكناته وفي قيامه وقعوده حق التقدم على جميع موظفي الدولة[1].

ثانياً- الوزراء:

وكان يختلف عددهم بالزيادة والنقصان فقد كان عددهم في عهد محمد الفاتح مع الصدر الأعظم أربعة عرفوا باسم وزراء القبة وكانوا يجتمعون في الديوان ويجلسون إلى جانبه ولم يكن لهم عمل سوى الجلوس تحت القبة، وتزايد عددهم إلى تسعة في القرن السادس عشر الميلادي ثم نقص عددهم حتى عاد أربعة في القرن السابع عشر الميلادي، وكان لكل وزير ثلاثة أطواخ، والطوخ هو ذيل حصان معلق في سارية، وفي أعلاها كرة من النحاس المطلي بالذهب، كما كان للسلطان تسعة أطواخ، وللصدر الأعظم خمسة أطواخ[2].

ثالثاً: الهيئة الدينية الإسلامية الحاكمة:

التشريع في النظام العثماني:

قبل الحديث عن الهيئة الإسلامية لابد من التطرق إلى أسس التشريعات في الدولة العثمانية.

يعتمد التشريع في هذه الدولة على الشريعة الإسلامية المستندة إلى القرآن والسنة والمذاهب الأربعة، وما اعتمدته من القياس والإجماع، وكانت الخطوط الشريفة التي يصدرها السلطان تأتي بعد القرآن الكريم والسنة والمذاهب وكانت الفرمانات أي المراسيم والقوانين التي يصدرها السلطان تستند على العرف وكان مذهب الإمام المجتهد (أبي حنيفة نعمان بن ثابت) رضي الله عنه هو المذهب الرسمي في الدولة العثمانية التي قلدت التمذهب بالحنفي فاقتفوا آثارهم[3].

وقد ساهم الفقهاء الأحناف بتفسيراتهم إلى إيجاد حلول لكثير من مستجدات

---

(1) بروكلمان كارل: الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ج3، ص94، حاشية رقم 16.

(2) عبد الكريم غرايبة، سوريا في القرن التاسع عشر، ص41، 43.

(3) يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص43.

المعاملات وغيرها من المشاكل التي كانت تعترض الدولة ومن أشهرهم (ملا خسرو) المتوفى سنة (1480م) مؤلف كتاب (درر الأحلام في شرح غرر الأحكام) وإبراهيم الحلبي المتوفى سنة (1451م) صاحب كتاب (ملتقى الأبحر) وسليم رستم باز اللبناني مؤلف (شرح مجلة الأحكام)[1] الذي كان عضواً في مجلس شورى الدولة العثمانية[2].

تركيبة الهيئة الإسلامية الحاكمة:

وهذه الهيئة تضم:

1- شيخ الإسلام:

كان يطلق على شيخ الإسلام أول الأمر(مفتي) العاصمة (والمفتي الأكبر) وخضعت له الهيئات القضائية والمدنية، ويستشيره السلطان والصدر الأعظم والوزراء في المسائل الهامة، وتعرض عليه مشروعات القوانين الوضعية قبل إقرارها لمعرفة مطابقتها للشريعة الإسلامية، ويستفتى في القضايا ذات الطابع السياسي ولم يكن السلطان ليقدم على حرب دون فتواه، كما أن المفتي هو الذي يجيز عزل السلاطين والتنازل عن الأقاليم العثمانية لصالح دولة أجنبية[3].

2- القضاة:

من شروط القاضي أن يكون على مستوى علمي وفقهي عاليين، وتشمل ولاية القضاة جميع أنحاء الدولة الأفريقية والآسيوية والأوربية، وكانوا يقضون في كافة المسائل المدنية والجنائية وسواء كانت من اختصاص الشريعة والقوانين الوضعية أو العرف ويستنيرون بالمذهب الحنفي الرسمي للدولة وهو مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

ولم تكن الولاية القضائية للمحاكم الإسلامية تنظر في قضايا المسيحيين في

---

(1) شرح المجلة، كتاب قيم، صيغ بأسلوب عصري في تقسيم المواضيع الفقهية المختلفة ورتب مقسماً إلى (1851م) مادة وفق المذهب الحنفي، ولا يمكن للقضاة الاستغناء عنه، وهو الفيصل في كل ما عالجه. ينظر إلى: سليم رستم باز اللبناني: شرح المجلة، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1406هـ-1986م.

(2) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص129.

(3) كارل بروكلمان: الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ص101.

الأحوال الشخصية بل كان تحسمها محاكم كنسية خاصة بهؤلاء المسيحيين يرأسها رئيس (الملة).

3- المفتون والقضاة:

من هاتين الفئتين تتكون هيئة العلماء فهم الذين درسوا القانون والعلوم الشرعية وتولوا مناصب الإفتاء والقضاء في المدن الهامة. والقضاة كانوا يتولون المحاكم للحكم في القضايا المدنية أو الجرائم الخاضعة للشريعة أو القانون أو العرف[1]، وأما المفتي فوظيفته التأكد من أن الأحكام القضائية تطابق الشريعة الإسلامية.

ومن جملة الهيئة الدينية الإسلامية أساتذة الشريعة وأصول الدين، والهيئات التدريسية في المدارس الإسلامية وخوجة السلطان أي معلم السلطان الذي كان بمثابة مستشاره في المسائل الدينية[2].

سياسة الدولة الاقتصادية والإدارية:

أولاً: السياسة الاقتصادية:

إن الدولة العثمانية قامت على مساحات شاسعة في أوربا وآسيا وأفريقيا، وهذه الأراضي التي تم الاستيلاء عليها سلماً تترك ملكيتها لأصحابها، فإن كانوا مسلمين سميت الأراضي العشرية، وكان يؤخذ عليها ضريبة العشر، وإن كان أهلها غير مسلمين سميت الأراضي (خراجية) ويؤخذ عليها ضريبة الخراج.

أما تلك الأراضي التي استحوذ عليها حرباً، فتؤول ملكيتها للدولة والتي تسمى بالأراضي (الميرية) ويخصص من هذه الأراضي خمسها لبيت المال (خزينة الدولة) ويقسم الباقي على المجاهدين، وفي أغلب الأحيان تبقى ملكاً للدولة، وتوزع على من يعمل فيها بالزراعة، ويسمى هؤلاء بالمتصرفين فقط دون أن يكونوا مالكين، كما كانت هناك أراضٍ وقفية[3].

---

(1) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، ص98-99.

(2) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية، ص398. و علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص175.

(3) علي سلطان: الدولة العثمانية، ص181.

نظام الإقطاع:

كان السلطان يمنح أرضاً زراعية لأفراد من الفرسان السباهية[1].

وكان هؤلاء يشرفون على زراعتها بمساعدة الفلاحين الذين يتولون زراعتها بصفتهم مستأجرين، وكان هؤلاء السباهون يستولون على نصف المحصول ولا يتقاضون من الدولة الرواتب، وفي مقابل هذه الامتيازات عليهم أن ينضموا للجيش في حالة الحرب، ومعهم عدد من الفرسان بخيولهم وأسلحتهم.

وكان لهذا النظام مزايا للدولة منها الاحتفاظ بهم كقوة عسكرية، والاستمرار بالزراعة وجباية الضرائب، ويثبت نفوذ الدولة في الريف، ولم يبتكر العثمانيون هذا النمط، بل كان عادة متبعة لدى السلاجقة والأيوبيين والمماليك، وقسم الإقطاع إلى ثلاث درجات:

أ- تيمار Timar[2]: وهو إقطاع مساحة صغيرة قدر في السنة على دخل يتراوح بين (3000 و 20.000) أقجة[3].

ب- الزعامة: وهو إقطاع أكبر من السابق: وتعطي دخلاً ما بين (20) عشرين ألفاً ومائة ألف أقجة، يقدم مقابلها للدولة رجلاً عن خمسة آلاف أقجة.

وكان هذان النوعان من الإقطاع الحربي خاضعين للتفتيش الإداري من قبل الدفترداريين[4].

جـ- الخاص: وهو إقطاع أكبر مساحة من الأولين وهو الذي يعطي دخلاً يتجاوز مائة ألف أقجة، ويمنح للقادة الكبار في الدولة كالوزراء والولاة، وهذا النوع من الإقطاع غير خاضع للتفتيش، وقد حقق نظام الإقطاع للدولة جيشاً من الفرسان يقدر بثمانين ألف فارس من الروملّلي وخمسين ألفاً من الأناضول، وذلك في زمن سليمان القانوني (1520-1566م)[5]، كما حققت توسعاً في الأراضي المزروعة ووفر على الدولة عبء تحصيل الضرائب.

---

(1) السباهية Spahi: كلمة تركية من أصل فارسي ومعناها (الفرسان).

(2) تيمار: كلمة فارسية المنشأ: اقتبسها العثمانيون وهي ترجمة لكلمة Pronoia اليونانية: ومعناها ناظر وقف، أو وصي، أو وكيل تركة أو ولي.

(3) أقجة: عملة عثمانية فضية تساوي ربع أو ثلث البارة.

(4) الدفترداريون: هم فئة من كبار الموظفين المتخصصين في الشؤون المالية في الحكومة.

(5) علي سلطان: الدولة العثمانية، ص182. و عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج1، 133-134.

موارد الدولة الأخرى:

كانت الدولة تعتمد في مواردها المالية على ضرائب المواشي وضريبة الزراعة وهي العشور وضريبة الرسوم على الحقول والبساتين وجميع أنواع الفاكهة وعلى الطواحين ومنازل الفلاحين المبنية على الأراضي الأميرية، وضريبة على الزراعة، وهي تشبه ضريبة العشور، وكانت تتراوح ما بين العشر والنصف، وضريبة الجزية التي تفرض على الذكور البالغين من غير المسلمين وضرائب أخرى متنوعة على الرأس (الشخص) وعلى التجارة، وعلى كافة الحرف والمهن[1].

ومن المصادر المالية الأخرى، الغنائم التي تكسبها الدولة نتيجة الفتوحات والحروب، وكان خمس الغنائم يوضع في بيت المال (خزينة الدولة) لصالح (السلطان والهيئة الإسلامية) لقد كانت الغنائم مورداً كبيراً وهاماً، ففي إحدى غارات (خير الدين بربروسا) سنة (1538م) على شواطئ الأرخبيل[2] اليوناني استولى على ما قيمته (400) أربعمائة ألف قطعة ذهبية و(16) ستة عشر ألف أسير واثنتي عشرة جزيرة، والاستيلاء على القواعد العسكرية (للبندقية) في اليونان، كما انتصر على أسطول (أندريا دوريا)[3] في وقت لاحق فغنم منه (300) ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية وأموالاً طائلة.

وبلغت واردات الدولة القمة في زمن السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) وقدرت بستة ملايين دوكا ذهب[4]، ثم تجاوزت عشرة ملايين دوكا ذهب، وكان معظم نفقات الدولة تصرف على المؤسسة العسكرية[5].

التجارة:

لقد أخذت تجارة الدولة العثمانية في النمو بما أنشئ فيها من معامل والخطوط الحديدية وتصدر البضائع إلى الدول الأوربية والدول الآسيوية

---

(1) علي سلطان: الدولة العثمانية، ص188.

(2) الأرخبيل: Archipel مجموعات جزر بحر إيجه، وبحر الأرخبيل هو بحر إيجه. ينظر إلى: منجد الأعلام، دار الشرق، ط22، بيروت، د. ت، ص33.

(3) أندريا دوريا: أحد الملوك الأوربيين.

(4) الدوك: اسم عملة كانت متداولة في أوربا.

(5) علي سلطان: الدولة العثمانية، ص190.

والأفريقية، مثل الحرير والقطن والزبيب والشعير، وأنواع الزيوت والجلود والصوف، وأنواع الحبوب والمواشي والتمور والطنافس والحمضيات واللحوم والتبغ وغيرها[1]. كما استفادت الدولة من الطرق التجارية القديمة التي كانت تمر عبر أراضي الدولة العثمانية، كطريق الحرير القادم من الشرق الأقصى كالصين والهند عبر فارس إلى بورسة أو عبر الخليج والعراق وسورية حيث تصل إلى بورسة ومن هناك توزع إلى أوربا عن طريق التجار الكثيرين من الأوربيين والعثمانيين.

كما رفعت موارد الدولة أنشطة السفن التجارية الداخلة إلى الموانئ العثمانية والخارجة منها إذ بلغ عددها سنة (1895-1896م) (18,833) ثماني عشرة ألفاً وثمانمائة وثلاث وثلاثين سفينة محمولة بزنة (38,409,144) ثمانية وثلاثين مليوناً وأربعمائة وتسعة آلاف ومائة وأربعة وأربعين طناً. وفي سنة (1897م) دخلت موانئ استانبول وخرجت منها (14,753) أربعة عشر ألفاً وسبعمائة وثلاث وخمسون سفينة، تحمل (11,456,178) أحد عشر مليوناً وأربعمائة وستة وخمسين ألفاً ومائة وثمانية وسبعين طناً.

وكانت الضريبة على التجارة 2٪ وزادها محمد الفاتح (1446-1481م) إلى 5٪ سنة 1460م لصالح الخزينة.

كما أن الدولة كانت تستفيد من الجمارك على البضائع وكمثال فإن التجار المصريين يدفعون سنوياً للجمرك أحد عشر ألف كيس من النقود عن بضاعتهم التي كانوا يصدرونها إلى استانبول[2].

ومما يلاحظ في السجل التجاري العثماني في الفترة الأخيرة أنها أصبحت في تعاملها التجاري مع أوربا دولة استيراد واختل الميزان التجاري لصالح أوربا مما جعلها مدينة بشكل دائم للدول الأوربية[3].

---

(1) البستاني: كتاب دائرة المعارف، مج11، ص723، 724، 725، 726.

(2) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، ص66، 67، 94، 97. و هارولد: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ص160-162. و برنارد لويس: استنبول والحضارة العثمانية، ترجمة: سيد رضوان علي، ص111-125. و علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص193.

(3) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص132-134. و برنارد لويس: استنبول والحضارة العثمانية، ص59-61، 122، 132. و محمد كمال دسوقي: الدولة العثمانية والمسالة الشرقية، ص75-77.

ثانياً: سياسة الدولة الإدارية:

كانت الدولة العثمانية تدير شؤون البلاد التي تسيطر عليها والتي لم تكن قاصرة على الأناضول وإنما شملت أجزاء من القارات الآسيوية والأفريقية والأوربية، بواسطة أجهزة إدارية، سياسية وعسكرية، وقسمت تلك البلاد إلى مقاطعات، اصطلحت عليها تسميات وانتظمت في أطر خاصة وفق أنماط وألقاب معينة.

وتتشكل الوحدات الإدارية من الآتي:

من الأيالات والألوية أي سناجق[1]، وكان يعهد بشؤون الأيالة إلى (باشا) يسمى (بكلربكي) (بك البكوات) ويعتبر برتبة (مير ميران) بمعنى (أمير الأمراء) باشا بطوخين (الرتبة الثانية من رتب الباشوية)[2] ويعهد بشؤون اللواء إلى (بك) ويسمى (سنجق بكي) بمعنى (بك اللواء) ويعتبر بمرتبة (ميرالوا) بمعنى (أمير اللواء)، وكان يخصص لمنصب كل أيالة من الأيالات، وكل لواء من الألوية مقاطعة بدرجة (خاص).

ومنذ بداية تشكيل السناجق، كانت الدولة تقسم إدارياً إلى الرومللي، والأناضولي.

لقد كان (بكلربكي) الروملي أرفع رتبة ويحمل ثلاثة أطواخ، بينما حمل (بكلر بكي) الأناضولي طوخين اثنين وكان كل منها يمثل سلطة السلطان كقائد أعلى للقوات المسلحة، وعلى الجميع الطاعة له[3].

وكان السنجق يمثل أكبر وحدة إدارية حتى فتح القسطنطينية ويبلغ عددها (36) ستاً وثلاثين في أوربا.

ولم تطبق الدولة العثمانية النظام الإقطاعي-العسكري على كل ولاياتها بل ساد هذا النظام في معظم أجزاء الرومللي وفي الأناضول، وساد بلاد الشام، كما تركت الإدارة الوراثية في بعض السناجق تحت إدارة الحكومة من بعض زعماء

---

[1] السنجق أو الصنجق: كلمة تركية ومعناها العلم أو اللواء، وفقد أصبحت تطلق على القسم من الولاية، والصنجق: أيضاً هو الحاكم على هذا الجزء من الولاية.

[2] الباشا: الوزير، الوالي، نائب السلطان، ينظر إلى: موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، ص452.

[3] علي سلطان: الدولة العثمانية، ص184. و ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، ص23-25.

العشائر كالتي في كوردستان تركيا، مقابل تقديم عدد من المحاربين، وتعيين الدولة فيها قاضياً وحامية عسكرية.

ويلاحظ مما ذكر آنفاً أن الأمور الإدارية لم تكن تنفصل عن الأمور الحربية وكان أمراء الأيالات والألوية يقبضون على السلطتين الإدارية والعسكرية فكانوا ولاة حكم وقواد جيش.

وأما المحاكم فكان يتولاها قضاة، يحكمون وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ويشرفون على شؤون الأوقاف وأموال الأيتام.

وكانت الألوية تقسم إلى أقضية، ينصب لكل منها قاض أو نائب قاضي، وكان القاضي يقيم عادة في الولاية وينوب عنه من القضاة في المناطق التي تتبعه، ومهمته الفصل في المنازعات والإشراف على تنفيذ قرارات السلطان، وله نائب آخر يشرف على الأسواق والأسعار والبضائع وكان يمثل الطوائف غير الإسلامية (خوجه باشي) أو كبار زعمائهم.

السياسة الخارجية العامة للدولة العثمانية:

على امتداد التاريخ البشري لم تكن لغة الخطاب السياسي أقوى من انسلاخ السيف عن غمده، ولا اللغة الدبلوماسية بفعال أكثر من الزمجرة في المعمعة، وليس صرير القلم أرعب من صوت الرعد في الردع، ولا ينال المظلوم رد الاعتبار بالتشبث، والحق لا يعلو إلا بالقوة، والعقيدة لا تصان إلا بحصانة المنعة.

فهذا هو منطق تحرير الوقائع في الأسفار بالأمس القريب والبعيد، وتعيد الصورة ذاتها عدسة التصوير اليوم بالكامل في القرن العشرين عصر التقدم العلمي والانبهار التكنولوجي في المجالات الأرضية والفضائية.

إلا أن أي تقدم أو تهذيب أو تعديل لم تطرأ على سياسة المستعبدين ولا زالت القوى العسكرية الكبرى في العالم تتقاسم فيما بينها هذا الكوكب، وتتحكم في رقاب ستة مليارات ونيف من البشر سياسياً واقتصادياً وفكرياً وعسكرياً، ولم تكن دعواتهم إلى صيانة حقوق الإنسان والقضاء على التمييز العنصري من على المنابر السياسية والمحافل الدولية التي أنشئوها أنفسهم إلا خدعة سحرية وخطابات فارغة وضحك على الذقون وتشويه للحقائق ونفاق سياسي في قواميس ملؤها التناقضات.

ففي خضم هذه السياسة الدولية نشأت الدولة العثمانية كوريث للخلافة العباسية التي كانت في الاحتضار كادت أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكان العالم الإسلامي خلال قرنين كاملين من الحروب الصليبية الأولى على القدس حتى ظهور الخلافة العثمانية يمر بأخطر مرحلة تاريخية، حيث تكالبت القوى الخارجية للقضاء على الحضارة الإسلامية من كل حدب وصوب وتدفقت عمليات الغزو البيزنطي، والتتري والمغولي وغزوة الأفرنج الذين ارتعدت فرائصهم من صوت الإسلام وانتشار منهج القرآن.

فكانت القوة الشابة المتمثلة في آل عثمان حملت رايات الإسلام وشمرت عن سواعدهم الفولاذية وتقدمت بقلوب عامرة بالإيمان وتصدت قوى البغي والضلال.

أسس السياسة[1] الخارجية للدولة العثمانية:

يمكن إيجاز الأركان التي اعتمدتها السياسة الخارجية للدولة العثمانية في محاور:

1- دفع ومقاومة القوى المعتدية عن الأراضي الإسلامية.

2- مواصلة الجهاد على غرار الفتوحات الإسلامية التي تهدف إلى تحرير الإنسان عقدياً واجتماعياً واقتصادياً وفكرياً وسياسياً، تأسيساً على مبدأ الأخوة الإنسانية، ذات المفهوم المشترك في الآدمية التي توجب على الإنسان إنقاذ الآدميين من الهلاك والضياع في المتاهات وإرشادهم إلى فعل الخيرات.

3- تأمين سبل نشر العقيدة الإسلامية وإزاحة العراقيل من طريقها.

4- العيش في هذا الكون بأمان ووئام في ظل عدالة الإسلام.

5- فتح جسور السلم لمن يجنح للسلم.

---

[1] ساس القوم: دبرهم وتولى أمرهم، وساس الأمر، قام به فهو سائس ساسة وسواس.
والسياسة: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل أو الآجل، ويأتي مصطلح السياسة بمعنى فن الحكم وإدارة الدولة الداخلية والخارجية ومنها السياسة الداخلية والخارجية والسياسة المدنية: هي تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة، والسياسة الاقتصادية فهي علم يعالج الثروات العامة وفن إدارة الأحكام، والحقوق السياسية: هي التي يحق بمقتضاها لكل وطني أن يشترك في إدارة البلاد. والسياسي: هو الذي يزاول السياسة ويتخذها حرفة لها. هذا وتأتي كلمة (ساس) في دلالات أخرى. ينظر إلى: المنجد في اللغة والأعلام، ط22، ص263.

السياسة الخارجية[1] والتطورات الدبلوماسية للدولة العثمانية:

توسعت الدولة العثمانية ما بين القرن الرابع عشر، وأوائل القرن الثامن عشر الميلادي نتيجة امتلاكها لأجزاء من البلقان[2] والشرق الأوسط وشمالي أفريقيا، وتخلفت منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر عن ركب الدول الأوربية المتقدمة في مجالات العلوم، وحلت بها هزائم عسكرية منكرة.

وترتب على ما آل إليه وضع الدولة إلى تنافس صراع الدول الأوربية لتمزيق أوصالها وتفتيت البنى الاقتصادية لها، وطغى على الساحة ما عرف بالمسألة الشرقية[3]، تلك المسألة التي جذبت الاهتمام نحوها في فترة الانتفاضة اليونانية في عشرينات القرن التاسع عشر وفترة الصراع العثماني المصري من عام 1831م وبالرغم من ذلك واصلت الدولة جهودها باعتبارها شريكاً مستقلاً في العلاقات الدولية، وكثيراً ما استغلت بنجاح التناقضات بين الدول الأوربية، ظلت الدولة العثمانية فترة انتصاراتها تنظر إلى العالم الأوربي باعتباره عدواً لها –داراً للحرب– وترى إقامة علاقات ثقافية وسياسية معه أمراً يمس بالهيبة ويخالف الدين.

وانعكست سياسة العزلة الدبلوماسية وأيديولوجية التفوق الذاتي التركيتين إلى نتائج سلبية وصعوبة تعرف الأوربيين على الحياة الداخلية للعثمانيين وتعطيل لغة تبادل الآراء والتفاهم–وظهرت عزلة الحكومة في الشؤون السياسية والدبلوماسية لعدم معرفة رجال الدولة المحيطين بالسلطان أي تصور عن أوربا من الناحية الاقتصادية والنظم الإدارية أو عن جيوشها.

---

[1] الدبلوماسي: هو الذي يعهد إليه في منصب ممثل سياسي لدى إحدى الدول، والكلمة (يونانية) والسلك الدبلوماسي: هو جماعة ممثلي الدول الأجنبية لدى إحدى الدول، والدبلوماسية: صفة الدبلوماسي وعمله. ينظر إلى: المنجد في اللغة والأعلام، ص206–207.

[2] البلقان: منطقة جبلية في جنوب أوربا، وتحدها من الشمال جبال البلقان 2385م ويحدها من الشرق البحر الأسود، وأهم دولها رومانيا، ألبانيا، بلغاريا، اليونان، يوغسلافيا، وتركيا الأوربية، ينظر إلى: المنجد في اللغة والأعلام، ص141.

[3] المسألة الشرقية: ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وكانت أوربا قد عقدت العزم على إيقاف زحف العثمانيين فيها، ثم تغير وجه المسألة بعد أن دب الوهن في الدولة العثمانية، وصار يقصد بهذا الاسم (تقسيم الدولة العثمانية بحجة عجزها عن إدارة شؤونها ومحافظة الأقليات المسيحية فيها. ينظر إلى: صديق الدملوجي: مدحت باشا، مطبعة الزمان، 1952–1953م. بغداد، ص8.

وعندما أجبرت تحت ضغط الظروف السياسية الخارجية إلى القبول بالعلاقات الدبلوماسية الدائمة مع الأوربيين حققت خطوة سديدة على طريق قيام تعارف مشترك بين أوربا والعثمانيين[1].

بدء العلاقات الدبلوماسية:

كان عام 1454م هو العام الذي بدأت فيه العلاقات الدبلوماسية بين الامبراطورية العثمانية والدول الأوربية وبدأ الأوربيون يبعثون ممثليهم الدبلوماسيين إلى استانبول، وكان الهدف هو عقد الاتفاقيات التجارية والملاحية البحرية، والمحافظة على سلامة التجارة، إلى جانب إبلاغ حكوماتهم بأوضاع الدولة العثمانية.

وكانت سياسة العثمانيين الخارجية تنشد استمرار العلاقات التجارية مع الأوربيين واستعمال الطرق البرية التي تصل إلى شمالي أوربا في الوقت الذي كان للعثمانيين علاقات تجارية مع البلدان الواقعة على المحيط الهندي وبلدان غربي آسيا وأفريقيا.

ومع ذلك فقد استغلت الدولة ثروتها في مساندة حلفائها الغربيين، كتلك الامتيازات التي منحتها لفرنسا عام 1569م ثم للهولنديين والانجليز مقابل دعمها للدولة العثمانية خلال نضالها ضد بابا روما وملك النمسا[2].

وفي عهد بايزيد الثاني (1481-1512م) أنشئت علاقات دبلوماسية بين الدولة والمملكة الروسية في سنة 1492م حيث وصل أول سفير روسي معه هدايا للسلطان.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) أرسلت ملكة فرنسا لويز زوجة فرنسيس أول سفير لها إلى الباب العالي ولكن لم يصل السفير حيث قتله حاكم (بوسنة) وفي أواخر سنة 1552م أرسل سفيراً آخر[3].

---

[1] نينل ألكسندر وفنا دولينا: الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينات وأربعينيات القرن التاسع عشر، ترجمة أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، سلسلة 123، د. ط، د. م، 1999م، ص4.

[2] أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص94.

[3] محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص183.

إصلاح النظام الدبلوماسي:

في العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر كانت السياستان الداخلية والخارجية للباب العالي مكرسة لتحقيق هدف واحد، وهو تقوية الدولة العثمانية والمحافظة على تماسكها ووحدتها، ومن هذا المنطلق طفقت الدولة بالإصلاحات الداخلية من أجل بناء قاعدة رصينة وتهيئة الأرضية المناسبة للقدرة على التحرك لتسخير أهداف السياسة الخارجية والدبلوماسية الفعالة للحفاظ على وحدة الدولة. وكان المهندس المخطط والمنفذ الملتزم هو السلطان محمود الثاني (1808-1839م) ففي عصره زاد الاهتمام بالسياسة الخارجية وبنظام البعثات الدبلوماسية الدائمة في عواصم الدول الكبرى واختار لها أفضل العناصر التي تفاعلت مع حركة الإصلاح، وزاد الاهتمام بمدرسة تعليم اللغات التي أسسها محمد الرابع (1648-1687م) لتخريج طبقات المترجمين، وتقرر أن يلحق الخريجون بالسفارات المختلفة كما أنشأ أيضاً قسماً آخر للترجمة في عام 1833م، وتقدمت العلوم السياسية، وعلى ضوء هذه الإجراءات بدأت الدبلوماسية العثمانية تخطو نحو الأمام خطوات حثيثة ومثمرة، إذ ألغي إجراء اعتقال ممثلي الدول وتمتعوا بالحصانة الدبلوماسية[1].

طائفة من السفراء العثمانيين في القرن التاسع عشر:

من بين أولئك الساسة العثمانيين الذين خدموا في السلك الدبلوماسي العثماني خارج السلطنة وأبدوا حنكة سياسية:

1- مصطفى رشيد باشا المولود في الاستانة سنة 1216هـ-1799م.

تقلد الوظائف السياسية الهامة، وظهر نبوغه في حل المشاكل العويصة شغل منصب الصدارة العظمي ست مرات، واستوزر للخارجية وفي أثناء سفارته في انكلترا أفلح في عقد (بروتوكول لندن) الشهير والذي بمقتضاه جلت الجيوش المصرية من سوريا وعادت الولايات إلى أحضان الدولة العثمانية، كما تمكن من حل مشاكل سياسية مستعصية مع دول أوربا الشرقية، ونجح في حمل انكلترا وفرنسا على محالفة الدولة العثمانية أثناء حرب القرم.

---

(1) محمد عبد اللطيف البحراني: حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني (1808-1839م)، ص200، 203.

وكان من نتيجة تلك الحرب التي انتهت بهزيمة روسيا أن اعترفت دول أوربا باستقلال الدولة العثمانية، تولى سفارة السلطنة في باريس من عام 1834-1835م وفي لندن من سنة 1835-1837م وهو لم يتعد الثلاثين من عمره توفي عام 1857م[1].

2- نامق باشا: في نهاية عام 1832م أرسله السلطان محمود الثاني 1808-1839م سفيراً إلى عواصم كل من فيينا وباريس ولندن وبرلين وبطرسبورج، بهدف الاطلاع على موقف الدول الأوربية من تمرد محمد علي باشا واستقبل بحفاوة في لندن وأهدي له عدد من المدافع.

3- فؤاد باشا: عمل في سفارة لندن، وأسبانيا، والبرتغال، وسفارات أخرى وشارك في مؤتمرات دولية هامة، تقلد وزارة الخارجية ثم الصدارة العظمى ومن دبلوماسيته الحكيمة إنهاء قضية حادثة الشام سنة 1860م-1276هـ.

4- أمين عالي باشا: ولد في استانبول سنة 1814م-1230هـ في سنة 1840م عين مستشاراً لوزارة الخارجية ثم قائماً بالأعمال في سفارة انكلترا، تقلد منصب وزير الخارجية ستة مرات وتولى الصدارة ثلاثة مرات.

5- احمد رفيق باشا: ولد في سنة 1819م او 1820-1235هـ يوصف بأنه عالم كبير وفيلسوف شهير، اطلع على مدنية اوربا وعلومها، وأحرز منزلة رفيعة لدى علماء الغرب ومستشرقيهم انصرف إلى السياسة وعين سكرتيراً للسفارة العثمانية في باريس ثم سفيراً في طهران، ثم سفيراً في باريس وأشغل منصب الصدارة العظمى مرتين على عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م[2].

أبرز مرتكزات الدستور العثماني:

مصطلح الدستور لغة وتفسيراً:

من الضروري توضيح الأسس والدلالات لمصطلح (الدستور) بصورة موجزة

---

(1) احمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص194. وصديق الدملوجي: مدحت باشا، ص230.

(2) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في اصول التاريخ العثماني، ص194. ونينل ألكسندروفنا دولينا: الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية، ترجمة: انور محمد إبراهيم، ص12، 30. وصديق الدملوجي: مدحت باشا، ص230، 231، 232، 244.

وتفسير مضامينه بوصفه مفهوماً تاريخياً إذ تعد الحركة الدستورية واحدة من أبرز الظواهر الحضارية التي ظهرت وتطورت في التاريخ المعاصر.

وعلى الرغم من اقترانها بمفهوم (الدولة) إلا أنها أصبحت ضرورة تخص كلاً من الدولة والمجتمع معاً ولم تقتصر مفاهيمها وتطبيقاتها على دول غربي أوربا التي شهدت تطوراتها التاريخية منذ ما قبل القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين، إذ ارتبطت بالفكر السياسي الحديث والمفاهيم المعاصرة[1].

إن مدلول (الدستور) يعني التأسيس القانوني (Constitution) لكل ما يتعلق بتسيير شؤون الأجهزة والمؤسسات التي تربط الدولة بالمجتمع[2].

وفي عدد من الدول الحديثة يكون الدستور وثيقة مفصلة، تدون فيها المواد التي تنظم الحكومة وسلطاتها وحدود ممارسة السلطات وعلاقاتها بالأفراد.

فالدستور موضوعياً هو: مجموعة الأسس التي تنظم فعاليات الدولة، أما شكلياً فهو: الوثيقة التي تنظم عمل المؤسسات بين الدولة والمجتمع[3].

وهناك تعاريف عديدة لمصطلح الدستور[4] باعتباره أسساً تنظيمية وقواعد قانونية لهندسة الحقوق والواجبات، وممارسة الحريات وتحديد السلطات، وتثبيت الأعراف والتقييد بالإجراءات والتعليمات وضبط العهود والقوانين والمواثيق، واحترام السيادة والقرارات والمرجعية في حل المشكلات والأزمات[5].

مرتكزات الدستور العثماني:

قبل الخوض في بيان الأسس المعتمدة في صياغة الدستور العثماني للعام

---

(1) سيار كوكب علي الجميل: في مقالته (الإصلاحية) في القاموس العربي لعلم الاجتماع، تحرير، الطاهر لبيب (تونس 1993م).

(2) أنظر: جاكوبسون وليبمان: العلوم السياسية، ترجمة مهيبة مالك الدسوقي، دار الثقافة، د.ت، بيروت، ص106 وما بعدها.

(3) حسان محمد شفيق: الدستور، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1981م، ص5-9.

(4) أنظر عنها: إسماعيل مرزه: مبادئ القانون الدستوري والعلوم السياسية، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، 1960م، ص15-16.

(5) سيار الجميل: (العلمنة بين العرب والأتراك، دراسة مقارنة) بحث ألقي في ندوة الإسلام والعلمانية في تركيا المعاصرة التي عقدها مركز الدراسات التركية، بجامعة الموصل في 1995/4/23م.

1876م نشير إلى أبرز معالم محتويات قوانين ما قبل الدستور في الدولة العثمانية منذ 1300م.

لقد ثبت العثمانيون في قوانينهم أن دين الدولة هو الإسلام وأن الشريعة الإسلامية هي منهاج الدولة، وأسندت مهام الإشراف على تطبيق الشريعة إلى المشيخة الإسلامية وعلماء الدين والقضاة والمفتين في المدن والأقضية وفي مرافق الدولة، ومن مظاهر العمل بالشريعة الإسلامية اعتماد الدولة على فتاوى شيخ الإسلام في تنصيب وعزل السلاطين، وإعلان الحرب والقبول بالسلام والموافقة على الهدنة إن اقتضت الحال، كما قامت بالتطبيق الفعلي في أخذ الجزية ومخاطبة الملوك بلغة الخطاب الإسلامي، وإجراء المرافعات في المحاكم وتطبيع المجتمع بالطابع الإسلامي، وبالاضافة إلى هذه الركيزة فقد استندت بعض القوانين الصادرة من الدولة على أحد المصادر الأخرى المعتمدة في الفقه الإسلامي وهو العرف العام، وقلما تجد بعض السلاطين في حل من الالتزام في بعض الأحوال أو أنهم شرعوا قانوناً يتعارض وروح الإسلام.

التنظيمات العثمانية:

لقد أعقبت عهد السلطان محمود الثاني (1808-1839م) فترة إصلاحات متواصلة أخرى، عرفت باسم (التنظيمات العثمانية)[1] أو (التنظيمات الخيرية) تمثلت بإجراءات وقوانين ونظم متواصلة منذ وفاة السلطان محمود الثاني عام (1839م) حتى إلغاء السلطان عبد الحميد الثاني الدستور العثماني عام (1878م).

انبثقت حركة التنظيمات في مطلع عهد السلطان عبد المجيد الأول (1839-1861م) واستمرت حتى نهاية عهد السلطان عبد العزيز (1861-1876م) والتي عرفت اوربياً بـ Tanzimat لكونها اتجهت إلى تنظيم أمور الدولة العثمانية وفق قوانين إصلاحية واستمرت حتى نهاية عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م).

وقد ارتبطت بعض المفاهيم بعهود بعض السلاطين العثمانيين إبان القرن التاسع عشر، إذ ارتبط التحديث بسليم الثالث والإصلاحية بمحمود الثاني والتنظيمات بعبد المجيد الأول والدستورية بعبد العزيز، والجامعة الإسلامية بعبد الحميد الثاني[2].

(1) سيار كوكب الجميل: تكوين العرب الحديث، 1516-1916م، ص339.

(2) المصدر نفسه، ص340.

القانون الأساسي (الدستور):

عندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) السلطة كان هناك تيار قوي يطالب بإعلان الدستور ويرى أن الأوضاع المتدهورة في الدولة العثمانية لا تصلح إلا بإصدار (قانون أساسي) يفهم السلطان بان سلطته ليست مطلقة بل مشروطة بقيود يعينها الدستور، واعتبر رجال الإصلاح أن الدستور سوف يكون الجواب الحاسم للدول الأجنبية التي تطالب بإصلاح الأوضاع في الدولة العثمانية.

وعلى ضوء ذلك وقبل خلع السلطان مراد الخامس (1876م) زار مدحت باشا[1] والصدر الأعظم محمد رشدي باشا[2] ولي العهد عبد الحميد الثاني، وعرضا عليه العرش شريطة الموافقة على (إعلان الدستور) وقد رحب ولي العهد بالعرض ونقل عنه قوله: (إنه يرى أن من أفضل أنواع الحكم التي تتوافق مع حالة البلاد، هي الإدارة الدستورية المشروطية)[3].

وفور توليه العرش في 31 آب 1876م أمر بتشكيل لجنة برئاسة مدحت باشا، تضم ثمانية وعشرين عضواً، وتتألف من عشرة علماء وستة عشر مدنياً وعسكريين اثنين، وضمت مشاهير الحركة الإصلاحية أمثال نامق كمال[4] وضياء باشا[5].

---

(1) مدحت باشا: ولد في القسطنطينية سنة 1882م لأب جاء من بلغاريا -كانت ولاية عثمانية- وشغل منصب قاضي ديني، وكان اسمه (محمد شفيق) ثم أبدله بمدحت باشا ، وهو المعروف بـ(أبي الأحرار) وخالع الملوك، التحق بالخدمة المدنية. ينظر إلى: صديق الدملوجي: مدحت باشا، مطبعة الزمان، بغداد، 1953م، ص26.

(2) محمد رشدي باشا: ويلقب بالمترجم، ولد سنة 1811م في مدينة (يتوب) من أعمال الأناضول، وهو من مشاهير الدولة العثمانية، تدرج في المناصب العسكرية، وتقلد الصدارة العظمى أربع مرات. ينظر إلى: المصدر نفسه، ص241.

(3) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، مكتبة دار الأنبار، ط1، 1407-1987م، العراق، ص95.

(4) نامق كمال: ألمع شخصية فكرية ظهرت في الدولة العثمانية، ولد في فروق (الأستانة) سنة 1834م من أب تركي وأم أرناؤوطية، درس العلوم وبرع في التركية والعربية والفارسية والفرنسية، تدرج في مناصب الدولة وأصبح عضواً في مجلس الشورى. ينظر إلى: صديق الدملوجي: مدحت باشا، ص247.

(5) ضياء باشا: من كبار الأدباء العثمانيين، كان من المتطرفين في الآراء السياسية، يحمل روح التجدد والثورة على القديم، عين والياً على (أدرنة) توفي سنة (1878م) ينظر إلى: المصدر نفسه، ص245.

قدم أعضاء اللجنة ما يقارب عشرين مشروعاً حول الدستور، كان مشروع مدحت باشا أحدها، وأدرج فيه آراء نامق كمال، المتأثرة بالدساتير الغربية، ولا سيما الدستور الفرنسي، وقد جرت مناقشات مستفيضة حول تلك المسودات ثم حظيت المسودة التي تقدم بها مدحت باشا بالقبول(١).

كان مشروع الدستور الذي قدمه مدحت باشا يتألف من (140) مادة وبعد مناقشات مرهقة حذف منه (21) مادة فبقي (119) مادة، ولما عرض على السلطان أجرى فيه تعديلاً في المادة (113) حيث أصبحت تقرأ على الشكل الآتي: (للسلطان الحق بطرد ونفي من يجد فيه خطراً على سلامة الدولة إلى خارج حدود المملكة العثمانية)[2] وحفظ لنفسه بموجب المادة السابعة حق غلق المجلس متى أراد، كما أنه أجبر مدحت باشا على جعل الذات الملكية مصونة وغير مسؤولة بموجب المادة الخامسة منه.

إعلان الدستور العثماني:

في 23 كانون الأول عام 1876م أعلن مدحت باشا الدستور العثماني (القانون الأساسي = المشروطية الأولى) بمرسوم سلطاني[3] في جو احتفالي وأطلقت المدفعية، معلنة ولادة الدستور، في الوقت الذي كان مؤتمر استانبول منعقداً بطلب من روسيا وانكلترا لبحث الاضطرابات في إمارتي الصرب والجبل الأسود وكذلك لبحث مسألة الإصلاحات في الدولة العثمانية وضمان حقوق الأقليات غير المسلمة فيها، وقد أبلغت الدول المجتمعة رسمياً بإعلان الدستور إلا أن المؤتمرين رفضوا مقترحات الدولة العثمانية حول إجراء الإصلاحات[4].

مضمون الدستور:

لقد أكد الدستور نقاطاً سبعاً هي:

1- حقوق السلطان 2- الوزراء 3- البرلمان 4- القضاء 5- حقوق الأفراد

---

(1) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد، حياته وأحداث عصره، ص96.

(2) احمد نوري النعيمي: الحياة السياسية في الدولة العثمانية، ص41.

(3) المصدر نفسه، ص42.

(4) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ص108.

6- إدارة المقاطعات   7- مواد متفرقة.

وهذه بعض البنود الهامة في الدستور:

المادة 3- إن السلطة السنية هي بمنزلة الخلافة الإسلامية الكبرى وهي عائدة بمقتضى الأصول القديمة إلى أكبر الأولاد من سلالة آل عثمان.

المادة 4- إن حضرة السلطان وهو حامي الدين الإسلامي بحسب الخلافة وحاكم جميع التبعية العثمانية وسلطاتها.

المادة 11- إن دين الدولة العثمانية هو الدين الإسلامي، ومع مراعاة هذا الأساس وعدم الإخلال براحة الخلق والآداب العمومية تجري جميع الأديان المعروفة في الممالك العثمانية بحرية حماية الدولة، مع دوام الامتيازات المعطاة للجماعات المختلفة كما كانت عليه[1].

البرلمان:

بموجب دستور عام 1876م تم تشكيل مجلس نيابي على غرار المجالس النيابية في بعض الأقطار الأوربية مثل فرنسا وبلجيكا، كما نص الدستور على تكوين المجلس العمومي الذي يتكون من مجلسين:

مجلس شيوخ، ويطلق عليه مجلس الأعيان، حيث تقوم الدولة بتعيين أعضائه.

مجلس النواب: ويطلق عليه مجلس المبعوثان[2]، ويعين أعضاؤه عن طريق إجراء انتخابات عامة في أنحاء الدولة[3].

ثم جرت الانتخابات في الفترة الواقعة بين 1876-1877م بموجب دستور عام 1876م ووضع قانون للانتخابات في عام 1877م، وبعد ذلك صدر أمر سلطاني

---

(1) موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، ص438. وفيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة أمين فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص243.

(2) المبعوثان: كلمة تركية مشتقة من العربية، وهي جمع مبعوث أي المبعوث من الدائرة الانتخابية، وطبقاً لقواعد اللغة التركية، تتكون صيغ الجمع لبعض الأسماء بإضافة حرفي الألف والنون إلى آخر صيغة المفرد. ينظر: عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية، دولة مفترى عليها، ج1، ص111 الهامش. والمصدر نفسه، ج4، ص1760 الهامش.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص1764.

بحل البرلمان وإيقاف العمل بالدستور في 14 شباط 1878م وظل القانون الأساسي معلقاً والحياة الدستورية معطلة مدة تزيد على ثلاثين عاماً حتى سنة (1908م) حين قرر السلطان عبد الحميد الثاني إعادة العمل بالدستور (المشروطية الثانية) بعد إجراء تعديل على مواد دستورية[1].

وتم افتتاح مجلس المبعوثان في 17 كانون الأول 1908م وافتتح السلطان البرلمان بخطبة العرش.

الركائز الأساسية في الدستور العثماني لعام 1876م:

يتضح مما تقدم من استعراض الوقائع، والمسيرة التاريخية الطويلة الحافلة بالتغييرات منذ ميلاد الدولة العثمانية (1300م) ولغاية الخلافة العثمانية 1924م ان القوانين والإصلاحات الإدارية وتنظيمات الحياة العامة السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية كانت تستند على المرتكزات الآتية:

أولاً: الشريعة الإسلامية، ثانياً: العرف العام، ثالثاً: القوانين الأوربية.

إن الفصل بين القوانين والأعراف في الدولة العثمانية بدأت بمراحل حيث كانت هذه الأمور قبل بدء التنظيمات مصدرها الشريعة الإسلامية وتلتقي جميعها في تربية دينية.

أما بعد عام 1839م (فترة التنظيمات) فقد شرع العثمانيون جانب الاقتباس من قوانين أوربا التجارية والجزائية والنظم الإدارية وبدأت هذه الرابطة والوحدة بين القوانين والدين في انفصال مرحلي ولكن مع ذلك كله، احتفظ الدين والقوانين بجانب كبير من التناسق والوحدة. فقد كان الجانب الكبير من القوانين المدنية مستنداً على مصادر الشريعة الإسلامية[2].

لقد تشكلت لجنة من كبار علماء الدين وبعض أعضاء الديوان وشورى الدولة

---

[1] أحمد نوري النعيمي: الحياة السياسية في الدولة العثمانية، ص44. و موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، ص447. وعبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج4، ص1756.

[2] علي فؤاد باشكيل: موقف الدين من العلم، ترجمة أورخان محمد علي، ط3، د.ط، د.م، 1988م، ص32-33. و أحمد نوري النعيمي: الحياة السياسية في الدولة العثمانية، ص24 الهامش.

ونظموا مجلة (الأحكام العدلية) على مقتضى الشريعة وأصدر السلطان عبد العزيز (1861-1876م) الإرادة السنية بشأنه عام (1872م).

وفي هذا الأثناء وقبله وبعده كانت هناك قوانين خاصة، مثل قانون الأراضي سنة (1857م) وقانون الطابو سنة (1858م) وقانون الجزاء سنة (1857م) وقانون التجارة سنة (1871م) وكانوا في كل ذلك يستندون على القوانين الأوربية وخصوصاً الفرنساوية مع الأخذ بنظر الاعتبار عدم مخالفة النصوص الشرعية[1].

لقد حاولت الدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر استيراد مفاهيم الغرب عن طريق تجديد الأجهزة الإدارية وتقتبس الإصلاحات من النظام الفرنسي[2] وأعقبت المحاولة ضغوط الدبلوماسية الغربية عن طريق بريطانيا على الدولة العثمانية بعد المعاهدة التي أبرمت عام 1829م التي كانت تنص على إدخال المدنية الغربية إلى الدولة العثمانية.

وما كانت مراسيم (1839م) و(1856م) ودستور عام (1876م) إلا ثمرة من نتائج هذه الضغوط[3].

لقد كان الدستور العثماني لعام 1876م متأثراً بالدساتير الغربية وخاصة بالدستور البلجيكي الصادر سنة 1830م والمرسوم البرسوي المعلن سنة 1850م[4] والدستور الفرنسي[5].

---

(1) سليمان البستاني: عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، ص82-83. و أحمد نوري النعيمي، الحياة السياسية في الدولة العثمانية، ص15.

(2) أحمد نوري النعيمي: تركيا وحلف شمال الأطلسي، ص28. سيار كوكب علي الجميل: تكوين العرب الحديث (1516-1916م)، ص327.

(3) أحمد نوري النعيمي: الحالة السياسية في الدولة العثمانية، ص17، 21.

(4) سعيد باشا: سعيد باشا خاطراتي: برنجي، جلد (در سعادت 1328م، ص19-20.

(5) للاطلاع على مدى تأثير الدساتير الفرنسية في الدستور العثماني الذي أعلن عام 1876م أنظر إلى: موريس دوفرجية: دساتير فرنسا، ترجمة أحمد حسيب عباس، المطبعة النموذجية، د.ت، الجمهورية العربية المتحدة، وكذلك أنظر إلى: سليمان فيض: الحقوق الدستورية أو الحقوق الأساسية، د.مط، بغداد، 1921م، وكذلك عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية، دولة مفترى عليها، ج4، ص1778. و أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ص211.

ويجب أن نعلم أن إدخال المدنية الغربية إلى الدولة العثمانية لا يعني تبني العلمانية في الدولة الحديثة، لأن الإسلام لم يكن ليمنع هذه الأمور، لأن التسليم بذلك يعني أن الحضارة الغربية تشجع التحديث وأما الأقطار الإسلامية فإنها متخلفة بسبب الدين الإسلامي، بينما كان للشرق الإسلامي حضارته المتفوقة على الحضارة الغربية التي هي مدينة للحضارة الإسلامية في غابر الأيام، وأن التقدم الغربي مستقى من قيم الإسلام التي علاها الغبار نتيجة الأطماع الأوربية[1].

ومن ناحية أخرى فإن العلمانية بموجب النموذج الغربي تعني فصل الدين عن الدولة، على النقيض من ذلك كانت هناك في الدولة العثمانية علاقة صحيحة بين الدين والدولة، وإنما كانت الدولة تريد الاستفادة من الغرب في مجال العلوم الحديثة[2].

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني: ص226.

(2) أحمد نوري النعيمي: الحياة السياسية في الدولة العثمانية، ص25. ومذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة محمد حرب، توزيع دار الأنصار، 1987م، القاهرة، ص10.

الفصل الثالث

موقف علماء كوردستان من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م

تمهيد

قبل الحديث عن موقف علماء كوردستان من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية في كوردستان العراق خلال حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) لابد لنا من الوقفة في محطات لدراسة نظم التشكيلات الإدارية العثمانية المطبقة والمعدلة أحياناً والملغية بعضها تارة خلال عمر هذه الدولة (1300هـ-1924م).

إن الدولة العثمانية قد بلغت ذروة اتساعها في الفترة التاريخية، بين سنة (1590) وسنة (1612م)، وعدد الأيالات[1] لم يتجاوز حينئذ على (35) أو (36) وهو عدد أقل مما كان عليه خلال الربع الثالث من القرن السابع عشر حين كان قد وصل إلى (39) ولاية.

وعندما بلغت الحكومة العثمانية أقصى اتساعها وصل العدد الكلي للأقاليم والإيالات العثمانية إلى (44) إيالة، بعد أن أضيفت إليها نيابات عثمانية تتبع السلطة المركزية في عاصمة الدولة، وهي (طرابلس الغرب، وتونس، والجزائر، والحجاز، ومولدافيا، ولاجيا).

لم تبق هذه الولايات ثابتة في الأعداد والأحجام على مدى تاريخ الدولة فقد تقلصت أو أضيفت إليها حسب الأوضاع المستجدة، كما لم تكن الحدود ثابتة بين الولايات العثمانية لأنها كانت تقسيمات إدارية وليست سياسية.

التقسيم الإداري العثماني الأول:

أدت التطورات الحاصلة للدولة العثمانية إلى ضرورة بناء تشكيلات إدارية مرتبطة سياسياً بمقر السلطنة، وكان أول تقسيم إداري هو الذي عرف بـ(السنجق=اللواء)[2] وهي مقاطعات يحكمها حاكم يدعى (سنجق باغ) أو (أمير لواء)

---

[1] الإيالة: كلمة عربية تعني أكبر وحدة إدارية في الامبراطورية العثمانية. ينظر إلى: ستيفن هيمسلي لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية جعفر خياط، مطبعة المعارف، ط4، بغداد، 1968م، ص323.

[2] السنجق أو السناجق أو الصنجق او الصناجق: كلمة تركية ومعناها العلم أو اللواء، وقد أصبحت تطلق على القسم من الولاية، ولا يزال مرادفها في العربية وهو اللواء (يطلق على المعنى نفسه في بعض الأقطار العربية)، وقد تكون (الصنجقية) أيضاً مجرد رتبة دون أن يكون حاملها

وخلال عهد أورخان (1324-1360م) كانت هناك أربع مقاطعات عثمانية وهي:

1- سلطان يوجي: حول أسكي شهر.

2- خورفودكار=بلاد السلطنة حيث يقيم السلطان شخصياً.

3- خوجه إيلي. 4- كرزايلي[1].

وحينما توسع مراد الأول (1359-1389م) ظهر تقسيم آخر عرف بـ(الأناضولي) في القسم الآسيوي و(الرومللي) في القسم الأوربي، وكل منطقة منها مقسمة إلى مقاطعات عسكرية إقطاعية، وتكون في مجموعها (إيالة) يحكمها (باشا) برتبة (بكلرباي = بيك البيكات).

ولما وسع كل من بايزيد الأول (1389-1402م) ومحمد الفاتح (1446 و1451-1481م) وسليم الأول (1512-1520م) المملكة نحو الشرق، فلم ترتبط المناطق المستولى عليها مباشرة بإيالة الأناضول، بل قسمت إلى أقاليم إقطاعية مستقلة.

وكان هناك أيضاً إلى جانب هذه التقسيمات (الإيالة، السنجق، الأقليم الإقطاعي) دوائر تكون تحت إشراف القضاة، كما كانت هناك حكومات تابعة لسلطة وتحكمها أسر محلية مرتبطة بسلطة المركز[2].

ولما جاء السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) أقر هذا النظام، وظل (نظام الولاية) معمولاً به في خطوطه الأساسية حتى سقوط الدولة العثمانية في بداية القرن العشرين.

حاكماً لصنجقية، فرتبة (صنجق طبلخانه) مثلاً كانت تكسب صاحبها الحق في أن يدق له الطبل وغيره من الآلات الموسيقية عند قدومه، وكان عدد صناجق البلاد أول الأمر أربعة وعشرين، ثم احتفظت الدولة العثمانية لنفسها بالحق في إعطاء هذه الرتبة كما احتفظت بالحق في تعيين صناجق الثغور المهمة، أما التعيين للصنجقيات الباقية فكان يحدث تبعاً لقوة المتنافسين عليها، فكان صاحب النفوذ يسعى لجعل الصناجق من تابعيته أو ممتلكاته. ينظر إلى موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ص456-457.

(1) سيار الجميل: العثمانيون وتكوين العرب الحديث من أجل بحث رؤيوي معاصر. ص31.

(2) أبو خلدون: البلاد العربية والدولة العثمانية: 135 و سيار الجميل: العثمانيون وتكوين العرب الحديث من أجل بحث رؤيوي معاصر، ص331.

حدود كوردستان العراق في العهد العثماني:

استولى العثمانيون على معظم أجزاء العراق الحالي ومنذ عام 1534م على يد السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) وقد تم تقسيم العراق إلى عدة ولايات، وكانت المناطق الكوردية ضمن العراق الحالي مقسمة هكذا:

1- **ولاية الموصل**: التي كانت تضم ستة سناجق (ألوية) ولم تكن حدود هذه الألوية واضحة لأنها كانت مجاورة لمنطقة كوردستان التي أصبحت أيالة باسم (شهرزور) ويفهم من هذا أن جعل الموصل ولاية كان الهدف منه السيطرة على المناطق الكوردية الجبلية من مناطق كوردية أكثر انبساطاً.

2- **ولاية شهرزور** التي برزت في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وكانت مقسمة إلى عشرين سنجقاً وهي:

(سروجك، أربل، كستان، شهربازار، جنكوله، جبل حمرين، هزار مرد، الحوران، مركاره، حرير، رودين، تيل طاري، سبه زنجير، عجور، أبرمان، باق، برنلي، بلقاص، أوشني، قلعة غازي)[1].

3- **ولاية بغداد**، وقد قسمت إلى ثمانية عشر سنجقاً، هي:

(الحلة، زنكاباد، من توابعها، السعدية، الجواز (الجزائر)، الرماحية، قره داغ، درتنك، السماوة، البيات في كركوك، درنه، دقبالا، واسط، كرند، دميرقبو، قزانية، كيلان العراق (كيل)، كفري، العمادية.

وقسم من سناجق بغداد تقع الآن ضمن كوردستان الشرقية[2].

إضافة إلى ما ذكر فقد كانت توجد مناطق أخرى تسكنها القبائل الكوردية التي تسمى الفيلية (اللرية) وتقع تلك الأراضي ضمن حدود ولاية البصرة، ولم تقسم إلى سناجق لمعرفة تحديد المناطق الكوردية ضمنها[3].

---

(1) مجلة طولان العربي: العدد 42، السنة الرابعة، 30 تشرين الثاني، 1999م، كوردستان العراق، أربيل، ص63.

(2) علاء موسى، كاظم نورس: حكم المماليك في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975م، ص15.

(3) ويذكر الدكتور خليل إسماعيل في كتابه: (إقليم كوردستان العراق، دراسة حول التكوين القومي للسكان): واقتطفت منه (جريدة خقبات، لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني/ إقليم كوردستان، مقالاً في العدد 964 في 2000/2/18م، ص12، كما يلي: (استناداً إلى الأسس

إن هذه التنظيمات لم تبق على حالها حيث إن الصراع الدائر بين الإيرانيين والأتراك كان يجعل هذا الجزء من كوردستان أو ذاك خاضعاً تارة إلى إيران وأخرى إلى تركيا، وقد ساهم في ذلك إلى حد بعيد ضعف الفكر القومي عند الكورد، إضافة إلى انعدام القيادة الكوردية التي تحمل مثل هذا الفكر، حيث لم يفكر القادة المحليون بأكثر من الحفاظ على مناصبهم وامتيازاتهم المحلية من الضياع حتى لو كان ذلك على حساب الشعب الكوردي نفسه ومصالحه، إذ كان بالإمكان أن يتفق قادة إمارات (سوران، بادينان، بابان، ... الخ) على صيغة إدارية معينة ويتحدوا فيما بينهم لخدمة قضايا أمتهم، ولكن شيئاً من هذا القبيل لم يحصل، لذلك فإن نهايتهم كانت حتمية على أيد أعدائهم وبمرور الوقت استطاعت (إيران) أن تستولي على مناطق من ولاية بغداد وكذلك (شهرزور) وكالآتي:

1- تنازل العثمانيون عن (درتنك) الشرقية، أي معظم قراها ونواحيها لقاء احتفاظهم بمناطق شرق الأناضول (كوردستان الشمالية) بموجب معاهدة (سةراد) سنة 1618م وثبت ذلك في معاهدة (زهاو) عام 1639م وقد تم احتلال درتنك عام 1820م[1].

2- درنة: وقد كانت سنجقاً (لواء) تابعاً لولاية بغداد، وكان أمراء هذا السنجق من أسرة (بابان) الكوردية وقد استولت عليها (إيران) عام 1820م وتم تأكيد هذه السيطرة عام 1847م.

الطوبوغرافية والتاريخية والديموغرافية في الإقليم وتجاوزاً لعمليات استيطان البدو والعشائر العربية وحملات التعريب المستمرة بعد قيام الحكم الملكي في العراق، فإن حدود الإقليم تبدأ من منطقة التحضر في محافظة واسط جنوب شرق قصبة (بدرة) ممتدة شمالاً حتى (جسر النفط) غرب قصبة مندلي، محاذية لمرتفعات (حمرين) حتى الفتحة حيث تمتد مع نهر (دجلة) حتى شمال مدينة (الموصل) لتنحرف نحو الجنوب الغربي باتجاه قصبة الحضر، ثم تتجه غرباً نحو الحدود السورية شمال قصبة (البعاج) وتبلغ في ضوء ما سبق مساحة الإقليم (78736)كم2 من مساحة العراق وتضم المناطق التالية:

1- محافظة دهوك، أربيل، السليمانية، كركوك. 2- كافة نواحي وأقضية محافظة نينوى عدا أقضية الموصل والبعاج.

3- أقضة خانقين، كفري، مندلي، (عدا ناحية بلدروز) في محافظة ديالى. 4- ناحية مركز قضاء (بدرة) في محافظة (واسط).

[1] نزار عبد اللطيف وآخرون: الحدود الشرقية للوطن العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981م، ص162.

3- كيلان: وكانت تعد سنجقاً (لواء) ضمن إيالة (بغداد) في أواخر القرن السادس عشر، ويعرف الآن باسم (كيلان غرب) وفي منتصف القرن الثامن عشر، استولت عليه إيران وتم إلحاقه بـ(كرمنشاه).

4- كرند: لا يعلم على وجه التحديد تاريخ ضمه إلى إيران، ولكن معاهدة أرضروم الثانية عام (1847م) أقرت ضمه إلى إيران.

5- زهاو: استطاع القائد الكوردي (كريم خان الزند) (1705-1779م) من تحرير مدينة (زهاو) الكوردية عام (1777م) وفي عهد (فتح علي القاجاري) سنة (1797-1834م) استولى عليها حيث ضمت إلى إيران بشكل نهائي، وتم تأكيد هذا الضم في معاهدة أرضروم الثانية عام 1847م[1].

6- قصر شرين[2]: استولت عليها إيران عام 1820م وقد اعترفت الدولة العثمانية بذلك عام 1913م.

إن هذه المناطق الكوردية الحدودية كانت مسكونة من قبل القبائل الكوردية الفيلية وعشائرهم من (اللورية) مثل (السنجابي والكلهر) ونشير هنا إلى أن (ذو الفقار خان كلهر)[3] استطاع بمعاونة عشائر الكلهر من الاستيلاء على (بغداد، ولم يتمكن الشاه (طهماسب)[4] من القضاء عليه رغم هجماته منذ عام 1530م ولكنه استطاع بخيانة أخويه من فتح بغداد، ويعتبر (كريم خان الزند)[5] من أكثر الحكام

---

(1) نزار عبد اللطيف وآخرون: الحدود الشرقية للوطن العربي، ص165.

(2) قصر شرين: موضع قريب من قرميسين بن همذان وحلوان في طريق بغداد إلى همذان وفيه أبنيه عظيمة، وهي أيوانات كثيرة وقصور ومتنزهات وهي بلدة في شمال غربي إيران، بالقرب منها أنقاض يرقى عهدها إلى بني ساسان، كانت مصيفاً لشرين زوجة الملك خسرو أبرويز (560-628م) فسميت باسمها، ينظر إلى: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج4، ص358، و منجد الأعلام، ص553.

(3) لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط4، مطبعة المعارف، بغداد، 1968م، ص35.

(4) طهماسب الأول: (1514-1576م) ثاني شاهات السلالة الصفوية في إيران، ابن الشاه اسماعيل الأول، تولى الحكم (1524م) وحارب الأوزبك والأتراك، أضاف همايون ابن بابر (1541م) وعقد صلحاً مع الأتراك عام (1554م) ينظر إلى: منجد الأعلام، ص438.

(5) للتفاصيل ينظر إلى المصادر السابقة: محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص217، وعبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص45. وشاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص23.

الذين حاولوا استرجاع مثل هذه المناطق الكوردية، ليس لأهميتها فقط بل إن هذه القبائل المتواجدة في المنطقة تنتمي إلى نفس الأصول العشائرية الكوردية سواء كان ذلك في إيران أو العراق، وإن حركة هذه العشائر الكوردية هي ضمن أراضي الوطن الكوردي الواحد.

التشكيلات الإدارية لولاية الموصل:

قبل التطرق إلى التشكيلات الإدارية العثمانية في الموصل، لابد من الإشارة إلى أن النظام الإداري العثماني يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظامين الحربي والاقطاعي العثماني، وكان هذا النظام يطبق بالتدريج، فالفترة بين دخول المنطقة تحت السيطرة العثمانية وتطبيق التنظيمات تعرف (بالفترة الانتقالية في الإدارة العثمانية لأن المهم في المرحلة الأولى هو تأكيد وإبراز الهوية العثمانية للمنطقة دون تغيير البنى الإدارية والاقتصادية والأطر الحياتية)[1].

وفي ضوء ما سبق فإن الموصل لم تشهد أية تنظيمات إدارية حتى حملة السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) إلى بغداد سنة 1534م إذ استمرت التنظيمات الإدارية السابقة كما هي دون تغيير، وقد وضعها حاكم إمارة (آلاق قوينلوي) حسن الطويل (857-882هـ)، إذ كانت دياربكر[2] والموصل[3] والرها[4]،

---

[1] التنظيمات الإدارية العثمانية في إيالة البصرة: بقلم علي شاكر علي: مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، العدد 35، لسنة 1983م، ص128.

[2] دياربكر: هي بلاد كبيرة واسعة، وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا، وآمد، وميافارقين، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وما تخلل ذلك من بلاد ولا يتجاوز السهل، ينسب إليها من المحدثين عمر بن علي بن الحسن الدياربكري. ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج2، ص494، وأقول أنها تقع ضمن كوردستان تركيا.

[3] الموصل: المدينة المشهورة العظيمة، إحدى قواعد بلاد الإسلام، قليلة النظير: فهي محط رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهو باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان.. وهي مدينة قديمة الأس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى. ينظر إلى ياقوت الحموي، مج5، ص223.

[4] الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينها ستة فراسخ، ونسب إليها جماعة من المتقدمين والمتأخرين، أمثال يحيى بن أسد الرهاوي والحافظ عبد القادر بن عبد الله الرهاوي. ينظر إلى: المصدر نفسه، مج3، ص106.

تشكل وحدة إدارية واحدة وبعد قيام ولاية دياربكر اتخذت الموصل سمة سنجق سنة 1518م كما تشير دراسة وثائقية عن التقسيمات الإدارية الأولى لولاية دياربكر[1] على رأس السنجق مير لواء سنجق بك.

وفي أعقاب حملة السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) على بغداد عام 1534م والتي هي استكمال للسيطرة العثمانية التي شملت شمال العراق [كوردستان العراق] ووسطه[2]، بدأت التنظيمات الإدارية العثمانية تتضح في الموصل.

إن الوثائق العثمانية التي يرجع تاريخها إلى سنة (1539-1540م) تشير إلى حدود ولاية الموصل على النحو التالي:

من الشمال ولاية دياربكر، ومن الشرق ولاية شهرزور، ومن الجنوب ولاية بغداد، ومن الغرب ولاية الرقة[3].

أما التقسيمات الإدارية للولاية فتظهر ولاية الموصل في تلك الوثائق وهي تشتمل على ستة سناجق مركزها الموصل، وهي (أسكي موصل[4]، وتكريت[5]، وزاخو[6]، وعانة[7]، وكشاف. وهذا هو التقسيم الإداري الأول للولاية[8].

---

[1] نجاة كويونج: التقسيمات الإدارية الأولى لمركز دياربكر، مجلة كلية الآداب التاريخية، أنقرة، العدد 23 آذار، 1969م، ص31.

[2] صالح أوزيران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي، ترجمة عبد الجبار ناجي، البصرة، 1979م، ص27.

[3] الرقة: وهي مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي، ينظر إلى معجم البلدان، مج3، ص58-59.

[4] أسكي موصل: بلدة شمالي الموصل (العراق)، هي (بلد) القديمة، اشتهرت في العهد العباسي، ولربما قامت على أنقاض مدينة (شهر آباد) الفارسية. ينظر إلى: منجد الأعلام، ص44.

[5] تكريت: مدينة في العراق على شاطئ دجلة الأيمن شمالي (سامراء) مركز قضاء تكريت، فيها ولد صلاح الدين الأيوبي، هدمها تيمور لنك 1394م. ينظر إلى المصدر نفسه، ص190.

[6] زاخو: بلدة في العراق مركز قضاء زاخو (محافظة دهوك) ينظر إلى المصدر نفسه، ص318.

[7] عانة وكشاف: بلدتان تقعان في الطرف الغربي من العراق.

[8] أنظر عن ذلك مذكرات مأمون بك بن بيكه بك: نقلها إلى العربية وعلق عليها، محمد جميل الروذبياني وشكور مصطفى، (مطبعة المجمع العلمي العراقي)، بغداد، 1980م، ص73، ومما تجدر الإشارة إليه أن مذكرة مأمون بك أمير أردال تضم عدة وثائق عثمانية تكشف طبيعة العلاقة بين الأردلانيين والدولة العثمانية.

التنظيمات الإدارية العثمانية الجديدة وتطبيقاتها في الموصل 1879-1918م:

أصدرت الدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة من (1839-1876م) عدة مراسيم وقوانين، استهدفت وقف التداعي والانهيار في الدولة والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وذلك بإعادة النظر في كافة القوانين القديمة التي لم تعد تلبي متطلبات العصر، وبقدر تعلق الأمر بالإدارة، فقد نظم قانون 1864م والذي يعرف بـ(قانون الولايات) غير أن هذا القانون لم يطبق في العراق إلا بعد مجيء مدحت باشا إلى حكم بغداد 1869-1872م حيث شرع بعد أيام من توليه تطبيق القوانين الإصلاحية ومنها (قانون الولايات)[1] فقسم العراق إلى ثلاث ولايات هي: بغداد، والموصل، والبصرة.

فأصبحت حدود ولاية الموصل تمتد إلى ولايتي (وان)[2] و(دياربكر) من الشمال ومملكة فارس (إيران) من الشرق، وسنجق (دير الزور)[3] من الغرب وولاية بغداد من الجنوب[4].

الوضع الإداري لكوردستان العراق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م:

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م، كان العراق الذي كونه الانكليز يتكون من ثلاث ولايات:

---

(1) لمزيد من التفاصيل عن قانون الولايات يمكن الرجوع إلى: مجموعة التنظيمات العثمانية المنشورة باسم (الدستور) ترجمة نوفل أفندي نصر الله نوفل، بيروت، 1301هـ، مج1، ص382-397.

(2) وان: مدينة في تركيا على الشاطئ الشرقي لبحيرة وان ينظر إلى منجد الأعلام، ص740 [وأقول إنها مدينة كوردية في كوردستان تركيا].

(3) دير الزور: مدينة سورية على الفرات الأوسط، ومحافظة دير الزور، أو الجزيرة لها قضاءان، الميادين، وأبو كمال، ينظر إلى المصدر نفسه، ص294.

(4) نمير طه ياسين: بداية التحديث في العراق (1869-1914م) أطروحة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 1984م، ص82.

وهي ولاية الموصل وولاية بغداد، وولاية البصرة

1- ولاية الموصل كانت مكونة من ثلاث سناجق وهي:

أ- سنجق المركز ويضم أقضية (دهوك، زاخو، العمادية، سنجار، عقرة).

ب- سنجق كركوك وفيه أقضية (أربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري).

ج- سنجق السليمانية ويضم أقضية (بازيان، حلبجة، شهرزور، مركه).

2- ولاية بغداد المكونة من ثلاثة سناجق هي (المركز، الديوانية، كربلاء).

وفي سنجق المركز كانت تقع أقضية كوردية مهمة مثل قضاء (الكوت، خانقين، بعقوبة، مندلي، بدره).

3- ولاية البصرة المكونة من ثلاثة سناجق هي (المركز، المنتفك، الإحساء) والمناطق الكوردية هنا تقع ضمن قضاء (دويريج) من سنجق مركز العمارة.

إن الكورد في هذه المناطق يوضعون دائماً تحت التبعية الإيرانية لهدفين:

الأول: هو تقليل نسبة السكان الكورد في العراق قومياً وبالتالي الاستيلاء على أراضيهم.

الثاني: مذهبي لكون سكان هذه المناطق الكوردية من الشيعة، وتبلغ نسبة الكورد الفيلية وعشائرهم اللورية قرابة (2.5٪)[1].

يتضح لنا مما تقدم أن ولاية الموصل ليست كوردستان العراق إطلاقاً بل هي جزء من كوردستان العراق التي تشمل أجزاء من ولاية بغداد (أقضية) إضافة إلى مناطق أخرى تقع ضمن ولاية البصرة.

بمعنى أن كوردستان في بداية القرن العشرين في العراق كانت تتمثل بولاية (الموصل إضافة إلى أقضية الكوت، خانقين، بعقوبة، مندلي، بدرة، دويريج.

والذي يهمنا هنا هو بيان الوضع الإداري لكوردستان العراق المتمثلة بولاية الموصل في العهد الحميدي[2].

---

[1] أمين سامي الغمراوي: الأكراد في شمال العراق، ط1، القاهرة، 1967م، ص103.

[2] نعتمد في هذا البحث على مصادر عدة ولكن أوثق المصادر في هذا الباب هي (السالنامات العثمانية) ويتألف مصطلح (سالنامه) من مقطعين هما (سال) أي سنة (نامة) أي سجل أو كتاب، فيصبح المعنى (الكتاب أو السجل السنوي) وأطلقت تسمية (سالنامه) على المطبوعات

الموصل في التاريخ:

قسم العرب بلاد ما بين النهرين إلى إقليمين الأسفل والأعلى وقوام الإقليم الأسفل أرض الرسوب الخصبة وهي بلاد بابل القديمة، وقد عرف هذا الإقليم بالعراق[1] وحده الشمالي خط يمتد من الشرق إلى الغرب ابتداءً من دجلة ومنتهياً بالفرات وأكبر مدن العراق في أيام العباسيين كانت بغداد، وأنشأ المسلمون الفاتحون قبل قيام الدولة العباسية بقرون ثلاث مدن كبيرة: وهي واسط، الكوفة، والبصرة ولم يتجاوز حدوده شمالاً أبعد من هيت وتكريت ولم تعتبر الأرض المتنازع عليها أي ولاية الموصل يوماً جزءاً من العراق ومن المعلوم أن اتفاقية سايكس بيكو 1916م ميزت بين العراق وولاية الموصل كما أنه ورد في المطالب التي قدمها ممثل

الرسمية السنوية للدولة العثمانية. والسالنامات العثمانية على أنواع منها خاصة بالدولة العثمانية ومؤسساتها عموماً والمعروفة باسم (دولت علية عثمانية سالنامة سى) وأخرى تصدرها وزارة من الوزارات، وهناك (سالنامات) تصدرها الولايات العثمانية كلاً على حدة، وكانت ولاية (البوسنة) أول ولاية عثمانية تصدر سالنامه خاصة بها، وفي العراق بدأت ولاية بغداد بإصدار سالنامه خاصة بها منذ سنة 1293-1876م، أما ولايتا البصرة والموصل فقد بدأتا بإصدار سالنامات خاصة بها وباللغة التركية سنة (1308هـ-1890-1891م) وكانت السالنامات تنشر المعلومات المتعلقة بالإدارة العثمانية في الولاية والتقسيمات الإدارية (ألوية، أقضية، نواحي، قرى) وغيرها من تشكيلات الجيش أو الشرطة وكذلك المعلومات الاقتصادية ومعلومات عن سكان الولاية ونبذة عن الجغرافية والمظاهر الطبيعية فيها، وقد جرى تسجيل تلك المعلومات على أساس معلومات مؤكدة وموثقة، لقد أصدرت ولاية الموصل خمس سالنامات هي:

1- سالنامة سنة 1308هـ-1890-1891م.
2- سالنامه سنة 1310هـ-1892-1893م.
3- سالنامه سنة 1312هـ-1894-1895م.
4- سالنامه سنة 1325هـ-1907-1908م.
5- سالنامه سنة 1330هـ-1911-1912م.

مجلة جامعة دهوك، مج1، العدد 2، تشرين الثاني، 2000م، مطبعة جامعة دهوك، ط1، ص44-46، بحث بقلم عبد الفتاح علي يحيى.

(1) لمزيد من التفاصيل والاطلاع على تعريف العراق وحدوده ينظر إلى المصادر السابقة: البلاذري: فتوح البلدان، القسم الثاني، مراجعة صلاح الدين المنجد، ص750. وياقوت الحموي: معجم البلدان، مج4، ص93-94. وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1337هـ-1954م، ص16-17.

الأكراد في عصبة الأمم شريف باشا[1] حول كوردستان عام 1919م بناءً على طلب الحلفاء بأن ولاية الموصل منفصلة عن العراق وتثبت الوثائق الدولية في الأمم المتحدة أن ولاية الموصل هي كوردستان الجنوبية[2].

وفي الصراع الأخير بين البريطانيين والأتراك حول ولاية الموصل بذل البريطانيون جهداً لكي يبرهنوا على أن تسمية (العراق) تشمل الموصل غير أن اللجنة التي عهدت إليها التحقيقات في القضية توصلت بعد دراسات مستفيضة واستشارات مكثفة مع المؤرخين والجغرافيين ومراجعة أعداد كبيرة من الخرائط العربية الأوربية فتأكدت من وجود ثلاث مناطق هي:

أ- العراق. ب- الجزيرة. ج- ولاية الموصل.

وحيث إن العراق مكون من العراق العربي والجزيرة، فإن كوردستان هي ولاية الموصل غير داخلة في العراق[3]، لقد وصف ابن حوقل وكان في الموصل سنة 358هـ-996م هذه المدينة بأنها بلدة طيبة الهواء عامرة الأسواق وكان جل أهلها في المائة الرابعة عشرة من الأكراد[4].

وفي 16 كانون الأول عام 1925م انتهت قضية الموصل بعد صدور قرار مجلس عصبة الأمم القاضي بإلحاق ولاية الموصل بالعراق، وفي عام 1926م عقدت معاهدة بين بريطانيا وتركيا والعراق سويت بموجبها قضية الموصل.

ولاية الموصل:

أما التشكيلات الإدارية في ولاية الموصل بعد سنة 1879م في عهد السلطان

---

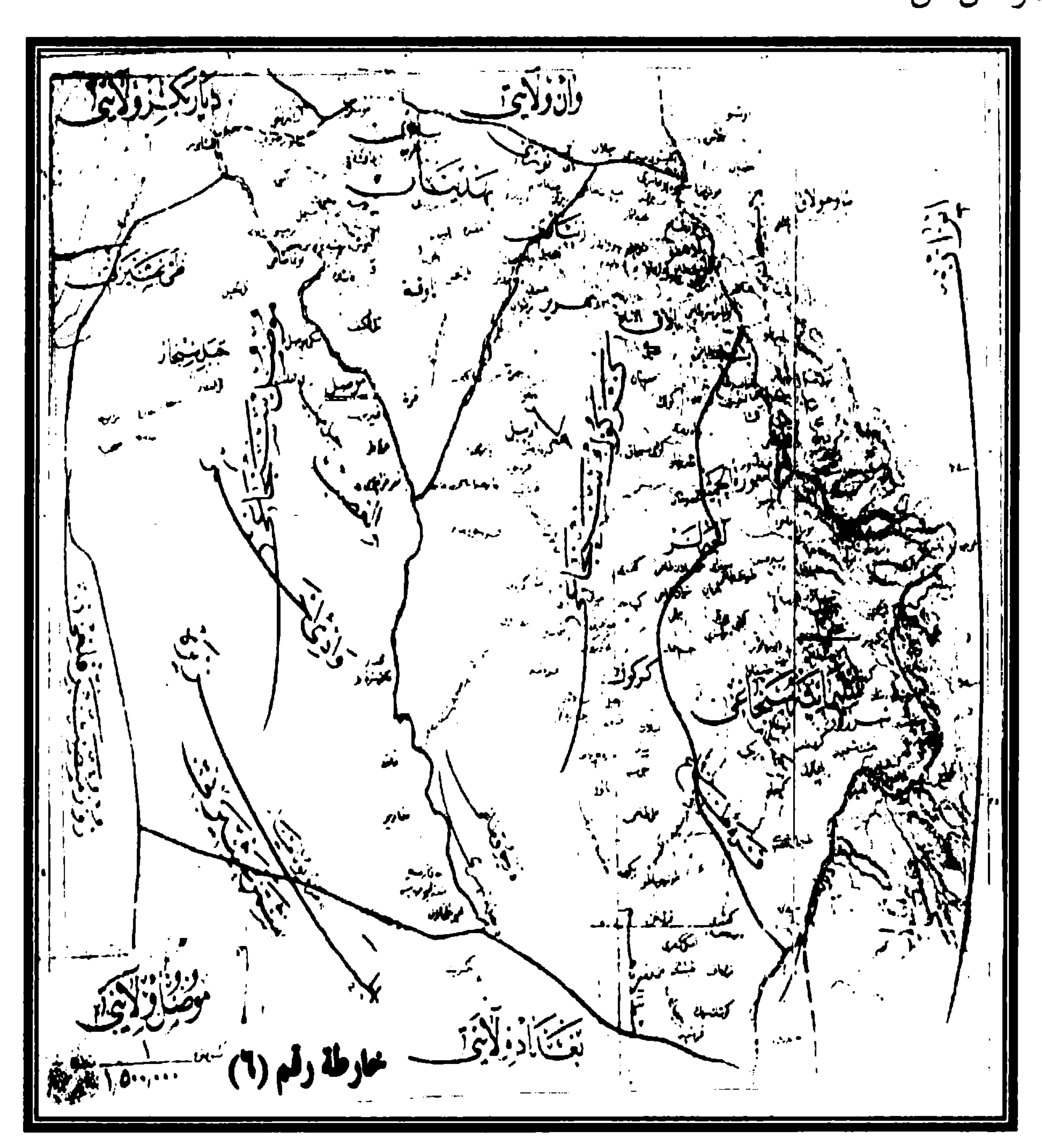
[1] لمزيد التفاصيل حول القضية الكوردية في المعاهدات الدولية ومشكلة الموصل ينظر إلى: سرو أسعد: كوردستان من بداية الحرب العالمية إلى نهاية مشكلة الموصل 1914-1926م. رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 1999م، ص74. والمصادر السابقة: فاضل حسين: مشكلة الموصل، ط3، مطبعة إشبيلية، بغداد، 1977م، ص12.

[2] نجم عمر السورجي: مصير ولاية الموصل، (كوردستان الجنوبية) ما بعد عام 2000م، ط2، مزيدة ومنقحة، السليمانية، 1999م، ص37.

[3] نجم عمر السورجي: مصير ولاية الموصل، (كوردستان الجنوبية) ما بعد عام 2000م، ط2، مزيدة ومنقحة، السليمانية، 1999م، ص27-28.

[4] ابن حوقل: ص215. و كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ص122، 115-116. والمصادر السابقة: البلاذري: فتوح البلدان، القسم الثاني، ص407.

عبد الحميد الثاني (1876-1909م) فقد ضمت ثلاثة ألوية وسبعة عشر قضاءً لقد انقسمت الولاية إلى وحدات إدارية عرف كل منها بالسنجق[1]، وانقسم السنجق بدوره إلى وحدات إدارية صغرى، دعي كل منها بالقضاء وانقسم القضاء إلى مجموعة من الوحدات الإدارية أطلق على كل منها ناحية وتشمل الأخيرة على وحدات إدارية صغرى عرف كل منها بالقرية وانقسم كل من السنجق والقضاء والناحية إلى ثلاث درجات كما كانت الولاية تقسم أيضاً إلى درجات وتصنف ولاية الموصل من الثالثة[2].



خارطة رقم (٦)

---

(1) سمت بعض المصادر السناجق خطاءً بالألوية ينظر إلى الرقيب، السنة الأولى، العدد 0/25/8، 1327هـ.

(2) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج8، ص50.

أولاً: سنجق الموصل:

1- قضاء الموصل مركز سنجق = لواء. 2- قضاء العمادية. 3- قضاء زاخو. 4- قضاء دهوك.

5- قضاء عقرة. 6- قضاء سنجار.

ثانياً: سنجق كركوك:

1- مركز سنجق لواء كركوك. 2- قضاء راوندوز. 3- قضاء أربيل. 4- قضاء كفري (صلاحية). 5- قضاء كويسنجق. 6- قضاء رانية.

ثالثاً: سنجق السليمانية:

1- مركز سنجق اللواء سليمانية. 2- قضاء كلعنبر. 3- قضاء بازيان. 4- قضاء شهربازار.

5- معمورة الحميد[1].

إن السالنامات العثمانية الصادرة في مطلع القرن العشرين توضح بشكل جلي عدد الأقضية والنواحي التابعة لولاية الموصل فالتقسيمات الإدارية للولاية كما وردت في سالنامة 1909م 1327هـ كانت على النحو الآتي:

السنجق	صنفه	القضاء	صنفه	الناحية	عدد القرى
الموصل	3	الموصل		شيخان، عشائر السبعة، وكانتا ترتبطان بمركز السنجق	506
		العمادية	1	داودية، برواري بالا، برواري ذيري، ريكان، نيروة.	-

---

[1] سالنامه ولاية موصل: سالنامه رسمسيدر، 1325هـ-1907م، مكتوني معاوني ومطبعة مدير وسر محرري، عزتلو صفوت بك، موصل، مطبعة سنده طبع اولنمشد، ولاية تقسيمات ملكية سي، ص229، 230، 232.

السنجق	صنفه	القضاء	صنفه	الناحية	عدد القرى
		زاخو	2	ترتبط به ناحية واحدة	110
		دهوك	3	مزوري	215
		عقرة	3	سورجي، زيبار	132
		سنجار	2	تلعفر	–
كركوك		كركوك		ملحة، داقوق، التون كوبري، كيشوان وكانت تلك النواحي ترتبط بمركز السنجق مباشرة	348
		رواندوز	1	دير حرير، بالك، برادوست، شيروان	283
		كويسنجق	3	شقلاوة	121
		رانية	3	–	90
		أربيل	2	سلطانية، ديزقيي	230
		كفري صلاحية	2	قرتبه، طوزخورماتو	–
السليمانية		السليمانية	1	قرةطاغ، سرجنار شرق، سرجنار غرب، سورداش	312
		كلعنبر	2	قزلجة، سرجوك	309
		معمورة الحميد	3	سوارداش، بشدر	177
		بازيان	2	سنكاو، سيوكة	159 وسبعة عشائر
		شهربازار	3	ماوت	–
المجموع 3		17	33		2947[1]

---

[1] سالنامة دولت علية عثماني: در سعادت: مطبعة أحمد إحسان، 1326هـ، ص711-715، 718، 723، 226، 730. وسالنامة الموصل لسنة 1327هـ، ص11. وفيصل محمد الأرحيم: تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، 1908-1914م، الموصل، 1975م، ص47.

لقد كانت الموصل خلال السنوات الثلاثة الأولى من العهد الحميدي (1876-1909م) تعد واحدة من سناجق (ألوية) سبعة كانت تتألف منها ولاية بغداد، وهي: بغداد، والسليمانية، وكربلاء، والعراق، والموصل، وشهرزور، والحلة.

وقد ظلت الموصل على تلك الحال إلى عام 1879م حيث أصبحت ولاية مستقلة[1] وأصبحت تحتوي فضلاً عن سنجق الموصل كلاً من سنجقي السليمانية وشهرزور[2] واعتبر الخط الذي يبدأ من مدينة عانة على نهر الفرات وحتى مدينة تكريت على نهر دجلة بمثابة الحد الفاصل بين ولايتي بغداد[3] والموصل، أما مساحة ولاية الموصل فتقدر بـ(91.000)كم2[4] وكان راتب والي الموصل يساوي (15.000) ألف قرش[5].

تعاقب على حكم ولاية الموصل خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) الذي دام مدة ثلاثة وثلاثين عاماً أربعة وعشرون والياً تراوحت فترات حكمهم بين أقل من سنة واحدة وخمس سنوات وقد وصف أولئك الولاة بصورة عامة بأنهم كانوا يتمتعون بالمقدرة والكفاءة باستثناء قلة من الولاة الضعفاء والمرتشين[6].

أسماء ولاة الموصل منذ تحويلها إلى ولاية في سنة 1879م وحتى انتهاء حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)

ت	اسم الوالي	فترة حكمه بالسنوات الميلادية
1	فيضي باشا	1878-1878
2	عبد النافع أفندي	1879-1878

(1) هيمسلي لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ط4، 1968م، ص367.

(2) الزوراء (صحيفة) العدد 807 في ثلاثين صفر 1296هـ.

(3) ألكسندر داحوق: ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، ج1، مطبعة جامعة البصرة، ط1، البصرة، 1982م، ص10.

(4) بيكباشي محمد نصر الله وآخرون: ممالك محروسة شاهانية، مخصوص مكمل ومفصل أطلس، شركة مرتبية مطبعة سي، استانبول، 1325هـ، ص102.

(5) عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج8، ص50.

(6) صديق الدملوجي: إمارة بهدينان الكوردية أو إمارة العمادية، ص71.

ت	اسم الوالي	فترة حكمه بالسنوات الميلادية
3	الفريق منير باشا وكيل والي	1881-1879
4	تحسين باشا	1885-1881
5	فائق باشا	1886-1885
6	رشيد باشا	1887-1886
7	طاهر باشا	1890-1887
8	عبد القادر كمال باشا	1891-1890
9	عثمان باشا	1892-1891
10	عزيز باشا	1894-1892
11	صالح باشا	1895-1894
12	الفريق عبد الله باشا	1895-1895
13	زهدي بك	1896-1895
14	عبد الواحد باشا	1897-1896
15	المشير عارف باشا	1897-1897
16	حازم بك	1899-1897
17	ناظم بك	1900-1899
18	الحاج رشيد	1901-1900
19	نوري باشا	1904-1901
20	مصطفى يمني بك	1906-1904
21	الفريق زكي باشا	1906-1906
22	رشيد باشا	1907-1906
23	الفريق أول محمد فاضل باشا	1908-1907
24	طاهر باشا	1908- وحتى نهاية حكم عبد الحميد الثاني 1909م[1].

مجالس الإدارة: تشكلت في كل من الوحدات الإدارية الكبيرة الثلاثة، وهي الولاية والسنجق والقضاء، مجالس إدارية تتألف من أعضاء طبيعيين وأعضاء منتخبين فأما الولاية: فقد كان الأعضاء الطبيعيون في مجلس إدارتها يتكون من:

القاضي، ومدير مالية الولاية، ومدير مراسلات الولاية، والمفتي ونقيب

(1) موصل ولايتي سالنامة: رسميسدر، 1330هـ، موصل مطبعة سنده طبع، أولنمشده، ص105، 106.

الإشراف، ويضاف إليهم أحياناً معاون الوالي[1]، ويكون المجلس مسؤولاً عن تسيير الخدمات العامة وحسم الخلافات بين الدوائر والمجالس والنظر في الدعاوى من الناس وأما القضاء فقد كان الأعضاء الطبيعيون في مجلس إدارتهم يتكون من القاضي ومدير مالية القضاء وكاتب مراسلات القضاء[2] وأبرز مهامه إدارة أموال الحكومة وتدقيق الميزانية والنظر في احتياجات القرى.

وأما مجلس إدارة الناحية الذي يكونه مدير الناحية وهيئة استشارية تتألف من أربعة أشخاص يمثلون مجالس الاختيارية في القرى التابعة ويجتمع المجلس أربع مرات في السنة.

مجلس اختيارية القرية: ويتألف من كبار السن ومن أئمة المسلمين ومن رؤساء الطوائف الدينية غير الإسلامية[3] وكان الأعضاء الطبيعيون في مجالس إدارة الولايات والسناجق والأقضية يختارهم موظفوا المالية ورؤساء الطوائف الدينية في تلك الوحدات واشترط لاختيار أولئك الأعضاء كونهم من المواطنين العثمانيين وممن يدفعون ضريبة سنوية لا تقل عن المائة وخمسين قرشاً وممن تبلغ أعمارهم الثلاثين سنة.

وأما الأعضاء المنتخبون في مجالس إدارة الولايات والسناجق والأقضية فيتم اختيارهم عن طريق التصويت[4].

رؤساء الوحدات الإدارية في السناجق والأقضية بولاية الموصل (كوردستان الجنوبية) حسب سالنامات ولاية الموصل للسنوات (1308هـ-1890م) و(1310هـ-1892م) و(1312هـ-1894م) و(1325هـ-1907م):

السنجق	المتصرف	القضاء	القائمقام	تاريخ سالنامه ولاية الموصل	رقم الصفحة
موصل	الوالي محمد نظيف باشا	زاخو	سعيد بك أفندي	1308هـ-1890م	58 108

(1) موصل ولايتي سالنامه سي، 1310هـ، ص76-77.
(2) موصل ولايتي سي، 1310هـ، ص161.
(3) الدستور، مج1، ص391.
(4) محمد أمين الصوفي السكوي: سمير الليالي، ج2، ص221.

السنجق	المتصرف	القضاء	القائمقام	تاريخ سالنامه ولاية الموصل	رقم الصفحة
		دهوك	مصطفى سالم أفندي	=	110
		عقرة	طاهر بك	=	115
		سنجار	مصطفى أفندي	=	118
		زيبار	مصطفى أفندي	=	121 124
شهرزور	مهدي باشا	رواندوز	إبراهيم أفندي	=	128
		صلاحية	عبد الله بك	=	129
		أربيل	عبد الله باشا	=	130
		كويسنجق	نشأت أفندي	=	132
		رانية	عبد الرحمن بك	=	133
سليمانية	بهرام باشا			=	144
		بازيان	سيد أحمد أفندي	=	150
		مركه	محمود بك	=	151
		شهربازار	قادر بك	=	152
		كلعنبر	عثمان بك	=	152
موصل	الوالي عثمان باشا			1310هـ-1892م	154

السنجق	المتصرف	القضاء	القائمقام	تاريخ سالنامه ولاية الموصل	رقم الصفحة
		زاخو	إسحاق حقي أفندي	=	156
		دهوك	شاكر أفندي	=	158
		عقرة	يعقوب أفندي	=	165
		عمادية	عثمان نوري أفندي	=	173
		زيبار	حاجي سعيد أفندي	=	176
شهرزور	عبد الوهاب باشا			=	180
		أربيل	عبد الله باشا	=	188
		كويسنجق	عباس أفندي	=	189
		كركوك		=	203
سليمانية	راسم باشا			=	211
		كلعنبر	عثمان بك	=	215
		بازيان	إبراهيم بك (وكيل)	=	216
		شهربازار	عبد الله أفندي	=	218
موصل	الوالي عزيز باشا			1312هـ-1894م	124
		زيبار	مصطفى توفيق (وكيل)	=	148
		عقرة	قدري أفندي	=	146
		زاخو	صالح	=	151

		خلوصي بك أفندي			
		عمادية	السيد مصطفى سالم أفندي	=	149
		دهوك	السيد محمد أفندي	=	153
كركوك	حاجي عارف باشا			=	158
		رواندوز	عبد الله بك	=	165
		أربيل	عبد الله باشا	=	167
		صلاحية	ولي الدين أفندي	=	169
		كوي سنجق	عباس أفندي	=	171
		رانية	محمد صبري أفندي	=	173
سليمانية	محمد راسم باشا			=	176

السنجق	المتصرف	القضاء	القائمقام	تاريخ سالنامه ولاية الموصل	رقم الصفحة
		مركه	عبد القادر باشا	=	182
		كلعنبر	عثمان باشا	=	184
		بازيان	أمين أفندي	=	185

السنجق	المتصرف	القضاء	القائممقام	تاريخ سالنامه ولاية الموصل	رقم الصفحة
		شهربازار	أحمد آغا (وكيل)	=	187
الموصل	الوالي مصطفى يمني بك			1325هـ-1907م	150
		عمادية	عبد الكريم أفندي (وكيل)	=	194
		زاخو	توفيق بك (وكيل)	=	197
		سنجار	آصف أفندي	=	199
		عقرة	صالح بك (وكيل)	=	201
		دهوك	إبراهيم نجاتي أفندي	=	203
كركوك	صالح سالم باشا			=	208
		رواندوز	عبد الله مخلص بك (وكيل)	=	216
		أربيل	نهاد بك	=	218
		صلاحية	عبد العزيز	=	219

			أفندي		
		كويسنجق	عبد الستار أفندي	=	221
		رانية	محمد علي بك (وكيل)	=	223
سليمانية	توفيق باشا			=	225
		كلعنبر	عثمان باشا	=	229
		بازيان	عبد الله أفندي (وكيل)	=	230
		معمورة حميد	حسن أفندي (وكيل)	=	231
		شهربازار	منحل	=	232

التقسيمات الإدارية لسنجق (لواء السليمانية):

كانت السليمانية في العهد العثماني الأخير مركز لواء (سنجق) يتبع إدارياً لولاية (الموصل) التي كانت تتكون من ألوية ثلاث هي:

(الموصل، وشهرزور (كركوك، والسليمانية) وانقسم لواء السليمانية إلى خمسة أقضية:

2- قضاء السليمانية: وتتبعه نواحي؛ قرداغ، وسرجنار شرق، وسرجنار غرب، وابلغواره.

2- قضاء كلعنبر (حلبجة)[1]: ومركزه (حلبجة) وتتبعه ناحيتا؛ سروجك، وقزلجة، وكانت (بنجوين) مركز الناحية.

---

[1] قضاء حلبجة: كان يسمى (كلعنبر) وجاءت التسمية من تولي (عنبره) بنت (بدر) إمارة تلك المنطقة في حدود (551هـ) ودام حكمها ثلاث عشرة سنة وانتهى بوفاتها عام (564هـ) للتفصيل راجع: محمد أحمد محمد: حلقة مفقودة من تاريخ شهرزور، مجلة (كاروان)، العدد 36، أيلول 1985م.

3- قضاء بازيان: ومركزه جمجمال؛ وتتبعه ناحيتا: سنكاو، وسيوكه (أطراف آغجلر).

4- قضاء ميركه: ومركزه قرية ميركه، وتتبعه ناحيتا سورداش، وبشدر.

5- قضاء شهربازار: ومركزه قرية (سنك) وترد أحياناً باسم (ستيك): وتتبعه ناحية واحدة هي (ماوت)[1].

وقد تعرضت هذه التقسيمات الإدارية إلى بعض التغييرات حسبما ورد في سالنامه الموصل لسنة 1325هـ-1907م وسنة 1330هـ-1911-1912م فقد حل قضاء (معمورة الحميد) ومركز (قلعه دزه، محل قضاء (ميركه) التي تحولت إلى ناحية ضمن هذا القضاء الجديد[2].

ومن ضمن التغييرات في التقسيمات الإدارية؛ أن ناحية (سورداش) ألحقت بقضاء السليمانية حسبما ورد في سالنامه الموصل لسنة 1330هـ[3]. وقد أجملت هذه السالنامة الأخيرة التقسيمات الإدارية في لواء السليمانية على الشكل الآتي:

القضاء	النواحي التابعة لها	عدد قرى القضاء
1- السليمانية	سرجنار شرق، سرجنار غرب، قرقداغ، سوردارش، آيلغوارة	312
2- كلعنبر	قزلجة، سروجك	309
3- شهربازار	ماوت	125
4- معمورة الحميد	ميركه	177
5- بازيان	سنكاو، سيوكه	159

---

(1) سالنامه ولاية الموصل 1310هـ-1892م، ص150-153، سالنامه ولاية الموصل 1310هـ-1892، ص212-219، سالنامه ولاية الموصل 1312هـ-1894م، ص327-331.

(2) سالنامه ولاية الموصل 1325هـ، ص231-232 وسالنامه دولت علية عثمانية 1326هـ مالية 1329هـ، ص727، وتسميتها (معمورة الحميدية) تبركاً باسم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876-1909م). وبعد خلعه عن العرش سنة 1909م اصبحت تعرف بقضاء (المعمورة). ينظر: عبد الجبار قادر غفور: (أربيل) في السالنامات العثمانية، مجلة كاروان، العدد 91، كانون الأول، 1990م، ص120.

(3) سالنامه ولاية الموصل، 1330هـ، ص305.

أي أن لـواء الـسليمانية كـان يـضم خمـسة أقـضية وإحـدى عـشرة ناحيـة و(1082) قرية.

الولاة ووجهاء السلطنة العثمانية:

مـن الإنـصاف أن نـسجل أن ولاة الموصـل كـانوا يمتـازون بالكفـاءة والمقـدرة الإدارية وإن كان من بينهم الضعيف وراخـي العزيمـة، وهـؤلاء قلـة، فمنـهم مـن جـاء متظاهـراً بالعفة والنـزاهة ثم خرج قذراً لاختلاطه برجال السوء وبطانـة الـشر، ولا يـشعرون بعاطفـة الـولاء لـبلادهم أكثـر ممـا يـسعون وراء المـصالح الشخـصية فيتقربون من الـولاة بطريقـة السمـسرة غير النـزيهة، ويسولون لهـم كل عمـل دنـئ ويفسدون عليهم الضمائر، وهـكذا شأنهم مع كبار الموظفين ويتقدمون إليهم بإقامة الضيافات وإحيـاء الليـالي الحمـراء وبكـل وسـيلة ترفـضها الغيرة الإنـسانية، ولـيس أضـر بالوطن وأكثر فساداً من هذه الفئة، يظهـر أحدهـم كالحشرة الحقيرة ويمتص دماء الضعفاء حتى يصير جملاً.

إن التقدم بالوجاهة في بلد يعيش في حالـة البـداءة وتحـت عنعنـات تقليديـة لا يكـون بالامتحـان أي بالمقـدرة فالوضـيع يـصير وجيهـاً أو الغريـب الـدخيل يـصبح شـريفاً، والطرق كثيرة لتحقيق ذلك إذا عرفها من يسلكها.

وكـم مـن نـاس ورثـوا الوجاهـة عـن طريـق النـهب والـسرقة، فألبـسوها ثوبـاً مزركشاً سموه نبلاً وشرفاً[1].

ووجاهـة الغريـب الـدخيل تـدل علـى مـوت الحيويـة في المجتمـع، حيـث يـأتي صعلوك ضـاقت بـه سـبل العـيش في موطنـه ويبحـث عـن رزق لـه، فيجـد الوجاهـة ملقـاة علـى قـارعـة الطريـق فيأخذهـا، ويجعـل مـن نفسه سـيد الـبلاد، ويحكـم في مقدرات العباد، فهذه هي الطامة الكبرى.

سلوك الموظفين العثمانيين بصورة عامة:

كـان الموظفـون معرضـين لخطـر العـزل والنقـل ولـيس مـن أحـد يحفـظ لهـم حقـوقهم والـصغير منـهم تحـت مظلـة رحمـة الكبير وبمقـدور الأخير وبجـرة قلـم أن يقـذف بـه في الهاويـة وبـالعكس، وكـانوا بـصورة عامـة يحـافظون علـى النـزاهة

[1] صديق الدملوجي: إمارة بهدينان أو إمارة العمادية، ص71.

والارتشاء بينهم نادر، أما الموظفون الصغار فكانوا يعيشون على راتب ضئيل، وأما الموظفون الكبار فإنهم يترفعون عن الارتشاء، وإذا حصل فيكون في كتمان وبصورة سرية.

أما الحالة في المنطقة الكوردية فتختلف تماماً، حيث كان الموظفون العثمانيون يرتشون من أبناء المنطقة بصورة واسعة، تحت باب المخالفات والبدلات العسكرية التي تؤخذ من الملل، وجباية الضرائب.

لم تكن الدولة العثمانية لترسل إلى هذه الأصقاع البعيدة إلا الموظفين الفاشلين المغضوب عليهم[1].

والارتشاء يتوسع ويتقلص حسب سلوك (والي الولاية) وضعف الحكومة وقوتها ولاسيما بعد دخولها الحرب، فقد يتحول إلى نهب وسلب، وأكثر من فاز بهذا المضمار (الجندرمة) و(ضباط الرديف في الأمكنة المطيعة).

والولاة قليل منهم المرتشي، وأكثرهم ارتشاء زهدي بك (1894-1895م) ومصطفى يمني بك العابد (1903-1906م).

والمرتشون من غير هذين تنحصر رشوتهم في مسائل خاصة مثل أخذهم الرشوة من (شيخ مشائخ شمر) لقاء تعيينه، ومن أغوات عشيرة الزيبار الكوردية إبان سيطرتهم واستغلالهم موارد قضاء الزيبار ومنعها عن الحكومة[2].

لم تكن تعيينات الموظفين في المناطق الكوردية مبنية على أسس المقدرة الإدارية والكفاءة العلمية، بل كانت تعتمد على المحسوبية والمنسوبية، ويكفي لأحدهم أن يكون له خدمة لوزير، أو لزوجته صلة بزوجة الوزير، وعلى سبيل المثال في قضاء دهوك قائمقام في سن السبعين وهو جاهل أمي، ويروي عن نفسه أنه كان (قصاباً) وتولى هذا المنصب بعد أن أصبح ابنه ضابطاً في (المابين)[3].

---

[1] زبير بلال اسماعيل: تاريخ أربل، ص198، يقول المؤرخ صديق الدملوجي سألت موظفاً كبيراً: لماذا ترسل استانبول هذه الحثالات من الموظفين إلى بلادنا؟ أجابني: لما كانت بلادكم بعيدة عن استانبول ولم يكن الأمن فيها مستتباً، فلا يرغب ذوو الكفاءات بالمجيء إليها، وقد يعين إليها من كسدت بضاعته.. او الباحث عن المال فلا يجده في البلاد الناهضة، قلت في نفسي تعساً لهذه البلاد التي لا تصلح إلا ان تكون (تيماراً). ينظر: صديق الدملوجي، ص79.

[2] صديق الدملوجي: إمارة بهدينان أو إمارة العمادية، ص69-70.

[3] المابين: هي وظيفة هامة تعني عضو قلم المراسلات والصدر الأعظم. ينظر إلى مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة وتعليق محمد حرب عبد الحميد، دار الأنصار، القاهرة، 1978م، ص138.

لقد كانت الدوائر المالية واسطة لنهب الأموال، ويفرض مأمورها الضرائب دون وجه قانوني، ومن يمتنع عن الدفع فجزاؤه السجن والتعذيب ومصادرة المال وتخريب القرى مما يضطر أهلها إلى النزوح إلى اماكن بعيدة، ويلجأ البعض حتى إلى تغيير اسمه، وقد يحاسب أهل القرية عمن يتغيب منهم أو يموت ويجبرون على تأدية الضريبة عنه، وهذا ما اجبرهم أن يعطوا قراهم بالمقاولة إلى ذوي النفوذ من الأغوات والمشائخ لحمايتهم من ظلم الحكومة[1].

وفي كثير من الأحيان يستغل المقاول موارد القرية ولا يؤدي عنها من ضرائب إلى خزينة الحكومة، ويطالب بها أهل القرية بعد أن يكون قد مضى عليها أعوام، وتحصل منهم بالقوة.

ولقد كان مديرو المالية يضربون الحد القياسي في الارتشاء، وقد يشترون وظائفهم من (دفتردار)[2] الولاية.

---

(1) المقاولة: هي ان يؤدي أهل العشيرة عشر محصولاتهم الزراعية إلى مقاول، ويكون هو المسؤول عن دفع الضريبة المستحقة عليهم.

(2) دفتردار: المشرف على الشؤون المالية وعليه ضبط الحسابات، وحفظ الدفاتر والسجلات ولا ينفذ أمر بيع عقار إلا بعد توقيعه عليه، ويحضر في كل ديوان لتحويل الأمور الأميرية وله عوائد على طرف الميري وعلى طرف الباشا، وله فراوي وهي عباءة مصنوعة من الصوف على الباشا. ينظر إلى موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، ص454.

موقف علماء كوردستان من الوضع الاقتصادي
في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)

تمهيد

إن دراسة العلاقات الاقتصادية في كوردستان لا تزال مهملة، وهذا ما يلحظه المتتبع في كثير من المؤلفات عن التاريخ الاقتصادي حيث إن الأبحاث التي تطرقت إلى هذا الموضوع، اقتصرت على تعداد الموارد الاقتصادية بشكل عابر، لذلك تحتاج دراسة الاقتصاد الكوردي إلى مزيد من الأبحاث[1].

وهذا ما نحاول عمله خلال هذا العرض -إن شاء الله تعالى-[2]:

الزراعة:

تشكل الزراعة الشريان الرئيسي لاقتصاد كوردستان، وتليها تربية المواشي والتجارة[3].

كانت الزراعة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) تحتل حيزاً واسعاً في اقتصاديات العراق، إذ شكل الانتاج الزراعي -زيادة على الانتاج الحيواني- معظم ثروة البلد، وكانت الزراعة حتى بدايات القرن العشرين حرفة السواد الأعظم من سكان العراق عرباً وكورداً[4] الذين كان 80٪ منهم يعملون بها.

لقد أولت السلطات الحكومية، سواء على نطاق الحكومة المركزية باستانبول، أو على صعيد الحكومات المحلية (في الولايات العراقية) الاهتمام بالزراعة وتطويرها، وتمثل اهتمامها بمظاهر منها:

سعيها إلى التخفيف من وطأة الكوارث التي كانت تصيب المزارعين، وكمثال على ذلك حثت الحكومة المركزية في استانبول حكومة ولاية بغداد في سنة 1872م

---

(1) باسيل نيكيتين: الأكراد، ص124.

(2) بالنسبة للموارد الاقتصادية في كوردستان، يراجع الفصل التمهيدي من هذه الأطروحة، حيث بذلت جهداً متواضعاً في سرد الموارد المتوفرة في كوردستان. الباحث.

(3) عبد الرحمن قاسملو: الأكراد، ص120.

(4) ل. ن كوتلوف: ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبد الواحد كريم، مطبعة الجمهورية، بغداد، 1971م، ص26.

في أعقاب قلة سقوط الأمطار في تلك السنة على تقديم التسهيلات كافة للمزارعين، ودعتها إلى تقديم البذور لهم في حالة عدم حيازتهم لها[1].

وعرضت الحكومة العثمانية تسهيلات كبيرة على المزارعين لتشجيعهم على زراعة بعض المحاصيل وذلك بإعفائها في سنة 1891م محصول البطاطا من ضريبة العشر لمدة خمس سنوات، وأعادت في سنة (1899م) إعفائها منها لمدة عشر سنوات أخرى[2].

كما منحت الحكومة أوسمة تشجيعية مختلفة إلى المزارعين من نحاسية وفضية وذهبية بموجب النظام الذي أصدرته في سنة (1875م) علاوة على إعفائهم من ضريبة العشر لمدة ثلاث سنوات[3].

كذلك تمثل اهتمام السلطنة العثمانية بتطوير الزراعة بإصدارها نظاماً آخر في سنة (1879م) الذي نص على تأسيس غرفة زراعية في كل من مراكز الولايات والسناجق، والأقضية ، مهمتها دراسة تطوير الزراعة وتقديم توصيات بشأنها إلى وزارة الزراعة والتجارة[4].

أهم الحاصلات الزراعية في ولاية الموصل (كوردستان الجنوبية)

يتألف أهم الحاصلات الزراعية في ولاية الموصل من الحبوب والخضراوات والفواكه والحمضيات[5].

ومما هو جدير بالذكر أن ولاية الموصل تتكون من أربعة ألوية معظم سكانها من الكورد وحسب النسب الآتية:

جدول يبين نسبة السكان الكورد في الألوية الكوردية:

---

(1) صحيفة الزوراء، السنة الرابعة، العدد 299، 5 رمضان 1289هـ.

(2) صحيفة الزوراء، السنة الحادية والثلاثون، العدد (1855) في 8 ذي القعدة، عام 1317هـ.

(3) الزوراء، السنة السادسة، العدد، (528) في 27 صفر 1292هـ.

(4) دستور، ذيل (1)، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1292هـ، ص85-87.

(5) محمد نصر الله وآخرون: ممالك محروسة شاهانية، مخصوص مكمل ومفصل أطلس، ص102.

ت	اللواء	النسبة
1-	السليمانية	100٪
2-	أربيل	91 ٪
3-	كركوك	70٪
4-	الموصل	65 ٪[1]

إن كوردستان لها اهميتها الاقتصادية التي تتمثل بوجود المعادن ومصادر المياه فيها، فالقسم الأكبر من النفط العراقي يتدفق من الأراضي الكوردية، والقدر الأعظم من المياه التي تصب في نهر دجلة تنبع من جبال كوردستان، لذلك فقد أنشئت أهم خزانات المياه في كوردستان العراق مثل: سد الموصل، وسد دوكان، وسد دربنديخان، وسد دهوك.

ومن جهة ثانية فإن جمال المنطقة واعتدال صيفها يجعلها أفضل مصيف وقد ازدادت أهمية كوردستان من الناحية العسكرية بسبب وعورة جبالها وأصبحت حصناً منيعاً للدفاع عن المنطقة الوسطى والجنوبية[2].

فعلى الرغم من أن كوردستان العراق أرض جبلية إلا ان جبالها تحصر بينها سهولاً صالحة للزراعة بسبب خصوبة تربتها.

ويلاحظ أن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في الألوية الكوردية قد قدرت بما يلي:

جدول يبين مساحة الأراضي الزراعية والأراضي المزروعة في الألوية الكوردية[3].

---

(1) شاكر خصباك، الكورد والمسألة الكوردية، ص41-42.

(2) شاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص43.

(3) أحمد سوسة: الأطلس الإداري، بغداد، 1951م، ص3. و شاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص43.

اللواء	المساحة بالكيلومترات المربعة	الأراضي المزروعة بالكيلومترات المربعة	نسبة الأراضي المزروعة إلى المساحة العامة
السليمانية	9552	3551	٪37
أربيل	18170	4557	٪25
كركوك	20376	5743	٪28
الموصل	29770	29058	٪53

ويتضح أن مساحة الأراضي المزروعة في الواقع لا تمثل مساحة الأراضي الصالحة للزراعة.

فلقد قدرت الأراضي الصالحة للزراعة في الموصل بـ(29770)كم2، وفي أربيل بـ(7160)كم2، وفي كركوك بـ(15260)كم2.

أما المزروعات التي تساهم فيها كوردستان في الاقتصاد العراقي فهي على نوعين: شتوية وصيفية، وأهم المحاصيل الشتوية هي القمح والشعير، وتساهم الألوية الكوردية فيها على الوجه التالي:

جدول يبين إنتاج الألوية الكوردية للقمح والشعير لعام 1954م.

اللواء	القمح بالأطنان	الشعير بالأطنان
السليمانية	7000	7000
أربيل	104000	61000
كركوك	10900	156000
الموصل	222000	178000 [1]

كما تساهم المنطقة الكوردية في المزروعات الصيفية، وخاصة في إنتاج التبغ الذي يتركز محصوله في أغلب مناطق كوردستان، ويلي التبغ الرز والقطن، ويتمثل الجدول التالي مساهمة المنطقة الكوردية في المزروعات الصيفية الرئيسية:

[1] المجموعة الإحصائية لعام 1954م، ص72، الجدول 98، 99.

جدول يبين توزيع المحاصيل الصيفية في المنطقة الكوردية لعام 1953م

اللواء	التبغ بالدونم	القطن بالدونم	الرز بالدونم
السليمانية	25013	8303	7954
أربيل	1113	3165	3843
كركوك	682	570	9656
الموصل	2274	6724	10211 [1]

وتساهم كوردستان العراق في إنتاج الفواكه على اختلافها مساهمة كبيرة ويتضح ذلك من خلال قراءة الجدول الآتي لعام 1953م

جدول يبين توزيع أشجار الفواكه في الألوية الكوردية لعام 1953م

اللواء	الرمان	الخوخ	التفاح	الأجاص	المشمش
السليمانية	168842	40329	20903	19063	11437
أربيل	66200	11101	14101	7351	1664
كركوك	16769	1303	5828	3419	7602
الموصل	86176	8054	30765	26781	25248 [2]

ويلاحظ أن اشتراك المنطقة الكوردية بإنتاج الفواكه الحمضية كالبرتقال والليمون محدود، ويرجع ذلك إلى عدم ملائمة مناخ هذه المنطقة الباردة لزراعة هذه الفواكه.

لكن الألوية الكوردية تساهم مساهمة كبيرة في إنتاج الكروم، كما أنها تنفرد بزراعة الجوز واللوز والفستق وما شابهها.

إن نظام الملكية الزراعية في المنطقة الكوردية واسع، وإن الجدول الآتي يعطي

---

[1] مستقاة من الإحصاء الزراعي-الحيواني لعام 1952-1953م. و شاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص45.

[2] شاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص54. والإحصاء الزراعي-الحيواني لعام 1952-1953م.

جدول يبين حالة الملكية الزراعية في الألوية الكوردية

اللواء	مساحة الأراضي المملوكة بالكيلومترات المربعة	عدد الملكيات	معدل حجم الملكيات بالهكتارات
السليمانية	2685	17628	15
أربيل	4995	15199	33
كركوك	8562	7409	116
الموصل	1066	31532	32 [1]

طرق الزراعة:

كانت الأساليب المستخدمة في الزراعة، منذ بداية العهد الحميدي بدائية، وظلت على الحال نفسها إلى أوائل القرن العشرين، بل إلى نهاية العهد المذكور، وكانت الأدوات الزراعية بسيطة جداً، فكان المحراث الخشبي والفأس بمثابة أكثر الأدوات الزراعية انتشاراً في العراق، ولم يستعمل المحراث الحديدي المثبت على سكة خشبية إلا في أضيق النطاق[2]، واستخدمت الحيوانات في الأعمال الزراعية[3].

القانون الخاص بملكية الأراضي:

تخلت الحكومة العثمانية بعد فترة من انتهاء ولاية مدحت باشا[4] عن تطبيق

---

[1] شاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص47. والمجموعة الإحصائية لسنة 1954م، ص65.

[2] كوتلوف: ثورة العشرين، ص29.

[3] لوريمر، ج.ج: دليل الخليج، ترجمة مكتبة الترجمة بديوان حاكم قطر، الدوحة، مطابع العروبة، القسم الجغرافي، ج3، 1967م، ص1211.

[4] مدحت باشا: ولد في استانبول عام 1238هـ-1822م لرجل اسمه (حاجي حافظ أشرف افندي) من القضاة، وأصل الأسرة من (روسنجق، ببلغاريا) وهو المعروف بأبي الأحرار، وخالع الملوك، ومحطم التيجان، سلك في صغره طريق العلم، وحفظ القرآن، وقرأ مبادئ العلوم العربية،

قانون الأراضي لعام 1880م الذي سمحت فيه الحكومة العثمانية لشيوخ العشائر شراء الأراضي التي يستغلها أفراد عشائرهم فيما إذا أرادوا امتلاكها، على إثر النزاعات والاضطرابات التي نشبت بين شيوخ العشائر وأفراد العشائر وأصدرت قانونين، أحدهما في سنة 1880م والآخر في سنة 1892م أعلنت فيهما ملكيتها لجميع الأراضي، وحقها في تأجيرها كما تشاء[1]، وسحبت اعترافها بملكية الأراضي التي اشتراها شيوخ العشائر عقب سنة 1880م، ويبدو أن ذلك لم يحل دون استمرار تطبيق القانون السالف الذكر في كوردستان العراق، بدليل أن أكثرية الأراضي فيها قد تم تسجيلها في العهد العثماني[2].

الإقطاعيون في كوردستان العراق:

لقد حدث أن الأغوات والمختارين في ولاية الموصل (كوردستان الجنوبية) الذين كانوا في الواقع رؤساء العشائر والمسؤولين عن استتباب الأمن فيها، أن استغلوا مراكزهم في الحصول على الأراضي، وعمدوا -لاسيما في القرى الكوردية- إلى تسجيل القرى بأسمائهم.

والذي حمل الحكومة العثمانية على غض النظر عن تسجيل تلك الأراضي بأسماء الأغوات والمختارين، خلافاً لما نص عليه قانون الأراضي لعام 1892م من عدم جواز تسجيل القرى باسم شخص واحد، فكان من منطلق الحرص في الإبقاء على استقرار الأمن في تلك القرى.

وهكذا سجلت مجموعات من القرى بأسماء الوجهاء المتنفذين في سناجق الموصل، وأربيل، وكركوك، والسليمانية[3].

وترتب على ذلك أن أصبحت مساحات كبيرة من الأراضي بأيدي شيوخ العشائر الكوردية، وكمثال على ذلك امتلك محمد باشا رئيس عشائر الجاف

تقلد وظائف مهمة، منها ولايته على الدانوب، ورئاسة مجلس شورى الدولة، وولايته على بغداد، ويعد من أعظم رجالات الدولة العثمانية، كما نشر الروح الدستورية في البلاد العثمانية، توفي في السجن سنة (1301هـ-1884م). ينظر إلى: صديق الدملوجي: مدحت باشا، ص26.

[1] دورين وورنر: الأرض والفقر في الشرق الأوسط، نقله إلى العربية حسن أحمد السلمان، مطابع دار الكتاب العربي المصري، 1950م، ص179.

[2] المصدر نفسه، ص177.

[3] وورنر: الأرض والفقر في الشرق الأوسط، ص177.

الكوردية مساحات كبيرة جداً من الأراضي في (خانقين) بكورستان العراق وفي أطرافها، وكذلك امتلك (محمد علي بيك) رئيس إحدى عشائر الجاف المذكورة عدداً كبيراً من البساتين في السعدية (قزلرباط) بالمنطقة الكوردية.

حالة المزارع:

كانت حالة المزارع سيئة بوجه عام، إذ أدت سيطرة شيوخ العشائر ووجهاء المدن على أكثرية الأراضي، إلى حرمان الفلاحين من ملكية الأراضي وأصبح المزارع بعد أن كان شريكاً في الأرض عاملاً زراعياً وتنامت الأملاك الخاصة بكبار الإقطاعيين في كوردستان، ونتيجة لهذا نجد في القرن التاسع عشر أشكالاً متباينة لملكية الأرض منها: أملاك الدولة، وأملاك الاقطاعيين، والوقف، وأملاك العشائر، وأملاك بعض فلاحي كوردستان[1].

وعانى حتى ذلك العدد القليل من الفلاحين ممن يمتلكون الأراضي، مخاوف قيام الاقطاعيين باغتصاب أراضيهم، مما اضطرهم إلى رصدها للأوقاف حيث ضمنوا بتلك الطريقة حيازتهم لها[2].

وترتب على عدم امتلاك معظم المزارعين أراضي، أن كان قسم منهم يعمل لقاء أجر نقدي، وقسم آخر يعمل لقاء نسبة من المحصول الزراعي.

لقد كانت حال الفلاح الكوردي في كوردستان العراق أفضل نسبياً من حالة نظيره في وسط العراق وجنوبه، ويعود ذلك إلى عوامل منها:

1- ارتفاع معدل الإنتاج في كوردستان مما أدى إلى ارتفاع حصة الفلاح.

2- اعتدال الضرائب.

3- قلة تعرض الحاصلات الزراعية في كوردستان إلى أخطار الفيضانات.

اختلفت مساحة القطع الزراعية في المناطق الكوردية تبعاً لخصوبة الأرض

---

(1) عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص174.

(2) ذكر وليم ويلكوكس أن الحكومة العثمانية لم تمنح طيلة حكمها العراق الفلاحين أي حق في ملكية الأرض: ينظر إلى: وليم ويلكوكس: العراق كما عرفته بين سنة (1908-1911م)، وصحيفة البلاد، السنة السابعة، العدد (439) في 11 كانون الأول سنة 1935م. إلا أن من المرجح أن الحكومة العثمانية كانت قد منحت بعضاً من المزارعين حق ملكية الأراضي، وبخاصة في منطقة كوردستان العراق، ولو أنها أبقت رقبة الأرض بيدها.

ولاختلاف نوع ملكيتها، وعلى كل حال فقد تراوحت مساحة تلك القطع بصورة عامة بين (40-50) دونماً، قدر مجموع انتاجها بما يتراوح بين (10-40) طناً من الحبوب، ناهزت نسبة الحنطة فيها بين 3/2 إلى 5/4 ونتيجة لكون المزارع في المنطقة الكوردية كان يدفع غالباً نسبة من الحاصل مقدارها الخمس كإيجار للأرض[1]، فقد تراوحت حصته منه بين (8-36) طناً، مما جعل نصيبه أضعاف حصة نظيره في الوسط والجنوب.

أما حالة الفلاحين في الأراضي التي كان يملكها السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) المعروفة بالأراضي السنية، فيمكن القول بأنها كانت أحسن من حال غيرهم من الفلاحين، إذ كان مستأجروها يحصلون على نصف المحصول، ويضمنون في حالة قلة المحصول على بعض التعويضات والمساعدات كالسلف والبذور ونحوها، كما كانوا يتمتعون ببعض الامتيازات كإعفائهم من الخدمة العسكرية[2]، وقد استمرت أحوال الفلاحين في الأملاك السنية جيدة، حتى نشوب انقلاب سنة (1908م) التي قامت الحكومة العثمانية على أثرها بمصادرة تلك الأموال ونقل ملكيتها إلى الدولة[3].

عرقلة تقدم الزراعة:

أما الأسباب التي حالت دون تقدم الزراعة في العراق إبان العهد الحميدي فهي:

1- سيادة طابع الغموض والارتباك على مختلف حقوق الفلاحين في استغلال الأراضي، وعدم وجود ضمانات كافية لها، مما أدى إلى إحجام مالكي الأرض أو مستأجريها عن استغلال أموالهم وطاقاتهم في زيادة الإنتاج أو في توسيع مساحة الأراضي الزراعية.

2- لم تول السلطات العناية الكافية لتأسيس مشاريع كبيرة للري في العراق واستصلاح الأراضي.

3- افتقار السلطات العثمانية إلى الخبرة بشؤون الزراعة ومكافحة الآفات الزراعية.

---

[1] تجدر الإشارة إلى أن بعضاً من الفلاحين في كوردستان العراق كانوا يدفعون إيجاراً نقدياً إلى الحكومة، ولو أنه كان في نطاق ضيق. ينظر إلى كوتلوف: ثورة العشرين، ص59.

[2] سليمان البستاني: الدولة العثمانية أو عبرة وذكرى، ص151.

[3] علي آل بازركان: الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، مطبعة أسعد، بغداد، 1954م، هامش، ص31.

4- حرمان معظم الفلاحين من ملكية الأراضي؟

5- سببت الضرائب المكلفة في تأخر الزراعة.

أصناف الإقطاع في المجتمع الكوردي:

لقد كان في المجتمع الكوردي ثلاثة أنواع من الاقطاعيين وهم:

1- الاقطاعيون الأمراء: وهؤلاء كانوا يعتبرون أنفسهم سلاطين صغاراً، وكانوا يحتفظون بقوات مسلحة وبعدد من العشائر الخاضعة لهم[1].

وكان هؤلاء يأخذون إلى جانب الضرائب الاقطاعية الاعتيادية، أنواعاً مختلفة من الهدايا[2].

2- البيكوات: وهم الذين يرأسون عشيرة كاملة، يدخل ضمنها عدد من الفخوذ، وكان البيك لا يأخذ سوى الضرائب الاقطاعية، مستغلاً.

3- الآغا: وكان رئيساً للفخذ من إحدى العشائر الكوردية.

4- وبجانب هؤلاء الاقطاعيين يوجد عدد من الأسر الفلاحية، تملك أرض القرية، أو أن يمتلك الفلاح رقعة من الأرض[3].

الضرائب:

أبدى العثمانيون اهتماماً خاصاً بموضوع الضرائب وجبايتها في المناطق الخاضعة لسيطرتهم، ذلك أن الضرائب كانت المورد الأساسي الوحيد لخزينة الدولة، فضلاً عن كونها دليل اعتراف بالسيادة العثمانية من دافعيها.

فرض العثمانيون ضرائب عديدة في ولاية الموصل، كبقية ولايات الدولة العثمانية وبقيت هذه الضرائب دون تغيير يذكر، حتى في عهد الإصلاحات العثمانية (التنظيمات) في القرن التاسع عشر[4]، وكانت بعض هذه الضرائب معروفة في الدول الإسلامية التي سبقت العثمانيين مثل، العشر والجزية، ورسوم

---

[1] شاميلوف: حول مسألة الإقطاع بين الكورد، ترجمة كمال مظهر أحمد، د. مط، بغداد، 1977م، ص61-62.

[2] أدموندز: كورد وترك وعرب، ترجمة جرجيس فتح الله، د. مط، بغداد، 1971م، ص92-95.

[3] عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص147.

[4] Stanford D. shaw & E. K. Shaw: History of the Ottoman empire and modern Turkey (Cambridge-1977) vol. 2, P. 95.

المواشي، وعرفت هذه لدى الدولة العثمانية باسم (الضرائب الشرعية) (تكاليف شرعية) أما الضرائب الأخرى التي استحدثها العثمانيون فقد عرفت باسم الضرائب العرفية (تكاليفي عرفية).

وبصورة عامة فقد كان يؤخذ (العشر) من الأراضي التي كانت تروى بالأمطار و20/1 على الأراضي التي تسقى بأية واسطة.

أما الأراضي المفوضة بالطابو التي كانت تعتمد في ريها على الجداول أو الأنهار فكان يؤخذ منها الخمس، في حين قارب معدل ما كان يفرض على الأراضي غير المفوضة بالطابو (النصف) وكان على المزارع أن يدفع ضرائب أخرى كضريبة الخدمات (المنافع) وضريبة (المعارف)، وضريبة (التجهيزات العسكرية) وقد فرضت الأخيرة منذ نشوب الحرب بين الدولة العثمانية واليونان سنة (1897م) وبلغ مقدارها 6٪[1].

فيما يلي جدول بأنواع الضرائب والرسوم المفروضة من الدولة العثمانية في ولاية الموصل على المواطنين وممتلكاتهم وغيرها كإيرادات لخزينة الدولة

السنوات المالية 1889-1890و1891-1892م	السنة المالية 1894-1895	السنة المالية 1909-1910م
نوع الإيرادات	نوع الإيرادات	نوع الإيرادات
1- ضريبة الأملاك	1- ضريبة الأملاك والعقار	1- ضريبة العشر
2- ضريبة التمغا (الضريبة المعروفة على مرور السلع والمنتجات المختلفة بالمدينة)	2- البدل العسكرية	2- رسوم الأغنام والأبقار والجمال وغيرها من الحيوانات
3- البدل العسكري	3- رسم الأغنام	3- ضريبة الأملاك والعقار والأراضي والمسقفات.

[1] سليمان فيضي: البصرة العظمى، مطبعة دار التضامن، بغداد، 1965م، ص39.

السنوات المالية 1889-1890و1891-1892م	السنة المالية 1894-1895	السنة المالية 1909-1910م
4- رسم الأغنام	4- ضريبة العشر	4- البدل العسكري
5- رسم الجمال	5- إيرادات الأملاك الأميرية	5- ضريبة التمغا (الضريبة المفروضة على مرور السلع والمنتجات المختلفة بالمدينة)
6- إيرادات ضريبة العشر الممنوحة بالالتزام	6- رسوم متنوعة	6- ضريبة أعمال الطرق.
7- إيرادات ضريبة العشر عن طريق أسلوب الأمانة	7- رسوم الغابات ومواد الإنشاء	7- رسوم المحاكم النظامية
8- رسوم الغابات ومواد البناء والطوابع	8- عائدات الأملاك والطابو	8- رسوم المحاكم الشرعية
9- عائدات الأملاك والطابو	9- عائدات المحاكم	9- رسوم الطوابع
10- عائدات المحاكم	10- عائدات متفرقة	10- رسوم المسكرات
11- رسوم متنوعة		11- ضريبة الملح
12- بدلات إيجار الأملاك الأميرية		
13- عائدات متفرقة[1]		

(1) عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية، شركة الطباعة والتجارة، بغداد، 1959م، ص116. وراشد محمد أفندي: تاريخ راشد، ج2، استانبول، 1865م، ص148.

الصناعة في ولاية الموصل:

ظلت معظم الصناعات العراقية في العهد الحميدي صناعات قديمة ولم تظهر الصناعات الحديثة في العراق إلا في فترة متأخرة من العهد المذكور على نطاق ضيق جداً.

وكان معظم الإنتاج الصناعي، يعتمد على الآلات البسيطة التي كانت تدار بالأيدي أحياناً أو بواسطة الحيوانات، ولم تكن الآلات الحديثة تستخدم في الصناعة إلا في أحيان قليلة، فعلى سبيل المثال: لم يكن ببغداد معامل تستخدم مكائن بخارية سوى معمل واحد للنسيج، ومعملين للطحين، ومعمل للثلج، ومكبسين للصوف[1].

فإذا علمنا أن مدينة بغداد، كانت مركزاً صناعياً للعراق كافة، تبين لنا مدى قلة استخدام الصناعة في العراق للآلات الحديثة.

لقد أولت السلطات العثمانية المحلية تشجيع الصناعة وتطويرها قدراً من الاهتمام بدليل أن تلك السلطات لم تكن تطالب أرباب الصناعات –عند تأسيس محلات صناعية– تقديم أية شهادة أو أن تشترط عليهم شروطاً، كما لم تكن تفرض عليهم ضرائب كبيرة باستثناء تلك التي تفرضها عليهم على مصنوعاتهم في حالة تصديرها إلى الخارج، وكانت زهيدة[2].

أما منتجات صناعة النسيج في الموصل فكانت تتألف من المنسوجات على اختلاف أنواعها، والملابس العسكرية، والأحزمة، والكوفيات والجواريب[3].

كما ان بعض المنسوجات الصوفية، التي كانت تصنع بالعمادية ومدينة زاخو بكوردستان العراق، قد فاقت في جودتها تلك التي كانت مستوردة من أوربا[4].

وبالرغم من أنه لم يكن يوجد في العراق خلال العهد الحميدي، صناعة لاستخراج النفط بالمعنى الحديث، إلا ان ذلك لم يحل دون استخراج النفط من

---

(1) لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج3، ص1221.

(2) ديولا فوا: رحلة مدام ديولافوا إلى كلده–العراق سنة 1881م، نقلها إلى العربية عن الفارسية، علي البصري، مطبعة أسعد، بغداد، 1958م، ص118.

(3) موصل ولايتي سالنامةسي، 1310هـ، ص134.

(4) المصدر نفسه، ص153.

بعض مناطق كوردستان ولاسيما في (كركوك) التي قدر معدل ما كانت تنتجه منه بـ(100.000) بمائة الف (قية)[1] سنوياً[2].

ويبدو أن تلك الكمية لم تكن تكفي لسد الحاجة المحلية، بدليل أن العراق كان يستورد كميات كبيرة من النفط.

الصناعة المحلية في كوردستان:

لما كانت الأسرة الكوردية في عموم كوردستان تمثل وحدة اقتصادية فهي تهدف من نشاطاتها تحقيق الاكتفاء الذاتي أولاً، وقد أدت هذه السياسية إلى ازدهار الصناعات المنزلية، والتي ترمي إلى سد حاجات الأسرة قدر المستطاع، وتحقيق أهداف تجارية أخرى[3].

ومن أهم الصناعات اليدوية، هي الصناعات النسيجية التي تسد حاجة المنطقة وتفيض عنها[4]، والتي تنتشر انتشاراً واسعاً في كوردستان، فكانوا يصنعون بالنول اليدوي، ومن القطن القماش المسمى (جاو)، ثم يلونونه أو يحتفظون به ابيض، وكان هذا القماش يستعمل لملابس كلا الجنسين، وكانوا وما يزالون من أحسن صناع النسيج الصوفي، كما كانوا ولحد الآن يصنعون من نسيج المرعز[5] أجمل أنواع الملابس الرجالية (الشال والشبك) التي تستعمل في أوساط معظم العشائر الكوردية والتي تعد من الموروث القومي الكوردي في مقابل البدلة الأوربية، وقد عودهم المناخ البارد على صناعة القلنسوة والاستعمال المتنوع للصوف[6].

وهناك صناعات أخرى مثل صناعة الأواني الفخارية التي اشتهرت بصنعها

---

[1] القية: يرجح ان المراد بها (وقية) وقد كانت تساوي (321) ثلاثمائة وواحد وعشرين غراماً تقريباً. ينظر إلى شاكر صابر الضابط: الكيل والميزان والمقياس في المدن العراقية في القرن التاسع عشر، مطبعة المعارف، بغداد، 1964م، ص5.

[2] محمد نصر الله وآخرون: ممالك محروسة شاهانية مخصوص مكمل ومفصل أطلس، ص102.

[3] شاكر خصباك: العراق الشمالي: د.مط، بغداد، 1973م، ص514.

[4] سالنامة ولاية الموصل لسنة (1330هـ)، ص89.

[5] الزغب الذي تحت شعر العنز، يقال: ثوب ممرعز أي نسج من المرعز. المعجم الوسيط، ج1، مادة (راعز)، ص353.

[6] أحمد حامد قادر: الصناعات الحرفية في كوردستان وواقعها اليوم، مجلة شمس كوردستان، العدد (42)، بغداد، 1976م.

قضاء العمادية والتي تسد حاجة الريف في حفظ المياه[1]، وصناعة السلال لنقل الفواكه[2]، وصناعة الأواني الخشبية بطريقة الحفر، وصناعة المحراث الزراعي والمذراة، والمناجل والمسحاة، ومقبض الخناجر وأسرة النوم[3]، وصناعة نوعية فائقة من الصابون والتي اشتهرت بها مدينة سنجار[4]، الكوردية بولاية الموصل، كما كانت صناعة الأسلحة قد نشأت في البداية بمدينة السليمانية فقد كان يصنع فيها –بالاستعانة بالماسورات الروسية الصنع- بنادق (الششخانة) وانتشرت هذه الصناعات فيما بعد في المناطق الكوردية بأسرها[5].

كما أن العشائر الكوردية الرحالة، اشتهرت بصناعة منتجات الألبان[6].

التجارة:

على الرغم من أن السلطات الحكومية في المركز أو الحكومات المحلية في الولايات العراقية لم تكن تولي اهتماماً للتجارة في العهد الحميدي، بوجه عام اهتماماً كافياً إلا أنها لم تعدم من توجيه بعض العناية إليها، وقد حالت دون تقدم التجارة عوامل منها:

1- قلة مساحات الأراضي الزراعية، مما ترتب عليه تقلص الانتاج الزراعي وعجزه عن توفير الفائض الكبير للتصدير.

2- رداءة المصنوعات العراقية التي لم تدخل في عداد الصادرات[7].

ومن أهم المراكز التجارية في ولاية الموصل، مدينة الموصل، إذ كانت لها

---

(1) شاكر خصباك: العراق الشمالي، ص469.

(2) متي عقراوي: العراق الحديث، د.مط، بغداد، 1936م، ص151.

(3) أحمد حامد: الصناعات الحرفية في كوردستان وواقعها اليوم، ص18.

(4) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وبينها وبين نصيبين ثلاثة أيام أيضاً، وقد نسب إلى سنجار جماعة وافرة من أهل العلم. ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج3، ص262-263.

(5) جاسم محمد حسن: العراق في العهد الحميدي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، 1975م، ص346.

(6) سيد عبد العزيز الشمزيني: الحركة القومية التحررية للشعب الكوردي، أطروحة دكتوراه، جريدة خقبات، العدد 169 في 21 فبراير، بغداد، 1960م.

(7) لوريمر: دليل الخليج، ج3، ص1225.

علاقات تجارية مباشرة مع سوريا وإيران، حيث كانت تستورد من الأخيرة البسط والسجاد[1]. وقد تولت موصل توزيع الواردات من البضائع الأوربية التي كانت تستوردها حتى سنة 1899م ومن الأسواق التجارية من مدينة حلب، على المناطق الكوردية في كوردستان العراق وكوردستان تركيا[2].

صادرات كوردستان العراق:

إن التعامل التجاري لم يقتصر على حدود كوردستان وبغداد فقط، بل امتد أيضاً إلى المناطق المجاورة في الشرق والشمال، فقد كانت القوافل التجارية الكوردية تسير ومعها رجال مسلحون، إلى مناطق: تبريز، وسنه، وكرمنشاه، وأرزروم، محملة بمختلف البضائع التي تنتجها كوردستان[3].

ومما هو جدير بالذكر ان صادرات كوردستان لا تقتصر على المواشي فحسب بل تشمل المنتجات الزراعية والرعوية والطبيعية مثل الصوف، والتبغ، والصمغ والخشب، وعسل النحل، والفواكه، والحبوب وبعض المصنوعات التي تنتج في كوردستان[4].

إن صادرات العراق من الحيوانات، كانت تتركز على تلك التي يتم تصديرها من كوردستان العراق، والتي تألفت بالدرجة الأولى من الأغنام، إذ كانت أعداد كبيرة من قطعاتها تصدر من كوردستان العراق إلى بلاد الشام، وسواحل البحر المتوسط، والأسكندرية، وأسهم التجار السوريون وغيرهم -بالاضافة إلى تجار الموصل- في تصدير أغنام كوردستان العراق[5].

لقد بلغت قيمة الأغنام التي صدرتها كوردستان في أواسط سبعينات القرن

---

(1) موصل ولايتي سالنامةسى، 1312هـ، ص268.

(2) متى عقراوي: العراق الحديث، عربه من الانكليزية، المؤلف نفسه ومجيد خدوري، مطبعة الفهد، ج1، بغداد، 1936م، ص14.

(3) ريجارد كوك: بغداد مدينة السلام، ج2، ترجمة مصطفى جواد، وفؤاد جميل، د. مط، بغداد، 1967م، ص217.

(4) وليم روبرت هي: سنتان في كوردستان، 1918-1920م، ترجمة فؤاد جميل، د. مط، بغداد، 1973م، ص136.

(5) فالح السيد احمد: (البرخانه والتغريب)، مجلة التراث الشعبي، السنة الثانية، العدد السابع والثامن، آذار ونيسان، 1971م، ص53-66.

التاسع عشر (27.000) سبعة وعشرون ألف دينار[1].

وقدرت صادرات ولاية الموصل (كوردستان العراق) من الأغنام إلى سورية وإلى بعض جهات الأناضول في أواخر القرن التاسع عشر(بما يزيد على (100.000) مائة ألف رأس غنم سنوياً[2].

وازدادت تلك الصادرات في مطلع القرن العشرين، وبلغ عدد الأغنام التي صدرتها ولاية الموصل إلى سوريا وحدها في سنة (1908م) (100.000) مائة ألف رأس غنم، وبلغت قيمة صادرات ولاية الموصل (كوردستان الجنوبية) من الأغنام إلى سورية في سنة (1909م) (60.000) ستين ألف جنيه.

وقدرت قيمة صادرات ولاية الموصل من الماعز في مطلع القرن العشرين، بما يتراوح بين (30.000) ثلاثين ألف إلى (80.000) ثمانين ألف جنيه استرليني[3].

أما الأبقار فقد بلغت الصادرات منها في أواخر القرن التاسع عشر حوالي (2.000) ألفي رأس[4].

فيما قدرت قيمة صادراتها منها في سنة 1907م بـ(15.000) خمسة عشر ألف جنيه، ارتفعت في سنة 1909م إلى (25.000) خمسة وعشرون ألف جنيه.

طرق التجارة:

تألفت الطرق التي تسلكها تجارة العراق الخارجية من طريق بحري وطرق برية عديدة، أما الطرق البرية فقد اشتملت على مسالك كثيرة منها:

أ- مع إيران: سلكت تجارة العراق مع إيران طرقاً ثلاثة عن طريق كوردستان العراق: موصل، راوندوز، السليمانية، همدان-كرمنشاه[5].

---

(1) محمد سلمان حسن: التطور الاقتصادي في العراق، ج1، د. مط، د.م، 1965م، ص90.

(2) موصل ولايتي سالنامةسى (1310هـ)، ص241.

(3) كوتلوف: ثورة العشرين، ص91.

(4) موصل ولايتي سالنامةسى، 1310هـ، ص241.

(5) موصل ولايتي سالنامةسى (1312هـ)، ص267، ويذكر يوسف رزق الله غنيمة: أن الطريق الذي كان يربط الموصل مع إيران كان يمر في كل من: أربيل، كويسنجق، رانية. ينظر إلى يوسف رزق الله غنيمة: تجارة العراق قديماً وحديثاً.، مطبعة العراق، بغداد، 1922م، ص150. هذا ومن المعلوم أن راوندوز والسليمانية تقعان في كوردستان العراق، وأما همدان وكرمنشاه فهما مدينتان في كوردستان إيران.

ب- مع سوريا : ارتبط العراق مع سوريا عن طريق موصل-حلب.

جـ- مع الأناضول: لقد كان العراق مرتبطاً مع الأناضول بطريقين:

أحدهما : طريق بغداد-استانبول، وكان يمر في (خان بني سعد) وكفري، وكركوك، والموصل، ودياربكر، واستانبول.

والثاني: طريق الموصل، زاخو، جزيرة ابن عمر، سعرد، بدليس، طرابزون[1].

واردات كوردستان:

كانت واردات كوردستان تتألف من المواد غير المتوفرة فيها، مثل السكر، والبن، والأقمشة الحريرية، والمصنوعات الهندية والأوربية، مثل الأسلحة[2].

عرض آراء فئة من علماء كوردستان في الوضع الاقتصادي

كانت الأوضاع الاقتصادية في كوردستان أثناء حكم السلطان عبد الحميد الثاني غير مزدهرة بسبب المشكلات التي كانت الدولة تعاني منها نتيجة الضغوط السياسية والعسكرية الخارجية التي كانت تحيط بها وتهدف إلى الإطاحة بالخلافة والسلطنة العثمانية، مما استدعت هذه الحالة من الدولة أن تكرس كل الإمكانيات الاقتصادية للجانب العسكري مما تعكس الصورة السلبية على الأوضاع المعاشية للمواطنين[3]، ومثل هذه المواقف استرعت انتباه الملا سعيد النورسي الكوردي[4].

فدعا الكورد في مقال له إلى أن يحافظوا على ثلاثة أمور هي (الإسلام-الإنسانية-القومية) وأوضح أن للكورد ثلاثة أعداء يعملون على تدميرهم وهم: الفقر ودليله وجود أربعين ألف حمال كوردي في استانبول، والعدوان الآخران هما الجهل والأمية بدليل أن واحداً من كل ألف كوردي يستطيع قراءة الجريدة، ويرى

---

(1) موصل ولايتي سالنامةسى، 1312هـ، ص267، ومن الجدير بالقول: أن المدن: كفري، وكركوك، والموصل، وزاخو تقع جميعاً ضمن كوردستان العراق، وأما مدن: دياربكر وجزيرة ابن عمر وسعرد وبتليس فإنها كلها تقع ضمن كوردستان تركيا.

(2) سالنامة ولايتي الموصل، سنة 1330هـ، ص91.

(3) الملا جواد فقي علي: محمد عبد الله الجلي وجهوده العلمية، ص5.

(4) سبق ترجمته.

بديع الزمان الملا سعيد النورسي[1]، إن محاربة هؤلاء الأعداء يتم بحملنا ثلاثة سيوف وهي (سيف العدل والمعارف، سيف الاتفاق والمحبة القومية، سيف الاعتماد على النفس لا على غيره)[2].

ويقول الملا طه أفندي الدهوكي المتوفى (1347هـ-1928م):

إن معظم التحولات الاقتصادية التي شهدتها كوردستان لم تخفف من أعباء الفلاح الكوردي، بل زادت عليه تلك الأعباء من قبل رؤساء العشائر والسلطات المحلية، مما دفع بالطبقة الكوردية الفقيرة إلى القيام بالحركات والتمردات ضد أصحاب النفوذ والقوة الاقتصادية الكوردية أولاً وضد السلطة المركزية ثانياً[3].

لقد كان الاقتصاد غير منتعش بسبب عوامل عديدة منها: ما أسلفنا من تخطيط الدول الاستعمارية للعمل لتراكم الديون على الدولة العثمانية لتكون تلك الديون وسيلة من وسائلها لسقوط الحكومة وتقسيم تركتها، ومنها سياسة التبذير والإسراف والبذخ التي كانت قائمة في القصور، والنفقات الباهظة التي تعودت القصور على صرفها على الملذات، بيد أن السلطان عبد الحميد منذ تولى السلطة فكر في حل الأزمة الاقتصادية، وخطط لذلك ونجح في السياسة الاقتصادية التي اتبعها بدليل أنه عندما حانت ساعة عزله عن العرش كان قد دفع معظم الديون التي كانت على الدولة[4].

إن علماء كوردستان جزء من المجتمع الكوردي الذي كان يعاني من تدني الوضع الاقتصادي في كوردستان، فلا يمكنهم إلا تصوير الواقع بما هو عليه واستكشاف الأسباب المؤدية إلى الانكماش الاقتصادي، فبالاضافة إلى ما ذكرناه من أسباب، فهناك تفسير آخر لتوضيح المعالم، وهو أن الدولة كانت في حالة جهاد مستمر تحارب الأعداء المتكالبين عليها مما جعل الجزء الأكبر من الاقتصاد يضخ إلى قناة رفد الجبهات العسكرية بما يحتاج إليها من نفقات ومعدات وتجهيزات. كان لابد منها لبعث الحياة في المفهوم الجهادي الذي لا مفر منه، والذي هو واجب

---

(1) نشرت المقالة صحيفة (كورد) في العدد (1)، 1908، ومجلة متين العدد (75) نيسان، 1998، ص92.

(2) مجلة متين، العدد 75، نيسان 1998م، ص92.

(3) الملا طه: كان مدرساً وإماماً في جامع دهوك وهو من العلماء الأفاضل، عمل في الوظيفة في العهد العثماني والعراقي، ينظر إلى: الملا سعيد ياسين: فضلاء بهدينان، ص2.

(4) عبد الله عزت حمه صالح: سعيد النورسي، تراثه وفكره، ص7.

بموجب الشرع الشريف، وهذا يعكس سلباً على الرفاهية الاقتصادية للمواطنين. كان علماء كوردستان من الدعاة إلى الجهاد، ولاشك أن عملية استمرار الجهاد تتطلب أموالاً بل ويتطلب من الأمة الإرشاد في الإنفاق والتقليل من الاستهلاك، فقد رأى العلماء لزاماً على الأمة من توفير الأموال لصرفها على المجاهدين الذين يصونون كرامة الأمة ويدافعون عن الأرض والعرض يحمون العقيدة، وهذه أيضاً من الوسائل التي قد تجعل الأموال تتجه نحو المقاصد العسكرية ولا تساهم في الاستثمار ونشاط السوق.

ومن جانب آخر، فلم يكن الاقتصاد مزدهراً بالمستوى الذي عليه الحال الآن بسبب وسائل الإنتاج البدائية، وعدم توفير البذور المحسنة وقلة وجود المبيدات التي تحمي المزروعات، وندرة طرق المواصلات التي تساعد الفلاحين في عرض محصولاتهم في الأسواق.

ومن العوامل الأخرى التي حالت دون تحسين الأوضاع الاقتصادية قلة الاهتمام بالثروة الحيوانية، فلم تكن تلقى الحماية اللازمة من الأمراض المتفشية في هذا القطاع الحيوي بسبب ندرة العلاجات الطبية البيطرية مما جعلها غير منتجة ومربحة بحيث تساهم في تنشيط العملية الاقتصادية، وهناك عامل آخر أكثر أهمية للحيلولة دون رفع المستوى المعاشي وهو كثرة الضرائب المفروضة على الشعب بسبب متطلبات أمن الدولة والنفقات العسكرية، وفي بعض الأحيان قد يلجأ الموظفون المحليون إلى الارتشاء من المواطنين وفرض أتاوات قد تثقل كاهلهم، وربما قد تجتمع هذه العوامل معاً إضافة إلى احتباس الأمطار والعوارض الطبيعية مما تسبب أحياناً في تفشي المجاعة وحدوث الغلاء والقحط والجوع كالذي أصاب بغداد، والموصل في عام 1297هـ-1879م وكان لا يوصف إلا بأبشع الأوصاف، حيث يشاهد الموتى في الطرقات، وبيعت البنات والأولاد إلى آخر ما هنالك.

وهذا هو الذي يسمى بالمجاعة (البرسيمة) في اللغة الكوردية أي (جوعان)[1]، ومع ذلك فقد كان الوضع الاقتصادي أفضل بكثير في كوردستان مقارنة بالأوضاع الاقتصادية في بعض الولايات العثمانية الأخرى.

---

[1] عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج8، ص49، نقلاً من الجوائب، العدد 996 في 20 ربيع الأول سنة 1297هـ-1879م.

لم يكن دور علماء الدين مقتصراً على المجالات الاجتماعية والعبادية والروحية، بل كان ولا يزال يتعدى إلى الجوانب الاقتصادية بحكم دورهم ومنزلتهم المرموقة في المجتمع الكوردي على كافة الأصعدة، ويلاحظ ذلك في دورهم السياسي حيث إن انتفاضات كوردية كثيرة تزعمها في المائة سنة الأخيرة من القرن الماضي شخصيات دينية[1].

لقد كان دور علماء الدين إيجابياً في تشجيع أبناء كوردستان للتراحم فيما بينهم والإنفاق في سبيل الله ولو ببعض رغيف الخبز، وجمع التبرعات للمنكوبين والمصابين بالكوارث، وهناك عوامل عديدة ساعدت على تخفيف ضنك العيش في المجتمع الكوردي، نتيجة خطب ومواعظ العلماء في الجوامع والمجالس العامة منها تطبيق فريضة الزكاة في المواشي والزروع وأموال التجارة والحيوانات إضافة إلى مصادر أخرى كالصدقات والنذور، كما أن رابطة الدين وصلة الرحم والتآخي الكوردي جعلت أبناء المجتمع يتقاسمون أرزاقهم مع أقاربهم وأصحابهم في المجتمع[2]، إن هذه المفاهيم السائدة خففت الوطأة الاقتصادية حينئذ على أبناء كوردستان.

ومع كل ما أسلفنا فلم، تزعزع هذه الأوضاع ثقة علماء الدين بالسلطان عبد الحميد الثاني وسياسته في المنطقة الكوردية، إذ كانوا يعتبرون مثل هذه الظروف الاقتصادية عوارض غير متعمدة بل حالة طارئة نتيجة أوضاع معينة لا حول للسلطان ولا للمواطنين لدفعها وكان لزاماً عليهم جميعاً التحمل والتواصي بالصبر.

بعد دراسة مستفيضة لكل ما تقدم، يمكننا أن نستخلص النتائج الإيجابية من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي تمخض عنها الحكم العثماني في كوردستان ونلخصها كالآتي:

- إن الحكم العثماني قد ألجم التعديات الإيرانية على الحدود، وانتزع معظم أراضي كوردستان من الحكم الإيراني، لتبقى كوردية في يد أبنائه وسلطاتهم

---

[1] منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص266، وأدمون غريب: الحركة القومية الكوردية، ص13.

[2] عبد الله خورشيد عبد الله: البناء الاجتماعي للقرية الكوردية (دراسة انثروبولوجية، رسالة ماجستير في علم الاجتماع) كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، أربيل، (غير منشورة)، 1416هـ-1996م، ص18-19.

المحلية، إذ كانت إيران وما تزال لا تعترف بالأقلية الكوردية وغيرها من الأقليات، بينما كانت الدولة العثمانية تترك لهذه الأقليات حريتها في اللغة والعادات والتقاليد في ظل الجامعة الإسلامية، ولا يعتد بنقض هذا الميثاق في أواخر السلطنة وعهد الاتحاد والترقي.

- كما أسفر هذا العهد العثماني عن ظهور نخبة من المثقفين الكورد، تمكنوا من تمثيل أبناء كوردستان فيما بعد في المؤتمرات الدولية بعيد الحرب العالمية الأولى 1914م وكان ذلك بتأثير المدارس والمعاهد والإعداديات العسكرية التي انتشرت في كوردستان في أواخر العهد العثماني والتي تخرج منها كوكبة من الشبان الكورد، فكان من أبرزهم (سعيد باشا الكوردي)[1] الذي ارتقى إلى منصب وزير الخارجية ثم أصبح رئيساً للوزراء، ومثله الضابط (مصطفى ياملكي)[2] الذي تسلم مراكز قيادية حساسة في الجيش العثماني، ومثله الضابط المعروف (شريف باشا السليماني)[3] وكان جنرالاً ثم تولى منصب السفير في (السويد) وهو من درسيم بكوردستان تركيا، ثم أصبح ممثل الشعب الكوردي في المؤتمرات الدولية، ومدافعاً عن حقوقه القومية الكوردية عقب الحرب العالمية الأولى، وغيرهم.

- كان لتطبيق القوانين والأنظمة الإدارية العثمانية تأثير ملموس في إعداد الكورد لتقبل مفهوم الحكومة والأنظمة والأمن العام.

---

(1) سعيد باشا الكوردي: هو السياسي الكوردي المعروف، ولد في مدينة السليمانية بكوردستان العراق سنة 1834م تقدم في المناصب حتى أصبح وزيراً للخارجية التركية سنة 1882م، فسفيراً في برلين، عاد وزيراً للخارجية سنة 1885م فرئيساً لمجلس الشورى بالوكالة فرئيساً أصيلاً سنة 1893م واستمر في تسنم المنصب إلى وفاته في استانبول عام 1907م. ينظر: مير بصري: أعلام الكورد، ص59.

(2) مصطفى باشا يا ملكي: ولد في السليمانية سنة 1688م، توفي في بغداد، 1936م. ينظر: مير بصري: أعلام الكورد، ص70.

(3) شريف باشا بن سعيد باشا آل خندان: وقد عرف أحياناً باسم الجنرال (شريف باشا صبري باشا) ولد في استانبول 1865م والتحق بالجيش وبلغ رتبة فريق في الخيالة، واقترن سنة 1890م بالأميرة (أمينة بنت محمد عبد الحليم باشا بن محمد علي باشا والي مصر) اتهم بالاشتراك في اغتيال الصدر الأعظم محمود شوكت باشا سنة 1913م فحكم عليه بالإعدام غيابياً وهو في الخارج ولم يعد إلى تركيا وعاش في المهجر إلى وفاته 1944 وكان مناصراً لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني. ينظر: مير بصري: أعلام الكورد، ص33.

- نمت وكبرت المدنية الكوردية وتمتعت بشيء كثير من الخدمات وأنشئت فيها البلديات وفتحت الطرق وتحسنت المواصلات، وتقدمت من الناحية العمرانية.

- كان لإعلان الدستور العثماني عام 1908م آثاره القومية في الحكومة العثمانية شملت منطقة كوردستان.

- كانت السلطنة العثمانية تسعى في أواخر أيامها تقوية العلاقات بينها وبين ولاياتها على كافة الأصعدة، ووجهت عناية خاصة لولايات بغداد، والموصل، ودياربكر، انعكست بصورة أو بأخرى على السناجق الكوردية التابعة لها في كوردستان[1].

---

[1] منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص199-200.

موقف علماء كوردستان من الوضع الاجتماعي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876- 1909م)

تمهيد

الهيكل التنظيمي للمجتمع الكوردي:

قد يجد الباحث شحة في الدراسات المستوفية لتصوير الصورة المستوفية لتوضيح الطبائع لمجتمع منقسم إلى عدة عشائر، تعيش في أوساط متباينة الأجزاء نتيجة الأوضاع الجغرافية والسياسية في كوردستان[1].

والأغرب من هذا كله، إهمال دراسته بأساليب علمية ووثائقية بسبب التقسيم المفروض من قبل الحكومات المتعاقبة، التي قبضت على رقاب هذا الشعب الكوردي، واغتصبت أرضه وحريته، وجعلتهم في زاوية شبه منسية جغرافياً وتاريخياً وكأن الكورد خلقوا للاسترقاق، أو أنهم لا ينتمون إلى السلالة البشرية، إلا أنه بعد بزوغ تطورات على مختلف الأصعدة في الشرق الأوسط، تنفس الكورد الصعداء وبدأت أقلام الصحافة وألسنة الإعلام وتحقيقات الكتاب، وجري الرحالة لتعقب الحدث هنا وهناك، سلطت الأضواء على الظلام المطبق على الجبل والسهل الكوردي، واكتشفت هذه البقعة المجهولة، وأخذت الغيوم تنقشع عن المنطقة الكوردية رويداً رويداً.

المجتمع الكوردي والدين:

الأكثرية الساحقة من سكان كوردستان من المسلمين وتبلغ نسبتهم 95٪ ويتمذهبون بالشافعية[2]، وبينهم قليل من الحنفية[1] والشيعة الإمامية[2]، وفيهم

---

(١) مينورسكي: الأكراد، ص77.

(٢) إن انتشار المذهب الشافعي في كوردستان يعود إلى تشجيع الأيوبيين له بفتحهم المدارس والمعاهد الدينية في الشام، واهتمام هذه المدارس بدراسة الفقه الشافعي، وأقبل على هذه المدارس، كثير من طلاب الكورد، وعند عودتهم إلى كوردستان شجعوا هذا المذهب في البلاد، كما أن الفقهاء الكورد، درسوا الفقه والأصول وفق المنهج الشافعي في بغداد فنشروه. ينظر إلى حسام الدين علي النقشبندي: الكورد في دينوار وشهرزور خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين. رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، 1975م، ص111. وكريم زند: المذاهب والمعتقدات في كوردستان، مطبعة كاميران، السليمانية، 1971م، ص62.

أقلية من المسيحية[3]، وفرق كوردية أخرى يحيط الغموض بأغلبها مثل اليزيدية[4] والعلوية[5] والكاكائية[6] وأهل الحق[7] والشبك[8] والرافضة[9].

كما انتشرت الطرق الصوفية بين أبناء كوردستان بسرعة[10] منذ القرن الرابع الهجري (الحادي عشر الميلادي)[11].

---

(1) علاء الدين السجادي: تاريخ الأدب الكوردي، مطبعة المعارف، ط2، د.م، 1971م، ص66-76.

(2) يذكر حسام الدين علي النقشبندي بان قلة من الكورد اعتنقوا المذهب الشيعي. ينظر إلى حسام الدين علي النقشبندي: الكورد في دينور وشهرزور خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، ص111.

(3) توجد بين الكورد في كوردستان العراق وفارس مجموعة من النصرانيين، وأغلبهم آثوريون يلبسون ملابس سكان المنطقة وعاداتهم متشابهة لعاداتهم ويتكلمون الكردية ويتداولون الكلدانية في بيوتهم كلغة دينية لهم. ينظر إلى عز الدين مصطفى رسول: شيء عن التصوف في الأدب الكوردي.

(4) سبقت التعريف باليزيدية.

(5) العلوية: فرقة من فرق الشيعة الباطنية، يسكنون في جبال اللاذقية، كما يسكنون في كوردستان تركيا وإيران، وهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير النميري البصري (ت 270هـ)، وكانوا يسمون النصيرية إلى احتلال فرنسا لسوريا عام 1920م وقد سموا أنفسهم بالعلويين منذ ذلك التاريخ. ينظر إلى الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، ج1، مؤسسة الحلبي، مطبعة الاتحاد العربي، القاهرة، 1968م، ص188.

(6) الكاكائية: نحلة باطنية سرية لا تبوح بأسرارها ولاتعلن عن عقائدها وتخفي كتبها، من معتقداتها الحلول والتناسخ، يعيش معظمهم في العراق وإيران. ينظر إلى: كمال الدين الطائي: رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، 1972م، ص180.

(7) أهل الحق: أصحاب نحلة باطنية، تسكن في غرب بلاد فارس (كوردستان إيران) على وجه خاص من عقائدهم التجسيد، والتناسخ والحلول، واستحلال المحرمات، ينظر إلى: عباس محمود وأحمد الشنتاوي: دائرة المعارف الإسلامية، مج3، ص93-103.

(8) الشبك: فرقة باطنية تكرر التثليث في اجتماعاتها، وأدعيتها، وهي فرقة غالية تغالي في الإمام علي رضي الله عنه، يسكن منتسبوها في عدة قرى في الجانب الشرقي من الموصل. ينظر إلى: كمال الدين الطائي، رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة، ص185-190.

(9) الرافضة: أولى الفرق الغالية في الإسلام، غلت في حب الإمام علي رضي الله عنه، فوضعت أحاديث كثيرة في فضائله، وقالوا فيه مثل قول النصارى بألوهية المسيح. ينظر إلى عبد الله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، مطبعة الدار العربية، بغداد، 1988م، ص69.

(10) توما بوا: مع الأكراد، ترجمة أواز زنكنه، ص201.

(11) الثعالبي: ثمار القلوب، د. مط، مصر، 1965م، ص238.

تمثل الحياة الدينية شأناً كبيراً في الأحوال التي تسير الأمة الكوردية، وما انفكت المسائل الدينية من القضايا الأساسية في حياة الكورد منذ أن سافر عدد من علماء الكورد والمتنفذين إلى المدينة المنورة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ واتصلوا بالخليفة العادل، وبعد عودتهم إلى كوردستان، وقبل تقدم الجيوش الإسلامية نحو العراق وإيران والأناضول بثوا دعاية واسعة للإسلام، وأصبحوا من الدعاة لانتظام الناس في الدين الحنيف. وقبل وصول الجيوش الإسلامية إلى بلاد الكورد، قبلوا الإسلام ديناً وعقيدة أبدية[1]. ونتيجة لذلك أصبح لمبادئ الإسلام تأثير بالغ الشدة على الأخلاق والمزاج النفسي للكورد، وساهمت إلى حد كبير في تطوير المجتمع الكوردي وتاريخه، وقاموا بدور كبير في العهود الإسلامية، وقدموا للإسلام خدمات كبيرة في كافة المجالات السياسية والعسكرية والثقافية.

فالكوردي شديد التمسك بأهداب الدين الإسلامي، وحريص على أداء فرائضه وكثير التسامح مع من يخالفه في العقيدة الدينية.

علماء الدين ودورهم في المجتمع الكوردي:

ومما يلفت النظر أن القرية الكوردية تكاد لا تخلو من مسجد أو مسجدين ومن إمام وطلاب العلوم الدينية، ومن التقاليد المرعية لدى علماء الدين الكورد في المجتمع الكوردي، هو تعليم الناشئين القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة، وتربيتهم على الأخلاق الإسلامية، ولعلماء الدين تأثير كبير في أفراد المجتمع الكوردي وخاصة في القرى، فعندما يدلي العالم الديني برأيه فلا راد لرأيه، ويمكن أن يقوم بعدة وظائف متعلقة بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية[2].

فلهم الحضور في المناسبات الاجتماعية كالزواج والخطبة والمهر ومراسيم دفن الموتى ومجالس العزاء، وإحياء المناسبات الدينية كالأعياد ويوم الجمعة، والمولد النبوي ولعلماء الدين دور بارز في فض المنازعات بين المتخاصمين، وفي عملية التماسك الاجتماعي ومساعدة المنكوبين، من خلال توجيهاته بتقديم المساعدات لهم، و جمع التبرعات للفقراء وتقديم الطعام للمعزين في حالات الوفاة.

---

(1) هادي رشيد الجاوشلي: القومية الكوردية وتراثها التاريخي، مطبعة الرشاد، بغداد، ص66.

(2) أحمد الخشاب: الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، ط2، مكتبة القاهرة الحديثة، دار الحماسة للطباعة، القاهرة، 1964م، ص170.

إن الخلافات والنـزاعات غالبـاً مـا تـرد إلى علمـاء الـدين في القرية وحتـى في أغلب الأحـايين في المدن فيما يتعلق بالمسائل العائلية ومشاكل الميراث والأراضي وقضايا البيع والشراء، والكل يرضون بما يقضون.

الهيكل التنظيمي للمجتمع الكوردي:

الأسرة الكوردية:

إن الروح الكوردية تمتاز بالشعور القوي نحو الأسرة والعشيرة، وهـي تضاهي شعورهم نحو الإنسانية ولكنها أقل من الأخوة المبنية على أساس الدين، وتعتبر الأسـرة الكورديـة اللبنـة الأساسية للمجتمـع الكوردي[1]، والفـرد الكوردي لا يعتـد بشخصيته ولكن بأسرته وعشيرته[2]، وبالرغم من تماثل النمط العائلي الكوردي في جميـع أنحـاء كوردسـتان تقريبـاً وفي المجتمعات العشائرية واللاعشائرية إلا ان هناك فروقاً ثانوية من منطقة لأخرى حسب تضاريسها ومقدار احتكاكها بالعالم الخارجي ولا تغير هذه الفروق من الملامح الرئيسية لذلك النمط[3].

والأسرة الكوردية تعتبر المؤسسة التربوية التي ترعى شؤون الطفل، وذلك لقلة المدارس في الريف الكوردي، ومن هذا المنطلق يظهر واضحاً تأثر الفرد بمبادئ أسرته وتأثير الأسرة فيه نتيجة للتفاعل الاجتماعي داخل الأسرة الواحدة.

وتعـد الأسـرة هـي العـالم المـصغر الـذي يكتـسب منـه الطفـل التجـارب والمعـارف[4]، ويـتراوح عـدد أفـراد الأسـرة بـين 3-7 وسـطياً، وهـي متماسـكة والعلاقات الزوجية مقدسة، تتحكم في بنيانها قواعد الشريعة الإسلامية ودماثة الأخـلاق الكورديـة، والكـوردي سـواء اعـاش في قبيلـة أو كـان طليقـاً مـن الـروابط القبلية فلا يعيش بمفرده فله زوجته وله أطفاله.

وللعائلة عند الكورد مظهر ديني، يأتي قبل مظهرها الاجتماعي والاقتصادي وهذه الميزة تؤثر على حالة الشباب قبل الزواج، فأغلب الكورد يتزوجون في سن

---

(1) عبد الستار طاهر شريف: المجتمع الكوردي، مجلة شمس كوردستان، العدد (14)، بغداد، 1975م، ص10.
(2) انور المائي: الأكراد في بهدينان، ط1، ص215.
(3) شاكر خصباك: الأكراد، ص453.
(4) عبد الستار طاهر، العدد 34، ص11-12، والعدد 49، سنة 1978م، ص17-18.

مبكرة، والعزوبة لا تدوم في كوردستان، فهذا الزواج المبكر هو بلا شك أحد الأسباب التي تجعل البغاء غير معروف في كوردستان تقريباً[1].

الأب رئيس العائلة:

يعتبر الأب رئيس العائلة، ويتمتع بسلطة قوية[2]، ولا يبرر رئاسته للعائلة وضعه الاجتماعي أو الاقتصادي فحسب بل التعاليم الدينية أيضاً، لأن القرآن الكريم يأمر باحترام وطاعة الوالدين، والإحسان إليهم، يقول تبارك اسمه: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً)[3]، ومع أن رب العائلة له السلطة اللامحدودة في إدارة شؤون الأسرة فإن للمرأة أيضاً مكانة حسنة في الأسرة[4].

أما العلاقة القائمة بين الإخوة والأخوات في الأسرة فإن السن هو الذي يقرر طبيعتها، وإن كانت الشخصية الفردية تلعب دوراً هاماً فيها[5].

غير أن البنت في المجتمع الكوردي تذعن لإرادة الأب أو الأخ الكبير بدون مناقشة، ويتصرف الأب كوكيل مطلق لها في قضية الزواج، ويجب عليها أن تطلب إذن أبيها، وإذا لم يوافق الأب فلا يتم الزواج، ولكن الفتاة من الناحية العملية تكون في حماية والدتها، منذ طفولتها، وتنوب الأم عن بنتها أمام الأب في كثير من الأمور الهامة.

المرأة في المجتمع الكوردي:

يكن الكورد المودة والتقدير للمرأة، ولها دور كبير في الحياة الاجتماعية، وهي مسؤولة عن تدبير شؤون المنزل وتربية الأطفال وإعداد الطعام، وجلب المياه من نبع القرية، وصنع مشتقات الحليب، وتعتبر عاملة ماهرة في نسج السجاد[6].

وتتحمل الواجبات جنباً بجنب مع الرجل، والمرأة الكوردية على جانب كبير من الرقة واللطف، تخاطب الرجل بكل احترام وهي دينة تقية نقية ومن النادر أن تجد بين الكورد إمرأة لا تؤدي فريضة الصلاة والصيام وهي محافظة على دينها، لا

---

(1) تومابوا: مع الأكراد، ص52.
(2) هادي رشيد الجاوشلي: الحياة الاجتماعية، ص40-41.
(3) سورة الإسراء، الآية: 23.
(4) شاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص92.
(5) هادي رشيد الجاوشلي: الحياة الاجتماعية، ص40-41.
(6) توما بوا: مع الأكراد، ص34-35.

تكلف زوجها فوق طاقته، وتكون الزيجة بينهما على شكل صداقة[1].

لقد تحدث الرحالة والكتاب عن مركز المرأة الكوردية، واقتنعوا بأنها تتمتع بمكانة مرموقة قياساً إلى مركز المرأة بين بقية الشعوب الإسلامية في المنطقة.

1- يقول الرحالة الانكليزي: (كلوديوس ريج): (إن أحوال المرأة في كوردستان، أفضل بكثير مما هي عليه في تركيا وإيران، فالزوجة تعامل على قدم المساواة مع الزوج، وهي تسخر من عبودية المرأة التركية)[2].

إن المرأة الكوردية في القرى والأرياف لم تكن تعرف الحجاب منذ القديم وذلك لسببين:

1- طبيعة الزي النسائي في المجتمع الكوردي الذي قوامه الاحتشام وفق مقاييس اللباس الإسلامي للمرأة.

2- متطلبات الأعمال التي تنهض بها المرأة الكوردية في الريف.

وعليه أرى أن ترجع الكوردية الساكنة في المدن إلى اتخاذ الزي المستعمل لدى الكورديات في الريف منذ القديم، وليس بالشكل المقتبس من الغرب الذي يتنافى مع مبادئ الإسلام والعرف القديم لدى الكورد .

الزواج في المجتمع الكوردي:

يتم الزواج وفق الشريعة الإسلامية، في كافة البيئات الكوردية، العشائرية والحضرية، والنمط العام للزواج الكوردي يقوم على وحدانية الزوجة وهناك حالات لتعدد الزوجات وخاصة لدى الأغوات والأغنياء.

وتتعدد أنماط الزواج عند الكورد مثل الزواج بالأقارب والزواج بالمبادلة – ولكنه نادر للغاية- والزواج بالغرباء، وافضل عمر للزواج بين سن 14-17 للفتاة وما بين 20-25 سنة للفتى[3].

---

(1) صديق الدملوجي: إمارة بهدينان، أو إمارة العمادية، تقديم ومراجعة عبد الفتاح بوتاني، دار ئاراس للطباعة والنشر، ط2، أربيل، 1999م، ص184.

(2) كلوديس جيمس ريج: رحلة ريج في العراق سنة 1820م، ترجمة بهاء الدين نوري، بغداد، د. مط، 1951م، ص104.

(3) شاكر خصباك: الأكراد، ص464.

الطلاق:

إن الطلاق نادر الوقوع في المجتمع الكوردي، ذلك لأنه أبغض الحلال عند الله ويعد من أعظم العيوب، وإذا وقع فالباعث هو عقم المرأة او عدم قابليتها لإنجاب أطفال ذكور[1]، وما شاكل ذلك.

الحياة الخلقية في المجتمع الكوردي:

الزنا: إن الزنا مستقبح في المجتمع الكوردي، وهو فاحشة ومقت كبير، ومنبوذ دينياً واجتماعيا، ونتائجه وخيمة، وإذا ما حصل فقد يؤدي إلى قتل الزاني والزانية بحسب العرف العشائري، ناهيك عن الحدود التي توقعها بهما الشريعة الإسلامية.

والمرأة الزانية: يجب عليها التستر والاختفاء، إذ تعلم المرأة يقيناً المصير الذي ينتظرها، إذا اكتشف إثمها، فهي ستموت مقتولة على يد أخيها، أو أحد أقاربها الغيورين على صيانة شرف العائلة، فهذا مآل كل فتاة متورطة في علاقة آثمة[2].

إن التقاليد في المجتمع الكوردي كالحارس الأمين لحماية أخلاق ومقدسات هذا الشعب الكوردي، غير أنه منذ أن بدأت الغزوات الأخلاقية المغيرة من قبل الأجانب على الكورد والمنطقة عموماً، أخذ المستوى الأخلاقي ينحدر نحو الهبوط، وأخذت الأنماط السلوكية العالية التي كان يفتخر بها الكورد تختفي تدريجياً[3].

كورديات يتسلمن السلطة الزمنية والقيادة الروحية:

على الرغم من تسلط الرجل الكوردي على الزعامة الأسرية والعشائرية إلا أن التاريخ يذكرنا، رغم العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الكوردي، تسلم المرأة الكوردية زمام الحكم في ظروف حرجة، مثل (صفية خاتون) بنت الملك العادل (617-645هـ)- (1220-1247م) حاكم مصر الأيوبي (1238-1240م) كانت قد تولت الحكم في الدولة الأيوبية بعد وفاة زوجها (الملك العزيز) سنة 1237م[4].

---

(1) توما بوا: مع الأكراد، ص52-53. و شاكر خصباك: الأكراد، ص466.

(2) توما بوا: مع الأكراد، ص53.

(3) هاشم طه عقراوي: الأسس النفسية والاجتماعية للقبائل الكوردية، دراسة نفسية اجتماعية، مطبعة بلدية كركوك، 1971م، ص139.

(4) أنور المائي: الأكراد في بهدينان، ط6، ص22.

كما احتلت الصدارة في رئاسة العشائر السيدة (عادلة خاتون)[1] زوجة (عثمان باشا الجاف) التي أصبحت الحاكمة الفعلية لمنطقة حلبجة من أصقاع مدينة السليمانية، حيث كانت المنطقة من ممتلكات (عثمان باشا)[2] وبدأت تمسك بزمام السلطان السياسي في المنطقة في غياب زوجها عن المنطقة لاستدعاء الحكومة العثمانية له للتشاور معه فيما يتعلق بشؤون المنطقة وقضايا العشائر.

قامت السيدة (عادلة خاتون) بإنشاء محكمة قضائية برئاستها وبناء سجن جديد[3] وسوق، ومسقف على هيئة القبب، كان له الأثر الكبير في تنشيط الحركة التجارية في المنطقة التي نمت وأصبحت مركزاً يتوافد عليها التجار من المناطق المجاورة، وبعد أن فرضت سيطرتها على المنطقة، تمكنت من منع وصول السلطة العثمانية إلى منطقة نفوذها، وأنذرت الحكومة العثمانية بعدم مد خط البرق الذي كانت تنوي إقامته في (حلبجة).

وبعد أن استقرت الأوضاع، قامت ببناء بيت في إحدى القرى القريبة واتخذته دار ضيافة لاستقبال كبار زوارها، خاصة من النساء الأوربيات اللواتي كن يزرن المنطقة الكوردية[4].

وإذا كانت السيدة (عادلة خاتون) ذاع صيتها بالسياسة والحكم، فهناك نساء كورديات اشتهرن بالتصوف والعلم، أمثال السيدة (شاميران) عقيلة الشيخ طاهر البامرني[5]، التي بايعتها نساء المنطقة على الطريقة النقشبندية وهناك نساء اشتهرن بالثقافة والأدب مثل الأميرة (حليمة خاتون) الهكارية، والأميرة (روشن خاتون)

---

(1) عادلة خاتون: من ولاية أردلان بكوردستان إيران، وهي إبنة أحد الوزراء الأردلانيين الكورد، استقرت في منطقة (حلبجة) وبدأت بتدعيم مركزها، وشيدت قصرين لا نظير لهما في السليمانية، وفتحت أبواب قصورها لجميع الرحالة، وجعلت الطريق بين (سنه) و(حلبجة) في مأمن من خطر اللصوص. ينظر إلى الميجر سون: رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، ج1، ص280.

(2) مينورسكي: الأكراد، ص76.

(3) الميجر سون: رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، ج1، ص280.

(4) ينظر إلى المصادر السابقة: علي سيدو الكوراني: من عمان إلى العمادية، ص49. والميجر سون: رحلة متنكرة إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، ج1، ص281. ومينورسكي: الأكراد، ص76.

(5) بامرني: قرية سياحية جميلة، ذات مياه وفواكه، تقع على سفح جبل متين جنوباً والعمادية شرقاً، وكانت مركز المشيخة النقشبندية قبل عام 1975م.

البدرخانية، و(حفصة خاتون) البرزنجية، والسيدة (كليزار خاتون) النهري[1].

العشيرة الكوردية:

النظام الاجتماعي السائد في كوردستان هو النظام القبلي المبني على التنظيمات العشائرية واللاعشائرية[2]، ولكي نفهم أصوله، يجب تحديد مميزات وطبيعة العشيرة الكوردية.

فالعشيرة الكوردية: هي عالم مصغر، منطوٍ على نفسه، ويشكل في ذات الوقت هيئة دفاع مشترك، ويقوم على أساس النسب المشترك، والاشتراك في الموقع[3]، وهي في الواقع عبارة عن اتحاد مجموعات نسبية تخضع لهيمنة سلطة مركزية[4].

ونستطيع القول بأن العشيرة الكوردية عبارة عن وحدة سكنية سياسية تشتمل على فئتين منفصلتين، فئة حاكمة محاربة، وفئة عامة، مهمتها الزراعة وتربية المواشي، وعليه فإن الحياة الاجتماعية تمتاز بالآتي:

1- التفاف الكورد حول قائد كائناً من كان[5].

2- إطاعة عمياء لهذا الزعيم[6].

3- انقسامهم إلى طبقات اجتماعية (زراع، وأصحاب الحرف).

ونتيجة التزام أفراد العشائر الكوردية بهذا النمط الرئاسي، فقد وجدت عدة أنظمة في الضبط الاجتماعي وهي:

1- عشيرة تأتمر بسلطان (الآغا)، وتنتسب إلى أصل مشترك ومقسمة إلى أجزاء[7].

2- قبيلة تحت حكم رئيس إقطاعي بسلالة مختلفة[8].

---

(1) أنور المائي: الأكراد في بهدينان، ط1، ص221.
(2) شاكر خصباك: الأكراد، ص436.
(3) توما بوا: مع الأكراد، ص38.
(4) شاكر خصباك: الأكراد، ص436.
(5) معروف جياووك: القضية الكوردية، د.مط، بغداد، 1939م، ص48.
(6) بدرخان السندي: طبيعة المجتمع الكوردي في أدبه، د.مط، كركوك، 1967م، ص12.
(7) أنور المائي: الأكراد في بهدينان، ط1، ص216.
(8) شاميلوف: حولة مسألة الإقطاع بين الكورد، ترجمة كمال مظهر أحمد، د.مط، بغداد، 1977م، ص61.

3- عشيرة تخضع لرؤساء روحانيين (سيد أو شيخ) حيث السلطة الزمنية تمتزج بالسلطة الروحية[1].

الزعامة العشائرية:

يستحوذ رئيس العشيرة الكوردية على السلطة بطرق عديدة منها:

إما بالتتابع عن طريق الوراثة من الآباء والأجداد والإخوة[2]، أو أن تختاره بالإجماع[3]، أو أن يفرض نفسه بالقوة[4]، أو أن تعينه الحكومة، وهذه نادرة الحصول[5]، وأوفر هذه الحالات حظاً هي الوراثة، فحينما يتوفى الأب يترشح لخلافته الابن الأكبر، وإذا كان الأخير غير مستوفٍ لشروط القيادة، تقوم هيئة من وجهاء العشيرة لاختيار الشخص المناسب مكانه، ويقدم له الجميع الولاء، ويلقب بـ(آغا) أو (بيك)[6].

وتمتاز رئاسة العشيرة بمزايا خاصة منها: القوة الحربية، والمقدرة الشخصية مثل التدين، والذكاء، والكرم، وإذا كان الرئيس ذا نسب عريض أو صفة دينية كان مركزه أقوى وكلامه مقبول، ولعل ذلك يعلل لنا كثرة رؤساء العشائر الكوردية من الذين يحملون ألقاباً دينية في كوردستان مثل لقب (الشيخ، أو الملا).

ومن الصفات الأخرى التي يتحلى بها، السلطة المطلقة ورئاسة القضاء العشائري والسيطرة على أراضي العشيرة[7].

أسباب نشوب القتال بين العشائر الكوردية:

هناك أسباب عديدة مهدت للقتال بين العشائر الكوردية منها:

---

(1) طه الهاشمي: جغرافية العراق، د.مط، بغداد، 1936م، ص112. وأدمون غريب: الحركة القومية الكوردية، د.مط، 1973م، ص14.

(2) المصادر السابقة: أدمون غريب: الحركة القومية الكوردية، ص96، وباسيل نيكيتين: الأكراد، ص123.

(3) عبد الرحمن قاسملو: كوردستان والأكراد، ص125.

(4) ويليام روبرت هي: سنتان في كوردستان، 1918-1920م، ترجمة فؤاد جميل، ص87.

(5) باسيل نيكيتين: الأكراد، ص129.

(6) توما بوا: مع الأكراد، ص40، وفيصل محمد الأرحيم: تطور العراق تحت حكم الاتحاديين (1908-1014م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، القاهرة، 1969م، ص64.

(7) شاكر خصباك: مميزات الحياة القبلية الكوردية، د. مط، بغداد، 1960م، ص1.

1- فشل الإدارة العثمانية في السيطرة على العشائر الكوردية لصعوبة المواصلات وقلتها[1].

2- طبيعة أرض كوردستان الوعرة التي أدت إلى التنافس الدائم على الأراضي الزراعية الخصبة والمراعي الغنية.

3- قلة مصادر المياه في بعض القرى الكوردية التي تسببت في إشعال فتيل التطاحن بين العشائر، والأخذ بالثأر والانتقام الشخصي[2].

العشائر الكوردية الرحالة:

هناك أسباب عديدة دفعت بالعشائر الكوردية للترحال، بعضها يعود إلى طبيعة حياتهم البعيدة عن حياة التمدن[3]. وإلى طبيعة جغرافية البلاد الكوردية التي كلما قلت فيها أسباب العيش، اضطروا إلى حياة التنقل من مكان لآخر بحثاً عن الرزق[4]. وإضافة إلى ما ذكر توطن تلك العشائر بين الدولتين الفارسية والعثمانية، واللتين كانتا تفرضان عليها الضرائب في مقابل استخدام تلك العشائر أراضي الدولتين لاستعمالها مراعي للمواشي، مما يضطر العشائر الكوردية إلى التهرب من دفع تلك الضرائب[5]، ومن الدخول مع الدولتين بالتزامات قد تفرضهما على العشائر الكوردية، وهذا الأمر بطبيعة الحال لا يساعد على بقائها مستقرة في مكان واحد.

ومن العوامل الأخرى عدم كفاية إنتاج الأرض لسد حاجات بعض سكانها، مما يجبر بعض السكان للنزوح إلى أماكن أخرى، إضافة إلى ذلك فقدان الأمن نتيجة صراعات القبائل الكوردية فيما بينها[6]، هذا ومن المتعارف عليه، أن لكل قبيلة محيطاً جغرافياً للارتحال منها وإليها حسب المواسم السنوية.

---

[1] شاكر خصباك: الأكراد، ص378-382.

[2] شاكر خصباك: مميزات الحياة القبلية الكوردية، ص5.

[3] عبد الجبار عريم: القبائل الرحل في العراق، د.مط، بغداد، 1965م، ص23.

[4] إبراهيم حلمي: العشائر القاطنة بين بغداد وسامراء، مجلة العرب، العدد (3)، بغداد، 1912م، ص84.

[5] خورشيد باشا: سياحتنامه حدود، د.مط، استانبول، د.ت، ص249.

[6] شاكر خصباك: الأكراد، ص146-147.

العشائر الكوردية شبه الرحالة:

العشائر الكوردية شبه الرحالة ليست مستقرة بصورة دائمة[1] إلا أنها تسكن في السهول فصل الشتاء، وفي أكواخ ثابتة تبنى من الحجارة والطين، والمسقفة بالقش[2]، ويمتهن هؤلاء الزراعة، بالاضافة إلى تربية المواشي ويمارسون بعض الصناعات الثانوية كصناعة الجبن والحليب وصناعة النسيج[3].

كما يقوم بعض أفرادها بنقل البضائع بين إيران والعراق على الحدود الشرقية والتي كانت مفتوحة لمثل هذه العشائر بسبب عدم وضوح الحدود الدولية بين الدولة الفارسية والعثمانية.

وهناك فروق بين حياة العشائر الرحل وشبه الرحل، إذ تتصف الأولى بالسمات العشائرية المحضة وتسودها الروح العشائرية وقوانينها بين أفرادها سيادة مطلقة، ويعتمدون بدرجة أساسية على تربية الحيوانات.

أما شبه الرحل: فإن النظام العشائري يميل لديهم نحو التفكك ويتميز بازدياد استقلال الأسرة، وبضعف الروابط والالتزامات العشائرية ويقتربون من نظام الزراعة المختلطة، ويعتمدون على الزراعة وتربية المواشي بنفس الدرجة[4].

ومما يجب التنويه إليه هو أن معظم العشائر الكوردية شبه الرحالة أصبحت تعتبر من العشائر المستوطنة[5].

العشائر الكوردية المستقرة:

يتميز هذا النوع من العشائر الكوردية بأن أفرادها فلاحون متفرغون للزراعة، حيث مارس الكورد الزراعة، مثلهم في ذلك مثل بقية الأقوام والجماعات الحضارية في العالم[6]، ومن المعروف أن يكون هناك اختلاف كبير بين أسلوب

---

(1) عبد الجبار عريم: القبائل الرحل في العراق، ص49.

(2) متي عقراوي: العراق الحديث، ص18.

(3) محمد أمين زكي: تاريخ الكورد وكوردستان، ص395.

(4) شاكر خصباك: الأكراد، ص182.

(5) شاميلوف: حول مسألة الاقطاع بين الكورد، ص90.

(6) يقول هادي رشيد الجاوشلي: (مارس الأكراد الزراعة قبل غيرهم من الشعوب وإن الأكراد منذ أكثر من عشرة آلاف سنة أو أكثر، قد انتقلوا من الأدوار البدائية إلى حالة الاستيطان، وقد

معيشة هذه العشائر، وأسلوب معيشة الجماعات الكوردية الرحالة والنصف الرحالة[1]. فالأولى تعيش في مساكن ثابتة، تقوم بإنشائها في المناطق المنبسطة، أو في الوديان حيث تبنى بالحجارة وجذوع الأشجار[2].

وتتشابه هندسة البيت الكوردي في عموم كوردستان، إذ تتخذ عادة شكلاً مستطيلاً، ويشتمل على عدد من الغرف[3].

آراء بعض الكتاب والمؤرخين حول الشخصية الكوردية:

أدلى كثير من الكتاب والمؤرخين والرحالة بدلوهم، فكتبوا تعليقات وسجلوا انطباعاتهم عن الشخصية الكوردية منهم:

1- يقول المؤرخ صديق الدملوجي: (الرجل الكوردي مهذب، وأريد به التهذيب النفسي، فيه دماثة وأدب وحسن خلق، ولا يستعمل الألفاظ النابية، يلتزم الأدب في مجالسته ومخالطته مع الآخرين، يحترم الكبير.. وإذا دخل المجلس وفيه رجل محترم، يتجنب الجلوس قريباً منه.. ولا يشارك في حديث لا شأن له فيه، وإذا سئل أجاب وإلا لزم الصمت.. والسلام عنده بانحناءة خفيفة، ووضع اليد اليمنى على الصدر، وإذا سأله أحد عن حاله وصحته يجيبه: (أنا خادم لك)[4].

2- كما أن الكاتب الأرمني الكبير (خاجا تور أبوفيان) الذي عكف سنوات عديدة على دراسة حياة الكورد، فيقول: (يمكن أن نميز الكوردي من النظرة الأولى بهيئته الجريئة والمعبرة والوقورة التي تثير في الوقت نفسه وجلاً عفوياً ما في النفس، وكذلك بقامته العملاقة والصدر العريض، وبالمناكب الماردة، وفضلاً عن ذلك فإن الصفات التي يتميز بها الكوردي هي: عينان واسعتان متألقتان، وحواجب كثة، وجبهة عالية وأنف طويل معقوق كمنقار الصقر، وخطى ثابتة، وقصار الطول ويتصفون بكل ما يتصف به الأبطال في العصر القديم)[5]، ويضيف آبوفيان قائلاً:

ثبت ذلك نتيجة التحريات الأثرية التي جرت في بعض المناطق الكوردية من العراق وإيران. ينظر إلى هادي رشيد الجاوشلي: الحياة الاجتماعية في كوردستان، ص109.

(1) شاكر خصباك: العراق الشمالي، ص17.

(2) المصدر نفسه، ص17. وباسيل نيكيتين: الأكراد، ص18.

(3) ماري الكرملي: تاريخ الكورد، مخطوطة رقم (909)، محفوظة في مكتبة المتحف العراقي، ص13.

(4) صديق الدملوجي: إمارة بهدينان الكوردية، أو إمارة العمادية، ط2، ص148.

(5) مقالة في مجلة القفقاس: العدد، 47، لسنة 1848م، ص189-202.

(كان من الممكن تسمية الأكراد بفرسان الشرق، بكل في هذه الكلمة من معنى، لو مارسوا حياة أكثر تحضراً)[1].

3- وكتب الدكتور آ. خالفين، نقلاً عن (أميدية جوبر) مبعوث نابليون للتفاوض مع شاه إيران (1805-1806م) يقول: (الناس يضعون الغنائم على الطريق، ويجلسون معاً مبدين آيات كرم الضيافة.. ويظهر الأكراد كل هذا، فلدى ظهور الغريب المحتاج لشيء ما ويقترب من إحدى طوائفهم يخرج إليه بعضهم، أهلاً ومرحباً اعتبر نفسك في منزلك)[2].

4- ويدون باسيل نيكيتين شهادته للتاريخ عن الكورد، ويقول: (إذا أردنا أن نعدل في الحكم على الأكراد، لابد لنا من أن نقارن ما بين كوردستان وأوربا منذ (600) ستمائة سنة، وحتى اليوم إذا ما قابلنا بين الأوربي والكوردي، فإننا نجد بين مجموع ألف كوردي –إلى أية فئة انتسبوا- مجرمين أخلاقيين أقل بكثير، مما نعثر عليه في هذا الموضوع من الأوربيين)[3].

5- وعبر عن انطباعاته عن الكورد، المقيم البريطاني في بغداد، (كلوديوس جيمس ريج) قائلاً: (يتصف الكورد بالمرح، وبكونهم اجتماعيين للغاية، ومتواضعين فيما بينهم، وهم لا يعرفون الحسد)[4].

6- ويصف الرحالة (أبو طالب) المعاملة الحسنة التي وجدها من الكورد، عند عبوره بأراضي كوردستان، فيذكر: (إن كل البلاد التي تمتد من نصيبين إلى الموصل، وقد صوروها لي تصويراً رهيباً، كانت على العكس من ذلك، فقد احتوت على كل ما يجعل السفر مستحباً مستحسناً)[5].

7- أما الميجر سون الذي خبر الكورد عن قرب لفترة طويلة، فقال: (يتصف

---

(1) ب. ليرخ، دراسات حول الأكراد وأسلافهم الخالديين الشماليين، ترجمة عبدي حاجي، ص20-41.

(2) ن. آ. خالفين: الصراع على كوردستان، ص25.

(3) باسيل نيكيتين: الأكراد، تقديم المستشرق لويس ماسينيون، ص60.

(4) كلوديوس جيمس ريج: رحلة ريج في العراق سنة 1820م ترجمة، بهاء الدين نوري، د. مط، بغداد، 1915م، ص104.

(5) ميرزا أبو طالب خان: رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا سنة (1213هـ-1733م) ترجمة، مصطفى جواد، د. مط، بغداد، 1970م، ص352.

الكوردي بالإخلاص الدائم، والمحافظة على الوعود، والعطف على الأقرباء، والرجولة في معاملة المرأة أكثر من بقية الأقوام المسلمة في الشرق الأوسط، كما أنه يتصف بولع شديد بالشعر والأدب، والاستعداد للتضحية في سبيل العشرة، غير أنه يتميز بطبع ملتهب، قد يثور فجأة، وهو ناجم عن الحياة المضطربة غير المستقرة التي يمارسها)[1].

وهناك قلة من الكتاب الأوربيين والرحالة، نعتوا الكوردي بصفات متباينة مع حقيقة طباع الكورد، قال قائلهم في إتهاماته الباطلة: إن الكورد من أشد البشر توحشاً، وطبائعهم شرسة، ويميلون للسلب والنهب وقطع الطريق[2].

الهوايات الاجتماعية:

لكل شعب عبر تاريخه نشاطات اجتماعية لسد أوقات الفراغ، أو لغرض التسلية، وإن وسائل اللهو الكوردية في عصورها الغابرة ولحد الآن وسائل بديعة تتجلى بروعة اجتماعية، ترتبط بتراث الشعب الكوردي، ومنها

1- الصيد والقنص 2- الرماية 3- الفروسية 4- الرياضة البدنية. ولا نغفل بأن طبيعة الأعمال الريفية هي رياضة، أضفت على الكورد قوة بدنية، 5- السباحة لسكان المناطق النهرية، 6- النزهات 7- تربية الدواجن[3].

---

(1) الميجرسون: رحلة متنكر إلى بلاد النهرين وكوردستان، ج1، ص334-335.

(2) من أهم العوامل التي أدت إلى تشويه سمعة الكورد في العالم المسيحي تلك المعارك التي حصلت بين الكورد والشعوب المسيحية المجاورة لهم من رعايا الدولة العثمانية، في الأعوام 1834، 1843، 1846، 1891، 1894م. وما أعقبها والتي حدت بكثير من الرحالة الأوربيين إلى إلصاق تهم ملفقة بالكورد، بينما الكورد براء من تلك التهم براءة الذئب من دم يوسف.

ينظر إلى: ميخائيل لازاريق: القضية الكوردية، ترجمة جودت بلال، مجلة شمس كوردستان، العدد (34)، بغداد، 1976م، ص15.

وأقول: هناك سبب أهم من معاداة الغرب للكورد، وذلك أن الكورد وعبر تاريخهم الإسلامي الممتد منذ اتصالهم بالإسلام وإلى هذا التاريخ، كانوا حملة نشر العقيدة الإسلامية، وحماة ديار الإسلام ولم يتهودوا ولم يتنصروا لا في العقيدة ولا في السلوك والتبعية، ولا يزال الغرب المسيحي يرى في مواقف صلاح الدين الأيوبي الكوردي صورة النكسة العظمى والطامة الكبرى حينما فرق الصليبيين وألحق بهم الفرار واللعنة إلى يوم الدين، وحرر بلاد ومقدسات المسلمين، فبقيت أحقاد الأوربيين مستكنة في صدورهم، ويحملون أحفاد صلاح الدين دفع الحساب، مرة بالإساءة إلى تاريخ الكورد، وأخرى بتمزيق أوصال بلادهم. الباحث.

(3) هادي رشيد الجاوشلي: الحياة الاجتماعية في كوردستان، ص108.

النظافة والهندام:

إن مياه الأنهار والينابيع متوفرة في معظم مناطق كوردستان، وهذا الوضع ينعكس حتماً على المجتمع الكوردي نظافة واغتسالاً، فالكورد مولعون بالنظافة، ثم زادهم الإسلام ولعاً عندما جعل النظافة والطهارة صنوين للإيمان.

وتبدو النظافة سمة بارزة في بيوتهم وملابسهم، ويهتم الكوردي بهندامه ومظهره الخارجي، ويتباهون بالأناقة وحسن المظهر، وغالبية سكان كوردستان، تعيش في وسط ريفي جبلي صحي ممتاز يساعد كثيراً في التغلب على الأوضاع الصحية السيئة.

الأزياء الكوردية:

إن للأزياء الشعبية علاقة بتاريخ الأمم وتطورها المادي والروحي، والأزياء تعتبر من الملامح الرئيسية لمظاهر حضارة الشعوب والأمم.

لقد أثارت الأزياء الكوردية إعجاب الرحالة الذين زاروا كوردستان في مختلف الأوقات من حيث أنماطها وألوانها الزاهية، وزخرفتها التي هي الصفة المميزة لمعظم ملابس الكورد، وتتشابه الأزياء في أغلب مناطق كوردستان والاختلاف فيها من منطقة إلى أخرى ليس بصورة جذرية[1].

يرتدي الكورد زياً خاصاً يسمونه (الشال والشبك) ويصنع هذا اللباس من الصوف والمرعز، ويحاك داخل كوردستان، وهذا اللباس الرجالي يصلح للجبال والسهل، كما يلبسون على رؤوسهم طاقية، يلفون حولها عمامة من قطع قماش ملونة فوق اليشماغ ويشدون في وسطهم قطعة قماش ذات لون واحد أو عدة ألوان وأشكال مختلفة، تبلغ طولها ما بين (3-8) ياردة ولقمصانهم أرداف طويلة، يلفونها حول معاصمهم، ويستعملونها بمثابة المنشفة.

وأما أزياء المرأة الكوردية، فيلاحظ عليها الحياء والحشمة وهي صورة حية للأزياء الإسلامية، وهي عبارة عن فستان طويل ذو ألوان جميلة، وتحته قميص طويل إلى الكعبين، ويغطي رؤوسهن بقطعة قماش أو كفية[2].

---

(1) هادي رشيد الجاوشلي: الحياة الاجتماعية في كوردستان، ص95-96.

(2) أنور المائي: الأكراد في بهدينان، ط ، ص192.

الاحتفال بالأعياد والمناسبات:

يحتفل الكورد بالأعياد الدينية مثل عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك ويتجمعون في الجوامع والمساجد لتأدية صلاة العيدين، ويتبادلون التهاني والتبريكات، ويكونان فرصة للتصالح بين المتخاصمين، ويذبحون الذبائح كقرابين وصدقات، توزع لحومها على المحتاجين، ويتزاور بعضهم بعضاً في البيوت، ويتجملون بالملابس الجديدة، وتعم الأفراح بين الجميع، كما يبدون اهتماماً متزايداً للمولد النبوي الشريف، فيحضرون الجوامع وتلقى من قبل علماء الدين الخطب والكلمات التي تمجد بالذكرى العطرة وإحياء للمناسبة، وفي عيد رأس السنة الهجرية وليلة الإسراء والمعراج، تقام احتفالات مهيبة تلائم جلال المناسبتين، ويوزع الحلوى في الجوامع، وتعقد ندوات فكرية إسلامية وتلقى المواعظ للإشادة بالمعاني الجليلة والأهداف السامية التي تحملانها إلى الأجيال كذخيرة روحية لا تنضب ولا تغيب[1]، ولهذه الأعياد منزلة عظيمة في نفوس الكورد دون منافس.

كما يحتفل الكورد في جميع أنحاء كوردستان بعيد نوروز[2]، وتحتفل به الشعوب الإيرانية والكورد والأفغان والأذربيجانيون، والبلوج، وعرب الجنوب منذ مئات السنين[3]. وهناك رواية تفيد أن عهد الاحتفال به يرجع إلى سليمان بن داود عليه السلام[4].

كان نوروز وما يزال رمز أعظم مناسبات الكورد القومية، ولا يزال الكورد يحيون هذه الذكرى عن طريق إقامة الاحتفالات وإقامة المراسيم البهيجة سنوياً بهذه المناسبة، حيث يودع الكورد 21 آذار (مارس) ليستقبلوا ربيع سنة جديدة وميلاد سنة كوردية جديدة حسب التقويم الكوردي حيث يقضون بياض نهارهم

---

(1) هادي رشيد الجاوشلي: الحياة الاجتماعية في كوردستان، ص45.

(2) النوروز: يقول البيروني في معنى النوروز: إن اسمه ينبي عن معناه، أعني اليوم الجديد، لأنه مفتتح السنة وغرة الحول. ينظر: محمد جمال وإمام إبراهيم أحمد، أبو ريحان محمد بن احمد البيروني، د. مط، 1968م، ص133-134.

(3) محمد توفيق وردي: نوروز ثورة كاوه، مطبعة الغمري الحديثة، النجف، 1973م، ص3.

(4) عبد الرحمن الجامي الفارسي: الربيع، ترجمة وتعليق احمد كمال الدين حلمي، ذات السلاسل، الكويت، 1406هـ-1986م، ص113.

فوق المهاد الخضراء، وفي سفوح الجبال، وعلى ضفاف الأنهر، وقرب ينابيع العيون، وفي الوقت ذاته تشع أضواء النيران على التلال، وقمة الجبال وفي أعماق الوادي وربوة السهل وسطوح المنازل.

وهذه عادة قديمة لدى جميع الشعوب الآرية، ونوروز من الأعياد التي تشترك في الاحتفال بها الطبيعة والبشر، ويعد الكورد نوروز مناسبة قومية عريقة، ففي هذا اليوم وقبل أكثر من ألفين وستمائة وست وتسعين سنة، وقفت جموع الشعب الكوردي مع زعيمهم (كاوه الحداد) ليدكوا أوكار الظلم وقلاع الطغيان المتمثلة بالطاغية (ضحاك)[1] الذي كان يحكم شعبه بالحديد والنار، وتوجت مقارعة الكورد للظلم بالنصر على الطاغية.

الحكم الشرعي في الاحتفال بنوروز:

شارك العرب الساميون إخوانهم الآريين في الاحتفال بهذه المناسبة، ولم ير كثير من المسلمين الحرج في الاحتفال بالنوروز، بيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أبطل جباية ضريبتي (هديتي) عيد النوروز والمهرجان، لاعتبار الاحتفال هذا من التقاليد المجوسية، ولكن حينما ترسخت العقيدة الإسلامية زالت علة التحريم وحكمة المنع.

لقد حاول الخليفة عثمان (رضي الله عنه) إعادة الجباية إلا أنه جوبه بمعارضة، ويذكر عبد الحي الكتاني في كتابه (التراتب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية، الجزء الثاني): (حينما تولى الإمام علي بن أبي طالب الخلافة، جيء إلى علي بفالوذج (حلوى) فأكل منه، وقال: ما هذا؟ قالوا: نور النيروز، فقال: نوروزنا في كل يوم)[2].

وحينما ولي (معاوية بن أبي سفيان) أمور المسلمين أعاد قبول الضرائب التي تسمى (هدايا نوروز والمهرجان)، واهتم الخلفاء بعد معاوية بقبول هدايا النوروز كما زاد الاهتمام بعيد نوروز في العهد العباسي.

---

[1] الضحاك (سوهاك) لقب الطاغية (بيوراسب) الذي أعمل سيف الغدر والفتك في الشعب الكوردي، وقد قبض عليه (كاوه) الحداد، المستاء من استبداده، ينظر إلى: شرفخان البدليسي، شرفنامه، ص18-19.

[2] جريدة الاتحاد الإسلامي: العدد (230) 1 ذي الحجة 1419هـ-1999/3/19، ص5.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (إن العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، أما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك)[1].

فتسمية نوروز عيداً ليست حراماً ولا مكروهة، إلا إذا اعتقد الناس أن ذلك اليوم عيد وضعه الشارع.

ومن المعلوم في الدين تشريع عيدين وهما الأضحى وعيد الفطر كما يقول الرسول ﷺ: (إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا)[2]، والكورد لا يعتبرون (عيد نوروز) من الأعياد الدينية، بل إنه عيد قومي، يرمز إلى التحرر من الظلم والاستبداد وانتصار الحق على الباطل، إن الباطل كان زهوقاً كما يرمز إشعال النيران إلى تبديد الظلام، والتنوير بالحرية، وليست كما يدعي البعض تقليداً لنار المجوس التي كانت للتعبد والتعظيم والتأله.

وقد تمسك الكورد بإحياء هذه المناسبة لأنه لا يخالف أحكام الدين الإسلامي بأي حال من الأحوال[3].

النوروز في المصادر الإسلامية:

كما هو واضح تفتخر كل الأمم والشعوب على وجه الأرض برجالها الذين خدموا البشرية وسجلوا أسماءهم في صفحات التاريخ.

إن أحد الرجال الذي يفتخر به الكورد هو (كاوه الحداد) لذلك ولكي نعلم في أي زمان كان هو؟ وما هي نشاطاته التي نفذها؟ وهل كان عابداً لله — أي مسلماً- أم لا؟ نضع أمام العيون هذه الأسطر التي وردت في بعض المصادر الإسلامية:

1- كتب (علي بن برهان الدين الحلبي) في (السيرة الحلبية) مج (1) صفحة: (258): روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الأسكندر —ذو القرنين- قد التقى بإبراهيم الخليل عليه السلام عندما رفع قواعد البيت في مكة المكرمة.

والمقصود بـ(ذي القرنين) هنا هو الذي ذكر الله تعالى قصته في سورة

---

(1) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص189، 193.

(2) رواه البخاري، فتح الباري، ج7، مناقب الأنصار، باب مقدم النبي صلي الله عليه وسلم رقم الحديث (3931)، ص31.

(3) هادي رشيد الجاوشلي: الحياة الاجتماعية في كوردستان، ص46.

(الكهف) في القرآن الكريم.

إذ كتب الباحث (عفيف طبارة) في كتابه (مع الأنبياء في القرآن): أن الفترة التي عاش فيها سيدنا (إبراهيم) عليه السلام، تعود إلى ما قبل الميلاد، ثم يذكر لنا أن (كاوه الحداد) قد عاش في زمن إبراهيم.

2- كتب (الآلوسي) في تفسيره (روح المعاني) مج (16)، في حق ذي القرنين وكاوه الحداد: (قد أجمع أهل التاريخ على أنه لم يسافر لا شرقاً ولا غرباً وإنما دوخ له البلاد كاوه الأصفهاني الحداد الذي مزق الله على يده ملك الضحاك وبقي رئيس العساكر إلى أن مات).

إذن يؤكد (الآلوسي) هنا فيذكر لنا بأن نشاط (كاوه الحداد) وعمليته التي قام بها هي تمزيق ملك (الضحاك) الظالم المصاص للدماء، وتحرير الناس من ظلم هذا الظالم.

وأيضاً يذكر لنا بان (كاوه الحداد) كان رئيساً على جنود وعساكر (ذي القرنين) ثم يوضح لنا أن (كاوه الحداد) كان قد عاش في زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام كما عاش مع ذي القرنين.

ومن الأمور المهمة التي نفتخر بها، هو أن (كاوه الحداد) كان رجلاً عابداً لله تعالى -مسلماً- ولا ينسجم مع الفطرة السليمة أن يعين (ذو القرنين) على رأس جيشه رجلاً كافراً، لأن (ذي القرنين) -كما يقول بعض العلماء- كان نبياً، وإن يكن نبياً فلا شك أنه كان رجلاً صالحاً.

ومن يقرأ قصة - ذي القرنين- يتضح له ويعلم بأنه كان معارضاً وقاسياً على الكافرين، إذاً من هنا يتوجه إلينا سؤال وهو: أليس إشعال نار (النوروز) دليلاً على أن (كاوه الحداد) كان عابداً للنار؟

فنقول في جواب هذا السؤال: لا يستطيع أحد أن يجعل نار (النوروز) دليلاً لهذا الكلام، بل الحق يقال بأنه: لم يوجد في زمن (كاوه الحداد) أي جهاز للاتصال مثل (جهاز اللاسلكي) لذلك فعندما هاجم (كاوه) على (الضحاك) أراد أن يجعل علامة النصر إشعال النار على موضع مرتفع، لكي يعرف الجنود خبر هذا النصر.

فبناءً على ما ذكر نقول: إن إشعال نار (النوروز) يذكر المؤمنين بانتصار الحق على الباطل وليس ذلك افتخاراً بعبادة النار، وما على الشعب الكوردي إلا أن

يشكر الله تعالى وحده، إذ بعث منهم (كاوه الحداد) و(صلاح الدين الأيوبي) وغيرهما من القادة المؤمنين الذين دونت أمجادهم في صفحات التاريخ[1].

الاحتفال بعيد النوروز مباح وشرعي:

أعلن الفقيه الكوردي د. محمد صالح مصطفى الكابوري الأستاذ في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية بأن الاحتفال بعيد النوروز مباح وشرعي ويجوز للكورد أن يحتفلوا بعيدهم القومي (النوروز) وفيما يلي نص لما أعلنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم النوروز:

يوجد في الإسلام العيدان اللذان عينهما النبي ﷺ وهما عيد الفطر وعيد الأضحى، ولهما صفة دينية بحيث لا يجوز أن ينقص منهما أو يزيد عليهما شيء باسم الدين، وهذه لا يدل على أن الاحتفال بالأعياد (المناسبات) غير الدينية حرام، مثل الأعياد القومية والوطنية والشخصية، إذا لم تكن مراسيم هذه الأعياد معارضة للدين وللأسس العقلية والفطرية، لذا تبقى الأعياد غير الدينية على أصلها، والأصل في الأشياء الإباحة.

ونستدل على ذلك بعمل النبي ﷺ عندما جاء إلى المدينة المنورة ورأى أن اليهود يصومون في (عاشوراء) وذلك فرحاً باليوم الذي أنجى الله فيه (موسى) عليه السلام، فقال الرسول ﷺ: (نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر أصحابه بصيامه).

وأيضاً يقول الرسول ﷺ في حق حلف الفضول في زمن الجاهلية: (ولو ادعى به في الإسلام لأجبت) وكان هدف هذا الحلف هو الدفاع عن المظلوم وزجر الظالم.

دلالات نوروز عند الكورد

في عرف الكورد أن نوروز له معنيان:

---

[1] ملا عبد الله هرتلي: (النوروز في المصادر الإسلامية) مجلة (دقنكى باوقر) (صوت الحق) العدد (2)، السنة الخامسة، رمضان 1413هـ-آذار 1993م. تصدر عن إعلام الحركة الإسلامية في كردستان العراق، ص25.

الأول: هو معنى تاريخي، أي أنه: هو يروي قصة تحرير الشعب الكوردي من الظلم بعدما قام بالثورة والقضاء عليه.

والثاني: هو معنى طبيعي، أي أن بداية السنة الجديدة تكون مع أول إطلالة لفصل الربيع، والمعنيان كلاهما التاريخي والطبيعي لا يتعارضان مع الدين والفطرة، بل العكس هو الصحيح حيث أن الدين والفطرة يحثان على التحرر من رق العبودية والثورة على الظلم والطغيان، ويدفعان بالناس إلى إعمار الأرض، واستغلال خيراتها والتمتع بجمال الطبيعة، والاتعاظ بآثار الأمم السالفة وجعلها عبرة ماثلة أمام ناظريه صباح مساء.

ومن هنا يلزم التأكيد على التمسك والالتزام بنصائح وإرشادات الدين والعقل، وأن لا يتجاوز الاحتفال بعيد النوروز الحدود الشرعية، وهذا الاحتفال يجب أن لا يكون سبباً للغفلة عن الأشياء التي لها أكثر أهمية، وإلا فيعد عيد النوروز سبباً للغفلة ويصير حكمه حراماً، أو يحرم لكي يسد الباب عن الحجج وعن الأعمال الرديئة[1].

رؤية فريق من علماء كوردستان للوضع الاجتماعي

بعد التوكل على الله تعالى، نحاول في العرض الآتي بيان موقف نماذج من علماء كوردستان من الوضع الاجتماعي في كوردستان خلال حكم السلطان عبد الحميد الثاني وهذه المواقف لبعض علماء كوردستان لا يعني بالضرورة الإجماع الكلي لهم حول جميع الأحوال الاجتماعية السائدة في كوردستان، وقد تشذ جزئيات عن القاعدة، إلا أننا نركز على رضاهم أو عدم الرضا حول المبادئ الأساسية في الحل أو الحرمة بموجب مفاهيم الفقه الإسلامي والتي كانت تسود المجتمع الكوردستاني، ولقد كنا قد ذكرنا في هذا الموضوع سابقاً بما فيه التوضيح لمدى مطابقة الأعراف والعادات الاجتماعية الكوردية في أغلب صورها مع المبادئ الإسلامية، ويستطيع القارئ أن يطلع عليها استقراءً واستنتاجاً غير أنها تحتاج إلى التوثيق والتصديق ببيانات صريحة من خلال مؤلفات ومواعظ ومواقف علماء

---

[1] محمد صالح كابوري: في سبيل تحرير الكورد وتوحيد كوردستان، مطبعة ڤةشةنك، السليمانية، ط1، إقليم كوردستان العراق، 2001م، ص40-41. ونشر نص الفتوى أيضاً في جريدة ئيمان، العدد 202، في 1999/3/24.

كوردستان في مناسبات متعددة تؤيد صدق دعوانا وتبرهن على صحة الادعاء، وهذا ما نفعله في سياق كلامنا -بإذن الله تعالى-

دور علماء الدين في المجتمع الكوردستاني:

كان لعلماء الدين في المجتمع الكوردي دورٌ مؤثرٌ -ولا زال- في أفراد المجتمع الكوردي، ويذكرهم الشعب بأعمالهم الصالحة ونصائحهم القيمة، فعندما يدلي العالم برأيه في المسألة فلا يرد رأيه، وكمثال على ثقة الناس بهم يقولون معبرين عن تلك الثقة: (إذا أمرنا العلماء أن ادخلوا النار، فلن نتردد)، وهذه الثقة لم تأت اعتباطاً، وإنما هي نتيجة لخدماتهم الجليلة وحسن سيرتهم الفضلى ومشاركتهم إياهم في الفرح والترح، فهم لم يتركوا القرى والمدن والمدارس الدينية سعياً وراء المكاسب والمناصب الدنيوية التي غالباً ما سنحت لهم الفرصة لنيلها، ويؤكد الكثيرون بأن المجتمع الكوردي قد حافظ على هدوئه وسلامته بحسن تدبيرهم وتوجيهاتهم السديدة في تماسك المجتمع والتعاون على الخير والعمل لما فيه ازدهار الوطن ودفع ظلم الأغوات وتليين مواقف الاقطاعيين إلى حد ما مع الفلاحين بحيث استطاع كثير من العلماء من كسب هذه الفئات المتسلطة على رقاب الناس من التأثير عليهم وجذبهم إلى المساجد لاستماع المواعظ مما يجعلهم يخففون الأعباء عن كاهل الفلاحين ويستجيبون لنداء الدين، بالتراحم على المغلوب على أمرهم[1].

لقد كان للعلماء والمدارس المسجدية في كوردستان مركزٌ قويٌ للنفوذ والتأثير إلى جانب القيم الاجتماعية السائدة والمستندة أصلاً على أسس دينية وما تؤديه من تماسك اجتماعي، ففي مناسبات الأعياد مثلاً يقوم الناس بزيارة العلماء في المدارس المسجدية قبل أن يزور بعضهم بعضاً.

إن العلماء في المجتمع الكوردستاني كانوا يقومون بعدة وظائف متعلقة بجوانب شتى للحياة الاجتماعية، فلهم الحضور في المناسبات الاجتماعية كالزواج والخطبة والمهر، ومراعاتهم في مناسبات الولادة والختان وتسمية المولود، وهناك مناسبات يكون لعلماء الدين فيها حضورٌ أكثر فعالية كمراسيم دفن الموتى ومجالس التعزية وإحياء المناسبات الدينية كالأعياد والمولد النبوي الشريف وما إلى ذلك.

---

(1) عبد الله خورشيد عبد الله: البناء الاجتماعي للقرية الكردية (دراسة أنثروبولوجية اجتماعية) رسالة ماجستير في علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق، مطبوعة على الآلة الكاتبة، 1996م، 1416هـ، ص16.

وفي مجالات العلاقات الاجتماعية فإن علماء الدين كانوا يؤدون دور الإصلاح وفض المنازعات بين المتخاصمين في حالة وقوعها.

كان الكورد يرون بأن اجتماعهم بعلماء الدين وحضورهم في مجالسهم لا تدع مجالاً للجفوة وإطالة فترة الخصام بينهم، ويعزو أبناء المجتمع الكوردي الفضل إلى دور علماء الدين في التقليل من عدم وقوع الأحداث -إذ قلت حالات القتل أو اختطاف النساء على مدى تاريخها الطويل، إذ أن العلماء كانوا يؤدون دوراً مهماً في عملية التآزر الاجتماعي والتعاون بين الأفراد المكونين للجتمع الكوردي، وإن سبب اختطاف النساء، هو الحب الذي كان يقف في وجهه أحد الطرفين من أهل الفتى أو الفتاة لعدم التكافؤ بينهما، ووجود موانع أخرى تمنع من إتمام هذه الزيجة، مما يؤدي إلى اتفاق كل من المرأة والرجل على الهروب ثم الزواج. أو تكون عملية الاختطاف بسبب الحب من طرف الرجل فقط وغرضه من ذلك الزواج، أو الغاية من الخطف الانتقام أو إلحاق العار بأهل المرأة لسبب أو لآخر، وهو سلاح أصحاب النفوس المريضة، أو تكون وسيلة سهلة للزواج دون التفكير بالعواقب المترتبة على ذلك. حيث أن المحصلة النهائية لكل حالات الخطف هو الزواج على سنة الله ورسوله وليس القصد منه الزنا والسفاح.

أما فيما يتعلق بالضبط الاجتماعي فإنه مع أن تأثير النسق الديني أقل وضوحاً في هذا المجال من تأثير النسق السياسي بما يمتلك من آلية ويستند إلى أجهزة وهيئات متخصصة، فالواقع إنه يعتبر مكملاً له ومتكاملاً معه، بل ويؤدي الوظيفة نفسها في الحالات التي يحقق فيها النسق السياسي بأجهزته الرسمية وغير الرسمية في إقرار النظام، بل ويمكن اعتبار دور علماء الدين من أهم أسباب ضبط السلوك البشري، وقد لازم هذا الأسلوب الإنسانية من بدايتها، والدين أسلوب رقابي فعال واسع المدى يتعقب الفرد في كافة مراحل نشاطه في عالم الواقع والشهادة، كما يؤمن من معظم الناس أنه يتعقبه بعد موتهم أيضاً، وتتمثل رقابة الدين في قوانينه وطقوسه وفي عقائده ومثله وتقاليده ونفوذ رجاله، لذلك فإن الخلافات والنزاعات غالباً ما ترد إلى علماء الدين في المجتمع الكوردي[1]، وخاصة فيما يتعلق بالمسائل العائلية ومشاكل الميراث والحقوق والأراضي ومسائل البيع والشراء، هذا بالإضافة إلى مشاورة العلماء في النزاعات التي قد تحدث بين

---

[1] عبد الله خورشيد عبد الله: البناء الاجتماعي للقرية الكوردية، ص19.

أبناء المجتمع الكوردي.

لقد كان لعلماء الدين بالأخص وبتأثيرهم على رؤساء العشائر مساهمات ناجحة في حل كثير من المشاكل التي كانت تثور بين العشائر الكوردية وهذا دليل على الدور الإيجابي لعلماء الدين في كوردستان في الضبط الاجتماعي في المجتمع.

إن دور علماء الدين في المجتمع الكوردي كان بارزاً وفعالاً في مجالات متعددة، دينية واجتماعية وثقافية واقتصادية، وكانوا يحظون بالتقدير والاحترام والتكريم من قبل أفراد المجتمع، ومن تلك المناسبات، إحياء ليلة النصف من شعبان وإلقاء المواعظ وحث المجتمع على التآخي تطبيقاً لقوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة)، وكذلك إحياء ليلة القدر في احتفال إيماني في الجوامع وتلاوة المناقب النبوية لمناسبة ولادة المصطفى عليه الصلاة والسلام وشحن القلوب بسيرته المعطرة، وإقامة صلاة العيدين وإلقاء الخطبة فيهما والتي تذكر المؤمنين بضرورة العمل لإعلاء كلمة الله، والترابط بين قلوب الناس وغيرها الكثير.

وبعد دراسة مستفيضة في سير علماء كوردستان ومواقفهم الجليلة من الأوضاع الاجتماعية التي كانت قائمة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م والذي امتد ثلاثاً وثلاثين سنة، يمكننا إدراج مواقف لنماذج من أولئك العلماء وعلى النحو التالي:

الملا غياث الدين أبو بكر الملا محمد الهرشمي: المتوفى سنة 1328هـ-1910م:

ولد في قرية (هرشم) التابعة للواء أربيل، درس على والده، اشتغل بالتدريس والإرشاد، وقام برحلات، زار خلالها مصر، والشام والحجاز حج في حياته تسع مرات، قصد استانبول، وهناك دخل الطريقة النقشبندية على يديه بعض كبار القوم، كما التقى بالسلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م، وله مريدون في دمشق وبغداد والبصرة وغيرها، وكان مسعفاً لليتامى، يتكفل بمعيشة كثير منهم في منطقته، وتعليمهم على نفقته الخاصة، ويعد لهم كل المستلزمات وله حواشٍ موجزة ومتفرقة على بعض الموضوعات من الكتب الفقهية، وأصولها وعلوم اللغة.

درس عليه نخبة من العلماء، وقضى عمره في نشر العلوم، وإغاثة الملهوفين وكان يشير إلى الوضع الاجتماعي الكوردي بالتعابير الآتية:

الأسرة الكوردية متماسكة، والعلاقات الزوجية مقدسة تتحكم بنيانها قواعد

الشريعة الإسلامية والتقاليد الفقهية[1]، والزواج والطلاق يتمان – عادة – في مجلس ديني وعلى يد أحد العلماء لتصون الحقوق الزوجية وبموجب مبادئ الشرع الحنيف، وإن فاحشة الزنا مستهجنة في المجتمع الكوردي سواء في الجبل أو في الريف وفي كل الأمكنة، وإن العفة الأخلاقية هي التي تسود في المجتمع، وقلما تحدث المنكرات في العلاقات بين الأسر المختلفة وإذا ما حصلت فتكون لها عواقب وخيمة على أصحابها[2]، هذا وقد توفي المترجم له ودفن في أربيل ورثاه العلماء والشعراء.

2- الملا محمود المفتي في حلبجة 1319هـ-1920م:

ولد في قرية (خربان) التابعة لمحافظة السليمانية، بعد إكمال العلوم المعتادة وأخذ الإجازة العلمية، استقر في الجامع الكبير في قصبة (حلبجة) إماماً ومدرساً وخطيباً ومفتياً، وكان يقول في خطبه: (إن المجتمع الكوردي وبشكل عام يتأثر بالشيوخ وعلماء الدين ويجلون النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ويتأسون به في سنته، كما أنهم يحترمون الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام وجميع أعلام الإسلام وقادته الأول، ويتلون القرآن الكريم ويحفظون آياته ويستشهدون بها وبالأحاديث النبوية الشريفة ويعرفون تاريخ الإسلام وحروبه المشهورة، وقد شاركوا فيها في العصور اللاحقة، وقد تعلموا كل ذلك بفضل علماء الدين الذين يقودون المجتمع الكوردي في مجالات متعددة[3].

3- الملا حيدر بن الملا نور محمد الجلي (المتوفى سنة 1914م):

درس العلوم الإسلامية ومارس مهنة التدريس والإمامة والخطابة في قرية (جلي) التابعة لولاية (وان) بكوردستان تركيا، وكان من المتصوفة الزاهدين، ولما عرف بالعدالة، فقد كان النصارى في منطقته يراجعونه في حل منازعاتهم في الأموال والأملاك ويرضون بحكمه ويرفضون مراجعة القساوسة ورجال الدين النصارى، وكان يردد في مواعظه الشكر لله تعالى على نعمه في تآلف المجتمع

---

[1] صوت العالم، مجلة شهرية يصدرها اتحاد علماء الدين الإسلامي في كوردستان، العدد 52، 53، صفر-ربيع الأول 1422هـ، أيار حزيران 2001م، ص136.

[2] صوت العالم، مجلة شهرية تصدرها علماء الدين الإسلامي في كوردستان، صفر-ربيع الأول 1422هـ-أيار-حزيران 2001م، ص138.

[3] عبد الله خورشيد عبد الله: البناء الاجتماعي للقرية الكردية، دراسة أنثروبولوجية اجتماعية، ص20.

الكوردي بزيارة بعضهم البعض في الأفراح الدينية كالأعياد وإقامة المناقب النبوية، والمظهر الديني الرائع في إقامة صلوات الجمعة، ونجدة المظلومين والتسلية في المصائب ومد يد العون لتخفيف المصائب التي قد تحل بالمجتمع، ويعد ذلك واجباً دينياً مهماً وعادة حسنة في سلوك أبناء المنطقة[1].

4- الملا محمد طاهر المائي المتوفى سنة 1337هـ-1918م:

ولد في قرية (مائي) التابعة لقضاء العمادية، كان من العلماء المرموقين يطوف في البلدان، ويلقي البحوث العلمية مرة في جزيرة (ابن عمر) وأخرى في (دياربكر) وتارة في مدينة السليمانية بكوردستان العراق، وكرة في الموصل وسنجار وجولميرك وشمدينان ونهري (بكوردستان تركيا)، وكان يتناول في أحاديثه إلى الجمهور – من جملة ما يحدثه- حث الكورد على البقاء أوفياء لمبادئ الدين الحنيف كما هم عليه عصرئذ من الخلق الرفيع والعادات الاجتماعية الفضلى[2].

5- الملا داود أفندي المتوفى 1337هـ-1918م:

ولد في ضواحي مدينة دهوك، وهو عالم بالعلوم الشرعية والتفسير والحديث، تعين إماماً في جامع دهوك في زمن السلطان عبد الحميد الثاني لحين وفاته أيام الاحتلال الانكليزي للعراق، وكان يعبر عن الوضع الاجتماعي الكوردي خلال حكم السلطان المذكور بقوله: (يتمسك الكورد بتعاليم الإسلام، وهم متدينون جداً ومتعصبون للإسلام تعصباً شديداً، يقيمون الصلوات ويؤدون الزكاة ويلبون نداء الجهاد إذا تطلب الأمر ذلك دفاعاً عن العقيدة والوطن[3].

6- الملا ياسين عبد الله البريفكاني المتوفى سنة 1324هـ-1906م:

ولد في قرية (بريفكان) التابعة لمحافظة دهوك، من العلماء الأجلاء اشتغل بالإمامة والتدريس تطوعاً وحسبةً في جامع دهوك، وكان مرجعاً في الفتاوى والوقائع الشرعية، وكان يعلق على الأوضاع الاجتماعية في كوردستان قائلاً: (إن الأكراد هم أكثر الجماعات تمسكاً بالدين الإسلامي وتفقهاً به وتفهماً له، ولقد أسهموا مساهمة فعالة في نشر تعاليم الإسلام، فظهر من بينهم من تفقه في الدين

---

[1] الملا محمد سعيد: فضلاء بهدينان، ص27.

[2] الملا محمد سعيد: فضلاء بهدينان، ص21.

[3] كريم زند: المذاهب والمعتقدات في كوردستان، مطبعة كامران، السليمانية، 1971م، ص74.

وأخذ مكانة بين الفقهاء والمفسرين ورواة الحديث وأصحاب الطرق الصوفية، ويمثل الدين في حياتهم أقوى وازع لهم، وموجه في سلوكهم)[1].

7- الملا ياسين بن الحاج صالح المفتي المتوفى سنة 1337هـ-1918م:

كان من أفاضل العلماء تعين مدرساً في مدرسة (ميدان) في قصبة (جولمرك) ثم صدر أمر من دار الخلافة باستانبول نصب بموجبه مفتياً رسمياً هناك، ثم هاجر أثناء الحرب العالمية الأولى 1914م إلى قرية بامرنى التابعة لقضاء العمادية وأقام فيها حتى وفاته.

وكان يرى بأن المساجد المدرسية وعلماء الدين القائمين بالتدريس والوعظ فيها قد رسخوا قواعد التعاون والتآخي في المجتمع الكوردي وتسببوا في بسط لواء الأمن والاستقرار وقلة أعمال قطع الطرق لسلب أموال الناس وإيذائهم[2].

8- الملا يونس طه الزاخولي المتوفى سنة 1342هـ-1923م:

من العلماء الزاهدين، تعين إماماً وخطيباً ومدرساً في مدينة زاخو التي تقع على الحدود بين كوردستان تركيا والعراق، وبعد فترة على التعيين الأول صدرت الإرادة السنية في استانبول في عهد السلطان عبد الحميد الثاني بإسناد منصب الإفتاء إليه لقضاء زاخو وما جاورها، كان يحث الناس في خطبة أيام الجمعة للحفاظ على نعمة الطمأنينة التي يتمتع بها البلاد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[3].

9- الملا طه بن محمد الإمام الدهوكي المتوفى 1347هـ-1928م:

كان مدرساً وإماماً في دهوك، ووكيلاً للوقف، يتوافد عليه الطلاب لتلقي العلوم على يديه، وكان يصف الحياة الاجتماعية بين العشائر الكوردية، إبان حكم السلطان عبد الحميد، بأنها تتميز بإطاعة الأكراد لرؤسائهم الدينين ومشايخ الطرق الصوفية، إطاعة صادقة وبالأخص للملك العادل، ويقول: إن الأوضاع السائدة التي يتزايد فيها الربط الاجتماعي بعضهم مع البعض، ما هي إلا ثمرة المساجد والقائمين في محاريبها[4].

---

(1) الملا محمود البايزيدي: عادات وتقاليد الكورد، مطبعة العدالة، العراق، 1983م، ص63.

(2) المصدر نفسه، ص93.

(3) محمد صالح الإبراهيمي: حياة علماء الكورد في العالم الإسلامي: ج1، طهران، 1364هـ-ص287.

(4) الملا محمد سعيد: فضلاء بهدينان، ص16.

10- الملا أسعد بن الشيخ محمد سعيد (المتوفى 1350هـ-1931م):

ولد في مدينة أربيل سنة 1264هـ-1848م، بعد نيله الإجازة العلمية جلس للتدريس والإرشاد في المسجد المجاور للخانقاه بمدينة أربيل، قصد الاستانة ومكث بها ثم عاد إلى أربيل، ثم استدعى بأمر السلطان عبد الحميد إلى دار الخلافة، واتخذ منها زاوية نقشبندية ودخل على يديه في الطريقة النقشبندية آلاف المريدين وعشرات من طلبة العلوم الإسلامية، ونال هناك مكانة اجتماعية رفيعة، وكان يكيل المدح والثناء على السلطان وعلى سياسته الحكيمة في التعامل مع أبناء الشعب الكوردي، وقيامه بتشييد دور العلم واهتمامه بنشر العلوم والثقافة[1].

11- الملا صالح أفندي مفتي دهوك (لم نعثر على تاريخ وفاته وولادته):

تولى هو ووالده وجده وظيفة الافتاء على التعاقب في مدينة دهوك وإن المترجم له عين بأمر من دار السعادة بوظيفة المفتي إبان حكم السلطان عبد الحميد الثاني، كان يوصي الناس بالدعاء للسلطان عبد الحميد لرعايته الشعب الكوردي ولاستمرار سياسته في تحسين الأوضاع المعاشية بالرغم من المتاعب المالية التي تعاني منها الدولة نتيجة تكالب قوى الشر والعدوان على هذه الدولة الحامية للإسلام والمسلمين[2].

12- الملا أحمد أفندي الأتروشي المتوفى 1361هـ-1941م:

هو من أحفاد العلامة الشهير الملا يحيى المزوري، كان المترجم له عالماً ذكياً جمع بين السياسةوالفضل، نال الإجازة العلمية من والده الملا عبد الهادي أفندي، اشتغل بالتدريس ثم انصرف إلى السياسة والإدارة العشائرية، وكان من المعتمدين لدى الحكومة العثمانية والأهليين، وبعد وفاة والده عاد إلى الاشتغال بالتدريس في مسجد قرية أتروش التي تقع في شرق مدينة دهوك.

وكان من الحكمة بمكان بحيث استطاع نشر ألوية المحبة والتآلف بين العشائر الكوردية في منطقته، ويبادر إلى حسم النزاع بينهم قبل أن يستفحل الأمر[3].

---

(1) زبير بلال: من التراث الثقافي الكوردي، علماء ومدارس، ص69.

(2) الملا محمد سعيد: فضلاء بهدينان، ص60-61.

(3) الملا محمد سعيد: فضلاء بهدينان، ص55.

13- الملا محمد بن الملا عبد الله الجلي (المتوفى 1336هـ-1943م):

ولد في مدينة كويسنجق سنة 1293هـ-1876م، درس العلوم الشرعية على والده ونال منه الإجازة العلمية، وخلف والده عند وفاته سنة 1908 رئاسة علماء بلده.

كان المترجم له ذا مقدرة خطابية ممتازة ومنزلة اجتماعية مرموقة، ويمكن تلخيص مواقفه من الوضع الاجتماعي القائم أيام حكم السلطان عبد الحميد الثاني على النحو الآتي:

كان يشجع وبقوة انتشار المزيد من المدارس الدينية -رغم توفرها- ويحث على احترام علماء الدين وتعضيدهم، حيث أن أدوار هؤلاء العلماء وتلك المساجد المدرسية ذات آثار إيجابية في الجوانب الاجتماعية، فقد أحدثت في المجتمع الكوردي تغييراً فكرياً جلياً.

وانتشلت من براثن الجهل جماعات فربتها وهذبتها لتكون أهلاً لحمل رسالة الإسلام كما ساهمت في تهذيب عقلية الفرد الكوردي[1].

كان المترجم له يذكر في خطبه بيان مساوئ الجهل ويدعو إلى محاربة الأمية ويذكر فضل العلم في كافة الميادين، ويدعو إلى الاتحاد والتضامن ضد العدوان الذي يشنه أعداء الإسلام على الامبراطورية العثمانية التي تضم الشعوب الإسلامية.

كما كان يثني على المجتمع الكوردي ويذكر حسناته في بناء المساجد والتمسك بالأخلاق الإسلامية في المعاملات والمساهمة في جمع التبرعات لذوي العاهات والمقعدين والمكفوفين ورعايتهم للأيتام والتكفل بمعيشة طلاب العلوم الدينية، ودفع الزكاة لدفع معاناة الفقراء وتطبيق أحكام الشريعة في المحاكم[2].

كما كان يفتي بجواز احتفال المجتمع الكوردي بعيد نوروز ويعتبر يوماً مباركاً للمحبة والتآلف وهو أول الربيع[3].

---

[1] إبراهيم باجلان: تاريخ المعارف في كوردستان، مقال منشور في جريدة العراق، العدد 1745 في 1981/11/5م، ونجيبة محمد: جامع الخطب محمد الجلي، مخطوطة في مكتبة أسرة الجلي 1/41.

[2] نجيبة محمد: جامع الخطب محمد الجلي، مخطوطة في مكتبة أسرة الجلي، 1/ص25، والملا جواد فقي علي الجوم حيدري، محمد عبد الله الجلي وجهوده العلمية، ص17.

[3] عبد الخالق علاء الدين: العلامة الأكبر أديباً وشاعراً، مطبعة جامعة صلاح الدين، كوردستان، أربيل، 1994م، ص70.

14- الملا الشيخ بهاء الدين بن الشيخ محمد أفندي النقشبندي العمادي (المتوفى عام 1371هـ-1951م):

ولد عام 1272هـ-1855م ، درس في مسقط رأسه قرية (بامرنى) وفي المساجد المدرسية في بلاده كوردستان، وهو من العلماء العاملين ومن كبار شيوخ الطريقة النقشبندية في المنطقة، كان محل ثقة المسلمين وغيرهم من اليهود والنصارى، لم تنقطع الوفود لزيارته في تكية (بامرنى) لتلقي المواعظ والإرشاد وكان له أتباع ومريدون في كوردستان بأعداد كبيرة، وخلفاؤه كانوا منتشرين لإصلاح المجتمع، قصد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني دار الخلافة في استانبول، فأكرمته الحكومة العثمانية، ومنحه السلطان العثماني بعض القرى والأملاك في منطقة العمادية.

كانت تكيته مأوى للفقراء، ومجلسه منتدى حلقات العلم والمذاكرة في المسائل الدينية، والمباحث الوطنية ومدارسة الأوضاع العامة الجارية في ساحة كوردستان، وكان محور كثير من أحاديثه الوضع الاجتماعي، وكان يحمد الله على ما عليه الشعب من التدين والتمسك بالشرع الشريف، ويهاجم على أولئك الإقطاعيين الذين يبخسون الفلاحين حقوقهم، وينادي بتحكيم الشرع في العلاقات بين الفلاحين والملاكين، ويشدد النكير على كل خلاف يحدث بين أبناء الشعب، ويأمر بحل المشاكل وحسم المنازعات بينهم بموجب الكتاب والسنة، كما كان يتسارع للتدخل في كل ما من شأنه تعكير الأجواء[1].

15- الملا مصطفى القرداغي (المتوفى سنة 1390هـ-1970م):

ولد سنة 1303هـ-1885م، استمر في الدراسة في مسقط رأسه قرية (قرداغ) التابعة للواء السليمانية ونال الإجازة العلمية من والده العالم الجليل الملا محمد، بدأ المترجم له يعاون والده في التدريس ونشر الفتاوى وسائر الخدمات كاستقبال الضيوف ومعالجة المشاكل الواردة إليه، كما كان يقوم بإسعاف المحتاجين وإغاثة الملهوفين، وكان غيوراً في مواجهة أصحاب النفوذ، ويوجه المجتمع لتطبيق العدالة

---

[1] عبد المنعم الغلامي: ثورتنا في شمال العراق، 1337هـ-1919م، ج1، مطبعة شفيق، بغداد، 1385هـ-1966م، ص43. والملا سعيد ياسين: فضلاء بهدينان، ص42-46.

ورعاية الحقوق وصيانة الممتلكات[1].

هذا ومما هو جدير بالذكر بأنه لم يكن من المألوف ولا من العادة أن يسجل الناس أملاكهم وعقاراتهم في دوائر الطابو (التسجيل) في كثير من بقاع كوردستان في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، بل كان الأهلون يثبتون ملكيتهم في (وريقة) يكتبها العالم الديني ويضع شهادته عليها، وهذه الورقة تبقى نافذة المفعول أجيالاً بعد أجيال، لقد كان لعلماء الدين الأكراد والمشايخ أدواراً بارزة وقوية التأثير في التوجيه الديني وفي تعزيز وتعميق الروابط الاجتماعية في المجتمع الكوردي[2].

16- الملا هبة الله بن الملا محمد سعيد بن الملا عبد الرحمن بن الملا يحيى المزوري (1880-1955م):

اشتهر جده الأعلى الملا يحيى 1772-1837م بشيخ علماء العراق، وكان من أساتذة المفسر المفتي أبي الثناء الآلوسي.

ولد هبة الله في مدينة عقرة سنة 1298هـ-1880م وتوفي سنة 1375هـ-1955م درس العلوم الإسلامية وتخرج على عالم أربيل الكبير أبي بكر ملا أفندي عين المترجم له مفتياً لبلدته بأمر من دار الخلافة في استانبول في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ومدرساً في الجامع الكبير 1906م واسندت إليه رئاسة مجلس المعارف سنة 1909م، قام بأدوار إصلاحية في المجتمع المحيط به وكان له الفضل في حسم الخلافات العشائرية التي كانت تنشأ بينها وإصلاح ذات البين في قضايا الأحوال الشخصية بموجب الفقه الإسلامي، وكان محل الرضا للجميع لاستقامته ودوره الاجتماعي ولم يكن ليستغني عنه حتى بعد العهد الحميدي، فقد عين قاضياً لمدينة عقرة سنة 1918 وانتخب نائباً عن الموصل سنة 1925 وجدد انتخابه على فترات متقطعة من سنة 1928 إلى سنة 1946 واختير نائباً ثانياً لرئيس مجلس النواب في 14 آذار مارس 1940 وجدد اختياره من سنة 1943 وإلى سنة

---

[1] عبد الكريم المدرس: علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص568، ومحمد محمود أحمد: عناية البابانيين بالعلم والثقافة، مجلة المثقف الجديد، العدد 106، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984م، ص8.

[2] صديق الدملوجي: إمارة بهدينان أو إمارة العمادية، ص64، ومنذر الموصلي: عرب وأكراد، ص264.

1944 وعين عضواً في مجلس الأعيان لحين وفاته[1].

17- الملا سعيد الكوردي النورسي (1876-1960م)(٢):

موقفه من الوضع الاجتماعي:

بذل النورسي بصفته مصلحاً اجتماعياً جهوداً حميدة لتنوير العقول وإصلاح الأوضاع في المجتمع الكوردي، ففي الحقل الاجتماعي يذكر النورسي بأن والي (وان) حسن باشا طلب منه القدوم إلى وان فلبى النورسي الطلب واستقر فيها خمس عشرة سنة قضاها في التجوال بين العشائر الكوردية لإرشادهم وفي تدريس الطلاب وتعليمهم.

وكون النورسي في تلك الفترة علاقات مع الوالي والموظفين في المدينة، وكان جل اهتمام النورسي في هذه الفترة موجه للمصالحة بين العشائر فما كان يطرق بسمعه نزاع بين العشائر حتى هب وتوجه إلى المتنازعين وأرشدهم وأصلح ذات بينهم، فهو الذي استطاع الصلح بين (شكر آغا) رئيس إحدى العشائر الكوردية في كوردستان تركيا وبين (مصطفى باشا) رئيس عشيرة (ميران) الكوردية أيضاً، بينما أخفقت الإدارة العثمانية من فض النزاع المزمن بينهما[3].

ويذكر النورسي بأنه لمس الوضع الرديء الذي كان يعيشه أهالي الولايات الشرقية (كوردستان) وأدرك أن السعادة الدنيوية ستحصل بالعلوم الحديثة ولذلك طالب الإدارة العثمانية عدة مرات بإنشاء مدارس الزهراء في عموم كوردستان، وتدرس فيها العلوم العصرية بجانب العلوم الدينية وبذلك يقضي على الجهل والمرض والاضطرابات وإن العلوم هي السبيل الوحيد لتحسين الأوضاع والقضاء على الفقر[4].

---

(1) مير بصري من أعلام الكرد، ص180، ومحمد صالح الإبراهيمي: حياة علماء الكورد في العالم الإسلامي، ج2، طهران، 1364هـ، ص201.

(2) سبقت ترجمته.

(3) بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، ط1، استانبول. 1419هـ-1998م، ص62.

(4) المصدر نفسه: ص498، 502.

18- الملا أنور بن الملا محمد طاهر المائي (1913-1963م):

ولد في قرية (مائي) عام 1913م التابعة لقضاء العمادية بكوردستان العراق من أسرة دينية اتخذت الطريقة النقشبندية مسلكاً لها في التصوف، تلقى المترجم العلوم الدينية ونال الإجازة العلمية على يد الملا شكري أفندي مفتي العمادية المتوفي سنة 1936م.

يذكر هذا العالم في كتابه (الأكراد في بهدينان) بأن العشائر في منطقة بهدينان كانت تنظر إلى الحكومة العثمانية نظرة كراهية ويتحدث عن الكورد قائلاً: ظل الشعب الكوردي متمسكاً بأخلاقه الحميدة محافظاً على سجاياه المتوارثة وبساطته الفكرية ويتجنبون شهادة الزور والفحشاء والسب والكذب جهد المستطاع ويحافظون على الأمانات ويوفون بالعهود وكان الحلف بالطلاق ولا يزال بغيضاً والحلف بالقرآن ولو في الصدق نادر جداً وظل هذا الشعب متمسكاً بتقاليده السامية إلى أيام الاحتلال الانكليزي سنة 1336هـ-1918م حيث بدأت الأخلاق الفاسدة تتسرب إلى هذه البلاد شيئاً فشيئاً فغلبت الأطماع والأهواء...

ويسترسل المائي في حديثه فيقول: إن الأكراد بصورة عامة مطيعون لحكامهم وينظرون إليهم نظرة إعجاب وتقدير ويعتقدون أن ذلك واجب ديني وأن الأمير مؤيد من الله تعالى، ويضيف قائلاً: إن الدعاوى الحقوقية والشرعية كانت من اختصاص علماء الدين الذين كان لهم منزلة عظيمة عند الأمراء وزعماء العشائر الكوردية، بحيث كان لكل أمير أو زعيم منهم قاض موكل بحسم الدعاوى الحقوقية. وتنفيذاً لأوامر علماء الدين في العهد الحميدي فقد قام أمراء الكورد بإصلاح الطرق وبناء المنازل وخانات لأبناء السبيل وغيرها من الأعمال الخيرية والمساعدات الضرورية للفقراء والمساكين[1].

---

[1] الملا أنور المائي: الأكراد في بهدينان، ط2، دهوك، 1999، ص157-160-161.

موقف علماء كوردستان من الوضع السياسي
في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)

تمهيد

الثورات والانتفاضات نتائج حتمية ناشئة عن إحساس المجموعات بالظروف الاقتصادية الخانقة التي تطبق بمخالبها على رقاب الفرد، فيشعر معها بالجوع والحرمان والفاقة وترقب الموت الزؤام، كما أن الانتفاضات والثورات ما هي إلا ردود فعل طبيعي لحالة الظلم وسلب الكرامة والاعتداء على الروح واغتصاب الممتلكات، وعندها تدق ساعة العمل الثوري، فيفعل المرء بكل ما أوتي من قوة لكي يبقى على قيد الحياة مثل الآخرين، ويصون حريته وما يملكه، وهذا حق إلهي ممنوح للإنسان، أوجب عليه الدفاع عن النفس والعقل والروح والعرض والمال.

والكورد مثل بقية الأقوام لهم الحق في الحياة ولهم مقوماتهم الوطنية من لغة وتاريخ ومشاعر، ولهم المميزات الأساسية التي تجعلهم مثل أية جماعة بشرية قوماً يستحقون الحياة الحرة[1].

تأزم الوضع الاقتصادي في كوردستان عام 1879م:

إن الأزمة السياسية في الدولة العثمانية الناشئة نتيجة الحرب الروسية العثمانية، رافقها تدهور قاس في إمكانياتها الاقتصادية كما أثرت العمليات العسكرية تأثيراً بالغاً على الأوضاع المعيشية في المناطق الكوردية شرقي الدولة العثمانية.

لقد أدى تجنيد السكان في الجيش العثماني إلى نقص حاد للقوى العاملة في مجال الزراعة، مما أثار قيام اضطرابات في صفوف الفلاحين، وقع اقتصاد البلاد نتيجة الحرب في تبعية كبيرة للرأسمال الأجنبي.

ففي عام 1879م أفلست الدولة العثمانية نهائياً ووضعت مؤسسة (إدارة ديون الحكومة العثمانية) رسمياً تحت إشراف دولي، ورفعت الحكومة الضرائب أضعافاً مضاعفة[2]، وكانت الحكومة تجبر المواطنين على دفع حبوب الحنطة

---

(1) عبد الرحمن البزاز: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، د. مط، بغداد، 1967م، ص285-286.

(2) أرشيف السياسة الخارجية الروسية الرئيسي ف. أ. أوب، 181، وثيقة (1095) 1880م، ص24. نقلاً من جليلي جليل: انتفاضة 1880م، ص42.

والشعير وغيرهما إليها على حساب محصول العام التالي قبل موسم الحصاد.

ونتيجة لابتزاز الأموال الطائلة، تدمرت زراعة الفلاحين الكورد وأصابهم الإفلاس، مما اضطرهم للهجرة إلى المدن الكبيرة ومات الآلاف من الجوع، وهاجم الجائعون الكورد بالسلاح مستودعات الحبوب في منطقة دياربكر، كما اضطر الكثير منهم وفي عدة مناطق إلى أكل لحوم الحمير، والأعشاب نتيجة قلة الخبز، ولم يفلت من المجاعة القاتلة السكان الرحل وشبه الرحل[1].

كما انتشرت في أعوام 1877-1880م مجاعة هالكة في كوردستان إيران، واضطر الكثير من الكورد إلى بيع أطفالهم بثمن بخس[2].

لقد أدى الجوع بالكورد في كثير من المناطق إلى جنون عنيف، فكانوا يهاجمون مستودعات القمح وينهبونها، إلا أن الكورد انتقلوا بالتدريج من الهجوم العفوي على مستودعات الحبوب إلى نضال مسلح منظم على تلك الحكومات التي أجاعتهم وأفقرتهم سياسياً واقتصادياً والذي تحول في عام (1880)م إلى انتفاضة شعبية واسعة[3].

الانتفاضات المناهضة للحكم العثماني:

شهد العهد الحميدي انتفاضات وحركات مناهضة للحكم العثماني، كان في مقدمتها الانتفاضات الكوردية منها:

انتفاضة عثمان بك وحسين بك ابنا بدرخان بك في جزيرة ابن عمر 1878م تعد انتفاضة أبناء بدرخان بك في كوردستان الشمالية أهم إفرازات الحرب الروسية العثمانية 1877-1878م فعندما بدأت الحرب جمعت الدولة العثمانية قوة من المتطوعين الكورد، وأناطت قيادتها بابني بدرخان؛ عثمان باشا وحسين باشا اللذين كانا ضابطين في الجيش العثماني، وانتهز الأخوان الفرصة، فاتفقا سراً مع زعماء العشائر والضباط الكورد للذهاب إلى كوردستان ويعلنا الاستقلال، فتم لهما ذلك وتجمع حولهما الكورد، وعند وصولهم إلى مدينة (الجزيرة) عاصمة الإمارة البوتانية في عهد الأمير بدرخان الكبير، حرروها، وفر أفراد الحامية

---

[1] أرشيف السياسة الخارجية الروسية، سفارة في القسطنطينية، 1880م. نقلاً من جليلي جليل: انتفاضة 1880م، ص43.

[2] جليلي جليل: انتفاضة (1880م)، ص44.

[3] المصدر نفسه، ص45.

العسكرية، وأعلنوا استقلال كوردستان[1].

وازداد عدد الملتحقين إلى الحركة يوماً بعد يوم، واستطاعوا بسط نفوذهم على مناطق كوردية أخرى مثل (جولميرك، نصيبين، ماردين، زاخو، عمادية، هكاري) وأعلنوا تتويج (عثمان باشا) أميراً على تلك المناطق[2]. وقرأوا اسمه في المساجد أثناء خطبة الجمعة بدلاً من اسم السلطان وهذا يعني الاستقلال باتفاق الباحثين.

وعندما أدركت القوات العثمانية خطورة الموقف وخشيتها من انتشار الانتفاضة جمعت قوات كبيرة للهجوم على الثوار ولكن الكورد تمكنوا من إلحاق هزيمة كبرى بالمهاجمين[3]، وبعدئذ قامت الحكومة بحملة عسكرية كبرى على قوات الأخوين فاضطرا إلى الانسحاب لكن القوات الكوردية لم تنهزم تماماً، واستعدت مرة أخرى لإلحاق الهزائم بالعدو، ولكن السلطات العثمانية لجأت إلى الحيلة، وأطلقت سراح المسجونين من العائلة البدرخانية كبادرة حسن النية[4].

وأرسل السلطان عبد الحميد الثاني ممثله الخاص، طالباً من الأخوين الدخول في المفاوضات باسم الاسلام وحقناً لدماء المسلمين كما أعلن السلطان استعداده لتلبية مطاليبهم والاعتراف بسيادتهم على الكورد.

واغتر القائدان الكورديان بالوعود ودخلا في مفاوضات مع السلطة، واستمرت المفاوضات جولات عديدة، وحدث ذات مرة أن القوة التي تحرس الأميرين أقل من القوة الحكومية، وعندئذ انتهز العثمانيون الفرصة واعتقلوا الأميرين وأرسلوهما إلى استانبول، وزجوا بهما في السجن، وأطلق سراحهما بعد مدة ووضعا تحت المراقبة والإقامة الجبرية في الاستانة[5]. إلا أن انتفاضة أولاد بدرخان بك، باءت

---

(1) بليج شيركو: القضية الكوردية في ماضيهم وحاضرهم، ص57. وب. ي. أفريانوف: الأكراد في الحروب الروسية ضد الفرس وتركيا خلال القرن التاسع عشر، د. مط. ن. م لا. ت، ص224.

(2) بليج شيركوه: القضية الكوردية في ماضيهم وحاضرهم، ص58. والمصدرالسابق: محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكوردستان، ص239. و محمود الدرة: القضية الكوردية، ص29.

(3) خالفين: الصراع على كوردستان، ص117.

(4) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكوردستان، ص239، وقدر عدد المنتمين إلى العائلة البدرخانية في استانبول بـ(ثلاثة آلاف) نسمة ينظر إلى جليلي جليل: الأكراد، ص70.

(5) المصادر السابقة: محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص239-240. وشاكر خصباك: الكورد والمسألة الكوردية، ص47. وللمزيد من التفاصيل ينظر إلى: حسين أحمد

بالفشل ويعود فشلها إلى أسباب منها:

عدم الاستعداد التام للانتفاضة، حيث أن قرار إعلان استقلال كوردستان جاء بصورة مفاجئة، وتفوق الجيش العثماني، وتفرغه للانقضاض على الانتفاضة، وقلة التنظيم وشحة الأسلحة لدى الكورد، وضعف الاقتصاد الكوردي، نظراً لكثرة الضرائب والأتاوات على الكورد حينئذ، فضلاً عن إحجام الروس مد يد العون للحركة.

انتفاضة أبناء بدرخان الثانية عام 1889م:

قاد هذه الانتفاضة كل من (أمين عالي)[1] ومدحت باشا، وكان الإثنان في استانبول، وتمكنا من الانتقال سراً إلى مدينة طرابزون، حيث نزلا سراً في دار أحد الوجهاء الذي كانت تربطه بالعائلة البدرخانية ومن هناك اتصلا ببعض رؤساء العشائر الكوردية وبدءا بالحركة

وكانت الحكومة العثمانية تراقب التحركات وعلى علم بما يجري[2] وقد وقع الأميران فجأة مع قواتهما بين قوتين عسكريتين للدولة العثمانية وحدث اصطدام بين الطرفين[3]، إلا أن القوة الكوردية انسحبت مع الأميرين إلى جبل (أرغن) بكوردستان تركيا، وعندما شعر الأميران بأنه لا يمكن لهما مواصلة مقاومة القوات العثمانية التي تفوق قواتهما عدداً وعدة، وعدم التكافؤ بين القوتين ولا يمكن لهما تحقيق النصر على القوات العثمانية الزاحفة على مواقعهما، وإن الاستمرار في المقاومة يعتبر انتحاراً محققاً، لذا قررا الاستسلام للعثمانيين وأرسلا إلى استانبول مخفورين[4]، وهكذا وخلال عقد واحد وللمرة الثانية لم يكتب النجاح للانتفاضة المسلحة[5].

جاف: صفحات مشرقة من تاريخ الأسر البدرخانية، مجلة كولان، العدد (3)، سنة 1982م، ص100-102.

[1] ولد أمين عالي سنة (1851م) ودرس الحقوق وتتلمذ على يد الشاعر الكوردي الكبير (حاجي قادر كوي). وبعد أن فشل في جهوده للقيام بحركة كوردية أسندت إليه الدولة العثمانية منصب (مفتش العدلية) في استانبول وقونية. ينظر: كوني رقش، الأمير جلادت بدرخان: حياته وفكره، دمشق 1992م، ص23، 24-26.

[2] بليج شيركوه: القضية الكوردية، ص60.

[3] محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص240.

[4] علاء الدين السجادي: الثوار الكورد، مطبعة المعارف، بغداد، 1959م، ص51.

[5] قفطان صالح: تاريخ الكورد القديم واليوم، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، 1969م، ص376.

ونشير هنا إلى أن الانتفاضتين المذكورتين مثلتا مطامح الكورد إلا أن كلاً منهما لم تستطع جذب أنظار الدول الكبرى أو الدول المجاورة، وهناك جانب مهم وهو أن القائمين على الانتفاضتين استطاعوا بسرعة أن يجمعوا حولهم أعداداً من زعماء العشائر وعدد من الفلاحين الكورد المتضررين الذين كانوا على موعد للتضحية بكل شيء من أجل شيء واحد وهو الحرية والاستقلال.

دور الكورد في الحرب الروسية العثمانية 1877-1878م:

كانت حكومة روسيا تطمع في السيطرة على المضايق، وتحقيق الوحدة السلافية في منطقة البلقان، واستعادة نفوذها عقب الخسارة التي منيت بها في حرب القرم (1854-1856م) وقد استجدت أزمات في المنطقة المذكورة منذ عام 1875م، أتاحت الفرص للتدخل الأجنبي في سياسة الدولة العثمانية[1]، وطالبت الأمم البلقانية بالاستقلال، بتشجيع من روسيا القيصرية، وأرادت الدول فض النزاع في مؤتمر يعقد في استانبول، إلا أن الدولة العثمانية رفضت الفكرة، محتجة بعدم الموافقة في السماح بالتدخل في شؤونها الداخلية، ونتيجة هذا الرفض، أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في 1877/4/24م، وهكذا بدأت الحرب بين الدولتين، وأصدر شيخ الإسلام (حسن خير الله) فتويين:

تقضي الأول بمنح السلطان عبد الحميد الثاني لقب (الغازي) وتعلن الثانية الجهاد ومشروعية الحرب، ويعني ذلك إلزام كافة المسلمين الاشتراك في الحرب[2]. وقد فتحت الجيوش الروسية جبهتين: الأولى في أوربا في منطقة البلقان والثانية في قفقاس على حدود المنطقة الكوردية.

وفيما يتعلق بالجبهة الأخيرة، فان الكورد بطبيعتهم لا يميلون إلى الحرب ولكنهم يحبون أرضهم، ويدافعون عنها بأرواحهم، لم ولن يرضوا المس بالكرامة، ويضحون من أجل الإسلام بكل غال ونفيس، وفي هذه الأثناء أخذت الدولة

---

(1) جاسم محمد العدول: الحرب الروسية العثمانية عام 1877-1878م، وأثرها على العراق، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، العدد (8) لسنة 1989م، ص81-82.

(2) علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، ص15.

العثمانية تتقرب إلى مشائخ الدين من الكورد، أمثال عبيد الله النهري[1]، وكاك أحمد الشيخ[2]، لكسب ود الكورد إليها والمشاركة في الجهاد ضد الروس، فاستجاب للدعوة الشيخ عبيد الله النهري، لكونه رئيساً لأكبر التجمعات الإسلامية وتوجه على رأس ثلاثمائة من مريديه نحو جبهة القتال[3]، وأبلى بلاءً حسناً، كما استدعى السلطان عبد الحميد الثاني الشيخ كاك أحمد في مدينة السليمانية حيث مقره، لزيارته في استانبول، لكن الشيخ أناب مبعوثاً لتلبية دعوة السلطان، وعندما نشبت الحرب الروسية العثمانية، أرسل الشيخ بعض المحاربين من مريديه إلى جبهة القتال باسم الجهاد الديني، بقيادة حفيده الشيخ سعيد[4]، وحاربت أيضاً العشيرة الكوردية المعروفة بالهماوند، إلى جانب العثمانيين، وأظهرت قدرة فائقة في الحرب ونتيجة ذلك، كافأهم السلطان عبد الحميد الثاني بتوسيع أراضيهم في منطقة بازيان بكوردستان العراق[5]. وشاركت السيدة الكوردية (قره فاطمة)[6] في هذه الحرب، وتزعمت (500) خمسمائة فارساً حيث خاضت المعارك في جبهة أرضروم وفارس وأردهان وقد أشادت ببطولاتها في وقتها الصحف المصرية[7]. كما استطاعت السلطات العثمانية أن تجمع بين الكورد تحت

---

[1] ولد الشيخ عبيد الله في قرية نهري عام 1830م بكوردستان تركيا، تولى المشيخة الدينية للطريقة النقشبندية بعد والده. ينظر: خالفين: الصراع على كوردستان، ص118. وعبد الرحمن قاسملو: أربعون عاماً من الكفاح من أجل الحرية، ترجمة عز الدين رسول، مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل، د.ت، ص23.

[2] كاك أحمد الشيخ: هو ابن الشيخ محمد معروف النودهي، ومن أقطاب الطريقة القادرية في كوردستان العراق، ولد سنة (1207هـ) في مدينة السليمانية، وله مؤلفات في التفسير والحديث والفقه، توفي (1305هـ). ينظر إلى محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص119.

[3] جليلي جليل: انتفاضة الأكراد، 1880م، ص26.

[4] محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص224.

[5] محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحاءها، ص191، و باسيل نيكيتين: الأكراد، ص143.

[6] قره فاطمة: وهي المجاهدة الكوردية الشهيرة، ذكر العلامة الكاتب التركي مدحت أفندي في كتاب له يدعى (قرق أنبار) طائفة من النساء الشهيرات، تحت اسم (آمازونلر – السباع ذوات الثدي) وذكر من بينهن (قره فاطمة) التي خاضت المعارك ضد الروس (1877م) وهي قائدة لجملة من العساكر: ينظر إلى، محمد أمين زكي: مشاهير الأكراد وكوردستان، ج2، ص247.

[7] جريدة الوقائع المصرية، العدد (730) في 4 نوفمبر سنة 1877م.

قيادة أبناء بدرخان بك الكبير وإعطائهم الأموال لجمع المقاتلين[1].

أساليب تعامل العثمانيين مع العشائر الكوردية:

كانت الحكومة العثمانية قد تبنت في تعاملها مع العشائر الكوردية سياسة تقويض النظام العشائري، وقد اتضحت تلك السياسة في مظاهر منها:

رفض العثمانيين الاعتراف بذلك النظام ومواصلتها على امتداد العهد الحميدي جهودها الهادفة إلى إحكام القبضة على العشائر.

وقد استخدمت الحكومة العثمانية للقضاء على النظام العشائري مختلف الوسائل، كان بعضها سليماً، مثل توطين العشائر، وتأسيس مدرسة في استانبول لأبناء العشائر، والعمل على تعيين شيوخ العشائر موظفين لدى الدولة وجعل المناطق التي تسكنها العشائر وحدات إدارية وإناطة رئاستها بشيوخ العشائر ومنحهم الألقاب[2]، كما اتبعت أسلوب إثارة المنازعات فيما بينها، واشتملت الأساليب القمعية على استخدام الجيش في إخضاع العشائر لتنفيذ الالتزامات أزاء الحكومة وفي قبر تمرداتها ضد الدولة.

علاقة بعض العشائر الكوردية مع العثمانيين:

أ- عشائر الجاف الكوردية:

لم تكن العلاقات حسنة بين السلطات العثمانية في بداية عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وبين عشائر الجاف التي كانت قواتها المسلحة تقدر بأربعة آلاف رجل، فقد ارتاب رئيس عشائر الجاف من سياسة التوطين ونزح بعشيرته إلى كوردستان (إيران) ضيوفاً على عشائر الجاف المتوطنين هناك وبعد فترة عاد رئيس العشيرة المذكورة إلى السليمانية بفضل المساعي التي بذلها والي الموصل (تحسين باشا) وعينته السلطات العثمانية قائمقاماً لقضاء حلبجة التابعة لمدينة السليمانية، وأخذت العلاقات مع الدولة تتحسن تدريجياً، وكان من مظاهر تحسن

---

[1] محمود الدرة: القضية الكوردية والقومية العربية في معركة العراق، دار الطليعة، بيروت، 1963م، ص29، و بليج شيركوه: القضية الكوردية، ص57.

[2] لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج4، ص2230. والزوراء: السنة الحادية والثلاثون، العدد (1836)، (13) جمادي الآخرة، 1317هـ.

العلاقات، أن تبرع (محمود باشا) رئيس عشيرة الجاف في عام (1881م) بمائة جواد إلى الجيش السادس العثماني[1]، وظلت العلاقات حسنة بين عشائر الجاف والسلطة العثمانية حتى أواخر العهد العثماني.

وقد اتبعت السلطات العثمانية سياسة التساهل مع عشائر الجاف، حيث لم تكن تتدخل في جباية الضرائب منها، وكانت تكتفي بأخذ ضريبة مقطوعة من رؤسائها[2]. وكان الدافع وراء هذه السياسة رغبة العثمانيين في الاحتفاظ بولاء عشيرة الجاف لئلا تنحاز إلى إيران.

ب- عشيرة الهماوند الكوردية:

استطاعت عشيرة الهماوند أن تثير قلق السلطات العثمانية، نظراً لما كان يمتاز أفرادها من شجاعة نادرة[3]، وشهدت علاقات الهماوند مع السلطات العثمانية أطواراً متعددة، ساد بعضها التعاون في حين طغى طابع النزاع على البعض الآخر، وكانت تلك العلاقات في أغلب الأحايين تعكس العلاقات القائمة بين العراق وإيران، فقد كانت الهماوند، التي دأبت على القيام بالنهب وقطع الطرق تصعد نشاطها إبان تردي العلاقات بين العراق وإيران، لعلمها من إيواء إيران لها في حالة ملاحقة العثمانيين لها[4].

ومن الجدير بالذكر، أن العلاقات تحسنت بين الهماوند والعثمانيين بعد أن قام والي بغداد (رؤوف باشا) بتعيين الهماوند في سلك الجندرمة[5]. ولكن العلاقات تعكرت مرة أخرى في سنة (1878م) نتيجة انحياز العثمانيين إلى جانب عشيرة الزنكنة المعادية للهماوند في السنة المذكورة، واستطاعت الهماوند أسر كافة أفراد القوات المسلحة التي أرسلتها السلطات العثمانية إلى عشيرة الزنكنة، ونجحت أيضاً في دحر قوات عثمانية أخرى وانسحبت إلى إيران، وبدأت بشن

---

(1) الزوراء: السنة الرابعة عشرة، العدد (1057) في (26) ذي القعدة، (1299هـ).

(2) عباس العزاوي: عشائر العراق، مطبعة المعارف، بغداد، 1947م، ج2، ص40.

(3) سي. جي. أدموندز: كورد وترك وعرب، ترجمة جريس فتح الله، مطبعة التايمس، بغداد، 1971م، ص75.

(4) تاريخ العراق بين احتلالين، ج8، ص64.

(5) علي حيدر مدحت: مذكرات مدحت باشا، تعريب كمال بك، مطبعة هندية، مصر، د. ت.، ص187.

غارات في داخل الأراضي الإيرانية والعراقية على السواء[1].

وفي عام (1879م) هاجمت الهماوند مدينة السليمانية، ولم تنج المدينة من غزوتهم إلا بعد وصول تعزيزات حكومية إليها[2]. وامتدت أعمال نهبهم في ذات السنة إلى مدينة (سامراء) بالقرب من مدينة بغداد شمالاً، وأجبرت هذه الأوضاع التي افتعلتها الهماوند داخل العراق وإيران، الحكومتين العثمانية والإيرانية في أواخر القرن التاسع عشر لتوحيد جهودهما ضدها، فقد أرسلت إيران في عام 1879م قوة مؤلفة من (15000) خمسة عشر ألف رجل من الجيش والعشائر الكوردية لمطاردة الهماوند، كما أعدت الحكومة العثمانية قوة أخرى لنفس الغرض ولكن دون جدوى، فاضطرت السلطة العثمانية إلى عقد صلح مع الهماوند، اتفقت بموجبه عودة الهماوند إلى موطنهم في كوردستان العراق في منطقة (بازيان)[3].

وفي عام (1880م) حصل نزاع بين عشيرتي هماوند وعشيرة الجاف وانحازت الدولة العثمانية إلى جانب عشيرة الجاف[4] مما أدى إلى نشوب حروب بين عشيرة الهماوند والعثمانيين، حيث أرسلت قوة عسكرية ضد الهماوند، وإن كانت تلك القوات فشلت في تحقيق انتصارات ملموسة عليهم[5].

وأدت الإجراءات القاسية التي أقدمت عليها السلطة ضد الهماوند بعد ذلك إلى فرار قسم منهم إلى إيران، واستسلام القسم الآخر للسلطات الحكومية[6].

ثم عمدت السلطة إلى استغلال ضعفهم، ودعت الهماونديين الفارين إلى إيران للعودة إلى كوردستان، واستجابوا للدعوة وبعدئذ وزعتهم السلطات العثمانية في الموصل وماردين ومنطقة هكاري، وسيواس وقونية، وأدنة، وفي

---

(1) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص192.

(2) الميجر سون: رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكوردستان، ج1، ص229.

(3) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج7، ص84.

(4) فاسليليفا، ي. ئي.: أصول القبائل الرحالة في الجنوب الشرقي من كوردستان، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي السنوي لمعهد الاستشراق، كانون الثاني، 1982م، ص121.

(5) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص193-194.

(6) الزوراء، السنة الثامنة عشرة، العدد (1310) في 5 شعبان، 1304هـ. مقتبسة من عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج8، ص84.

ولاية أنقرة[1]. واستمروا في المنفى حتى سنة 1896م.

وبموجب ما جاء في نصوص الوثائق العثمانية، فإن الهماونديين أحدثوا مشاكل ومتاعب لأهالي المناطق التي أسكنوا فيها، وحاول قسم كبير منهم العودة من المنفى إلى موطنهم في كوردستان العراق وقاوموا في طريق العودة السلطات العثمانية وهددوا السلطات العثمانية بعد وصولهم القيام بهجمات عليها فيما إذا لم تسمح لهم بإعادة أسرهم التي كانوا تركوها في المنفى، ورضخت الحكومة العثمانية لتهديدهم وسمحت لهم بإعادة أسرهم[2].

ثم بدأت الحكومة العثمانية بنفيهم من جديد عام 1890م إلى ليبيا وكان واليها آنذاك (أحمد راسم) حيث كان يريد حلاً لمشكلة الهماونديين المنفيين وأراد توطين قسم منهم في (سرت) وقسم آخر في مدينة طرابلس والجبل الأخضر وبنغازي[3] وتوزيع الأراضي على بعضهم للفلاحة وإلحاق العزاب منهم في القوات المسلحة ولكنهم أبوا الرضوخ لأوامر (أحمد راسم) وفضلوا العودة إلى ديارهم لحنينهم إلى كوردستان مما أجبر الوالي للاقتراح على السلطات العثمانية في استانبول السماح للهماونديين الساكنين في (سرت) بالعودة إلى داخل تركيا، ووافقت السلطات العثمانية على الطلب، وعاد هؤلاء إلى أماكنهم السابقة[4].

وأما الذين أسكنوا في مدينة طرابلس وغيرها، فقد عادوا إلى كوردستان من هناك مع أطفالهم عام 1896م بموجب تخطيط متقن، حيث لبسوا الملابس العربية ووصلوا إلى كوردستان العراق بمساعدة عشيرة (شوان الكوردية)[5].

---

(1) لمزيد التفاصيل حول توزيع الهماونديين، يراجع الوثائق العثمانية لعام 1886م: وثيقة رقم (26) في 7 / جمادي الأولى لسنة (1304هـ) والمرقم 488 تحت عنوان (قبول الأشقياء الهماوند القادمين من إيران وإسكانهم)، ووثيقة رقم (31) لعام (1886م) و13 ذي القعدة، 1304هـ-1886م و14 ذي القعدة، 1304هـ-1886م. ينظر إلى: عبد الله محمد علي: كوردستان في عهد الدولة العثمانية من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدء الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة صلاح الدين، أربيل، إقليم كوردستان العراق، 1419هـ-1998م، ص95-98.

(2) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص195.

(3) مصطفى عبد الله: المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا، د. مط، ليبيا، 1975م، ص16.

(4) حامد محمود عيسى: المشكلة الكوردية في الشرق الأوسط منذ بدايتها حتى سنة 1991م، مكتبة مدبولي، 1992م، ص24.

(5) المصادر السابقة، محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص195، وأدموندز: كورد وترك وعرب، ص43-44. والعشائر الكوردية، ترجمة حمه خورشيد، هامش 31، ص67-68.

وهدأت علاقات الهماوند مع الحكومة العثمانية منذ ذلك الحين حتى سنة (1908م).

ثورة الشيخ عبيد الله النهري (1880-1881م)[1]:

تعد الفترة الواقعة بين عام (1851-1880م) مرحلة فراغ في القيادة السياسية في التاريخ الكوردي حيث أدى سقوط الإمارات الكوردية إلى غياب القيادة السياسية التي تقود الكورد، لقد كانت القيادة الكوردية قبل منتصف القرن التاسع عشر يمثلها الأمراء الذين كانوا يتمتعون بسلطات معترف بها من قبل السلاطين العثمانيين في أنحاء كوردستان كما أسلفنا سابقاً.

وبعد القرن المذكور حصل فراغ في قيادة الكورد نحو النضال لنيل حقوقهم المشروعة بالرغم من وجود الاقطاعيين ورؤساء العشائر في كوردستان الذين لم يكونوا مؤهلين للقيام بالدور المطلوب إضافة إلى انحيازهم مع السلطة الحاكمة، وترك الشعب في أغلب الأحيان تحت رحمة جباة الضرائب والجندرمة التركية، وكرد فعل أزاء هذه الأوضاع ازداد نفوذ الهيئات الدينية التي كانت قد ظهرت في كوردستان مثل النقشبندية والقادرية.

وتولى قيادة هذه الطرق أناس من ذوي العلم والمعرفة الدينية، وكانوا يؤدون أدواراً فعالة في تخفيف الظلم الذي يصيب الفلاحين، فعلت مكانتهم في نفوس الكورد إضافة إلى أن بعضهم قد اتسم بالورع والزهد[2] مثل الشيخ عبيد الله النهري، الذي تجسدت مشاعر الكورد حول شخصيته المتميزة بالصلاح وحسن القيادة، فبرز في هذه الحقبة كقائد ديني وزمني، لقي تأييداً واسعاً من الكورد[3]

---

(1) الشيخ عبيد الله النهري: هو ابن الشيخ أحمد شهاب الدين من أسرة (سيدان) الساكنة في (نهري=نەري) الواقعة في منطقة شمدينان بكوردستان تركيا، ولد عام (1247هـ-1831م) بنهري، وكان خليفة مولانا خالد النقشبندي، ساعد الجيش العثماني في الحرب الروسية سنة (1877-1878م) ثم طالب بالاستقلال الداخلي لكوردستان لكن العثمانيين لم يصغوا إلى طلبه لذلك أعلن الثورة سنة (1880م) للوصول إلى غايته، توفي سنة 1900م في مدينة الطائف. ينظر إلى محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان في العهد الإسلامي، ج2، ص54.

(2) جواد فقي علي: الشيخ خالد النقشبندي ومنهجه في التصوف، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، 1997م، ص11، و منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص270-275.

(3) خالفين: الصراع على كوردستان، ص118.

حيث يدعم آراءه السياسية بالحجج الدينية، مستفيداً من الخط العام للجماهير الكوردية نحو الحكام العثمانيين[1] ويمكن عده البذرة الأولى للحركة القومية الكوردية الحديثة ولهذا أطلق عليه الكورد لقب (أبو الكورد)[2] وتعد ثورته من أهم الثورات الكوردية في القرن التاسع عشر، وذلك لاتساعها وشمولها وأهدافها القومية الواضحة، ويشبه أحد الباحثين[3] ثورة الشيخ عبيد الله النهري بثورة (إسماعيل الصفوي) وذلك لأن نفوذ كل منهما كان مستمداً من الدين، وكان هدف الشيخ واضحاً، وهو إقامة دولة كوردية[4] موحدة تؤمن حقوق كافة الأقليات، وتظهر أهمية موقع كوردستان للعالم، وقد عمل الشيخ على إخراج القضية الكوردية من الزاوية الإقليمية إلى رحاب عالمية[5].

وكانت نظرته قومية شمولية لأكراد الدولتين العثمانية والإيرانية، وأولى الشيخ أهمية كبرى إلى انتفاضة الشعب الكوردي في كوردستان تركيا وكوردستان إيران في آن واحد ولهذا الهدف عقد مؤتمرين لرؤساء العشائر الكوردية في (نهري) و(ناوجه) عام (1880م) وأنشأ عصبة الكورد[6]، وألقى الشيخ خطبة فيهم كان لها أثر عظيم في توحيد صفوفهم وقال في خطبته: (قبل خمسمائة وخمسين عاماً تأسست الامبراطورية العثمانية وتسلمت الحكم من غير أن تكون مستحقة له، وبعد مضي أربعمائة سنة إلى خمسمائة سنة من حكمها أحادت عن الإسلام، وقبلت العلمانية، مما أضعفت قوتها، وبدأت تقترب من السقوط والانهيار بصورة سريعة، بحيث لا يدع مجالاً للشك بأنها ستنهار قريباً.

يا أبناءنا الأعزاء:

لنستمع إلى وصية آبائنا وأجدادنا... ولا نقبل بالظلم والاضطهاد، والذي

---

(1) لمزيد من التفاصيل عن منزلة الشيخ عبيد الله النهري ينظر إلى مجلة القفقاس، العدد (298) لسنة 1880م.

(2) جليلي جليل: الحركة الكوردية في العصر الحديث، ص107.

(3) باسيل نيكيتين: الأكراد، ص181.

(4) بليج شيركوه: القضية الكوردية، الكورد في ماضيهم وحاضرهم، ص59.

(5) الكتاب الأزرق في تركيا (1881م) رقم (5)، ص16، نقلاً عن خالفين: الصراع على كوردستان، ص126.

(6) لمزيد من التفاصيل ينظر إلى جليلي جليل: الانتفاضة، ص104-106.

يتعرض له شعبنا من الترك، حتى نتخلص منهم، ولا يقتصر ذلك علينا نحن الكورد في الدولة العثمانية، بل أن الأمر كذلك فيما يخص الكورد في إيران، فالدولتان تحولان دون تقدم الكورد...).

لقد كانت الظروف السياسية الدولية مساعدة لقيام الثورة الكوردية، التي نالت تأييداً من خديوي مصر وشريف مكة[1]. وقام الشيخ بأنشطة دبلوماسية لحشد التأييد العالمي للثورة الكوردية وبعث برسائل إلى عدد من المسؤولين في الدول الإقليمية وممثلي بعض الدول الأوربية مثل بريطانيا وروسيا وغيرهما، شارحاً في تلك الرسائل الظلم الذي يلاقيه الكورد على أيدي الدولتين العثمانية والإيرانية[2].

وبعد كل هذه الاستعدادات، بدأ الشيخ عبيد الله عام (1880م) تنفيذ خطته في الهجوم على الأراضي الفارسية، حيث تمكنت قواته من الاستيلاء على مناطق في غرب فارس مثل (أورميا، ولاهيجان، وسردشت، ومراغه ومكري) دون مقاومة من القوات الفارسية. وعقب هذه الانتصارات انضمت إلى الثورة جميع العشائر الكوردية في بلاد فارس تقريباً[3] وتمكنت هذه القوات من الوصول إلى مشارف مدينة (تبريز)[4].

والحقيقة أن هذه الانتصارات تمت على القوات الفارسية بسبب موقف الدولة العثمانية الضعيف عسكرياً والمؤيد سراً للحركة الكوردية، حيث لم تقم الحكومة العثمانية في بداية الأمر بتحشيد قوات لمقاومة الثورة[5]. وكانت الحكومة العثمانية ترجح بأنه في الإمكان استخدام الكورد كسلاح ضد الفرس.

كانت للحركة الكوردية صدى في العديد من المناطق الأخرى كما أن الصحافة تطرقت إلى أحداثها فجريدة (الوقت) التركية كتبت في عددها (1868) الصادر

---

(1) خالفين: الصراع على كوردستان، ص118. وصبرية أحمد لاي: الأكراد في تركيا، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، بغداد، تداول محدود، رقم (22).

(2) احمد عثمان أبو بكر: نصوص ثلاث رسائل للشيخ عبيد الله النهري، مجلة شمس كوردستان، العدد (69)، نيسان، 1985م.

(3) جليلي جليل: انتفاضة الكورد، ص77.

(4) خالفين: الصراع على كوردستان، ص129.

(5) المصدر نفسه: ص29.

عام (1880م) تقول: (إن الكورد عاشوا في ظل الاضطهاد وكأنهم مجبرون على دفع الضرائب)، وكتبت جريدة التايمس اللندنية الصادرة في 1880/11/17م تقول: (إن نجاحات الأكراد المتواصلة إنما جاءت نتيجة لاستقبال الأكراد لعبيد الله كزعيم منقذ لهم). لقد أثارت الأحداث في كوردستان قلقاً بالغاً في الأوساط الفارسية الحاكمة في طهران التي كانت تنظر إلى سقوط مدينة (تبريز) على أنه نذير بسقوط حكم الشاه فيها.

ولكن كان لأحداث الحركة الكوردية مدى أوسع في الأوساط العثمانية الحاكمة وكانت ترغب في أن يؤدي نجاح الحركة في فارس إلى إضعاف جارتها الحكومة الفارسية وفي الوقت نفسه كانت تخشى أن يؤدي نجاح الحركة إلى الامتداد في الأراضي العثمانية[1].

ولذلك كان الطرفان العثماني والفارسي قد اتخذا الاستعدادات لمواجهة الحركة والتجأ الشاه الفارسي إلى طلب المساعدة من روسيا[2]. واستجابت الحكومة الروسية لطلب الشاه وقامت بتحشيد بعض قواتها في المنطقة المتاخمة للحدود الفارسية لمنع القوات الكوردية من تخطيها[3].

أما الجانب العثماني فكان يخشى من أن تتطور الأمور باتجاه لا يتفق ومصالحه، فاتخذ الاحتياطات العسكرية وأحاط بالقوات الكوردية[4] وتخلت الحكومة العثمانية عن المساندة الخفية التي كانت تقدمها للكورد، ووقفت إلى جانب الفرس والروس في محاصرة القوات الكوردية[5].

وهكذا أصبحت القوات الكوردية محاطة بقوات هائلة، وبعد معارك حامية بين القوات الكوردية والقوات المعادية المتحالفة اضطر الزعيم الكوردي الشيخ عبيد الله النهري إلى التراجع مع قواته إلى منطقة شمزينان مقره الأول في

---

(1) جليلي جليل: انتفاضة الأكراد، ص82.

(2) خالفين: الصراع كوردستان، ص131.

(3) المصدر المذكور، محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد، ص258، و سيد عبد العزيز الشمزيني: الحركة القومية التحررية للشعب الكوردي، أطروحة دكتوراه، جريدة خبات، العدد (211) في 6/ مايو، 1960م.

(4) جليلي جليل: انتفاضة الكورد، ص92.

(5) خالفين: الصراع على كوردستان، ص133.

كوردستان تركيا[1].

وفي هذه الأثناء اقترحت الحكومة العثمانية على الشيخ عبيد الله الحضور إلى استانبول للتفاوض حول المطالب الكوردية وقد انخدع القائد الكوردي بذلك وسافر في عام 1881م إلى دار السلطنة العثمانية واستقبله السلطان عبد الحميد الثاني باحترام وتقدير، وأحاطت به قوات كبيرة من الجيش العثماني، وكان هذا الاستقبال من باب المخادعة[2] وبقي الشيخ هناك حتى عام 1882م حيث تمكن القائد الكوردي من الهرب من استانبول عن طريق قفقاسيا حيث وصل إلى كوردستان تركيا، واثار خبر عودته مشاعر الحماس في نفوس الكورد من جديد وتهيأت العشائر لمساندته إلا أن المجال لم يكن كافياً لجمع الشمل وتنظيم القوات حيث ساعدت القوات العثمانية في عام 1883م من القبض عليه، وأبعدته إلى الموصل ثم إلى مكة المكرمة حيث توفي فيها عام (1888م)[3].

حركة الشيخ عبد السلام الثاني البارزاني:

اكتسبت أسرة[4] الشيخ عبد السلام الثاني البارزاني مكانة دينية منذ قرون

---

(1) مينورسكي: الأكراد، ص28.

(2) جليلي جليل: انتفاضة الكورد، ص93.

(3) باسيل نيكيتين: الأكراد، ص197.

(4) أسرة شيوخ بارزان إنها معروفة في صفحات التاريخ ومشهود فضلها في الأوساط العلمية والدينية، ورائدة في قيادة الحركات الكردية، برزت بمشيختها للطريقة النقشبندية حيث أسس الشيخ الملا عبد الله البارزاني أحد أجداد الأسرة (تكية بارزان النقشبندية) في قرية (بارزان) سنة (1241هـ-1825م) وكان قد اخذ الخلافة من الشيخ طه النهري خليفة مولانا (خالد النقشبندي). ونسب هذه السلالة الطيبة هو: عبد السلام الثاني بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد السلام الأول بن الملا عبد الله بن حاجي ملا محمد بن ملا عبد الرحمن بن ملا تاج الدين وينتهي نسبه الشريف إلى العلامة الشهير ملا عبد الرحيم أستاذ ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة (852هـ-1449م) ونورد بعض التوضيحات عن مؤسس التكية النقشبندية وذريته: الملا عبد الله البارزاني الملقب (تاج الدين): هو رأس عائلة شيوخ بارزان، كان رجلاً متضلعاً في كثير من العلوم تقياً ورعاً قصد للارشاد ونشر الطريقة النقشبندية في بارزان، فأمه الناس في تلك الأصقاع توفي عن أولاد أشهرهم الشيخ عبد السلام الأول والشيخ عبد الرحمن والشيخ عبد الرحيم، فالأول خلف والده على التكية والثاني كان من مشاهير العلماء وقد أسلم على يده كثير من اليهود والنصارى، أما الشيخ عبد السلام الأول الذي ولد في حدود سنة (1196هـ-1782م) فكان عالماً عاملاً وله مؤلفات في الفقه وأصول الفقه، وأما الشيخ محمد فقد جمع بين

عديدة، وأخذت اسمها من اسم المنطقة التي عاشوا فيها وهي قرية بارزان التي تقع بين رواندوز شرقاً والعمادية غرباً وبين الزاب الكبير جنوباً والحدود التركية شمالاً، وقد تولى الشيخ عبد السلام البارزاني رئاسة الأسرة بعد والده الشيخ محمد عام 1903م وكان يتمتع بنفوذ كبير في المنطقة الكوردية.

لقد قام بإصلاحات جذرية في كوردستان العراق منها قيامه بتوزيع الأراضي على الفلاحين وإلغاء المهر المكلف وتنظيم العلاقات الاجتماعية، كما قام ببناء مسجد في كل قرية تابعة لإدارته، وعين مجالس للإشراف على شؤون القرى، وشكل قوة مسلحة من كل عشيرة وكان يرى أن الجهل من أهم أسباب تخلف الكورد في كل المجالات، لذا أولى اهتماماً متزايداً بفتح المدارس كما كان على اطلاع بأنشطة الجمعيات الكوردية في الخارج ومن المؤيدين لها[1].

لقد قام الشيخ عبد السلام الثاني البارزاني ورؤساء آخرون بجولة في منطقة بهدينان سنة 1907م وعقدوا اجتماعاً في مدينة دهوك بدار الشيخ محمد البريفكاني وقرروا بالاجماع اختيار الشيخ عبد السلام الثاني رئيساً للرابطة الكوردية، وكتب المجتمعون مذكرة إلى الحكومة العثمانية في استانبول، وبعثوا نسخاً منها إلى الجنرال شريف باشا ممثل الأكراد في عصبة الأمم، وأمين عالي بدرخان وكان نص المذكورة كالآتي:

أولاً: أن تكون اللغة الكوردية لغة رسمية في منطقة بهدينان.

ثانياً: جعل التعليم باللغة الكوردية في المدارس.

ثالثاً: تعيين الموظفين الكبار من القائمقامين ومديري النواحي ممن يحسن

السلطتين الدينية والزمنية وفي أواخر أيامه قبضت عليه السلطات الحكومية ثم أطلقت سراحه ثم توفي عن خمسة أولاد هم الشيخ عبد السلام الثاني والشيخ أحمد والشيخ محمد صديق والملا مصطفى البارزاني والشيخ محمد ولهم جميعاً أولاد وأحفاد. وأما الشيخ عبد السلام الثاني، موضوع البحث فقد تولى زمام الخلافة في التكية بعد وفاة والده عام (1903م) وامتد نفوذه الديني والزمني إلى مناطق واسعة في كوردستان ثم أعدم لأسباب سياسية. للتفاصيل يراجع: عبد المنعم الغلامي: الضحايا الثلاث، مطبعة الهدف، الموصل، 1988م، ص29-30. و محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية، ص153-154. ومسعود البارزاني: الحركة التحررية الكوردية، انتفاضة بارزان الأولى، 1931-1943م، الجزء الأول، كوردستان، 1986م، ص16.

(1) صديق الدملوجي: إمارة بهدينان، ص95. وشاكر صابر الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، مطبعة دار البصرة، 1966م، ص92.

اللغة الكوردية، حتى يتفاهموا بصورة مباشرة مع السكان المحليين.

رابعاً: تجري الأحكام وفق الشريعة الإسلامية.

خامساً: أن يكون القضاة على المذهب الشافعي في المنطقة.

سادساً: تؤخذ الضرائب من السكان حسب الشريعة الإسلامية.

سابعاً: تبقى ضريبة بدل الخدمة العسكرية كما هي على ان تخصص لإصلاح الطرق في منطقة بهدينان[1].

إن هذه المطاليب ليس فيها ما يشير إلى نزعة الاستقلال أو الانفصال عن الدولة إلا أن أية حركة تقوم بها هذه العناصر في طلب الإصلاحات يعدونها انفصالية ويقاومونها، لقد كان الاستقلال الإداري هدفاً يطالب به الكورد والعرب وهذا النوع من الحكم هو الذي أقره مؤسس الدستور العثماني مدحت باشا، وسار عليه في ولايته على الدانوب (طونه وبغدان) و(الشام) و(أزمير).

ومع ذلك فلم يثبت أن الشيخ عبد السلام كان يهدف إلى الاستقلال ولم تكتف الحكومة العثمانية بعدم الإجابة على مذكرته الإصلاحية بل اعتبرتها خطوة خطيرة ترمي إلى الانفصال وقام والي الموصل (فاضل الداغستاني) بإرسال قوات عسكرية إلى منطقة بارزان ودمرت الكثير من القرى الكوردية، وهدمت التكية النقشبندية البارزانية، ونتيجة لذلك انسحب الشيخ وطالب بالمفاوضات ولكن والي الموصل رفض فكرة التفاوض مما اضطر الشيخ للهجوم على الجيش الغازي وأوقع فيه خسائر فادحة، وأحرز انتصارات باهرة على المعتدين إلا أن السلطات العثمانية بجيشها الجرار استطاعت في النهاية شل الحركة والمقاومة، ولجأ إلى منطقة هكاري شرق الأناضول[2].

واعتقلت السلطات التركية على أثر ذلك عدداً من أعوانه ونفت أسرته إلى الموصل[3]. وتمكنت السلطات العثمانية من إلقاء القبض عليه وهو في طريقه إلى كوردستان إيران بواسطة بعض عملاء العثمانيين لقاء مكافأة، ويحاكمه والي

---

(1) صديق الدملوجي: إمارة بهدينان، هامش ج، ص99. و مسعود البارزاني: الحركة الكوردية التحررية، ص19.

(2) ويكرام: مهد البشرية، ص121-123.

(3) صديق الدملوجي: اليزيدية، ص511.

الموصل آنذاك (سليمان نظيف)[1] أمام مجلس عرفي، ويحكم عليه بالاعدام في الأول من كانون الأول عام (1941م) دون انتظار موافقة السلطات العليا في استانبول كما هو متبع في حالات الاعدام[2].

موقف علماء كوردستان من الانتفاضات المناهضة للحكم العثماني:

ابتداءً يجب أن نقسم الفترة التاريخية من سنة 1876 ولغاية 1924م تنحية آخر خلفاء العهد العثماني، حيث تسمى هذه المدة كلها العهد العثماني بالرغم من اضمحلال الخلافة عقب عام 1908م ولم يبق لها سوى الاسم فقط، فالمرحلة الأولى هي من بداية اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني العرش وتسنمه خلافة المسلمين وذلك في سنة 1876م ولغاية سنة 1908م ميلاد انقلاب الاتحاديين.

لقد حدثت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني انتفاضات منها:

- المظاهرات التي شهدتها استانبول في 5 آذار سنة 1877م والتي طالبت بإعادة مدحت باشا.

- في سنة 1878م نشبت انتفاضة خطيرة قادها علي سعاوي (1838-1878م) استهدفت تنحية السلطان، ولكنها فشلت لانكشاف أمرها.

- ظهرت المعارضة المنظمة في سنة 1889م حينما تأسست (جمعية الاتحاد والترقي) وكانت ترمي إلى الإطاحة بالسلطان، وتمكن السلطان من اعتقال بعض المتآمرين ونفي الآخرين.

- كما حاول صباح الدين[3] القيام بانقلاب ضد السلطان في أواخر 1902م

---

[1] سليمان نظيف باشا: هو ابن سعيد من أكراد (دياربكر)، وأمه يزيدية من عشيرة (الخالتية) فهو كوردي أباً وأماً، تخرج من المدرسة الملكية الشاهانية في استانبول، وكان على كورديته، يتشيع للطورانية، ومن أهم العناصر في جمعية الاتحاد والترقي. ينظر إلى: صديق الدملوجي: إمارة بهدينان، ص198.

[2] للمزيد من التفاصيل: ينظر إلى: المصادر السابقة، عبد المنعم الغلامي: الضحايا الثلاث، ص47-49. وصديق الدملوجي: إمارة بهدينان، ص89. ومسعود البارزاني: الحركة التحررية الكوردية، ج1، ص21.

[3] صباح الدين: هو ابن الداماد محمود باشا (صهر السلطان عبد الحميد الثاني) بن الأمير خليل باشا، وكان محمود باشا يلح على السلطان عبد الحميد الثاني لإعادة دستور 1876م، ولما لم تنفع محاولاته تلك، هرب من البلاد مع ولديه (صباح الدين، ولطف الله) في سنة 1899م،

ولكنه فشل في مبتغاه.

- وشهدت أوائل القرن العشرين اتساع دائرة تأسيس الجمعيات المناهضة للسلطان عبد الحميد، ومنها (جمعية الوطن) التي تأسست قبل سنة 1904م وكان أحد أعضائها مصطفى كمال أتاتورك، كما تأسست حوالي سنة 1906م (جمعية الحرية العثمانية) في سلانيك[1].

فبالنسبة للانتفاضات المذكورة التي قامت مضادة ومناهضة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني، فقد سبق وأن ذكرنا أن السواد الأعظم من علماء كوردستان كانوا مؤيدين للسلطان ومستنكرين لتلك المواقف المعادية مستندين في مواقفهم إلى الحجة الشرعية وهي إطاعة ولي أمر المسلمين وتحريم التمرد عليه وعصيان أمره[2].

المرحلة الثانية: تبدأ من عام 1909م حينما نفذ الاتحاديون مخططهم الرهيب بخلع السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يعني خلع الشريعة كنظام و منهج وميلاد العلمانية في المجتمع العثماني، ويمكن اعتبار هذه المرحلة بداية لبلورة معارضة قوية من علماء الدين في كوردستان للحكم العثماني (إذا جاز التعبير) بعد عام 1909م وقد عبر هؤلاء العلماء عن عدم رضاهم من السياسة الجديدة المفروضة على الدولة بل والقيام في أغلب الأحيان بثورات وانتفاضات عديدة ضد أولئك الذين أسقطوا السلطان عبد الحميد ومن تلك الثورات:

- ثورة بدليس: قامت هذه الثورة في ولاية بدليس بكوردستان تركيا قبل الحرب العظمى بسنة أي في عام 1913م بزعامة مجموعة من العلماء وهم: الملا سليم، والملا شهاب الدين، والملا علي، وامتد لهيبها إلى مناطق واسعة من

وقرر السير قدماً للكفاح ضد عبد الحميد، ولما توفي محمود باشا سنة 1903م انتقلت القيادة إلى (صباح الدين) الذي كان شاباً في منتصف العقد الثالث من العمر، فوجه نداءً إلى العثمانيين للاجتماع في مؤتمر لبحث الوسائل التي يمكن بها إقامة الحرية والعدالة في تركيا. وفي 4 شباط 1902م عقد مؤتمر باريس لتوحيد جمعيات تركيا الفتاة، وأدى الأمر إلى تأسيس (جمعية المبادرة الخاصة واللامركزية) بزعامة صباح الدين.

ينظر إلى: أرنست أ. رامزور: تركيا الفتاة وثورة 1908م، ص12، 83، 92، 93، 101. وأحمد نوري النعيمي: الحياة السياسية في الدولة العثمانية، ص75، 80.

[1] رامزور: تركيا الفتاة وثورة 1908م، ص68-69، 120.

[2] يراجع الفصل الثالث وما بعده للاطلاع على توثيق ما ذكرناه مفصلاً.

كوردستان تركيا، وكانت تهدف إلى مناوءة الحكم الاتحادي وإعادة الخلافة بصورة حقيقية، ولكن القوات التركية أدركتها حالاً وقضت عليها فوراً قبل أن يستفحل أمرها وتمكن القائد الأعلى للثورة الملا سليم من اللجوء إلى القنصلية الروسية فلبث فيها حتى إعلان الحرب العظمى حيث اقتحم الترك القنصلية المذكورة وأخرجوه منها عنوة وأعدموه[1].

- ثورة الملا سعيد البيراني[2]: دعا الملا سعيد البيراني الأكراد إلى انتفاضة ضد الجمهورية التركية وكان يحتبس أنفاسه من الوضع المنحرف الذي أتى به الاتحاديون منذ عام 1909م. وكان يتحين الفرصة ويتأهب للانطلاقة المناسبة فكان على موعد مع انتفاضة 1925م ولبى الكورد نداءه، وخلال لحظات أصبحت كوردستان كتلة نارية، وقد علق على جدران مدينة (دياربكر) منشورات تتضمن منهاج الثوار حول إعادة الشريعة الإسلامية في التحكيم، وتنصيب سليم أفندي نجل السلطان عبد الحميد سلطاناً وخليفة، ورفعوا علماً إسلامياً أخضر معلنين الجهاد المقدس ضد الجمهورية التركية العلمانية[3].

موقف الأسرة البرزنجية الدينية وعميدها الملا سعيد[4]:

كانت هذه الأسرة قد اتخذت من انقلاب 1908م موقفاً عدائياً بسبب علاقاتها الوطيدة مع السلطان عبد الحميد الثاني، وخوفها من أن يؤدي الانقلاب إلى القضاء على مشيختها الدينية، فقام الملا سعيد بتحريض أتباعه ومريديه والعشيرة الهماوندية الشجاعة على الانتفاضة ضد حكومة الاتحاديين، وعندما اندلعت الاضطرابات استخدمت حكومة الاتحاديين قوات عسكرية كبيرة لضرب الانتفاضة، مما أدى إلى قمع الانتفاضة والقضاء عليها وذلك في عام 1909م، واستمر زعماء السليمانية والعشيرة الهماوندية في مواقفهم السلبية تجاه السلطة التركية الاتحادية حتى عام 1911م[5].

---

(1) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص273.

(2) سبقت ترجمته.

(3) كمال مظهر: انتفاضة 1925م في كوردستان تركيا، ط1، لبنان، بيروت، 2001م، ص126-127، ومنذر الموصلي: عرب وأكراد، ص466.

(4) سبقت ترجمته.

(5) إبراهيم خليل أحمد: ولاية الموصل، دراسة في تطوراتها السياسية 1908-1922م رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، 1975م، ص89-95.

أما زعيم الانتفاضة الملا سعيد البرزنجي، فقد صدرت الأوامر إليه بالذهاب إلى الموصل، وهناك دبر أمر قتله من قبل الاتحاديين سنة 1909م.

بديع الزمان الملا سعيد النورسي (1876-1960م):

لقد عاش النورسي حياة سياسية فعالة في مرحلة المشروطية الثانية، وشوهد في البداية مع معارضي السلطان عبد الحميد الثاني، ثم اتخذ موقفه ضد حركة (جون ترك)، ويمكن أن نعد وجوده بين مؤسسي جمعية (الاتحاد المحمدي) التي أسست قبل أحداث 31 آذار، مارت 1909 بفترة قصيرة، عبارة عن إبراز للمعارضة بشكل بين، كما أن هذه الجمعية وصحيفة (فولكان Volkan) الناطقة باسم الجمعية كانت متهمة بالتورط في أحداث 31 آذار 1909م، حتى أنه تم إعدام صاحب الصحيفة ومديرها المسؤول (درويش وحدتي) ورغم أن الملا النورسي ينكر أنه من المشاركين في العصيان، إلا أنه من الواضح أنه كان يعارض إدارة (جون ترك)، وكان يقول لحركة (جون ترك): (لقد أسأتم للدين، وتعرضتم لدين الله، وأضعفتم الشريعة، وستكون نتيجة ذلك وخيمة). وكان ينطق باسم الأوساط الإسلامية المعارضة للمستغربين، وكانت جمعية (الاتحاد المحمدي) تتهم حركة (جون ترك) باتباعها سياسة قمع إرهابية، ومهاجمتها للمؤسسات الإسلامية[1].

الكورد في البرلمان العثماني:

من الأحداث السياسية الهامة التي شهدتها كوردستان في العهد الدستوري مشاركة الكورد في البرلمان العثماني الثاني، حيث أصدر السلطان عبد الحميد الثاني (1876م-1909م) مرسوماً إلى الولاة كافة دعاهم فيه إلى إجراء الانتخابات لأعضاء البرلمان الثاني بموجب دستور عام (1876م)، وبدأت الانتخابات في العراق في خريف سنة (1908م)، وقد اسفرت الانتخابات عن انتخاب نواب عن كافة الولايات في العراق فكان من بينهم نواب كورد، تنوعت نشاطاتهم داخل أروقة البرلمان العثماني وهم كالآتي:

أولاً: إسماعيل حقي بابان: وهو ابن مصطفى ذهني باشا المولود في بغداد عام

[1] المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي، تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي، الهيئة العلمية، أ. د نوزاد يالجين طاش وآخرون، ترجمة البحوث من التركية إلى العربية، أورخان البياتي وآخرون، ط1، استانبول، 1996م، ص3،4.

1876م، رشح نفسه على قائمة الاتحاد والترقي واختير نائباً عن بغداد[1]، وتولى منصب وزارة المعارف عقب الانقلاب العثماني عام 1908م، وله مؤلفات عديدة باللغة التركية[2].

ثانياً: سعيد باشا بن حسين بك، من أهل مدينة السليمانية له الفضل في افتتاح المدرسة الرشيدة في المدينة. تسلم وزارة الخارجية عام 1886م. وعين سفيراً فوق العادة في برلين، ووقع عليه الاختيار بعد الانقلاب لتولي رئاسة مجلس الأعيان وكالة، توفي عام 1908م[3].

ثالثاً: الملا سعيد أفندي الكركوكلي أختير نائباً عن مدينة السليمانية[4].

رابعاً: حكمت بابان، نائباً عن السليمانية[5].

خامساً: محمد علي الحاج مصطفى قيردار، نائباً عن كركوك[6].

سادساً: جميل صدقي الزهاوي، أختير نائباً عن بغداد، وهو كوردي الأصل من مدينة السليمانية وأصبح عضو البرلمان عام (1908م)[7].

سابعاً: توفيق بك، مثل كورد منطقة (وان) في كوردستان تركيا، وكان له ابن يدعى فؤاد تمو، الذي كان له الدور الأساسي في تأسيس جمعية (هيفي) الكوردية[8].

ثامناً: نائب كوردي في منطقة ديرسم (لم يذكر اسمه) كان من المعارضين بشدة لسياسة الاتحاديين في البرلمان[9].

---

(1) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج8، ص165.

(2) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج1، ص111.

(3) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص257.

(4) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج8، ص165-167.

(5) عصمت برهان الدين: العرب والمسؤولية الدستورية في الدولة العثمانية، 1876-1914م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995م، ص121.

(6) عبد الله محمد علي: كوردستان في عهد الدولة العثمانية، ص190.

(7) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص254.

(8) زنار سلوبي: في سبيل كوردستان، ترجمة ر. علي، دار الكاتب، بيروت، 1987م، ص26.

(9) ف. م. كرديفسكي: مؤلفات مختارة، ج3، (تاريخ وثقافة)، موسكو، (باللغة الفارسية)، 1962م، ص83.

تاسعاً: لطفي فكري، أصبح عضواً للبرلمان وكان من أعداء الاتحاديين، وتمكن بمشاركة بعض الكورد من تأسيس حزب (المجد) في استانبول، وكان من العلمانيين[1]. ومن البديهي في القاموس السياسي أنه لا تعارض بين أن يكون عدواً لدوداً للاتحاديين بسبب مواقفهم السلبية من القضية الكوردية، وبين أن يكون علماني الأيديولوجية ومن دعاة الفصل بين الدين والدولة.

عاشراً: فاز كل من ابني بدرخان بك، حسن وحسين في انتخابات 1910م، ممثلين لكوردستان في مجلس المبعوثان، لكن الاتحاديين لم يعترفوا بفوزهما وطاردوهما فلجئا إلى الجبال، ونتيجة لهذه السياسة العنصرية انتظم أكثرية الكورد في منطقة بدليس في عضوية حزب (الحرية والائتلاف)[2].

نظرة بعض علماء كوردستان للوضع السياسي

لا ينكر قطعاً ما تركه الإسلام من تأثير مباشر في المجتمعات الكوردية بواسطة الأدوار التي قام بها علماء الكورد، فقد جاهد الكورد على امتداد العصور وقاتلوا من أجل نصرة إعلاء شأن الإسلام، فكانت لهم جولات وصولات بقيادة علمائهم، ما تزال ذكراها ترن صداها في التاريخ الإسلامي، وإن الكورد وقيادتهم الدينية وحدهم - من دون سائر المسلمين تقريباً- حملوا السلاح دفاعاً عن الخلافة الإسلامية العثمانية مطالبين بإعادتها بعد إلغائها في العشرينات من القرن الماضي على يد أتاتورك، ففي 13 شباط (فبراير) 1925 قاد الشيخ سعيد بيران شيخ الطريقة النقشبندية ثورة مسلحة ضد حكومة أتاتورك وكان من بين أهداف الثورة إعادة الشريعة الإسلامية منهجاً ودستوراً في كافة مفاصل الحياة، وتنصيب سليم نجل السلطان عبد الحميد الثاني خليفة للمسلمين، تيمناً وتفاؤلاً بوالده عساه أن يسير على نهج والده في التدين والحكم[3].

ويذكر في هذا الصدد بأن الكورد في العهد الحميدي ومن منطلق تأثرهم بعلماء الدين قد احتلوا حيزاً كبيراً من اهتمامات السلطان عبد الحميد الثاني فقد اعتمد على بعض الكورد ووثق الصلات مع علمائهم، واشتهر عن السلطان بأنه لم

---

[1] لازاريف: طريق الكورد، ترجمة كاوس فقطان، مطبعة الجاحظ، بغداد، 1989، ص225.

[2] جليلي جليل: نهضة الأكراد، ص193.

[3] منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص26.

يكن يثق كثيراً بالأتراك من حوله فوضع ثقته بالأقليات في الحكومة العثمانية واعتمد في إدارة شؤون العامة عليها، كما خص الكورد والأقليات الأخرى بمناصب رفيعة رسمية ودينية وعسكرية وإدارية، وكان جل اعتماده على الكورد والشراكسة في حرسه الشخصي الخاص لأنهم شجعان ومتعصبون للدين ويحترمون السلطان خليفة المسلمين، ولم يكن للأكراد آنذاك أية تطلعات استقلالية صرفة، فوضعوا مصائرهم مع مصائر الشعوب الإسلامية تحت مظلة الخلافة، وتمكن بعض الكورد المتعلمين من الوصول إلى أعلى وأرفع مناصب الدولة.

لقد كان معظم علماء الكورد يؤيدون الوضع السياسي في كوردستان وذلك من منطلق وجوب إطاعة ولي أمر المسلمين والمحافظة على وحدة الأمة الإسلامية والدفاع عن أراضي المسلمين، وكانوا يرون السلطان عبد الحميد الثاني خير من يمثل ولاية المسلمين ويحافظ على الاعتصام بحبل الله، ويقف مجاهداً لصد مؤامرات الأوربيين والطامعين في تمزيق الأمة وجعلها عرضة للهلاك والقضاء على الحضارة الإسلامية ودولة الإسلام إذ كان السلطان عبد الحميد يومئذ هو الأمير الذي يجب أن يطاع[1].

ولعل من المفيد أن نذكر هنا بأنه بعد إدماج البلاد الكوردية العثمانية (كوردستان الشمالية والجنوبية) بولايتي دياربكر والموصل في منتصف القرن التاسع عشر بدأت تبحث السلطنة العثمانية عن زعامات جديدة تكون موالية لها من جهة وتؤثر في الوسط الشعبي من جهة أخرى، وبما أن السلطنة هي دولة دينية كان لابد لها من الاعتماد على الزعامات الدينية فبدأت هذه الزعامات ببسط نفوذها في أنحاء المنطقة الكوردية، وكانت مهمتها استقطاب الناس من حولها وجذب مشاعرهم الدينية ثم صبها في خدمة الخلافة العثمانية (وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم) وكانت الغاية من هذا المخطط رص صفوف المسلمين وراء قيادة إسلامية موحدة[2].

وتتويجاً لما ذكر نشير في السياق المحرر إلى رؤية علماء كوردستان من الوضع السياسي الماثل في كوردستان أثناء عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-

---

[1] علاء الدين سجادي: مجلة طلاويذ (السهيل) العدد 11، السنة الخامسة، مطبعة المعارف، 1944م، ص13.

[2] علاء الدين سجادي: تاريخ الأدب الكردي، ط2، مطبعة المعارف، بغداد، 1971م، ص241.

1909م وبيان مواقفهم منه، سلباً أو إيجاباً تصريحاً أو تلميحاً او استنتاجاً، ولا يفوتنا أن نذكر بأنه يمكن للمرء سبر أغوار تلك المواقف في مواطن كثيرة من هذا البحث وذلك أثناء عرض سير علماء الكورد سواء المعاصرين منهم للسلطان عبد الحميد، أو أولئك الذين أتوا من بعده، ومع ذلك فلا بأس من توثيق البحث بإيراد مواقف أكثر لعلماء الكورد في هذا الصدد والذين لعبوا دوراً مهماً جداً في التاريخ السياسي للمنطقة الكوردية.

1- الملا صديق بن عبد الله النازنيني: (1886-1956م)

ولد عام 1304هـ-1886م، وتوفي عام 1376هـ-1956م

بعد إكماله الدراسة الدينية ودرس القانون، عين حاكماً وارتقى في وظيفته إلى منصب رئيس المحكمة الكبرى في مدينة كركوك، تولى التصدي من خلال أحاديثه لأولئك الطاعنين في السياسة العثمانية في المنطقة ويدافع عنها بحرارة، ويذكر الناس بوجوب إطاعة السلطان والقبول بأوامره ونواهيه لأنه خليفة المسلمين[1].

2- الملا قادر الكوني (1816-1896م):

ولد في قرية قريبة من مدينة كركوك بكوردستان العراق سنة 1232هـ-1816م توفي سنة 1314هـ-1896م، تلقى العلوم الدينية في قصبة (كويسنجق) وكان مغرماً بحب شعبه ووطنه ولغته القومية، سافر إلى (استانبول) فأصبح استاذاً لأنجال (بدرخان باشا الكبير) وله قصائد تتضمن الشكوى المرة من حالة شعبه وتأخره من النواحي المختلفة، ولعل مرد شكواه في المقارنة بين ما شاهده في استانبول من تقدم وازدهار حضاري وعمراني وبين كوردستان في ما هي عليه من تخلف قياساً إلى استانبول، ولعل هناك سبب آخر في حكمه وهو أنه لم يعش إلى نهاية حكم السلطان عبد الحميد الثاني[2].

3- الملا عبد الرحمن القرداغي (1837-1916م):

ولد سنة 1253هـ-1837م، وتوفي سنة 1335هـ-1916م.

درس العلوم على والده الملا محمد القرداغي في مسقط رأسه بلدة (قرداغ)

---

(1) صفحات من حياة علماء الكورد، ق2، ص280 (مخطوط).

(2) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكردستان، ج2، ص110.

من أعمال السليمانية، انتظم في مسلك النقشبندية واشتغل بتدريس العلوم، وبناءً على مواقفه المناصرة لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني في كوردستان، وذلك من خلال خطبه التي كانت تدعو إلى تأييد خليفة المسلمين والدفاع عن مكاسب الإسلام المتمثلة في نهج الخلافة، وعليه وبناء على طلب والي بغداد انتقل إلى بغداد ونوى الإقامة فيها، ليكون قريباً من والي السلطان ويقدم له المشورة، لقد كان المترجم له حاد الذهن وله مؤلفات في المنطق وعلم الكلام وعلوم الآلة، وتعليقات على تفسير البيضاوي وغيرها[1].

4- الملا رشيد باشا (1847-1907م):

ولد في إحدى القرى التابعة لمحافظة السليمانية وذلك سنة 1264هـ-1847م وتوفي سنة 1325هـ-1907م.

درس العلوم الشرعية في كوردستان، ثم تولى منصب القائمقامية في بعض أقضية (العراق) و(سورية) وصار عضواً في محكمة الاستئناف في بغداد، ثم شغل متصرفية (كربلاء)[2].

ويفهم من توليه لهذه المناصب السياسية في أماكن متعددة من الامبراطورية العثمانية مع كونه من علماء الدين، أنه كان يبتغي من وراء ذلك تأدية واجب ديني في مشاركته لتنفيذ سياسة الدولة، ومن المتحمسين لسياسة السلطنة في بلاد الكورد.

5- ملا شكري أفندي مفتي العمادية (1868-1938م):

ولد في مدينة العمادية سنة 1285هـ-1868م، توفي سنة 1357هـ-1938م.

درس العلوم الإسلامية على نخبة من العلماء، ثم عين إماماً وخطيباً في الجامع الكبير بقصبة العمادية، كما أسند إليه وظيفة التدريس، لم تخل خطبة من خطبه من الإشادة بالسلطنة العثمانية والثناء على سياسة السلطان في عموم الامبراطورية والمنطقة الكوردية خاصة.

كما كان يكثر من الدعاء بالنصر والفوز لجيش عبد الحميد ويعتبره من

---

(1) عبد الكريم المدرس: تذكار الرجال، ج2، مطبعة المجمع العلمي العراقي، الهيئة الكوردية، بغداد، 1983م، ص222.

(2) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص256.

المجاهدين في سبيل الله[1].

6- الملا عبد القادر أفندي السوركي (1848-1922م):

ولد في مدينة (سورك) بكوردستان تركيا حوالي 1265هـ-1848م وتوفي سنة 1341هـ-1922م، كان فقيهاً بارعاً عالماً بالمعقول والمنقول، وقد قام بالتدريس قرابة خمسين عاماً في (المدرسة الفيضية) في مدينة (سورك) فتخرج عليه علماء كثيرون في العلوم الشرعية والعربية، لم يكن يخالط أرباب المناصب الحكومية ورجال الدولة فلذا رفض تولي منصب الإفتاء الذي عرض عليه مراراً خشية أن يقع فيما لا يتفق ورأيه الشرعي مرة من المرات[2].

وكلامه الأخير يوحي بان السياسة العامة للسلطان والمطبقة في كوردستان قد تكون وفق الشرع ولكنه يخشى من بعض الولاة الضغط عليه في مسألة مخالفة للشرع الحنيف فاحتاط لذلك بعدم تسنم المسؤولية الحكومية.

7- الملا عبد الرحمن أفندي صبري الماrديني (1875-1923م):

ولد بماردين في كوردستان تركيا سنة 1292هـ-1875م، وتوفي سنة 1315هـ-1923م، قرأ العلوم العربية والدينية في مدرسة (الشهيدية) على عمه الملا طه المشكيني وغيره من علماء (ماردين)، خدم الدولة العثمانية قرابة خمس وثلاثين سنة بوظائف متعددة وكان من العناصر الفعالة في الترويج لسياسة الدول على مختلف المستويات ونعتها بالدولة المطبقة للشريعة الإسلامية ويقول: إن أخطاء بعض الأمراء والموظفين لا تعكس سياسة الدولة، وظل في الوظيفة إلى عهد الحكومة الكمالية، فطلب الإحالة على التقاعد نفوراً منه للسياسة الكمالية الشاذة نحو الإسلام[3].

8- الملا سعيد معروف طه (1875-1961م):

ولد في السليمانية سنة 1292هـ-1875م وتوفي سنة 1381هـ-1961م أتم دراسته في المعاهد الدينية، انتخب نائباً عن السليمانية في مجلس المبعوثان (كانون

---

(1) صادق بهاء الدين: شعراء الكورد، مطبعة بغداد، 1973م، ص495.

(2) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص31.

(3) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص15-16.

الأول ديسمبر 1908م) وجدد انتخابه وذلك على ضوء مواقفه من السياسة المطبقة في أنحاء كوردستان، والتي كان يصفها بالسياسة الحكيمة، واختير على إثر تأليف الحكومة العراقية عضواً بمجلس إدارة لواء السليمانية ثم عضواً بمجلس الأعيان (تموز يوليو) 1925م[1].

9- الملا محمد حبيب بن الشيخ علي عبد الرحمن الطالباني (1884-...)

ولد في مدينة كركوك سنة 1302هـ-1884م، وينتمي إلى أسرة لها زعامة دينية ومشيخة صوفية على الطريقة القادرية، درس العلوم الشرعية والعربية، واشتغل بالإمامة والخطابة والتدريس، وكان من المتدحين للسلطان عبد الحميد وسياسة الامبراطورية التي تسير وفق هديه في أنحاء البلاد المعمورة، ثم عين مديراً للناحية في عام 1920م واختير قاضياً شرعياً لكركوك، ثم رئيساً للبلدية، وفي عام 1959م اعتزل الخدمة[2].

10- الملا محمد أفندي بن الحاج الملا عبد الله جلي زاده[٣] (1875-1943م):

كان مما يقوله في خطبه المنبرية أيام الجمع وفي أحاديثه إلى المجتمع في عهد السلطان عبد الحميد الثاني: (يا معشر المسلمين تطاول على بلاد الإسلام الكفرة اللئام، أترضون أن يغلب عليكم الكفار ويوجهوا إلى دينكم أنواع الإهانة؟ الغيرة.. الغيرة يا أمة محمد ﷺ.. الحمية، الحمية لحماية ملة محمد ﷺ يا أمة محمد ﷺ).

وكان يكثر من الدعاء في خطبه (نسألك بجاه محمد المختار أن ترفع حصار الاستعمار من أمة محمد ﷺ في جميع الأقطار) كما كان ينبه إلى الغايات الحقيقية التي تكمن وراء البعثات التبشيرية التي ترسل إلى العالم الإسلامي باسم العلم والتقدم والإنسانية[4].

وهذه كلها إشارات من العالم الجليل للوقوف في صف سياسة الدولة العثمانية.

---

(1) مير بصري: أعلام الكورد، ص167.
(2) عبد الكريم المدرس: تذكار الرجال، مطبعة المجمع العلمي العراق-الهيئة الكوردية، ج2، 1983م، ص207.
(3) سبقت ترجمته.
(4) جامع الخطب = 1/48 مخطوطة في حوزة نجيبة محمد الجلي، أربيل ومحمد الجلي: التكميل في وجوب الفرق بين المحكم والمستحيل، ص18، مخطوط بحوزة نجيبة محمد الجلي، أربيل.

11- الملا إبراهيم بن الملا عاصم الحيدري (1865-1931م):

ولد في مدينة أربيل سنة 1282هـ-1865م توفي سنة 1350هـ-1931م بعد إكماله التحصيل العلمي دخل الوظائف الحكومية وتدرج فيها بسبب إخلاصه للدولة العثمانية وحبه المفرط في منهجية السلطان عبد الحميد الثاني في تسيير دفة الحكم في البلاد والتفاتاته الكريمة نحو رعايا الدولة وذلك بتطبيق العدالة والمساواة.

ومن بين الوظائف التي تقلدها قاضي اللواء، رئاسة لجنة دار الخير السلطانية، ومنصب وزير الأوقاف في الحكومة العراقية المشكلة آنذاك[1].

12- الملا سعيد النورسي[2](1876-1960م):

مع بداية الانقلاب الاتحادي عام 1908م وإعلان الدستور وترديد ألفاظ الحرية على ألسنة الاتحاديين وأعوانهم بدأ جهاد الملا سعيد النورسي السياسي ضد هذه الفترة بحكامها ومفاهيمها، فصرف إلى إلقاء الخطب وكتابة المقالات مبيناً فيها المفهوم الصحيح للحرية النابعة من جوهر الإسلام وحقيقته، وأن الحكم يجب أن يكون للشريعة الإسلامية وفي معنى الحرية يقول النورسي: (بني وطني لا تسيئوا تفسير الحرية كي لا تذهب من أيديكم، إن الحرية لا تنمو ولا تتحقق إلا بتطبيق الشريعة ومراعاة آدابها)[3].

إن هذه المقالات والعبارات القيمة لم تكن تصدر من هذا الفقيه المصلح إلا بعد أن قارن بين أيام ما قبل الانقلاب وبين عهد وتوجهات وطموحات الانقلابيين التي كانت تقود الأمة إلى نفق مظلم وضياع الأمجاد في مهب أعاصير الطغاة.

هذا ومما ينبغي ذكره عقب سرد آراء جمع من علماء الكورد بشأن السياسة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني والمطبقة في كوردستان أن السواد الأعظم من هؤلاء الأفاضل العدول كانوا من المباركين للنهج الحكومي في كوردستان كسياسة عليا للدولة، ومبادئ ثابتة في مركز الخلافة في استانبول، ولا نغفل تلك الهفوات والأخطاء التي كانت تطفو على الساحة نتيجة تصرفات غير مسؤولة من

---

(1) عبد الرزاق الحسن: تاريخ العراق السياسي الحديث، مطبعة دار الشؤون الثقافية، ط7، بغداد، 1989م، ص31-32. ولجنة خاصة: أربيل بين الماضي والحاضر، ص49.

(2) سبقت ترجمته.

(3) سيرة إمام مجدد بديع الزمان سعيد النورسي، بيروت، 1974م، ص30.

قبل بعض الموظفين العثمانيين، فلم يكن العلماء يضعون مثل هذه الزلات في الميزان، حرصاً من العلماء على وحدة الصف الإسلامي في الدولة ولئلا تفتح الثغرات التي قد تؤدي إلى بعثرة الجهود والتصدع في صرح التآخي الوطني والأخوة الإيمانية التي كانت تجمع بين معظم الشعوب الإسلامية في الدولة العثمانية.

الوضع السياسي في العراق وكوردستان عقب إعادة الدستور 1908م

بعد إعادة الدستور في سنة 1908م وتأثير ذلك على شرائح المجتمع العثماني كافة التي كانت تضمها أطراف السلطنة المترامية، تجدر الإشارة هنا إلى بحث الحياة السياسية في العراق على وجه العموم وكوردستان على وجه الخصوص، حيث تعد هذه المرحلة بدايةً لإعادة قراءة جديدة في الحياة السياسية الطارئة، والإفرازات المستجدة التي نشأت مما ألجأت الكثيرين للتشكيك في نوايا دعاة إحياء الدستور وأهدافهم التي قد تتعارض مع الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية التي ألفها الناس والتي كانت مستندة إلى قواعد الشرع الحنيف قبل الحدث.

موقف علماء الدين وغالبية الشعب من انقلاب 1908م.

لقد استاء معظم العراقيين والكورد وعلماء الدين من الانقلاب وأبدوا مخاوفهم منه، فرأى فريق منهم في الدعوة إلى العهد الدستوري إنها دعوة إلى المساواة بين المسلمين وغيرهم، وعلى أنها وسيلة لتجريدهم من امتيازاتهم القديمة، كما عارض مواطنو المدن المقدسة تلك المساواة، ولم يدرك المواطنون معنى الحرية سوى أنها ستؤدي إلى مساواة المسلمين بغيرهم، مما عدوه انتقاصاً من مكانتهم، وذهبوا إلى حد أنهم اعتبروا ترديد شعارات الحرية والعدالة والمساواة بمثابة إهانة لهم[1]. ودفع مثل هذه الاعتبارات الملا سعيد النورسي ليبدأ الجهاد السياسي ضد هذه الفترة وبدأ بإلقاء الخطب موضحاً فيها المفهوم الصحيح للحرية المطلوبة النابعة من جوهر الإسلام وحقيقته وليست تلك التي يريدها الاتحاديون[2]، وسخط فريق آخر على الانقلاب لاعتقادهم بأنها ستحد من سلطة خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني[3].

---

(1) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج8، ص160.

(2) سيرة إمام مجدد. بديع الزمان سعيد النورسي، ص15.

(3) توفيق السويدي: مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العراقية، السنة الأولى، مطابع دار الغد، بيروت، 1969م، ص19.

وقوبل الانقلاب في البصرة بالاستغراب وعدم التصديق[1]، ولم يكن ترحيب مواطني الموصل بالانقلاب نابعاً عن إيمانهم به، بل لأنه كان سبباً في عزل واليهم (مصطفى عابد باشا) الذي كانوا يكرهونه[2].

وأبدت جماهير الكورد تحفظاً من الانقلاب، فقد نظر علماء الدين الكورد إلى الدستور وسيلة للحد من نفوذهم، كذلك أعرب المواطن الكوردي العادي عن مخاوفه من أن يؤدي العهد الدستوري إلى الخروج عن الآداب العامة والتقاليد السارية في المجتمع الكوردي[3]، وبداية للتمرد على الشريعة الإسلامية.

لقد رحب بقيام الانقلاب بعض المثقفين من العرب والكورد الذين وجدوا فيه خطوة نحو التقدم والحرية وفق أهوائهم وحسب تصوراتهم، وكذلك بعض الشعراء من أمثال جميل صدقي الزهاوي الكوردي[4].

كما رحب بالانقلاب المسيحيون واليهود، إذ اعتقدوا أن العهد الجديد سيساوي بينهم وبين المسلمين، وقد أقام اليهود احتفالات ومظاهرات احتفاءً وتأييداً للانقلاب[5].

المشروطية عند الكورد ومفهوم معنى الحرية في انقلاب 1908م

حينما أذيعت المشروطية العثمانية قام الكورد بإظهار الأفراح ليس من شعور بالمشروطية ومعرفة بها، بل هكذا أريد منهم قسراً لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وكلما عرفوه منها أنها تمنحهم الحرية، وتعفو عن المجرم، وتطلق المسجونين، ويطردون الموظف الذي لا يرغبون فيه متى ما أرادوا، ويستبدلونه بغيره، ويكون في مقدورهم عدم دفع الضرائب إلا بمقدار ما يشتهون. أما جماعة العلماء وشيوخ الطرق فإنهم يرون المشروطية أمراً مخالفاً لأحكام الدين، ولكن لا حول لهم ولا قوة على المقاومة وإزالة

---

(1) نجدة فتحي صفوت: العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، منشورات المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1969م، ص77-78.

(2) المصدر نفسه، ص77-78.

(3) صديق الدملوجي: إمارة بهدينان الكوردية، ص155.

(4) يوسف عز الدين: الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص33.

(5) يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مطبعة الفرات، ط1، 1924م، ص179-180.

المنكر، والرجل العادي يرى فيها تشجيعاً للمرأة على العصيان والانسلاخ عن الطاعة، وكانت الفتاة ترى في المشروطية أنها تبيح لها اختيار زوج وتتزوجه دون إرادة أهلها وأولياء أمورها ولها أن تفعل ما تشاء فتحسر عن رأسها وتقصر ثيابها وتستعمل الأصباغ في وجهها والخادم يتمرد على سيده والولد يعق أباه[1].

أما موظفو الحكومة فكانوا يفسرون المشروطية بمعنى آخر، إذ كانوا يعتقدون أنها تجعلهم في مأمن من عقاب القانون عن مخالفاتهم، وهي حصن يلجأون إليه لاسيما من كان منهم منتمياً إلى حزب (الاتحاد والترقي) وكأنه حصل على صك الغفران، وأصبح الأمر وكأن الذين قاموا بالانقلاب وأسقطوا السلطان عبد الحميد الثاني، فمن حقهم أن يتصرفوا بالبلاد وأبنائها كما يحلو لهم.

كان السواد الأعظم من الكورد، قبل إعلان المشروطية ينظرون إلى الدولة العثمانية نظرة تقديس وإجلال على الرغم من كراهيتهم وسخطهم على بعض موظفيها الذين كانوا يسيئون إليهم، وكان الكورد يعتقدون في السلطان قوة مقدسة مستمدة من السماء وطاعته فرض. وهذه العقيدة كانت متأصلة لدى علماء الكورد أكثر، وقد مر بنا ما كان لخطب بعض علماء الكورد من تأثير واستجابة في نفوس الكورد حول ضرورة إطاعة السلطان الخليفة وبعدم مشروعية قتال جيش خليفة المسلمين مما أدى إلى استسلامهم في كثير من الجبهات وضياع إمارتهم[2].

ويمكن القول بأن السلطان عبد الحميد الثاني كان على صواب عندما ألغى الدستور الذي وضعه سنة (1293هـ-1876م)، فلم يمزق الدولة العثمانية وأخرج شعوبها من منظومتها غير الحكم الدستوري الذي لم يحسن الاتحاديون استعماله في تحقيق العدالة والرفاهية لشعوب الامبراطورية بل أرادوا به إرضاء اليهودية والاوربيين وتفريق شمل الأمة الإسلامية، وهذا ما تحقق فعلاً وخسر العالم الإسلامي أقوى ركيزة يعتمدون عليه.

---

[1] صديق الدملوجي: إمارة بهدينان، ص155.

[2] المصدر نفسه، ص157.

موقف علماء كوردستان من الوضع العسكري

في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م

لقد فهم علماء كوردستان من الفقه الإسلامي وجوب إطاعة ولي أمر المسلمين وغرسوا هذا المبدأ في نفوس الكورد بنص منطوق الآية الكريمة التي تأمر الأمة بإطاعة الله ورسوله وأولي الأمر من المسلمين مما يترتب على ذلك بالضرورة وجوب إطاعة خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان قد رشح لتولي أمر الأمة الإسلامية من سنة 1876-1909م من قبل أهل الحل والعقد، ويتحمل المسؤولية الدينية والتاريخية للحفاظ على صون عقيدة الأمة من شرور أعدائها الطامعين في تشويهها وتحريفها ومحاولة التضييق عليها ومحاربتها والحيلولة دون انتشارها والوقوف بوجهها وصدها من تحرير العقول والقلوب من الانحرافات والزيغ.

من وظيفة العقيدة الإسلامية ضمن وظائفها المتعددة في حقول مختلفة أن تسعى لإنقاذ الإنسان من الضياع، وذلك بحكم الآدمية التي يشترك فيها الناس جميعاً، تلك الآدمية التي توجب على القادرين من المنتمين إليها انتشال الناس من الظلمات إلى النور ومن التيه العقدي والفوضى الفكرية إلى منهجية مستقيمة صحيحة، وإنقاذهم من الظلم الاجتماعي والتفاوت الطبقي والتفرقة العنصرية التي استهوتها القوى الاستكبارية وأرادت الهيمنة على المجتمعات الإنسانية وبسط نفوذها، والتي تنبذها الفطرة وتشمئز منها العقول الناضجة، وترفضها مبادئ حقوق الإنسان التي تحرم على أية قوة الاستهتار بها والانتقاص من قيمها وذلك بموجب منهج الإسلام الذي ثبت حرية الفرد منذ ولادته وحرم استعباده بأي شكل من الأشكال.

هذا من جانب ومن جانب آخر يتحتم على ولي أمر المسلمين حماية ممتلكات الدولة والمواطنين والدفاع عنها، وهذا يتطلب منه القيام بإعداد جيش مجاهد ومدرب، وتوفير المستلزمات التي تكفل أسباب النصر والظفر، عملاً بالنص القرآني: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)[1].

---

[1] سورة الأنفال: الآية 60.

وبناء على ما ذكر فقد رأى علماء كوردستان بأنه من الواجب الشرعي على الأمة تهيئة جيش قوي للقيام بواجب الدفاع وحماية ديار المسلمين ويأتمر بأمر الخليفة باعتباره أمير المؤمنين والقائد العام للقوات المسلحة الجهادية، وأنه يجب مؤازرة هذا الجيش وإمداده بكل عناصر القوة.

ومن هذه الاعتبارات نجد هؤلاء العلماء كانوا يؤذنون في الناس من على المنابر وعبر المواعظ ومن خلال المجالس بضرورة انتظام أبناء الأمة في مسلك العسكرية ومقاتلة الأعداء، ولم يتوقف الأمر في هذا الحد عندهم بل حدا بهم الأمر أن شارك كثير منهم بصورة فعلية وفي ساحة الجهاد على رأس فئة مجاهدة او بصورة انفرادية مع الجيش العثماني لمحاربة العدو لتكون كلمة الله هي العليا، والدولة العثمانية التي كانت تمثل الإسلام هي الأقوى، لكي تكون الصورة أوضح لمواقف علماء الكورد إبان عهد السلطان عبد الحميد الثاني من التأييد للوضع العسكري آنذاك، نستشهد بمواقف طائفة من أولئك العلماء:

من المعلوم أ ن الألوية الحميدية التي تشكلت من الكورد عام 1891م كقوة عسكرية جنباً إلى جنب مع الجيش العثماني وذات تأثير فعال في جبهات القتال ضد العدو، وصاحبة الدور المتميز في استقرار الوضع الداخلي ونشر ألوية الأمن في كوردستان لم تكن إلا استجابة بصورة رئيسية لدعوات صادرة من علماء كوردستان موجهة إلى أبناء المنطقة للمساهمة في الدفاع عن الدولة العثمانية المنضوية تحت لوائها شعوب إسلامية كثيرة[1].

1- (كاك أحمد الشيخ المتوفى سنة 1305هـ-1887م)[2] ويذكر في هذا الصدد تلك العلاقات الرصينة بينه وبين السلطان عبد الحميد الثاني، والتي كانت السبب الرئيس التي أثرت في أهالي كوردستان للمشاركة في الحرب ضد روسيا عام 1293هـ-1876م، وأمر بتشكيل قوة عسكرية جهادية بقيادة حفيده (الشيخ سعيد) والتوجه إلى الجهاد في جبهة القفقاس في سنة 1293هـ-1876م[3] ضد أعداء الدولة العثمانية، كما كان لهذا العالم المجاهد دور فعال في تجميع الكورد حول

---

(1) عثمان علي، راية الإسلام، السنة الرابعة، العدد الثالث، أيلول 1993-1414هـ، ص34.

(2) سبقت ترجمته.

(3) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص119، ومجلة راية الإسلام، العدد الثالث، السنة السابعة، أيلول، 1993م، ص34.

الراية الجهادية للسلطان عبد الحميد الثاني، وتحريضهم لحماية الوطن والتصدي للمعتدين.

2- العالم الجليل ملا محمد عبد الله الجلي (المتوفى سنة 1361هـ-1942م)[1] فكان له موقف مشهود من الوضع العسكري إبان عهد السلطان عبد الحميد الثاني. فقد كان يدعو المسلمين للوقوف مع الجيش العثماني في جهاده ضد الغزاة الطامعين في احتلال أرض المسلمين، وحث مواطني كوردستان للذهاب إلى جبهات الجهاد ومنع الأوربيين من تدنيس أرض الإسلام[2].

3- الشيخ عثمان سراج الدين: ولد في سنة 1295هـ-1878م في قرية (طويلة) التابعة لمحافظة السليمانية، وتوفي عام 1383هـ-1963م دخل في الدراسة وحصل على العلوم الشرعية والعربية وأخذ الزهد والسلوك من والده الملا خالد بن عبد الله، ثم أصبح خليفة لمولانا خالد النقشبندي وأحب الجهاد في سبيل الله.

موقفه:

بما أنه قد تعلم مجاهدة النفس من خلال انخراطه في مسلك الطريقة النقشبندية فقد رغب في الجهاد على أرض الواقع، وحث مريديه وأتباعه لتأييد السلطنة العثمانية والدفاع عن الوطن وحمايته من هجوم الكفار، وأفتى بوجوب المشاركة مع الجيش العثماني المجاهد ضد كل من تسول له نفسه المساس بكرامة الوطن، وحرم التخاذل والفرار من جبهات القتال، كما جاهد بنفسه على رأس مريديه ضد الروس[3].

4- الملا عبد الرحمن بن الملا محمد القاضي: (لم نعثر على تاريخ ولادته، توفي 1335هـ-1916م)، ولد في قرية تابعة لقضاء بشدر، من أصقاع السليمانية، حصل على الإجازة العلمية، تولى الإمامة والخطابة والتدريس.

موقفه:

كان من المجاهدين ويعتبر الدفاع عن الوطن من الواجبات الدينية لحماية

---

(1) سبقت ترجمته.

(2) نجيبة محمد الجلي: تاريخ أسرة الجلي، مخطوطة بحوزة مؤلفته، ص187.

(3) مجلة المنهج، العدد (10-11)، ذي القعدة-ذي الحجة 1419هـ-شباط آذار 1999م، أربيل، ص11-12.

العقيدة والأرض، ويقول: (من الواجب على الأمة إعداد جيش مجهز بكل ما يلزم، لتتمكن من إرهاب عدو الله وعدو الأمة)، شارك في الحرب العثمانية الروسية، واستشهد فيها سنة 1916م[1].

5- الملا عثمان أفندي الدهوكي: (لم أعثر على تاريخ ميلاده، توفي 1346هـ-1927م) درس هذا العالم العلوم الشرعية والعربية في مدارس كوردستان على كبار علمائها ونال الإجازة العلمية.

موقفه:

رغبة منه في الجهاد والدفاع عن الدولة العثمانية التحق بالجيش العثماني وقضى في الخدمة فترة طويلة، واشترك في عدة معارك، ثم صدر الأمر من القيادة العليا للقوات المسلحة في دار الخلافة باستانبول بتعيينه إماماً للجيش برتبة ضابط ملازم واستمر في الوظيفة متنقلاً بين الموصل وبغداد، ثم أحيل على التقاعد زمن الاحتلال الانكليزي للعراق، كان يرافق عمه القاضي الملا أفندي البناخي (نسبة إلى مسقط رأسه التابع للواء أربيل) والذي كان يشغل منصب القاضي في كويسنجق[2].

6- عزت باشا هولو الكوردي: (لم أعثر على تاريخ ميلاده، توفي سنة 1313هـ-1895م)، درس العلوم الدينية وحاز على الإجازة العلمية.

موقفه:

كان يعتقد بوجوب الانتظام في المسلك العسكري للدفاع عن العقيدة الإسلامية وحماية كرامة الأمة وخاصة في تلك الظروف العصيبة التي أحاطت بالبلاد والتي تجمعت فيها قوى الشر لتوجيه ضربة قاصمة إلى ظهر الأمة، فانضم إلى الجيش العثماني، وترقى في رتبته العسكرية حتى نال منصب (بكلريك) وتولى إمارة الحج في سنة 1294هـ-1877م ثم أصبح الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد الثاني، وكان ذا نفوذ عظيم وله الكلمة العليا في أمور هامة[3].

7- الملا بابكر سليم: ولد في قرية (بادليان) التابعة للواء السليمانية سنة

---

[1] الملا جواد فقي علي الجوم الحيدري: محمد عبد الله الجلي وجهوده العلمية، ص84.

[2] الملا محمد سعيد: فضلاء بهدينان، ص92.

[3] محمد أمين زكي: مشاهير الكرد وكوردستان، ج2، ص71.

1292هـ-1875م، توفي 1378هـ-1958م، درس على علماء صقعه العلوم الشرعية، بعد مقتل والده 1893 تولى زعامة عشيرة بشدر خلفاً لوالده، وجعل آلاف رجال العشيرة متطوعين احتياط للجهاد بجنب الجيش العثماني للدفاع عن الدولة.

ولما نشبت حرب 1914م وقف إلى جانب الجيش التركي وصد هجوم الروس من وراء الحدود الإيرانية، وعرفت الحكومة التركية منزلته ودوره في المعارك فعينته قائمقاماً لقضاء بشدر الذي ألحق بولاية الموصل[1].

8- الملا أحمد بن حسين البرزنجي: ولد 1304 هـ-1886م توفي 1372هـ-1952م درس على علماء عصره في مسقط رأسه كركوك ثم انصرف إلى الإرشاد ورعاية الفقراء في تكيته المعروفة بالخانقاه، وكان يأمر مريديه وأتباعه بالذهاب إلى جبهات الجهاد ضد الكفار الذين يطمعون في ضرب الامبراطورية العثمانية كما حارب إلى جانب الأتراك مع اتباعه ضد الانكليز في جنوب العراق سنة 1915م ثم عمل لصالح الأتراك في أثناء بحث قضية الموصل[2].

لقد كان علماء كوردستان يعتبرون الوقوف مع الجيش العثماني ضد الغزاة الطامعين، جهاداً وضريبة لا مفر منها، وكان كثير من هؤلاء العلماء قد شاركوا في الجهاد وساعدوا الجيش العثماني في الحرب الروسية سنة 1877-1878م فالشيخ عبيد الله النهري (المتوفي سنة 1900م) العالم الجليل خليفة مولانا خالد النقشبندي وزعيم أكبر عشيرة كوردية في المنطقة، قد شارك مع آلاف مريديه وأتباعه ضد الهجمات الروسية على الامبراطورية العثمانية سنة 1877-1878م وقاتل هو ورجاله قتال الأبطال وألحق الهزيمة النكراء بجنود الروس في الجبهة التي كان الشيخ قائداً على رأس المجاهدين الكورد[3].

كما أنه وبتشجيع من علماء الكورد وقفت العشيرة الهماوندية الشهيرة بشجاعة رجالها، بجانب العثمانيين وحاربت ببسالة في الحرب الروسية العثمانية، وقهرت جنود الروس وهزمتهم في الجبهة التي كان يقودها العالم الديني (فقي قادر هماوند)[4]، وتقديراً للمقدرة الحربية الفائقة التي أبداها العالم المذكور مع

---

(1) مير بصري: أعلام الكورد، ص167-168.

(2) عبد الكريم المدرس: تذكار الرجال ج1، ص173. ومير بصري: أعلام الكورد، ص137.

(3) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص53-54.

(4) الزوراء، العدد 1311، في 17 شعبان سنة 1304هـ.

رجاله في التصدي لقوات العدو، فقد كافأهم السلطان عبد الحميد الثاني أراضي زراعية واسعة في منطقة بازيان التابعة للواء السليمانية، علاوة على تلك الأسلحة التي غنموها من الروس.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى موقف الشيخ (كاك أحمد الشيخ)[1] الذي أرسل مئات المحاربين من مريديه إلى جبهات القتال باسم الجهاد الديني بقيادة حفيده الشيخ سعيد أثناء الحرب الروسية العثمانية، كما شاركت العالمة الدينية الكوردية (قره فاطمة) في هذه الحرب أيضاً وتزعمت خمسمائة فارس حيث خاضت المعارك الجهادية في جبهات أرضروم وقارس، وأشادت بها في حينها الصحف المصرية[2].

لقد كان العالم الكوردي الملا أمجد الزهاوي[3] يعتقد أن الدولة العثمانية على الرغم من فساد الإدارة فيها وشيخوختها فقد قاومت الحلفاء مقاومة أحسن بكثير من الجيش الألماني، حتى أن أهل العراق لم يسلموه إلى الانكليز إلا بعد أربع سنوات من المقاومة الشديدة[4].

فالعثمانيون كانوا من أوائل من استعمل المدافع في الحروب ونافسوا مع غيرهم عند فتح (أدرنة) التي اتخذوها عاصمة قبل القسطنطينية، مع أن عنايتهم بالدرجة الأولى كانت موجهة نحو العلوم الدينية لا العلوم الحديثة.

كان الزهاوي يدعو الدولة العثمانية إلى الأخذ بأسباب القوة المعنوية وذلك بتركيز العقيدة في النفوس وتركيز القيم الخلقية الإسلامية والأخذ بالقوة المادية كالاهتمام بالصناعة الحديثة وخصوصاً الصناعات العسكرية التي هي الدرع الواقي للأمة، وتدريب الجيش على أحدث النظم العسكرية، ونشر روح الجهاد في النفوس، وربط جميع العلوم بالعقيدة الإسلامية، كي يكون الوازع للدفاع عن الأمة داخل النفس المؤمنة وليس خارجها، وكان يكثر من تلاوة قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)[5].

---

(1) سبقت ترجمته.

(2) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص247.

(3) سبقت ترجمته.

(4) مجلة التربية الإسلامية، العدد الثامن، السنة الخامسة، بغداد، 1963، ص27.

(5) سورة الأنفال: الآية 60.

وكان يقول أيضاً: إن المسلمين ضعفوا عسكرياً وتوالت عليهم الهزائم والمصائب لذا كان الزهاوي يؤمن بالقوة ويقول: (لو خيرت بين حاكم قوي فاسق وآخر ضعيف عابد لاخترت الأول، لأن قوته ستكون قوة للأمة وفسقه واستبداده وبالاً عليه، أما العابد الزاهد الضعيف، فزهده وعبادته تعود عليه، وضرر ضعفه يعود بالنتائج العقيمة على الأمة، ويضيف قائلاً: (الرجل من يترك أثراً وجماعة من بعده، يستشهد بالمتأخرين أمثال السلطان عبد الحميد الثاني وعبد القادر الجزائري)[1].

---

[1] كاظم: الإمام أمجد، ص236، 240.

الفصل الرابع

آراء بعض علماء كوردستان العراق حول السلطان عبد الحميد الثاني

أولاً: الحالة العلمية والمساجد المدرسية في كوردستان:

1- المساجد المدرسية:

يبدأ العهد الحضاري والثقافي والعلمي في كوردستان منذ أن رضي الكورد بالاسلام ديناً وذلك في السنة الثامنة عشرة للهجرة المباركة حينما دخلوا في دين الله أفواجاً وطواعية، وجعلوا من مبادئه دستوراً وسلوكاً في حياتهم على كافة الأصعدة وانطلاقاً من هذا الدين الحنيف وتوصياته توجهوا كلياً إلى المعرفة والثقافة واتخذوا لذلك منهجاً مستنبطاً من قواعد الإسلام، غير متأثرين بالخلفية الثقافية الناشئة من ديانتهم الزردشتية السابقة، حيث كان للكورد كتابات وحضارة موغلة في القدم، حسبما تذكرها المصادر وتدل عليها الآثار المكتشفة المتبقية.

لقد انخرط الكورد في صفوف المسلمين تحدوهم العقيدة، ويأخذ بألبابهم حب الرسول واتباع سنته، ونافسوا غيرهم من الأقوام والشعوب في معرفة تعاليم الإسلام.

لقد كان سلفنا الصالح من الكورد رضوان الله عليهم شباباً وشيوخاً، بذلوا أعز ما يملكون من النفس والنفيس في سبيل نصرة دين الله بنشر الثقافة الإسلامية، وجاهدوا في سبيله وكانوا في الطليعة دائماً، فأغنوا الثقافة الإسلامية والعلوم العربية وكانوا الدرع الواقي لبيضة الإسلام وحرمات المسلمين.

وكانت بداية التعليم في كوردستان، انطلقت من الكتاتيب تأسياً بالرسول ﷺ حيث جعل فدية كل اسير من أسرى بدر المشركين والذين كانوا يعلمون القراءة والكتابة، تعليم عشرة من صبيان الأنصار[1]، واقتداءً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ أمر ببناء المكاتب، وعين المعلمين لتعليم الصبيان وتأديبهم[2].

وتولى ريادة نشر أبجدية الثقافة الإسلامية بعد ذلك بين الكورد الصحابي الكوردي الجليل (جابان)[3] أبو ميمون ، حينما أذاع بين الكورد تلك الأحاديث التي

---

(1) أبي عبيدة القاسم بن سلام: الأحوال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر، ط3، القاهرة، 1401هـ- 1981م، ص116.

(2) سعيد الديوجي: التربية والتعليم في الإسلام، مطبعة الجامعة، الموصل، 1982م، ص96.

(3) ينظر إلى: ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، مج1، طبعت هذه النسخة طبق النسخة المطبوعة سنة 1853 في بلدة كلكتا، ص220، ومحمد عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة (579-629هـ)، ج2، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ومحمد صالح عبد العزيز

سمعها من الرسول القائد ﷺ وتناقلوها بينهم، فكانت اللبنة الأولى وخلية نمو الثقافة رويداً رويداً حتى أكملت دورة الحياة الثقافية في جسم الأمة الكوردية.

لقد تدفقت الثقافة بادئ ذي بدء من الكتاتيب والمساجد المدرسية وشرع الكورد بإنشاء المساجد والجوامع، التي أصبحت من أهم المؤسسات الثقافية والعلمية والتي انتشرت على تلك الجبال الشامخة ووديانها الواطئة وسهولها الواسعة، في طول كوردستان وعرضها[1] منذ القرنين الثاني والثالث الهجريين[2].

وبلغت عنايتهم بتشييد المساجد المدرسية حداً بحيث لا يرى قرية مؤلفة من خمسة بيوت إلا وفيها مسجد مدرسي[3]، وكثرت في بلادهم كثرة تفوق الحصر والعد، وتوارد عليها طلاب العلم لتلقي المعارف[4].

ولم ينحصر تعميم هذه المدارس في المدن والبلدات والقرى، بل كانت عند الكورد مدارس سيارة، لها الرحلات الشتوية والصيفية تبعاً للعشائر المتنقلة[5].

2- المساجد المدرسية وأدوارها الحضارية:

يمكن للقارئ أن يطلع على خريطة الموسوعة الحضارية والثقافية في عموم كوردستان من خلال أنشطة المدارس المسجدية المنتشرة في أرجائها.

فقد لعبت هذه المدارس أدواراً هامة في الحفاظ على التراث الإسلامي ونشر

مراد، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ص1005، وشهاب الدين الآلوسي المتوفى سنة (1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج25، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت، ص103.

(1) محمد الخال: البيتوشي، هامش ص20. وإبراهيم باجلان: تاريخ المعارف في كوردستان، مقال منشور في جريدة العراق، العدد 1745 في 5/11/1981م.

(2) محمد صالح الإبراهيمي المحمدي: حياة علماء الكورد في العالم الإسلامي، ج1، طهران، 1364هـ، ص457.

(3) كتب عبد العزيز سليمان نوار، عن كثرة المدارس في مدن وقرى المنطقة الكردية قائلاً: تكاد تكون في كل قرية كردية مدرسة. ينظر إلى: عبد العزيز سليمان نوار: داود باشا والي بغداد، نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ-1967م، ص310.

(4) هادي رشيد الجاوشلي: الحياة الاجتماعية في كوردستان، ص100. ومحمد القزلجي: التعريف بمساجد السليمانية ومدارسها الدينية، مطبعة النجاح، بغداد، 1356هـ-1938م، ص4.

(5) محمود أحمد محمد: عناية البابانيين بالعلم والثقافة، مجلة المثقف الجديد، العدد 102، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984م، ص105.

الثقافة، وفي الحقل التربوي والاجتماعي والاقتصادي والقضائي والسياسي والروحي، إضافة إلى تخريجها لمئات الألوف من الطلبة المؤهلين للتدريس في المدارس التي أضحت تعادل في مستوياتها العلمية منافسة لأرقى الجامعات المتحضرة.

وكانت هذه المدارس مرتبطة بعضها ببعض يتجول طلبتها من مدرسة إلى أخرى وكأنها جامعة ذات فروع[1].

لقد كانت بعض تلك المساجد المدرسية تتداول المناهج العلمية الواسعة من علوم اللغة العربية، واللغة الفارسية، والتفسير والحديث، والفقه وأصوله، وعلم الكلام، والهيئة، والفلك والأنواء، والنبات والحيوان، والفيزياء والكيمياء والرياضيات والطب والهندسة والتاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة والمنطق[2]، وكانت هذه الدروس تلقى على الطلبة وفق نظام الحلقات[3].

لقد حظي التعليم في كوردستان باهتمام سكانها وكان الأمراء والشعب الكوردي يولون عناية فائقة بالعلم والأدب، إذ لقي الأساتذة والطلبة الرعاية جيلاً بعد جيل من الأهالي.

وللتدليل على ذلك نذكر أموراً منها:

في عام 1065هـ طاف الرحالة والمؤرخ (أوليا جلبي) عدداً من مدن كوردستان وقراها بتكليف من السلطان العثماني (محمد الرابع 1648-1687م) وسجل جلبي كثيراً من مشاهداته عن المناطق التي زارها ويعطينا صورة واضحة عن الحالة الثقافية والعلمية في تلك الربوع ومما ذكره: أنه رأى في الجامع الكبير بدياربكر – بأم عينيه- ثمانين حلقة درس في آن واحد، كما يذكر أنه رأى فيها مدارس أخرى كانت كل واحدة منها مختصة بعلم معين[4]. على غرار الدراسات في الجامعات

---

[1] للمزيد من التفاصيل، ينظر إلى: عماد عبد السلام رؤوف مراكز ثقافية مغمورة في كوردستان (دراسة في أهم المراكز الثقافية التي برزت في شمال العراق خلال القرون المتأخرة)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1997م. و عباس العزاوي: شهرزور السليمانية، مراجعة محمد علي القرداغي، ص214-218. ومجلة شمس كردستان: التراث الثقافي في بهدينان، العدد 67، حزيران 1984م، حول علماء ومدارس كوردستان.

[2] محمد الخال: البيتوشي، ص20.

[3] زبير بلال إسماعيل: علماء ومدارس أربيل، ص15، وعلاء الدين سجادي: تاريخ الأدب الكردي، ص113. ومجلة المسيرة، تشرين الثاني، العدد 11، 1982م، ص102.

[4] أوليا جلبي: الكورد في تواريخ جيرانه، ص41، 45.

الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي والمدرسة المستنصرية إبان ازدهارها في العصور العباسية الزاهية.

ومنها أنه بعد وفاة مولانا خالد النقشبندي (1242هـ) بفترة استولى أمير رواندوز على أربيل —وكان محباً للعلم والعلماء- أصدر أمراً منع بموجبه البقاء في أربيل لأي عالم لا يقوم بالتدريس[1].

كما أصدر هذا الأمير الكوردي قراراً يقضي بمنح مكافئة مالية قدرها ليرتا ذهب لكل طالب يحفظ عن ظهر قلب متناً من كتب الفقه الشافعي خلال ستة أشهر، وقد حفظ المتون في المدة المحدودة ما يربو على ستمائة طالب[2]. كما أمر بأن يكون في كل قرية لا تقل عن خمسين بيتاً —ضمن إمارته- عالم ومدرسة ينهل فيها الطلاب العلم والمعرفة وأوجب على سكان هذه القرى تأمين معيشة الطلاب ورعايتهم[3].

لقد كان أمراء الكورد وحكامهم في تسابق مستمر لخدمة العلم وبناء المساجد المدرسية إذ كانوا يتباهون بكون المدرسة الواقعة في إمارتهم من أرقى المدارس، وشيخها من أعلم العلماء، ومكتبتها من أعمر المكاتب بنفائس المخطوطات ونوادر المؤلفات، وكانوا يوقفون الأراضي والبساتين على المدارس وطلبتها، لذلك ازدهر العلم في ربوع كوردستان[4]، وكثرت فيها المدارس واستمرت زيادة عدد طلبتها فنجد مثلاً أن مدرسة (قبهان) في العمادية والتي كانت مركزاً علمياً خلال سبعة قرون وصل عدد طلبتها أحياناً إلى أربعمائة طالب وعدد مدرسيها إلى ثلاثين مدرساً[5].

هذه الرغبة في التعليم والتشجيع للعلم والعلماء جعلت المساجد المدرسية في كوردستان تعانق الجامعات الإسلامية في القاهرة والأندلس والأقطار الإسلامية

---

(1) عبد الكريم المدرس: تذكار الرجال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، الهيئة الكوردية، ج1، 1979م، ص66.

(2) جواد فقي علي: محمد عبد الله الجلي وجهوده العلمية (رسالة ماجستير) على الآلة الكاتبة —جامعة بغداد- 1990م، ص16.

(3) علاء الدين سجادي: حياة الكورد، مطبعة المعارف، بغداد، 1394هـ-1974م، ص98.

(4) الشيخ محمد القزلجي: التعريف بمساجد السليمانية ومدارسها الدينية، ص3. ومحمد حسن المشهور بابن الحاج: الرسالة المهدية، تحقيق محمد علي القرداغي، مطبعة المجمع العلمي الكوردي، بغداد، 1975م، ص3.

(5) محمود أحمد محمد: عناية البابانيين بالعلم والثقافة، مجلة المثقف الجديد، العدد 102، 1984م، ص15.

الأخرى في نشر العلم وفنون المعرفة والآداب[1].

3- امتازت المساجد المدرسية في كوردستان بأمور عدة منها:

1- مجانية التعليم: حيث كان الأهالي ينفقون على المدارس ويخدمون الطلبة ويوفرون لهم سبل العيش، كما كانوا يتكفلون معيشة المدرسين بدافع الدين وحب العلم والعلماء، وكان للأموال الموقوفة دور كبير في خدمة العلم ورجاله[2].

2- حرية الطالب في اختيار مدرسه والتنقل بين المدارس التي يرغب الانتماء إليها[3]. حيث كان لكل مدرسة ميزة معينة فكنت تجد العالم في المدرسة الفلانية له إلمام فائق في علم الكلام والفلسفة، وآخر مختص في علوم العربية، والثالث حاذق في علم المنطق والآداب والمناظرة، إضافة إلى اتقانهم العلوم الأخرى.

لذا كان الطالب يتوجه إلى الذي يحقق طموحه حسب المرحلة ومستواه الدراسي، وكانت الحدود مفتوحة أمام هؤلاء الطلبة ويتنقلون بين المساجد المدرسية في أجزاء كوردستان رغبة في التحصيل العلمي، وهذه الحركة المستمرة قد وثقت عرى الصلات الثقافية بين المدن والقرى القريبة والبعيدة منها على مر العصور[4].

فهي كانت أشبه بعمل البعثات العلمية فكان الطلاب رسل الثقافة والعلم وسفراء ومندوبين في البلاد الإسلامية، ناهيك عن كونهم الوجوه المشرقة للشعب الكوردي والحاملين لهويتهم في العالم الإسلامي[5].

3- حرية الطالب في اختيار الكتاب الذي يدرسه في كل مرحلة يمر بها[6].

أسباب تقلص المساجد المدرسية:

ومما يؤسف له أن هذه المساجد المدرسية بدأت بالتقلص من العقد الخامس

---

(1) المصدر نفسه، ص111.

(2) محمد صالح الإبراهيم المحمدي: حياة علماء الكورد في العالم الإسلامي، ص470.

(3) زبير بلال إسماعيل: من أعلام الكورد، مقال منشور في مجلة المسيرة، العدد الأول لسنة 1983، ص46.

(4) الحاج قادر كويي: ديوان الحاج قادر كويي، دراسة وشرح كريم مصطفى شارقزا، وسردار حميد، مراجعة مسعود محمد، الأمانة العامة للثقافة والشباب، أربيل، 1986، ص256-257.

(5) محمود أحمد محمد: مجلة المسيرة، العدد 35 لسنة 1985، ص129.

(6) عزيز ملا رش: الدراسة الدينية في سهل أربيل، مجلة المثقف الجديد، العدد (110) لسنة 1986م، ص134.

من القرن العشرين وذلك لأسباب عديدة منها:

1- قلة الرغبة في المساجد المدرسية بعد تعميم المدارس الرسمية بكافة مراحلها من الابتدائية إلى الجامعات.

2- انعدام الرغبة في العلوم الدينية لأجل العلم، إذ أصبحت الرغبة منه لأجل المادة والتوظيف، وانحسر التوظيف في حملة الشهادات من المدارس الرسمية[1].

3- تخلفت هذه المدارس عن تطوير أسلوب الدراسة وتعديل مناهجها بما تلائم العلوم الحديثة التي تعينها على أداء الرسالة للتمكن من مجابهة التحديات الفكرية الوافدة.

4- نظرة الاستعمار وذيوله إلى هذه المدارس نظرة البغض والكراهية فعمل على تقليصها بشتى الأساليب، ثم القضاء عليها لأنه وجد من العلماء والطلبة كل المعارضة والمقاومة، هذه من جهة ومن جهة أخرى فإن الحكومات المتعاقبة لم تول هذه المدارس أي اهتمام وأهملتها[2].

إلا أن حكومة إقليم كوردستان ومنذ عام 1991م أدركت مدى الخسارة العظمى التي تلحق بالأمة الكوردية جراء إهمال هذه المدارس الدينية. فأحيت سنة الآباء الأولين وأخذت تدعم المساجد المدرسية مادياً ومعنوياً وفق منهاج طموح[3].

4- المساجد المدرسية في كوردستان:

عمت المدارس المسجدية في كافة أنحاء كوردستان -كما ذكرنا- وعلى درجات متفاوتة في التطور والمنزلة العلمية، وفي السياق التالي أذكر بعض تلك المدارس كنماذج على سبيل المثال لا الحصر، التي ظهرت منذ مستهل القرن الثالث الهجري.

---

(1) المصدر نفسه: ص138.

(2) الشيخ محمد الخال: البيتوشي، هامش ص20.

(3) وضعت حكومة إقليم كوردستان العراق خطة لتعميم الدراسات الدينية، وأنشأت في أنحاء كوردستان عدة مدارس دينية، تدرس فيها العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية وعلوم اللغة العربية، وفتحت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في كل من جامعة دهوك، وجامعة صلاح الدين في أربيل، وجامعة السليمانية، هذا بالاضافة إلى تدريس مادة التربية الإسلامية في كافة المراحل الدراسية في المدارس الحكومية، ومما هو جدير بالذكر، وجود عدة مدارس دينية أهلية منتشرة في أنحاء مختلفة من كوردستان، ينفق عليها الأهالي.

أ- كوردستان إيران:

ندرج فيما يلي بعض المساجد المدرسية التي كانت قائمة في كوردستان إيران.

1- مدارس دينور[1] وعلماؤها: أنجبت دينور علماء نوابغ وكتاباً بارزين ومتصوفة وشعراء ورجال عظماء من مشاهيرها:

- ابن قتيبة الدينوري المولود سنة (213هـ-828م) في دينور وتلقى العلوم في مدارسها، له أكثر من أربعين مؤلفاً في شتى العلوم منها:

كتاب أدب الكاتب، وكتاب إعراب القرآن[2].

- أبو حنيفة الدينوري ولد في العشر الأول من القرن الثالث الهجري في دينور، ودرس في مدارسها، كان متخصصاً متضلعاً في العلوم العربية وعلم النبات والحيوان والنجوم والأنواء، والاسطرلاب، وله ما يقارب من أربعة وعشرين مصنفاً في مختلف العلوم منها:

تفسير القرآن الكريم في ثلاثة عشر مجلداً، وكتاب الأخبار الطوال[3].

2- مدرسة ساغ بلاغ (مهاباد)[4].

3- مدرسة مولانا محمد أمين في سنندج[5].

4- مدرسة بيزان في زمن حكومة خسرو باشا[6].

5- مدرسة همدان[1].

---

(1) دينور: مدينة من أعمال الجبل (بكوردستان إيران) ومن الدينور إلى شهرزور اربع مراحل، ينظر إلى الحموي: معجم البلدان، مج2، ص545.

(2) محمد جميل بندي الروزبياني: مدن كوردية قديمة، مطبعة هوال، السليمانية، سلسلة (40)، 1999م، ص219.

(3) المصدر نفسه: ص221-222.

(4) مدرسة ساغ بلاغ (مهاباد): كانت موجودة سنة (1203هـ)، ينظر إلى عباس العزاوي: شهرزور السليمانية، ص216، دار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم المخطوطة (1635).

(5) مدرسة سنندج: كانت موجودة سنة (1115هـ) ينظر إلى: المصدر نفسه: ص216، دار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم المخطوطة (3927).

(6) مدرسة بيزان: ينظر إلى: المصدر نفسه: ص216، دار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم المخطوطة (41451).

6- مدرسة السلماس[2].

7- مدرسة أشنه[3].

ب- كوردستان تركيا:

كانت مدن وقرى كوردستان تركيا عامرة بالمساجد المدرسية، وتخرج آلاف الطلبة لينتشروا بعد التأهيل العلمي ويساهموا في تعميم الثقافة الإسلامية، ونذكر فيما يأتي بعض تلك المدارس:

1- جزيرة ابن عمر[4]:

تعد جزيرة ابن عمر أكبر منبع لأكابر نوابغ العلم والثقافة، ورواد المعارف والبيان حيث ينتسب إليها أكثر من ستين عالماً[5]، انتشروا في بقاع العالم الإسلامي سفراء الحضارة والتمدن الإسلامي، ومن بينهم أبناء الأثير الثلاث، الإمام المؤرخ (555-630هـ/1160-1233م) وابن الأثير المحدث (544-660هـ/1150-1215م)، وابن الأثير الكاتب (558-637هـ/1163-1239م) وغيرهم الكثير[6].

---

(1) همدان: في الإقليم الرابع وهي أكبر مدينة بالجبال (بكوردستان إيران) فتحها المغيرة بن شعبة عام (24هـ)، ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج5، ص410.

(2) سلماس: مدينة مشهورة بأذربيجان (كوردستان إيران)، ينظر إلى المصدر نفسه: مج3، ص238.

(3) أشنه: بلدة في طرق أذربيجان من جهة أربل، المصدر نفسه: مج1، ص201.

(4) جزيرة ابن عمر: مدينة فوق الموصل على دجلة بكوردستان تركيا، تبعد عن نقطة إبراهيم الخليل الحدودية مسافة أربعين كيلومتراً تقريباً. قال الواقدي: بناها رجل من أهل (برقعيد) يقال له (العزيز بن عمر) ويقول العلامة الكوردي: الملا جميل الرزوبياني: والذي نعرفه هو أنها تدعى (جزيرة ابن عمر) إضافة إلى مؤسسها (عبد العزيز عمر الكوردي) من سكان (برقعيد التي تقع من جهة نصيبين (بكوردستان تركيا) وقد أيد هذا الرأي المؤرخ أبو الفداء في كتابه التاريخي القيم (139/3) كما أن اسمها نفسه يدل على الباني (ابن عمر) لا (عمر)، أما قول بعض المؤرخين: أنها منسوبة إلى (عمر بن حسن الثعلبي) فناجم عن التعصب لا عن الحقيقة التاريخية. ينظر إلى، ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صياد، بيروت، 1977م-1397هـ، ص143. و ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج1، ص387. و شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ترجمة وتعليق ملا جميل بندي الروزبياني، ص94-95، الهامش.

(5) مجلة ظةذين (الحياة): العدد 13، خريف عام 1998، ص222-229. والعدد 14، سنة 1999م، ص219-231.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص384.

ومن مدارسها:

- مدرسة المجدية التي بناها الأمير مجد الدين بن عبد العزيز، وكان قد حكم من سنة (771هـ-1369م) إلى سنة (783هـ-1381م)[1].

- مدرسة مير آفدل: بناها الأمير آفدل الذي كان يحكم الجزيرة حوالي سنة (790هـ-1387م).

- المدرسة الحمراء بناها الأمير شرف بن الأمير بدر الدين في سنة (606هـ-1209م)[2].

- مدرسة السليمانية وبناها الأمير محمد خان آفدل الذي حكم الجزيرة سنة (991هـ-1538م)[3].

2- ملاطية: كانت فيها اثنتان وثلاثون مدرسة مسجدية[4].

3- دياربكر: كانت فيها مساجد مدرسية كثيرة، منها المسجد الكبير الذي كان يعد جامعة علمية، وهو من حيث البناء يشبه مسجد حلب، والشام والقدس، تأسست قبل سنة (1068هـ-1657م)[5].

ومدرسة النزنجيرية[6]: سنة وجودها 1089هـ-1677م.

4- مدينة بدليس: كان فيها خمسة عشر مسجداً مدرسية في حدود (926هـ-1520م) في عهد السلطان شرف الدين البدليسي[7].

5- مدينة وان: كانت تضم ثمانية مساجد مدرسية في عام (940هـ-1533م)[8].

---

(1) عبد الله خاني فارلي: تاريخ الشعب الكوردي (600هـ-1500م)، ط ، ج1، استانبول، 1997م، ص322.

(2) عبد الله فارلي: الملا أحمد الجزري، مجلة نوبهار، العدد (62)، أيار، 1998م، ص8.

(3) فقي حسن: بداية المدرسية الكوردية، مجلة نوبهار، العددان (63، 64) حزيران، تموز، 1998م، ص19.

(4) أوليا جلبي: الكورد في سياحتنامه أوليا جلبي (باللغة التركية) ترجمة ناكام، مطبعة أشبيلية الحديثة، ط2، بغداد، 1977م، ص15.

(5) المصدر نفسه: ص40-44، ومخطوطات دار صدام، بغداد، رقم المخطوطة (17104).

(6) عباس العزاوي: شهرزور السليمانية، ص215، ودار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم المخطوطة (7905).

(7) أوليا جلبي: الكورد في سياحتنامه أوليا جلبي، ص108-109.

(8) المصدر نفسه: ص212-214، ودار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم المخطوطة (20900).

6- مدينة نصيبين، من مدارسها الشهيرة:

- مدرسة الشهرزوري قبل سنة 572هـ-1176م، بناها كمال الدين الشهرزوري المتوفى في سنة (572هـ)[1].

- مدرستا نصيبين: بنيتا قبل سنة (757هـ-1356م).

7- مدينة ماردين: من مدارسها مدرسة زيتون، بنيت قبل سنة (708هـ-1308م)[2].

8- مدرسة علي باشا في آمد: كانت موجودة في سنة 1068هـ[3].

9- مدينة سعرد: كانت فيها عدة مساجد مدرسية، درس فيها الملا خليل السعردي (1164-1259هـ/ 1751-1843م).

10- حران: كان فيها عندما زارها ابن جبير سنة (580هـ-1184م) مدرسة وجامعاً[4].

11- مدرسة ملا حسن وملا يونس في جولمرك: كانت هذه المدرسة قائمة في سنة (1097هـ-1685م)[5].

جـ- كوردستان العراق:

تعتبر كوردستان العراق مهداً لاحتضان المراكز المتدفقة بالعلم والثقافة وأفرزت مساجدها المدرسية أفواجاً من العلماء والأدباء، ونورد على سبيل المثال بعض تلك المساجد المدرسية منها:

في مدينة أربيل:

1- المدرسة العقيلية: هي أول مدرسة ظهرت في هذه المدينة التاريخية في العهد الإسلامي، وتسمى مدرسة (الربض) تولى التدريس فيها عدد من العلماء،

---

(1) ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1393هـ-1973م، ص196.

(2) المصدر نفسه: ص197.

(3) عباس العزاوي: شهرزور السليمانية، ص217.

(4) ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ص199.

(5) عباس العزاوي: شهرزور السليمانية، ص215، ودار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم المخطوطة (16148).

من بينهم (الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر) المولود في أربيل سنة (478هـ-1085م) والمتوفى فيها سنة (567هـ-1171م)، وكان أبرز فقهاء المدينة وأول من درس فيها[1].

2- مدرسة القلعة: تأسست في سنة (533هـ-1138م) وكان يدرس فيها (الخضر بن نصر العقيلي) وقد تتلمذ على يده جماعة من الفقهاء، منهم ضياء الدين عثمان بن عيسى بن درباس الهذباني الكوردي (ت 602هـ-1205م) مؤلف كتاب الاستقصاء لمذاهب الفقهاء[2].

3- المدرسة المجاهدية: تأسست سنة (559هـ-1164م) من الذين درسوا فيها الفقيه عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربيلي المتوفى سنة 609هـ-1212م[3].

4- المدرسة المظفرية: ولد المؤرخ ابن خلكان في هذه المدرسة سنة (608هـ-1211م) أثناء تولي والده التدريس فيها، وقد استمر والد ابن خلكان يدرس فيها إلى وفاته سنة (610هـ-1213م) وقام بالتدريس فيها من بعده الفقيه أحمد بن كمال الدين بن منعة الأربيلي الذي درس فيها سبع سنوات، ثم انتقل إلى الموصل، وتوفي بها سنة (622هـ-1225م)[4].

5- مدرسة ملا أبو بكر في أربيل: كانت هذه المدرسة موجودة في سنة (1179هـ-1765م)[5].

6- مدرسة عبد الرحمن الكوردي في أربيل: كانت هذه المدرسة موجودة في سنة (1227هـ-1812م)[6].

في مدينة السليمانية:

1- مدرسة الملا عبد الله رش في السليمانية: كانت هذه المدرسة قائمة في

---

[1] محسن محمد حسين: أربيل في العهد الأتابكي (522-630هـ/1128-1233م)، مطبعة أسعد، بغداد، 1976م، ص274.

[2] حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص1912.

[3] ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ص190.

[4] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص90.

[5] عباس العزاوي: شهرزور السليمانية، ص215. ودار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم المخطوطة (7920).

[6] المصدر نفسه: عباس العزاوي: ص216.

سنة (1277هـ-1860م)[1].

2- مدرسة مولانا إبراهيم: كانت موجودة في سنة (1218هـ-1803م)[2].

3- مدرسة محمد الخال: كانت قائمة سنة (1204هـ-1789م).

4- مدرسة بالك: قرية من أعمال محافظة السليمانية، ازدهرت فيها حركة علمية ونشاط ثقافي وتخرج في مدرستها علماء أجلاء.

في العمادية: لقد أنشئت مساجد مدرسية عديدة في العمادية منها:

1- مدرسة قوبهان: تأسست هذه المدرسة في القرن الرابع الهجري، ومن مدرسيها أبو سعود العمادي، صاحب التفسير المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) المتوفي سنة (982هـ-1574م)[3].

2- مدرسة زاهدة: تأسست قبل سنة (739هـ-1328م)[4].

3- مدرسة الأمير غياث الدين: أنشئت قبل سنة (784هـ-1382م)[5].

4- مدرسة مرادخان: تأسست في أواخر القرن العاشر الهجري[6].

5- مدرسة القضاء في العمادية: كانت قائمة في سنة (776هـ-1374م)[7].

وهناك مساجد مدرسية أخرى خارج مدينة العمادية نذكر منها مدارس تابعة لدهوك:

1- مدرسة أرمشت[8]: قرية في نواحي (السليظاني) من أعمال محافظة دهوك اشتهرت بمدرستها العلمية.

---

(1) المصدر نفسه: ص217.

(2) دار صدام للمخطوطات، بغداد، رقم المخطوطة (17264).

(3) أنور المائي: الأكراد في بهدينان، ط2، ص161.

(4) ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ص203.

(5) المصدر نفسه، ص204.

(6) انور المائي: الأكراد في بهدينان، ط2، ص161.

(7) عباس العزاوي: شهرزور السليمانية، ص215.

(8) أرمشت (أرمشت) اسم قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر، في شرقي دجلة الموصل، ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج1، ص146.

2- مدرسة العقر[1]: تأسست في أواخر القرن الثامن الهجري[2].

3- مدرسة بامرني: هي قرية من أعمال العمادية، وتابعة لمحافظة دهوك حالياً، كان فيها مدرسة علمية أنشأها الشيخ محمد أفندي، وممن تخرج فيها الشيخ بهاء الدين، مرشد الطريقة النقشبندية[3].

4- مدرسة بريفكان: قرية من أعمال محافظة دهوك، أسست فيها مدرسة للشيخ شمس الدين قطب (ت 1085هـ-1674م)[4].

5- مدرسة اسبيندار: قرية من قرى (برواري ذير = السفلي من أعمال محافظة دهوك، تأسست قبل سنة (1298هـ-1880م)[5]، ومن العلماء الذين درسوا في هذه المدرسة الملا أحمد أفندي بن الملا عبد الخالق العقري (ت 1377هـ-1958م)[6]، والعالم الجليل الملا حسين بن الحاج أحمد الاسبنداري[7].

6- مدرسة سنجار: تخرج منها جماعة من أهل العلم والأدب، ويعود تاريخ إنشاء هذه المدرسة إلى عام (598هـ- 1201م).

د- في سورية:

توجد في المناطق الكوردية في سورية مساجد مدرسية ونقتصر على ذكر الآتي:

- مدينة رأس العين التابعة لمحافظة الحسكة: كانت فيها مدرسة دينية عامرة

---

(1) قلعة حصينة في جبال الموصل، أهلها أكراد، وهي شرقي الموصل، خرج منها طائفة من أهل العلم، ينظر إلى المصدر نفسه، مج4، ص136.

(2) ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ص205.

(3) هاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم ومساجد الأعظمية، ج2، بغداد، 1965م، ص284.

(4) أنور المائي: الأكراد في بهدينان، ص82.

(5) عماد عبد السلام رؤوف: مراكز ثقافية مغمورة في كوردستان، ص21، وفهرست مخطوطات أوقاف السليمانية، ج3، ص252. ومحفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية، مطبعة الجمهورية، الموصل 1388هـ-1969م، ص158.

(6) ملا محمد سعيد ياسين البريفكاني: فضلاء بهدينان، مطبعة دهوك، 1977م، ص39.

(7) هو الملا حسين بن الحاج أحمد بن المتصوف مصطفى بن مير محمد الهسد آغا وكان والده قد هاجر من بشت قصر في منطقة الهكاري بكوردستان تركيا، ويقول مؤلف فضلاء بهدينان عن المترجم له: (ومن صغره كان مولعاً بتحصيل العلوم الدينية والشرعية.. ومنذ نشأته الأولى كان يحب التواضع ويتزهد عن الدنيا وأسبابها .. كان فاضلاً صالحاً .. يقصده طلاب العلم من كل مكان. توفي سنة 1383هـ-1963م، ينظر المصدر نفسه: ص104.

بالعلماء، وهي مدرسة ابن المشطوب الهكاري بين سنة (610 و 633هـ/1213-1264م)[1]. وينتسب إليها الإمام المحدث عبد الرزاق الرسعني (ت 660هـ-1261م) مؤلف الكتب العديدة منها تفسير رموز الكنوز[2].

5- المكتبات في كوردستان:

لم تكن تخلو مدرسة دينية في كوردستان إلا وبجانبها مكتبة عامرة بالكتب ونوادر المخطوطات النفيسة، حيث ان المدرسة المثالية تتكون من عناصرها الأساسية وهي المدرس والطالب والمنهج والمكتبة، إلا أن معظم تلك المكتبات قد أتلفها حقد الغزاة الذين كانوا يقومون بغارات همجية على كوردستان لإفناء أبناء شعبها المسلم المسالم، وتوالت الهجمات بشكل منظم ومنذ قرون، وكان سلاح المغيرين المفضل في كل مرة حرق القرى ومساجدها المدرسية بما فيها تلك المكتبات الحاوية على المخطوطات والمؤلفات، ولم تنج من عبث تلك الأيدي الأثيمة إلا النزر اليسير من تلك الكتب القيمة.

لقد عرفت كوردستان نوعين من المكتبات، العامة منها والخاصة وظهرت في بعض المدن الكوردية مكتبات منقطعة النظير، فهذه مثلا مكتبة (آمد = دياربكر) التي تروي المصادر بأنها كانت تضم ألف ألف وأربعين ألف كتاب بمختلف اللغات وبعدة خطوط وحروف[3].

كانت هناك مكتبات زاخرة بالكتب الثمينة مثل مكتبة جامع (ميافارقين)[4]

---

[1] ابن المشطوب الهكاري: هو أبو العباس، أحمد بن الأمير سيف الدين، من أحفاد أبي الهيجاء الكوردي، كان عالي الهمة، أبي النفس، من أمراء الدولة الصلاحية، توفي سنة (619هـ-1222م) ينظر إلى ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص180.

[2] جمعية علماء كوردستان: مفسرون من كوردستان، الإمام الرسعني وتفسيره رموز الكنوز، ط1، الرياض، 1413هـ-1992م، ص16.

[3] عبد الرقيب يوسف: حضارة الدولة الدوستكية، ج2، ص404، وما بعدها. وأبو شامة عبد الرحمن المقدسي: كتاب الورضتين في أخبار الدولتين، ج2، مطبعة وداي الرافدين، القاهرة، د. ت، ص39، و ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص313، وربما في العدد المذكور مبالغة ولكنني نقلته على ذمة المؤلفين.

[4] ميافارقين: أشهر مدينة بدياربكر، وقال صاحب الزيج: (طول ميافارقين سبع وخمسون درجة ونصف وربع) قالوا: وكان رئيس هذه الولاية رجلاً يقال له: ليوطا، فتزوج بنت رئيس

ومكتبة (بدليس) وخاصة المكتبة الشخصية للأمير (عبدال خان)[1]، التي كان فيها حمل سبعة بغال من المخطوطات المختومة بمهره[2]. من بينها سبعون مجلداً من تأليف الأمير نفسه باللغات، العربية والفارسية والتركية، ومئتا مجلد من الكتب الجغرافية، والأطالس، وعلوم الفلك وغيرها، وكذلك خرائط العالم، إضافة إلى كتب في العلوم الطبيعية، مزدانة بصور توضيحية لأعضاء الإنسان، مصورة تصويراً دقيقاً، كما كان فيها العديد من الكتب الزراعية والرياضيات وعلم الفلك، عدا كتب التفاسير والأحاديث، والفقه والتراجم والتاريخ والسير والمنطق والحكمة[3].

ومكتبة مدرسة قوبهان التي أمدها أمراء العمادية على مر التاريخ بأمهات الكتب ونوادر المخطوطات التي كانوا يوكلون استنساخها إلى أمهر النساخين وتعرضت العديد من هذه الكتب والمخطوطات والوثائق الهامة إلى الحرق على يد المرتزقة من الجيش الانكليزي المسمى الليفي عام 1919م.

وتعد هذه الحادثة وغيرها المماثلة خسارة فادحة لتراث الشعب الكوردي، لأنها كانت من عصارة عبقرية المفكر والعالم والأديب الكوردي. ولم يبق منها سوى ثلاثمائة مخطوطة تمثل مخطوطات فريدة في مختلف العلوم، والتي استقرت في دار المخطوطات ببغداد[4].

ومكتبة البابانيين في قلعة جولان في السليمانية ومكتبة الحيدريين في (ماوران) قرب أربيل، ومكتبة محمد باشا في راوندوز، ومدرسة قرية (بيارة) التابعة لمحافظة أربيل، والتي تأسست في حدود القرن السابع الهجري، كانت تحوز

الجبل الذي هناك، يسكنه في زماننا الأكراد الشامية. ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج5، ص235-236.

[1] عبدال خان: هو ابن أخي شرفخان صاحب كتاب (شرفنامه) وحاكم بتليس، هاجمه ملك أحمد باشا والي بغداد سنة (1065هـ) بجيش كبير، فلم يتمكن الأمير من صد هجماته، لذلك ترك بتليس، ويقول الرحالة أوليا جلبي: (عثرنا على ست وسبعين كتاباً من مؤلفات الأمير عبدال خان نفسه بين أمواله المتروكة، وكانت له مكتبة ثمينة زاخرة كما كان عالماً فاضلاً). ينظر إلى محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص36.

[2] أوليا جلبي: الكورد في سياحتنامه أوليا جلبي، ص282.

[3] المصدر نفسه، ص284، ومجلة المسيرة، العدد (35)، آب 1985م، ص127.

[4] محمد علي القرةداغي: جريدة العراق: العدد (5943) في 1996/1/25م، والعدد (5948) في 1996/2/1م.

على مكتبة حاوية على نوادر المخطوطات في مختلف العلوم. وأن ريادة التدريس في هذه المدرسة كانت متوارثة بين خمسة وعشرين عالماً من أجداد الأسرة[1].

مصادر رفد المكتبات بالكتب:

تنوعت مصادر تجهيز المكتبات في المساجد المدرسية بكوردستان على النحو الآتي:

1- ما حمله العلماء والطلاب العائدون من البلاد القريبة والبعيدة بعد تلقيهم العلوم، فكانوا يجلبون معهم من الكتب في علوم شتى. فمثلاً إن الشيخ عبد الصمد البرزنجي أحد طلاب ابن حجر الهيثمي (ت964هـ-1567م) قد ترك كوردستان وجاور مكة المكرمة وأخذ العلم عن الشيخ ابن حجر، واستنسخ هناك كتباً عديدة ولما رجع إلى كوردستان جلبها معه ووضعها في مكتبة برزنجة[2].

كما أن العلامة عبد الله البيتوشي (ت 1211هـ-1796م) عند رجوعه من الإحساء إلى كوردستان[3] جلب معه مجموعة من المخطوطات والكتب، وجلها الآن موجودة في مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية، وأيضاً فإن العالم إبراهيم المدني نجل العلامة محمد المدني الذي كان العالم الوحيد المتضلع بالحديث في المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري، لما سمع برواج سوق العلم في الإمارة البابانية الكوردية، آثر الرجوع إلى وطنه الأصل جالباً معه مكتبة ذات المجلدات العديدة وسكن في منطقة السليمانية.

2- كان في كوردستان بعض الرحالة من العلماء والطلبة، هدفهم التعرف على أحوال الشعوب ومظاهر الحضارة في العالم الإسلامي، فكانوا يصطحبون معهم عند العودة مخطوطات وكتب.

3- يستورد بعض الناس الكتب للتجارة، وكان البعض منهم يهدف إلى طلب

---

[1] الشيخ عبد الكريم المدرس: الأسر العلمية، مطبعة شفيق، بغداد، 1404هـ-1984م، ص6، ومحمد علي قرهداغي: مدرسة بيارة، ص1.

[2] كتاب الفصول في مناقب السيد عبد الرسول: المخطوط والموجود في مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية، مصورات (66)، وينظر إلى مجلة المسيرة، العدد (35) آب، 1985م، مقال بعنوان (الحالة الثقافية في كوردستان، للكاتب محمود أحمد محمد، مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية، ص127).

[3] محمد الخال: كتاب البيتوشي، ص18.

العلم بجانب التجارة لتوفير المصاريف في رحلته الطويلة وراء العلم.

4- لقد ساهم الأمراء والحكام الكورد في إدخال الكتب إلى كوردستان فما من أمير إلا وله مدارس في مركز إمارته، وكانت مكتظة بالطلاب وبجانب تلك المدارس مكتبات زاخرة بالكتب، وكان بعض الأمراء حريصون على توفير الكتب فيرسلون بخطاطين مهرة إلى عواصم كبرى ومدن شهيرة مثل بغداد، والقاهرة، واستانبول وصنعاء لاستنساخ الكتب[1].

ثانياً: التعريف بعلماء كوردستان:

أنجبت كوردستان خلال العصر الإسلامي العديد من رجالات العلم الذين برعوا في فنون المعرفة وتربعوا كرسي التدريس وتصدروا في المحاريب وارتقوا المنابر وتولوا القيادة وترأسوا المشيخة، وتسلموا المحكمة وحازوا على المرجعية، سواء كانوا في الموطن أم في المهجر، ومصادر التاريخ وكتب الطبقات والتراجم حافلة بأسماء الفقهاء والأدباء والمؤرخين، الذين يحملون اللقب الكوردي، أو ينتسبون إلى المدن والقرى والمناطق الكوردية، كالشهرزوري، والأربلي، والآمدي (نسبة إلى مدينة دياربكر) والسنجاري، والفارقي، والحصكفي (نسبة إلى مدينتي ميافارقين وحصن كيفا) في كوردستان الشمالية، والأشنوي والأرموي (نسبة إلى مدينة شنو وأورمية) في كوردستان الشرقية، والعنسفي (نسبة إلى بلدة عين سفني) شيخان الحالية. والهكاري، بل عرف بعضهم بالنسبة إلى قبيلته كالهذباني، والجاواني، والزرزاري، والحميدي، والمهراني، والهمداني[2].

ويمكن القول بأن علماء الكورد قد أغنوا المكتبة الكوردية بكثير من مؤلفاتهم المتنوعة والمتميزة بالأصالة والإبداع، ويتضح ذلك باستعراض كتب التراجم والفهارس التي ترينا مئات منهم نقلوا المعارف إلى حواضرهم، وترجموا مؤلفات كثيرة ومصنفات ضخمة بفضل إجادتهم للغات عديدة مثل الفارسية والتركية والعربية والكوردية وغيرها[3].

---

(1) محمد القزلجي: التعريف بمساجد السليمانية، ص37، و الشيخ عبد الكريم المدرس: الأسر العلمية، ص305.

(2) بابامردوخ روحاني: تاريخ مشاهير الكورد، باللغة الفارسية، طهران، 1364ش.

(3) للاطلاع على حقيقة الأمر يراجع المصادر، ومنها الأعلام للزركلي، وفيات الأعيان لابن خلكان، وشذرات الذهب للعماد الحنبلي، والكامل لابن الأثير، والمنتظم لابن الجوزي، والضوء

وألفوا في علوم القرآن والحديث والفقه وأصولهما، واللغة العربية وعلومها والمعاجم والفهرسة، والتاريخ والتراجم والجغرافية، والمنطق والفلسفة والشعر والموسيقى والطب والحساب والهندسة والفلك والرياضيات والكيمياء ولم يتركوا باباً من أبواب العلوم إلا طرقوه ودرسوه، وألفوا فيه الكتب الحسان التي ارتقى مستوى بعضها إلى اتخاذه منهجاً دراسياً في المستويات العلمية العليا. وحازوا قصب السبق في الميدان العلمي، ونذكر بعض أولئك الأعلام الكورد وبعض مؤلفاتهم على سبيل المثال لا الحصر.

1- ابن قتيبة الدينوري[1] (828-885م):

هو محمد بن مسلم بن قتيبة، ولد في دينور سنة (213هـ-828م) توفي في سنة (270هـ-882م)، تلقى العلوم في مسقط رأسه وفي بغداد والكوفة والبصرة تبحر في الأدب والتاريخ والفلسفة وفي أواخر حياته عاد إلى دينور وتولى القضاء فيها.

لابن قتيبة أكثر من أربعين مؤلفاً في مختلف العلوم منها:

1- كتاب إعراب القرآن. 2- كتاب جامع الفقه. 3- كتاب جامع النحو. 4- كتاب أدب الكاتب. 5- كتاب اختلاف تأويل الحديث. 6- كتاب أنساب الأكراد. 7- كتاب عيون الأخبار[2].

2- أبو حنيفة الدينوري (...-894م):

هو أحمد بن داود بن ونند: ولد في العشر الأول من القرن الثالث الهجري في

اللامع للسخاوي، وهدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي الباباني، والشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده، وعثمانلي مؤلفلري لبروسلي محمد طاهر. ومشاهير الكورد وكوردستان لمحمد أمين زكي، وعلماؤنا في خدمة العلم والدين للشيخ عبد الكريم المدرس، وفضلاء بهدينان لملا سعيد ياسين، وتاريخ الأدب العربي، لعباس العزاوي، وإسهام علماء كوردستان في الثقافة الإسلامية لمحمد زكي حسين.

[1] دينور: مدينة من أعمال الجبال.. من الدينور إلى شهرزور أربع مراحل.. ينسب إليها جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث. ينظر إلى ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج2، ص545، وتقع في كوردستان إيران.

[2] محمد جميل بندي الروزبياني: مدن كوردية قديمة، تاريخها جغرافيتها، رجالها، علماؤها، مطبعة هوال، السليمانية، وزارة الثقافة، المديرية العامة للطباعة والنشر، سلسلة (40) إقليم كوردستان العراق، 1999م، ص219-223.

مدينة دينور، توفي سنة (281-894م).

درس في البصرة والكوفة، وفي سنة (235هـ-850م) سار إلى أصفهان وأنشأ له مرصداً لدراسة النجوم، وكان متخصصاً في علوم العربية وعلوم النبات والحيوان والنجوم والأنواء والأرصاد والزيج والاسطرلاب، له أكثر من أربعة وعشرين مؤلفاً منها:

1- تفسير القرآن الكريم في ثلاثة عشر مجلداً. 2- الأخبار الطوال. 3- كتاب الأنواء.

4- كتاب في حساب الهند. 5- كتاب النبات. 6- رسالة في الطب[1].

3- علي سيف الدين الآمدي (551-631هـ/1156-1233م)

هو علي بن أبي محمد بن سالم الحنبلي الآمدي ولد في آمد (دياربكر الحالية) سنة (551هـ-1156م) وتوفي بدمشق سنة (631هـ-1233م) انتقل في طلب العلم إلى بغداد، والشام، والديار المصرية، تحول من المذهب الحنبلي إلى المذهب الشافعي، وهو فقيه أصولي، متكلم، منطقي، حكيم، له مؤلفات تفوق على أربعة وعشرين منها:

1- الإحكام في أصول الأحكام في الفقه وهو مجلدات. 2- أبكار الأفكار في علم الأصول.

3- دقائق الحقائق في الحكمة. 4- غاية المرام في علم الكلام. 5- النور الباهر في الحكم الزواهر، خمسة مجلدات. 6- لب الألباب في علم المنطق.

وقد أثنى عليه ابن كثير، وسبط بن الجوزي، والعماد الحنبلي وابن تغرى بردى[2].

---

(1) محمد جميل بندي الروزبياني: مدن كوردية قديمة، ص221-223.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، مج12، ط2، بيروت 1412هـ-1992م، ص211-212. واسماعيل باشا البابانى البغدادي: هدية العارفين وآثار المصنفين، دار الفكر، ج1، بيروت، 1402هـ-1982م، ص707، و ابن خلكان، ج1، ص415-416. واسماعيل باشا البابانى البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ج1، بيروت، لبنان ، 1402هـ-

3- ابن الأثير الجزري (1149-1209م):

هو أبو السعادات مجد الدين المبارك بن أثير الدين محمد الجزري، الفقيه، الأديب، النحوي، المحدث، المفسر، الكاتب، أكبر الإخوة الثلاثة المعروفين بابن الأثير، أشهر العلماء ذكراً وأنبلهم قدراً.

ولد في قريتهم الواقعة في (جزيرة ابن عمر) سنة (544هـ-1149م) توفي سنة (606هـ-1209م) ودفن برباطه في الموصل.

تربى في كنف والده، تلقى علوم الحديث في الموصل، ثم عاد إلى الجزيرة، ثم رجع إلى الموصل، وفي هذه المرة مع عائلته التي انتقلت من الجزيرة إلى الموصل في سنة (579هـ-1183م).

مصنفاته:

خلف ورائه مصنفات عديدة وخاصة في الحديث، من أهم مؤلفاته:

1- جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ جمع فيه موطأ الإمام مالك، وصحيحي البخاري ومسلم، وسنن ابي داود، والنسائي، والترمذي، وهو في مجلدات، طبعت مراراً.

2- النهاية في غريب الحديث (في خمس مجلدات).

3- الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف.

4- الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي.

5- كتاب البديع في النحو. ومصنفات أخرى.

ولقد أثنى عليه معاصروه، ياقوت الحموي، وابن المستوفي، وابن خلكان وابن الساعي الخازن، وابن كثير، وابن تغرى بردى[1].

1982م، ص281، 298، 432 وابن قاضي شهبة الدمشقي: طبقات الشافعية، تعليق عبد العليم خان، دار الندوة الجديدة، ج2،بيروت، 1407هـ-1987م، ص387، 410.

[1] ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج4، ص141. و الذهبي: سير أعلام النبلاء، مج21، ص488. و ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مج17، ص71. والحافظ ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط2، مج13، بيروت، لبنان، 1977م، ص54. وجمال الدين يوسف الأتابكي: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

4- ابن الأثير المؤرخ الجزري (1160-1233م):

هو علي عز الدين بن أثير الدين محمد الجزري، الابن الثاني لأثير الدين المعروف بابن الأثير، ولد أبو الحسن سنة (555هـ-1160م) بقرية في جزيرة ابن عمر وتوفي سنة (630هـ-1233م) تلقى دروسه الأولى في مسقط رأسه ثم في الموصل، والشام، والقدس، نبغ في أكثر من علم حيث درس الحساب والفقه واللغة والحديث والأصول والمنطق الهيئة والنجوم، وكان خبيراً بأنساب العرب ووقائعهم، وصنف مؤلفات كثيرة منها:

1- الكامل في التاريخ.

2- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ترجم فيه لأكثر من سبعة آلاف وخمسمائة صحابي. 3- الباهر في أتابكية الموصل.

4- الجامع الكبير في البلاغة.

5- تحفة العجائب وطرفة الغرائب.

أثنى عليه ابن خلكان، والإمام الذهبي، وابن قاضي شهبة[1].

5- ابن الأثير الكاتب الجزري (1163-1239م)

هو أبو الفتح، نصر الله بن محمد ابن الأثير الجزري، ولد بالجزيرة سنة (558هـ-1163م) توفي سنة (637هـ-1239م) وانتقل مع أهله إلى الموصل، وبها اشتغل وحصل العلوم، استوزر لنور الدين بن صلاح الدين الأيوبي سنة (587هـ) من مؤلفاته:

1- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. 2- البرهان في علم البيان. 3- المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء[2].

والترجمة والطباعة والنشر، وزارة الثقافة، القاهرة، مج6، ص198. والعماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت، ص187. و خير الدين الزركلي: الأعلام، مج8، ص354.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص248. والذهبي: سير أعلام النبلاء، مج22، ص253. وتاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مج8، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، ص299.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص389.

6- الشيخ مبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفي (1169-1239م)

ولد في أربيل سنة (564هـ-1169م) وتوفي سنة (637هـ-1239م) في مدينة الموصل، وزير، مؤرخ، شاعر، من آثاره:

1- تاريخ أربل في أربعة مجلدات. 2- شرح ديوان المتنبي في عشر مجلدات. 3- ديوان شعر.

7- عثمان المعروف بابن الحاجب (1147-1249م)

هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكوردي، الدويني الأسنائي المالكي، كان والده حاجباً للأمير عز الدين موسك الكوردي الصلاحي، وكان فقيهاً، مقرئاً، نحوياً، تلقى العلوم عن كثيرين منهم الشاطبي (ت 590هـ) وابن عساكر (ت 600 هـ).

ولد سنة (570هـ-1174م) وتوفي سنة (646هـ-1249م) صنف ابن الحاجب كتباً قيمة في مختلف العلوم، تربو عشرين مؤلفاً منها:

1- كتاب الكافية (النحو). 2- الشافية (الصرف). 3- مختصر المنتهى (في علم الأصول).

4- معجم الشيوخ. 5- شرح كتاب سيبويه. 6- المسائل الدمشقية. 7- ذيل على تاريخ دمشق لابن عساكر الدمشقي (ت 571هـ)[1].

8- ابن الصلاح الشهرزوري (1181-1245م):

هو أبو عمرو، عثمان بن عبد الرحمن الكوردي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح. ولد في قرية (شرخان) من أعمال محافظة أربيل بكوردستان العراق سنة (577هـ-1181م) وتوفي سنة (643هـ-1245م)[2].

كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث وعلم الفقه. له عشرون مؤلفاً في مختلف العلوم منها:

1- شرح صحيح مسلم. 2- أدب المفتي والمستفتي. 3- طبقات فقهاء

---

(1) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج3، ص42.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص287. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص248. وابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية: مكتبة المعارف، ط2، ج13، بيروت، 1977م، ص176. وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص360.

الشافعية. 4- الفتاوى: علوم الحديث، ويعرف بمقدمة ابن الصلاح. 5- المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال[1].

9- موفق الدين الكواشي (1193-1281م):

هو الإمام، المفسر، أبو العباس، أحمد بن يوسف بن حسن الكواشي، ولد في قرية (كواشي) التي تقع في سفح جبل (بخير) الواقعة في السهل السليفاني، التابعة للموصل سابقاً والتابعة حالياً لمحافظة دهوك وذلك في سنة (590هـ-1193م) وتوفي سنة (680هـ-1281م) بمدينة الموصل قرأ على والده، ثم رحل إلى دمشق وسمع الحديث من أبي الحسن السخاوي المتوفي في حدود سنة (677هـ) ثم رجع إلى الموصل، وتفرغ للعبادة والتأليف. برع في علوم مختلفة منها التفسير، وعلم القراءات، واللغة ومن أهم مصنفاته:

1- التفسير الكبير المسمى (تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر). 2- التفسير الصغير المسمى بـ(التلخيص). 3- كشف الحقائق، ويسمى بتفسير الكواشي. 4- التبصرة في النحو[2].

10- عثمان بن عيسى بن درباس الهذباني الماراني الكوردي (...-1208م):

ولد في أربيل وتوفي سنة (605هـ-1208م) له مؤلفات عديدة منها:

1- شرح المهذب في عشرين مجلداً (أصول الفقه). 2- شرح اللمع في مجلدين (أصول الفقه)[3].

11- أحمد بن خلكان (1211-1282م):

هو القاضي شمس الدين أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان، ولد في أربيل سنة (608هـ-1211م) وتوفي سنة (681هـ-1282م). تفقه على والده بمدينة

---

(1) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، مج5، ص127. ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج3، ص243. وعبد الله بن أسعد اليافعي: مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي، ط2، بيروت، 1970م، ص757.

(2) ابن شهبة الدمشقي: طبقات الشافعية، مج1، ص461-462. و السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ص42.

(3) الشيخ عبد الكريم المدرس، علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص370. ومجلة راية الإسلام، العد الثالث، أيلول، السنة السابعة، 1414هـ-1993م، ص7.

أربيل، طلب العلم في الموصل وحلب، ودمشق ثم انتقل إلى القاهرة، وناب في الحكم عن قاضي القضاة بدر الدين السنجاري ثم ولي القضاء بالشام وتوفي بها، من مصنفاته: وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان[1].

12- أحمد بن تيمية الحراني[٢] (661-728هـ/1263-1327م):

ولد بحران سنة (661هـ-1263م) وتوفي بدمشق، محدث، حافظ، مفسر، فقيه، مشارك في أنواع العلوم، هاجر مع أهله إلى دمشق سنة (728هـ)، وله مائة وست وتسعون مؤلفاً، بل ذكر بعض المترجمين للإمام ابن تيمية، أن مؤلفاته تزيد على ثلاثمائة مجلد.

1- مجموعة فتاويه في خمس مجلدات. 2- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.

3- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. 4- بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

هذا وذكر العلامة الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه القيم ابن تيمية في الصفحة الثامنة عشرة من الطبعة الثانية: إن المؤرخين الذين قرأ لهم لم يذكروا القبيل الذي تنتمي إليه أسرة ابن تيمية، ولم ينسبوه إلى قبيلة من قبائل العرب، ويستنتج من ذلك أنه لم يكن عربيا .. ولعله كان كوردياً[3].

13- المفسر يوسف الأصم:

هو يوسف بن خضر بن أبي بكر المعروف بالأصم، ولد في قرية تكية التابعة

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص106. والعماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص60-61. وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، ص353. وخير الدين الزركلي: الأعلام، ج1، ص220.

(2) حران: طول حران سبع وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة: وهي مدينة عظيمة مشهورة، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، ينظر إلى المصدر السابق، الحموي: معجم البلدان، مج2، ص233، وتقع حران ضمن كوردستان تركيا.

(3) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج9، ص271. ومحمد على الشوكاني: البدر الطالع، مطبعة السعادة، ط1، ج1، القاهرة، 1338هـ، ص63. وشيخ الإسلام ابن تيمية: شرح حديث النزول، المكتب الإسلامي، ط6، بيروت، 1402هـ-1982م، هامش ص1. وابن تيمية: الأربعون حديثاً، مشيخة ابن تيمية برواية الإمام الذهبي، دراسة وتحقيق، الشيخ عبد العزيز السيروان، دار القلم، ط1، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م، ص26-30.

لمحافظة السليمانية، وتوفي بعد الألف الهجري بقليل، شارك في أكثر العلوم وله مؤلفات منها :

1- تفسير القرآن الكريم في اربع مجلدات، باسم (منقول التفاسير).

2- منقول الأكراد في الفتاوى[1].

14- عبد الرحيم بن حسين العراقي (1361-1423م):

هو الحافظ زين الدين عبد الرحيم الكوردي الشافعي ولد سنة (762هـ-1361م) وتوفي سنة (826هـ-1423م) فقيه أصولي، محدث وله سبعون مؤلفاً في مختلف الفنون العلمية منها :

1- ألفية في أصول الحديث. 2- التحرير في أصول الفقه. 3- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد (مخطوط). 4- شرح جمع الجوامع (أصول الفقه). 5- شرح سنن أبي داود[2].

15- شيخ الممالك الإسلامية شمس الدين ابن الجزري (1310-1429م):

هو المقرئ الحافظ، المؤرخ، الفقيه، المفسر، شيخ القراء، أبو الخير، محمد بن محمد بن علي الجزري، ولد بدمشق سنة (751هـ-1310م) وتوفي سنة (833هـ-1429م)، من شيوخه الحافظ (ابن كثير، والحافظ العراقي، وشيخ الإسلام البلقيني)، تولى الافتاء والإقراء في جامع بني أمية بدمشق، وله مؤلفات عديدة منها :

1- غاية النهاية في طبقات القراء (جزءان مطبوع) وفيه ثلاثة آلاف وتسعمائة وخمسة وخمسون ترجمة). 2- البداية في علوم الرواية، توفي بشيراز[3].

16- الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني[4]، الكوردي، الشهرزوري (1616-1689م):

ولد في شهران من أعمال شهرزور بجبال الكورد، في سنة (1025-1101هـ)

---

(1) الشيخ عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص631.

(2) نور الدين عتر: علوم الحديث لابن الصلاح، دار الفكر، ط3، مج3، دار صياد، بيروت، 1984م، ص15. و الشيخ عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص283.

(3) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مج5، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص255-257.

(4) الكوراني = الجوراني اسم يطلق على أحد فروع الشعب الكوردي في المنطقة الواقعة بين كركوك وسهل شهرزور، حتى خانقين، كما يطلق على العشائر الكوردية في كرمنشاه. ينظر إلى شرفخان البدليسي: شرفنامه، ص16.

وتوفي بالمدينة المنورة سنة (1616-1689م)، قرأ في بلاده كوردستان ثم غادرها لطلب العلم إلى بغداد، والشام ومصر والهند، ثم إلى المدينة المنورة واستقر بها، ولهذا العالم الجليل مؤلفات في علوم مختلفة تزيد على المائة، منها ما هو مطبوع وما هو مخطوط، منها:

1- اتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف (في علم الكلام).

2- نبراس الإيناس بأجوبة سؤالات أهل فاس (الفقه الشافعي)[1].

17- محمد بن آدم بن عبد الله البالكي (1653-1844م):

ولد في قرية (روست) من أعمال محافظة السليمانية بكوردستان العراق، سنة (1164هـ-1653م) وتوفي سنة (1260هـ-1844م).

اشتغل بالتدريس والتأليف وقرأ عليه جم غفير من بينهم مولانا خالد النقشبندي، ألف ابن آدم زهاء مائة كتاب في العلوم العقلية والنقلية، منها:

1- شرح إثبات الواجب (في علم الكلام). 2- مرآة المأمول (في علم المنطق).

3- مشكاة المنقول في أربعة فنون: النحو والصرف والعروض والمنطق.

4- شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه[2].

18- الشيخ عبد الله البيتوشي الكوردي (1725-1796م):

ولد بقرية (بيتوش) من أعمال السليمانية بكوردستان العراق، سنة (1138هـ-1725م) توفي سنة (1211هـ-1796م) أديب كامل في نظمه ونثره وعالم في تحقيقه، أخذ العلم عن كبار علماء كوردستان، ثم سافر إلى الإحساء ببلاد الحجاز، وتربع على كرسي التدريس، ثم عاد إلى كوردستان، ونشر العلوم، ثم هاجر مرة أخرى إلى الإحساء في أوائل سنة (1180هـ) ومكث هناك حتى توفي، ألف أكثر من ثلاثين مؤلفاً منظوماً في شتى العلوم، منها:

---

(1) محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ضبط محمد عبد القادر شاهين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1997م، ص10، و إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص35، وفهرس الخزانة التيمورية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج2، 1948م، ص257.

(2) عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج2، ص159. والشيخ عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص507-508.

1- كفاية المعاني. 2- البهجة المرضية في شرح الألفية[1].

19- الشيخ محمد معروف النودهي (1752-1838م):

ولد في قرية (نودى) التابعة لقضاء شهربازار الواقعة شرق مدينة السليمانية، وذلك في سنة (1166هـ-1752م) توفي سنة (1254هـ-1838م)، ويعد النودهي من كبار علماء كوردستان ويتضح ذلك في ثبت مؤلفاته التي تناولت الفقه وأصوله، واللغة والمنطق، وآداب البحث، له ما يقارب خمسين مؤلفاً بين مطبوع ومخطوط منها:

1- الفرائد في نظم العقائد. 2- قطر العارض في علم الفرائض. 3- فتح الرحمن في علمي المعاني والبيان[2].

20- الملا خليل بن الملا حسين السعردي (1751-1843م):

ولد في بلدة (هيزان) بالقرب من (سعرد) بكوردستان تركيا، ثم انتقل إلى (سعرد) مولده سنة (1164هـ-1751م) وتوفي سنة (1259هـ-1843م) طاف بلاد كوردستان تركيا طلباً للعلم، ونال الإجازة العلمية من الملا محمود البهديني مفتي

---

(1) عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج2، ص44، 45، 133. و محمد الخال: البيتوشي، ص122.

(2) عباس العزاوي: الأدب العربي في العراق، ج2، ص51،52، 140، ومحمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، وأنحائها، ص218. ومحمد الخال: معروف النودهي، ص93، 96.

العمادية المتوفى سنة 1202هـ-1788م بكوردستان العراق.

ألف الكتب باللغتين العربية والكوردية، وأغلبها مخطوطة، تربو على خمسة وثلاثين كتاباً منها:

1- بصيرة القلوب في كلام علام الغيوب (تفسير). 2- كتاب في أصول الفقه الشافعي.

3- كتاب في أصول الحديث. 4- الكافية الكبرى في النحو. 5- ديوان شعر بالعربية والكوردية[1].

21- الشيخ إبراهيم فصيح الحيدري (1820-1883م):

ولد ببغداد سنة (1226هـ-1820م) وتوفي بها سنة (1300هـ-1883م) اشتغل بالتدريس والتأليف، وله أكثر من أربعة وأربعين مؤلفاً في فنون العلم منها:

1- تفسير فصيح البيان في تفسير القرآن. 2- كتاب أعلى الرتبة في شرح نظم النخبة (علم الحديث). 3- كتاب فك الاشتباك في شرح تشريح الأفلاك. 4- كتاب كامل التوقيع في فن البديع[2].

22- الشيخ عبد الكريم المدرس (1905-...م):

ولد في قرية (تكية) التابعة لمحافظة السليمانية في سنة (1323هـ-1905م) ولا يزال حتى إعداد هذا البحث على قيد الحياة، تفرغ للإمامة والخطابة والتدريس والتأليف، وله ما يقارب خمسين مؤلفاً باللغات العربية والكوردية والفارسية بين مطبوع ومخطوط منها:

1- مواهب الرحمن في تفسير القرآن في سبع مجلدات (بالعربية). 2- تفسيرنامه باللغة الكوردية.

3- جواهر الفتاوي (الفقه) في ثلاث مجلدات[3].

---

(1) بروسه‌لي محمد طاهر: عثمانلي مؤلفلري، ج1، مطبعة (همت بيور لمشدر) استانبول، مطبعة عامرة، 1333هـ، ص299. و إسماعيل باشا الباباني البغدادي: هدية العارفين، ج1، ص357.

(2) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج1، ص40. وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج2، ص58-59.

(3) الشيخ عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص329-332.

ثالثاً: العلماء الكورد المعاصرون للسلطان عبد الحميد الثاني والمؤيدون لسياسته:

إن علماء كوردستان، ومن منطلق تعلقهم بالإسلام، وإخلاصهم اللامتناهي في تطبيق مبادئ الشرع القويم، وحرصهم اللامحدود في الاقتداء بالرسول الأمين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وسعيهم الدؤوب في العض بالنواجذ على قيادته الحكيمة للناس، بهدف تحقيق السعادة في الحياتين، ومن قاعدة دعواتهم المستمرة للتمسك بأهداب الدين، فكانوا يرون وجوب طاعة أولياء أمور المسلمين وخاصة أولئك الذين يحملون لقب الخليفة أو الأمير أو السلطان أو أئمة المسلمين، وذلك استجابة لأمر الباري عز وجل: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وبما أنهم كانوا من الطائعين لله تعالى ولرسوله، فاعتقدوا وجوب طاعة الثالث مثل وجوب طاعة الأولين، باعتباره خليفة الرسول ﷺ وأصحابه الكرام في نشر عقيدة الإسلام وحماية أرض المسلمين، وتطبيق الأحكام الشرعية، ولكونه راعي الأمة الإسلامية ورمز الوحدة والاتحاد حتى ولو كان أدنى أضعاف المرات من مراتب الرعيل الأول.

فمن هذا الفهم المنطقي الفقهي، والتصور المعقول والاستنباط الشرعي، أيد أغلب علماء الكورد السلطان عبد الحمد الثاني في سياسته التي تواترت أحاديث معظم المنصفين بالشهادة له في الصلاح والإصلاح الديني والزمني، ولم يخالف إجماع العلماء الكورد في هذا الرأي من يعتد برأيه من أصحاب الدرجات العلمية ومن أصحاب الشأن في التأليف والإرشاد والتقوى والصلاح، وهذا ما تأكد لي بعد دراسة مستفيضة وسبر أغوار سيرة علماء الكورد في معظم نطاق التاريخ الكوردي في هذا الباب.

وإذا لم يكن السلطان عبد الحميد الثاني مثل الخليفة عمر بن عبد العزيز فبسبب الداء السرطاني الذي أصاب جسم الدولة العثمانية قبل عهد السلطان عبد الحميد الثاني من جراء تبعات ظروف محلية ودولية فاستعصى عليه استئصال الورم الخبيث، ورغم جهوده في تطبيب المرض باستعمال الأدوية العلاجية، مثل الإقدام على خطوات إصلاحية، واللجوء إلى إنشاء الجامعة الإسلامية وتمتين أواصر الصلة بين الشعوب العثمانية وغيرها ولكنه لم يفلح، إذ لم يكن له طاقة بجالوت وجنوده وله العذر، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ويستدل على تأييد علماء الكورد للسلطان عبد الحميد الثاني من خلال

قبولهم تولي وظائف الافتاء والقضاء اللذين يعدان من المناصب الحيوية الرفيعة اجتماعياً ودينياً في عهد السلطان.

ولم يكن العالم الكوردي الذي كان على جانب عظيم من العلم والتقوى ليرضى بتحملها خشية من الله تعالى، لو لم يكونا بأمر إمام عادل مستند على الفقه الإسلامي.

كما ويستنتج هذا التأييد للسلطان من دعواتهم له بالظفر والنصر المبين عبر المنابر والمحاريب أيام الجمع والمناسبات الدينية، ومن ثنائهم الذي لم يجبرهم عليه أحد على السلطان في ديباجات مؤلفاتهم ومختتماتها، وإصدار الفتاوي التي كانت تحث الكورد على الجهاد جنباً إلى جنب مع العثمانيين ضد الروس والدول المسيحية التي كانت تعمل للقضاء على الخلافة الإسلامية.

كما ان كثيراً من العلماء الكورد تولوا قيادة المجموعات الكوردية المجاهدة للدفاع عن السلطنة العثمانية، ودافعوا عن سياسة السلطان وسيرته وقام العديد منهم بين الفينة والفينة بزيارة استانبول أثناء حكم السلطان رغبة في اللقاء معه أو تنفيذاً لاستدعائه لهم، ويقبلون مكافآته وتخصيصاته لهم بوقف واردات قرى للإنفاق عليهم وعلى طلاب المدارس الدينية، والأمر بتشييد الروابط والتكايا لهم وبناء الجوامع والمساجد.

ولقد ساهم كثير منهم وأتباعهم من الطلاب والمؤيدين في الجهاد ضد الغزاة على أراضي الدولة العثمانية.

وكل هذا قد وقع وحصل ويتضح الأمر أثناء استعراضنا لمواقف نماذج من العلماء المؤيدين للسلطان، تصريحاً أو تلميحاً أو بقرينة المقام، وبالتعبير عن قصائدهم المنظومة بالعربية والكوردية والتركية بالمدح والإطراء والتي ترد في السياق الآتي:

1- الشيخ محمد فيضي الزهاوي (1208-1308هـ/ 1793-1890م):

هو محمد بن الملا أحمد بن حسين بك رستم بك بن كيخسرو، حفيد أمير بابان الكوردي، ولد في قرية (زهاو) بمنطقة السليمانية بكوردستان العراق، وتربى في بيت الحكم والعلم ودرس على علماء كوردستان أمثال الشيخ معروف النودهي (ت 1252هـ) والشيخ محمد قسيم، وحصل على الإجازة العلمية من العالم الجليل محمد بن رسول (ت 1246هـ) وهو في العشرين من عمره، نذر نفسه للتدريس

وأقام حلقات التدريس في السليمانية ومدينة كركوك، ثم عين رئيساً للمدرسين في بغداد سنة 1850م، ثم تولى منصب الإفتاء فيها بأمر والي بغداد، نامق باشا، وقضى في التدريس والوعظ والإفتاء والتأليف نحواً من سبعين سنة، وتخرج عليه أكثر من ستة آلاف طالب، وكان على دراية تامة بالآداب الفارسية والعربية والتركية والكوردية، وله موهبة فائقة في النظم والنثر، وكان من الذاكرين بالثناء على السلطان عبد الحميد الثاني وعهده[1].

2- محمد أفندي الزندي (1226-1311هـ/1811-1893م):

ينتمي إلى عشيرة (الزند) الكوردية في قضاء كفري من أعمال كركوك، ولد في مدينة بغداد، درس على والده حتى نال الإجازة العلمية، نصب نائب القاضي في المحكمة الشرعية ببغداد، ثم عين مفتياً فيها بعد عزل الشيخ محمود الآلوسي، مؤلف تفسير روح البيان، ولم يلبث في منصب الإفتاء مدة طويلة، وعندما تولى ولاية بغداد (نامق باشا الكبير) أحال منصب الإفتاء إلى الشيخ محمد أفندي الزهاوي، المار ذكره آنفاً.

عين صاحب الترجمة (كهيا = وكيلاً = مستشاراً) للولاية، وفي عام 1293هـ انتخب نائباً عن مدينة بغداد، وذهب إلى استانبول وعندما حل السلطان عبد الحميد مجلس النواب، عين المترجم له عضواً في (مجلس شورى الدولة) وبقي فيه حتى توفاه الله، لقد كان عالماً فقيهاً، خدم الدولة العثمانية بانضمامه إلى جمعية (مجلة الأحكام العدلية)، وله عدة مقالات، وكان يجيد عدا لغته الكوردية، لغات العربية والتركية والفارسية، وله أحفاد في استانبول[2].

3- الملا حسين بن الملا عبد الله البشدري (1229-1324هـ/1813-1904م):

ولد هذا العالم المفضال في قرية (نور الدين) التابعة لقضاء قلعة دزه بكوردستان العراق، رافقه التوفيق في تحصيل العلوم العقلية والنقلية، وكان من

---

[1] عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج8، ص105. ومحمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص251. ومير بصري: أعلام الكورد، ص110. وعبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص517-518.

[2] محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ص141-142. وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج7، ص158. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين في القرنين التاسع عشر والعشرين، مج3، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1996، ص104.

المتمكنين بالعربية والفقه والتفسير والرياضيات، نال الإجازة العلمية من الشيخ محمد فيضي أفندي الزهاوي المار ذكره، عين في بعض المساجد المدرسية، ثم تحول إلى مدينة بغداد، وأصبح مدرساً في مدرسة أبي حنيفة.

وعين عضواً في مجلس المعارف بالعاصمة بغداد عام 1289هـ وبقي فيه إلى نهاية المطاف، وكان من الداعين بالنصرة للسلطان عبد الحميد الثاني والخلافة العثمانية التي كان يرى فيها جامعة للشعوب الإسلامية.

خلف البشدري مؤلفات منها: - كتاب ترشيح الإدراك في شرح تشريح الأفلاك للعاملي.

- برهان الهدى: وهو تفسير ضخم للقرآن الكريم[1].

4- الشيخ مصطفى المفتي البرزنجي (1235-1302هـ/1819-1884م):

ولد في قرية برزنجة التابعة للسليمانية، تتلمذ على علماء أذكياء، منهم الشيخ الملا محمد المفتي الزهاوي (المسبوق ذكره) جد في استحصال العلوم الإسلامية حتى نال الإجازة العلمية، وتعين بفرمان سلطاني مفتياً، كان أديباً بارعاً في آداب اللغات، العربية والفارسية والكوردية، وله قصيدة غراء في التوحيد الإلهي، مطلعها:

قرأت كتاب الكائنات فإنه   سطور بتوحيد الإله تهلل[2]

5- رسول مستي أفندي، الملقب بشيخ الحكماء (1239-1326هـ/1239-1908م):

من أهل (وارماوا) من قرى حلبجة التابعة لمدينة السليمانية، درس العلوم الإسلامية على علماء هورمان وسنندج من كوردستان العراق وإيران، قصد استانبول وتعلم في المدارس الملكية، وألف في هذه الفترة كتاباً في علم الفيزياء فقدمه إلى السلطان عبد العزيز (1861-1876م) فكافأه بالهدايا والخلع وخصص له مرتباً، ثم عهد إليه منصب التدريس في المدارس الرشيدية الملكية في الموصل وكركوك والبصرة، ثم رجع إلى استانبول، فعين مفتشاً للمعارف في منطقة (وان) فمديراً للمعارف فيها، ثم ذهب إلى مصر وتعلم الفرنسية، ثم تجول في أوربا وعاد

---

(1) عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك، ص274. وباقر أمين الورد: أعلام العراق الحديث، ج1، ص282. وجريدة الزوراء في 16 شوال 1289هـ. ووليد الأعظمي: أعيان الزمان وجيران النعمان، ترجمة، ص214.

(2) عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص566-567.

إلى استانبول وظل فيها حتى وافته المنية ودفن فيها، وأولاده يسكنون الآن في السليمانية.

اخترع ماكنة لسحب المياه، تشتغل بدون هواء أو بخار، ولكن اختراعه لم يلق الاهتمام اللازم، فذهب إلى مصر وعرض اختراعه على الخديوي عباس حلمي باشا (1874-1914م) واثبت أقواله بحضور هيئة فنية ولبعض الأسباب لم يمنح له الامتياز.

كان يجيد العربية والفارسية والتركية والكوردية وله مؤلفات منها:

1- رسالة في تشريح الأفلاك. 2- كتاب إثبات واجب الوجود. 3- كتاب في علم الطبيعة.

4- حوادث عناصر.

كان من أشد أنصار الخلافة العثمانية، ومن المعجبين بسياسة السلطان عبد الحميد الثاني الإصلاحية[1].

6- الملا محمد أمين المفتي (1250-1315هـ/1834-1897م):

هو العالم الفاضل بن العالم الجليل الملا أحمد المفتي، ولد صاحب الترجمة بمدينة السليمانية، درس العلوم الإسلامية على والده، وحصل منه على الإجازة العلمية، نال رتبة الإفتاء مثل والده، وخلع عليه السلطان عبد الحميد الثاني (المدالية المجيدية) وتولى منصب وكيل شيخ الإسلام القائم بالواجب في استانبول حسبما تقرر حينذاك بتعيين وكلاء في المحافظات عن مشيخة الإسلام.

قام بالتدريس والتف حوله الطلبة وله مؤلفات منها:

- الرسالة الكلامية المسماة بالرسالة الحميدية، أهداها إلى السلطان عبد الحميد الثاني، إعجاباً من المؤلف بالسلطان[2].

7- الملا عبد الله بن الملا أسعد الجلي (1250-1326هـ/1834-1908م):

ولد في قضاء كويسنجق التابعة للواء السليمانية، نشأ بها في أحضان العلم

---

(1) محمد أمين زكي: مشاهير الكرد وكوردستان، ج1، ص223. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، مج1، ص465. ومير بصري: أعلام الكورد، ص60.

(2) عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص541-542.

ومرتع الصلاح، درس على أبرز علماء عصره، وتجول في مدارس كوردستان الدينية ليرتشف من مناهل المعرفة، واستحصل الإجازة العلمية. في عام 1288هـ-1871م قصد بيت الله الحرام برفقة والده، وفي طريقه إلى الحجاز، التقى بجمع من العلماء والأدباء في مدينة حلب، توفي والده في الديار المقدسة سنة (1289هـ)، قام المترجم له مقام والده رئيساً للعلماء، وتخرج عليه جمع غفير من العلماء وكان يوصي مجازيه بدوام الدعاء من المولى للخلافة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني.

كان هذا العالم شاعراً، عرف له نظم في الكوردية والفارسية[1].

8- الملا طه بن إسماعيل بن حسن بك الشيرواني (1250-1350هـ/1834-1931م):

ولد في مدينة أربيل، وتفقه على علمائها وانتسب إلى الطريقة النقشبندية واشتغل بالتدريس ثم توجه إلى بغداد، ونال الإجازة العلمية من المفتي محمد فيضي الزهاوي، ثم تعين في كربلاء إماماً وخطيباً ومدرساً، وعاد إلى بغداد سنة 1868م وتولى إقامة الختمة النقشبندية في جامع خضر إلياس، ووجهت إليه جهة التدريس ثم أعاده إلى كربلاء الوالي محمد تقي باشا، وعينه مديراً للأوقاف حتى الثورة العراقية، ثم تعين في بغداد بنفس وظيفته ثم عين مدرساً وخطيباً في جامع الحاج أمين، واستمر لحين وفاته ببغداد، وله بعض الرسائل والحواشي والتعليقات[2].

9- سعيد باشا بن حسين باشا (1250-1325هـ/1834-1907م):

ولد في مدينة السليمانية درس العلوم الإسلامية على علماء كوردستان ثم اصطحبه والده إلى استانبول، ودرس في المدارس العثمانية وتعلم الفرنسية والعربية والفارسية والألمانية، علاوة على اتقانه للغة الأم اللغة الكوردية.

عين ملازماً في قلم الترجمة بالباب العالي، فمتصرفاً للواء (بانية) عام 1867م، وتقدم في سلم المناصب حتى أصبح وزيراً للخارجية في الدولة العثمانية عام 1882م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ثم تعين بمنصب سفير في برلين في السنة التالية، وعاد وزيراً للخارجية عام 1885م فرئيساً لمجلس شورى الدولة بالوكالة فرئيساً أصيلاً سنة 1893م واستمر في تسنم هذا المنصب إلى وفاته

---

(1) محفوظ العباسي: إمارة بهدينان، ص175-177. وبلال زبير: علماء ومدارس أربيل، ص64.

(2) مير بصري: أعلام الكورد، ص121-122.

في استانبول[1] .

10- الحاج الملا عبد الله الثالث الجلي (1250-1326هـ/1839-1908م):

ولد في قصبة كويسنجق التابعة للواء السليمانية، درس على والده وعلى أبرز علماء عصره، وتضلع في العلوم معقولها ومنقولها في حياة والده الذي أجازه بنفسه[2] .

تعين مدرساً في كويسنجق، فتقاطر عليه الطلاب من كل حدب وصوب[3] . خرج مجاهداً ضد روسيا القيصرية سنة 1294هـ-1877م، ولم يعد إلى بلده إلى أن انتهت الحرب[4] .

وفي عام 1309هـ-1891م، رشح ليكون رئيس الوفد العثماني المفاوض مع السلطات الإيرانية بسبب حادثة أدت إلى فتور العلاقات بين الدولتين، فسافر إلى مدينة مهاباد (ساوجبلاغ) مع قائمقام قصبة (راوندوز) عبد الله باشا الرواندوزي حفيد الأمير محمد باشا الراوندوزي الملقب بـ(الأمير الكبير، والأمير الأعود)[5] ، فوفق في المهمة الموكولة إليه، وكرم من قبل رئيسي الدولتين. ورشحه السلطان عبد الحميد الثاني بوسام مجيدي من الدرجة الثالثة، كما أهدى إليه ناصر شاه خاتماً من الألماس[6] ، وبعد عودته إلى قصبة كويسنجق، استأنف واجباته الدينية والعلمية إلى عام (1318هـ-1900م) حيث أوكل هذه الأمور إلى نجله العالم الملا محمد، توفي المترجم له عام 1908م بعد أن تخرج عليه عشرات العلماء، خلف آثاراً علمية منها:

1- كتاب في علم الأصول. 2- رسالة المولد النبوي باللغة الكوردية.

---

(1) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص236. ومير بصري: أعلام الكورد، ص59.

(2) الملا عبد الله الجلي: تفسير القرآن الكريم باللغة الكوردية، الدفتر 30/159 مخطوط.

(3) عبد الكريم المدرس: العوائل العلمية، مطبعة شفيق، بغداد، 1984م، ص560.

(4) محمد الجلي: المعقول في علم الأصول، تحقيق عبد الرزاق بيمار، مؤسسة المطبوعات العربية، ط1، بغداد، 1981م، ص11-12.

(5) الأمير محمد باشا: هو احد أمراء الإمارة السورانية الكردية، ولد سنة 1198هـ في راوندوز، أراد أن يوطد حكمه وأخضع العشائر له، واستولى على مناطق شاسعة من كوردستان، واضطر والي بغداد (علي رضا باشا) الاعتراف بحكومته وخاف العثمانيون من بسط نفوذه وهاجموا عليه فاستسلم وقتله رجال من الجيش العثماني في طرابزون سنة (1253هـ) ينظر إلى: مشاهير الكورد، محمد أمين زكي، ص174.

(6) عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص353-354.

3- رسالة بالعربية ألفها في مدينة مهاباد، حين أوفد إليها وتضمنت وجوب إطاعة أولي الأمر وتلبية أمر السلطان[1].

11- يوسف ضياء باشا (1255-1327هـ/1839-1909م):

ولد في مدينة السليمانية، ودرس على علماء الكورد في المساجد المدرسية حتى نال الإجازة العلمية، وكان من الشعراء المتصوفين، ويجيد اللغات، العربية والفارسية والتركية والكوردية، وله نظم بها على طريق التصوف. أصبح مديراً للبرق ونقل إلى إدارة الأملاك السنية العائدة للسلطان عبد الحميد الثاني، فكان مديرها في البصرة وطرابلس الغرب، وحلب والموصل وآخيراً في بغداد.

كما تولى تدريس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية في فيينا (عاصمة النمسا)، وكان من أعضاء مجلس المبعوثان العثماني في سنة 1886م.

ألف كتباً منها:

1- الهدية الحميدية في اللغة الكوردية. 2- التحفة الحميدية. 3- عكاز الأدب.

توفي في مدينة بغداد[2].

12- الشيخ رضا الشيخ عبد الرحمن الطالباني (1258-1328هـ/1842- 1910م):

ولد في قضاء بازيان التابعة لمحافظة أربيل، وكان آباؤه من مشائخ الطرق القادرية، نشأ وترعرع في مدينة كركوك، درس العلوم الإسلامية على والده وغيره من العلماء حتى استوى وتضلع في الفقه والعلوم الأخرى. يعد من مشاهير شعراء كوردستان والعراق، كان يجيد قول الشعر بأربع لغات؛ الكوردية والعربية والفارسية والتركية. قوي البلاغة جيد القريحة، صفي الذهن، وهو في هجائه مر شديد، وفي مدحه ريان العواطف بديع.

شد الرحال إلى استانبول عام 1860م وقفل راجعاً إلى كركوك ثم سافر إلى

---

(1) مغديد حاجي: صفحات من حياة الملا محمد الكويي، القسم الأول والثاني، مجلة المجمع العلمي العراقي-الهيئة الكوردية، العدد (12) لسنة 1985م، والعدد (14) لسنة 1987م، ق1، ص411. ونجيبة محمد الجلي: تاريخ أسرة جلي، مخطوط بحوزة مؤلفته.

(2) عباس العزاوي: العمادية في مختلف العصور، ص102. ومير بصري: أعلام الكورد، ص61-62. ومحمد علي القرداغي: إحياء تاريخ العلماء الكورد من خلال مخطوطاتهم، مج2، مطبعة السالمي، بغداد، 1419هـ، 1999م، ص357.

عاصمة السلطنة العثمانية، للمرة الثانية سنة 1866م، قصد إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج ومر في طريقه بمصر، وقيل أنه في أثناء مكوثه في القاهرة عهد إليه بتدريس اللغة الفارسية لأنجال الخديوي إسماعيل.

وبعد أن حج بيت الله العتيق، ذهب إلى استانبول والتقى بأدباء الترك وشعرائهم وفي مقدمتهم نامق كمال (1840-1880م) وتركه متحيراً من ذكاء ودهاء الطالباني[1].

وقد طبع ديوان الشيخ رضا الذي نظمه باللغات التركية والفارسية والكوردية للمرة الأولى سنة 1935م.

وأخيراً استقر به المقام في بغداد، ودفن في مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني، ونحت هذه الأبيات التي هي من نظمه على قبره بالفارسية:

يا رسول الله ضة باشد ضون سك أصحاب كهف

داخل جنت شوم درزمرة أصحاب تو

أورود درجنت ومن در جهنم كي رواست

او سك أصحاب كهف ومن سك أصحاب تو

المعنى:

(يا رسول الله ماذا عسى أن يكون، لو سمحت أن أكون مثل كلب أصحاب الكهف، فأدخل الجنة في زمرة أحبابك، وهل يليق أن يذهب هو إلى الجنة وأنا إلى الجحيم في حين أنه كلب أصحاب الكهف وأنا كلب أصحابك)[2].

لقد عبر الشيخ رضا عن أعماق خلجات قلبه بحبه اللامحدود للسلطان عبد الحميد الثاني، ووصفه بصفات جليلة، يعجز إيرادها غير الطالباني، وكأنها لوحة الاستعارات والتشبيهات والكنايات والتصريحات والحقائق والمجازات، ضمنها في قطعتين فنيتين باللغة التركية والفارسية، ونوردهما نصاً مرفقين بالترجمة العربية:

- ثناء الشيخ رضا على السلطان عبد الحميد خان (باللغة التركية نظماً):

---

(1) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكورستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ص364. و مير بصري: أعلام الكورد، ص112-113.

(2) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج1، ص224. و كوركيس عواد: معجم المؤلفين، مج1، ص472. وعبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص206.

1- سرير سلطنت ملك اليمن آل عثماندر

2- خلافت خاندان ثروة عبد الحميد خاندر

3- وكيل فخر عالم زبدة ذريت آدم

4- أمير المؤمنين ظل خدا محبوب يزدان در

5- بيلنمز هيئت شاهانه سى عكس تجلادن

6- ملكدر يا ملك شاه جهان ياماه تابان در

7- خرد ميدان عاجز عقل كل قاصر.

8- ره انديشه ياغلو قوه ادراكه حيران در

9- النده كاسه شمس وقمر در طاهنة قارشو

10- بو كلمش صانطة طردون بر طداى كاسةطرداندر

11- باصوب ناف زمينه عرش جيقمش تخت إجلالي.

12- دكل باد أورره دوران ايليا تخت سليماندر

13- بولنمش طلشن عصرندة عمدن ديده طريان

14- نسيم رأفتدت طل طبي بلبلدة حندان در

15- اطوندن كيم ايشتمش هيت عدلك ضرخ دون ثرور

16- بنمله اتيديكي جورو جفالردن ثشيماندر

17- يقة قوتارمق ايستر بنضة قاون عدلكدن

18- انك ايضون طاه ثر آلتنده طاة ابرايضرة ثنهاندر

19- نية ضيقما زاوشاهك عهده مدح وثنا سندة

20- رضا طرفى المثل من تحندانيدة حساندر

21- هميشه تا قمر رونق فزاي طارم خضرا

22- هميشه تا زحل آرايش أيوان كيواندر

23- الهي برقرار اولسون سريري عافيت أوزره

24- وجود ثادشاة عصر مزكيم جود احساندر.[1]

---

[1] شيخ رضا الطالباني: ديوان شيخ رضا الطالباني، مطبعة مريوان، بغداد، 1935م، ص188-189.

المعنى:

1- عرش سلطنة مملكة اليمن لآل عثمان.

2- خلافة تلك السلطنة تحت حكم السلطان عبد الحميد خان.

3- إن السلطان عبد الحميد وكيل فخر الكائنات وزبدة ذرية آدم.

4- هو امير المؤمنين وظل الله ومحبوب المولى تعالى.

5- هو تجلي نور الله في الأكوان، ولا يعرف حدود سلطنته لكبرها .

6- إن مملكتك يا ملك ملوك العالم، ويا قمر الزمان تتجلى بالنور.

7- إنها ميدان الخلافة ويعجز عقل الآخرين عن وصفها .

8- إن قوة وإدراك الإنسان متحير في استيعاب كنهها .

9- كأن الشمس والقمر كلاهما في يدي السلطان أو هو مستودع الشمس والقمر.

10- دائرة الشمس والقمر في مقابلة باب سلطنته.

11- كأن هذا الكون دولاب يتحرك بيده أو فنجان صغير في يد السلطان.

12- وكأن عرش سلطنته تتوسط منتصف الكون.

13- عرش السلطان مثل بساط سليمان يجري على الرياح في كل مكان.

14- إن عصره كالحديقة ذات الأزهار من كل لون يقضي على الأحزان.

15- نسيم رأفته تجعل البلابل تغرد وتبتسم كالأزهار.

16- الذي يعيش تحت ظل عدل السلطان، ينسى ما لحقه من الجور والجفاء.

ويستمر الشيخ رضا في بقية الكلام بالثناء على السلطان عبد الحميد الثاني وعدله ويشبهه بالقمر، ويتمنى توسعة ملكه حتى التملك لكوكب زحل، ويدعو من الله سبحانه أن يديم سرير ملكه وأن يسبغ عليه نعمة العافية.

هذا ويريد العالم الجليل الشيخ رضا الطالباني أن يدون شهادته للتاريخ والأجيال باعتباره شاهداً رأى بعينيه ولامس بشعوره عصر السلطان عبد الحميد الثاني فيواصل التعبير عن الموقف بأبيات شعرية أخرى بالتركية في موضع آخر من ديوانه فيقول بعنوان: سلطان عبد الحميد

1- حضر شوكتمدارك عسكر شاهانةسي

2- بحر عماندر قوماندان طوهر يكدانة سي.

3- نوردن برشمع تاباندر جمال ثادشاه

4- فيضي ثاشادار أو شمع أنورك ثروا نةسى.

5- سل سيف ايتمكسزين اعداى ايتمش زهرة حال.

6- اول مشيري عاليشانك حالت شيرانةسى

7- بن اوتي آصف ديووصف ايلمم قابل دكل

8- بويلة آصف وار ايكن كيضمشدن أفسانةسى.

9- سد أبواب خلل در صانكة حفظ ملتة.

10- برحصار آهنين در ساعدي مردانةسي

11- سورمة ضشم مباهاتى غبار رز مكار.

12- جنون أعدائي شهنشاه بادة ثيمانةسى

13- فتح ونصرت همعنان رخش صار قتلرينة

14- عزو عفت خادم درطاة دولتخانة سى

15- فتنة رندانة صو قمش أول سبيدن خستة در

16- هر مقابرو كمانك نركسي مستانة سى[1].

المعنى:

1- حضرة السلطان مدار القوة والشوكة وشرف العسكر وقائده.

2- وهو في العطاء كبحر عمان، وفي القيادة القائد الأعظم وهو الجوهر الفريد.

3- وهو حزمة من نور الله تعالى، وذو جمال عظيم في خصاله.

4- فخر الباشوات ومنبع الإضاءة.

5- حينما يسل سيفه يعدم حياة الأعداء، بشوكته، وبأسه، وقوته.

6- كالأسد في الشجاعة وعالي الهمة وقوي العزيمة.

7- وإذا أقول في حقه بأنه (آصف = وزير سليمان عليه السلام) فأنا قاصر

---

[1] الشيخ رضا الطالباني: ديوان الشيخ رضا الطالباني، ص223.

في الثناء عليه لأن المشبه به أدنى مرتبة من المشبه.

8- إن عاصف سليمان يعد خرافة بالمقارنة مع السلطان.

9- السلطان يسد أبواب الخلل ويحفظ الملة.

10- إنه حصن لقلب الإنسان وعضد الرجال.

11- إنه في المعارك يظلل العدو بسحاب من الغبار والظلمة والدخان.

12- إن السلطان عندما ينازل الأعداء، يفقدهم صوابهم ويجعلهم كالمجانين لا يهتدون إلى سبيل.

13- إن فتح الدنيا والغلبة وزمام الأمر هي من حصة السلطان.

14- العزة والعفة خدم أبواب دولته.

15- إنه قادر للسيطرة على إخماد الفتن وتصبح الاضطرابات في حالة شلل عندما تسمع اسم السلطان.

16- إنه أجمل لوناً وأعطر رائحة من النرجس ويفقد النرجس عبيق رائحته عندما يحضر السلطان.

يبدو أن الطالباني كان يتمنى أن يعرف كل اللغات ليعبر بجميعها عن ما يكنه من الحب والتقدير للسلطان ويبلغها إلى كل الأقوام إذ لم يكتف بالثناء على السلطان باللغة التركية، بل أردفه بالدعاء له باللغة الفارسية، فيقول:

1- قل هو الله أحد حرز سر ما أقسرن.

2- مست صهباني (ألم نشرح) دل ودانشورك.

3- مستشارك عقل اون همدمك روح الأمين.

4- دقستطيرك فيض أقدس اسم أعظم ياورك.

5- تاج وتختك تا أبد محفوظ (الله الصمد)

6- آية الكرسي مدد (إنا فتحنا) رهبرك[1].

المعنى:

1- ليحفظك الله تعالى ويجعلك في حرزه بسر (قل هو الله أحد)، هذه الآية

---

[1] الشيخ رضا الطالباني: ديوان الشيخ رضا الطالباني، ص205.

التي هي مفتاح العقيدة والتوحيد ومعرفة الله سبحانه.

2- وليكن قلبك وشعورك مغموراً بالانشراح كما شرح الله قلب رسوله والمؤمنين.

3- وليجعل الله مستشار عقلك الروح الأمين.

4- اللهم اجهل معين السلطان الفيض الأقدس وناصره الاسم الأعظم.

5- واجعل تاجه وكرسيه محفوظاً إلى الأبد بـ(الله الصمد).

6- وتكون آية الكرسي مددك و(إنا فتحنا) قائدك.

13- الملا سعيد المفتي (1295-1340هـ/1843-1921م):

ولد في ناحية (سويل) التابعة للسليمانية، تجول في مدارس المنطقة، وتعلم العلوم الإسلامية وفاز بالإجازة العلمية من لدن الملا عبد الرحمن البنجويني، تعين مدرساً ومفتياً في قضاء (كفري) من أعمال السليمانية، فدرس وأفتى[1].

14- الشيخ مصطفى بن الشيخ محمود الخرباني (1295-1239هـ/1843-1920م):

ولد في قصبة حلبجة التابعة للسليمانية، نشأ بها وتربى في أحضان العلم والكرامة، درس العلوم في مدارس عديدة، وحصل على الإجازة العلمية من الشيخ عبد القادر المدرس، في مدرسة (بيارة).

عين في حلبجة إماماً وخطيباً ومدرساً، ثم تعين بمرسوم سلطاني مفتياً فيها، كانت مدرسته عامرة بالطلاب، ويطعم الطعام للفقراء من الأموال المخصصة لها من قبل السلطان عبد الحميد الثاني[2].

15- أمين يمني بك بن أحمد أفندي (1262-1339هـ/ 1845-1921م):

ولد في مدينة السليمانية، ودخل الكتاتيب والمساجد المدرسية للتفقه في العلوم الإسلامية، أتقن اللغتين التركية والفارسية، ثم تعلم الفرنسية، كان يعاصر شعراء عثمانيين كباراً ولكن جودة طبعه وطلاقة لسانه ساعداه في إحراز قصب السبق، فأنشد وألف الآثار الطيبة، أوفدته الحكومة العثمانية سنة 1291هـ-1874م قنصلاً في إيران، وفي سنة 1296هـ-1875م عين وكيلاً عمومياً لولاية الموصل، ثم في (وان) ثم في (جدة) فأدى خدمات جليلة.

---

(1) عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص225.

(2) المصدر نفسه، ص567-568.

وله مؤلفاته بالفارسية منها:

1- تخميس ديوان الحافظ الشيرازي بعنوان (جذبة العاشق) طبع في استانبول عام 1921م، بالمطبعة العامرية، عدد صفحاته (865) صفحة.

2- تخميس الجزء الأول من (المثنوي) لجلال الدين الرومي. 3- كتاب ساقي نامه.

مؤلفاته بالتركية وهي:

4- ثوتة أسرار (بوتقة الأسرار).

5- قهرمان قاتل. 6- ضروب أمثال. 7- تركيب بند 8- هفت بيكر (سبعة وجوه).

وله آثار أخرى باللغات العربية والفارسية والكوردية والتركية، لم تتيسر لنا معرفة أسمائها[1].

16- محمد حمدي باشا بن حسين بك (1236-1341هـ/1846-1922م):

ولد في مدينة السليمانية وتعلم القراءة والكتابة في المساجد المدرسية حتى نال قسطاً وافراً من الفقه الإسلامي، شاهد بأم عينيه تداعي الإمارة البابانية الكوردية وعلى أثرها رحل إلى بغداد، وعين معاوناً للمدعي العام بالموصل. ثم عهد إليه منصب الأدعاء العام في ولاية بيروت، وبعد سنوات تسلم منصب المفتش العدلي للولايات الثلاث (بغداد، الموصل، والبصرة) ومنح رتبة (روم إيلي بكربكي) وبعد ظهور القلاقل في اليمن، عين متصرفاً على (الحديدة) فأخمد الثورات وأعاد المياه إلى مجاريها، ثم نقل إلى لواء (العمارة) ثم إلى لواء (المنتفك) توفي في بغداد[2].

17- مصطفى ذهني باشا الباباني (1267-1345هـ/1850-1926م):

ولد في السليمانية، درس في السليمانية على العلماء المشهورين حتى أصبح من العلماء الأفاضل.

أشغل وظائف في الدولة العثمانية، أصبح والياً على (أطنه) ثم على (بانية) ثم على الحجاز، ثم استقر في استانبول، وأحجم عن الوظائف المقترحة عليه، توفي في

---

(1) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج1، ص121. وباقر أمين الورد: أعلام العراق الحديث، ج1، ص147. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين: مج1، ص151.

(2) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص279-280.

استانبول، له بعض المؤلفات الثمينة باللغة التركية[1].

18- الملا محمد سعيد أفندي المفتي الزهاوي (1268-1340هـ/1851-1921م):

كان عالماً متزهداً وفير العلم وغزير المعرفة، تولى منصب الافتاء في بغداد بعد وفاة والده، وأحرز أكبر منصب علمي وهو (حرمين ثايةسى) من الدولة العثمانية.

في سنة 1891م حينما وصل الحاج حسن رفيق باشا والي بغداد إلى ضواحي مدينة بغداد وألقى كلمة مدح فيها السلطان عبد الحميد حتى جعله كأنه قديس يوحى إليه وقرأ فرمان السلطان بتعيينه عندها ألقى المفتي الزهاوي دعاءً بالمناسبة للسلطان عبد الحميد الثاني، ثم تقدم أخوه الشاعر جميل صدقي الزهاوي فألقى قصيدة بالتركية باركه مبعوثاً للسلطان[2].

19- الشيخ محمد بن الشيخ علي بابا رسول (1269-1324هـ/1852-1906م):

ولد في السليمانية، قرأ على كبار علمائها، ثم رحل إلى استانبول عام 1300هـ، ولما عاد إلى بلده عين مفتياً فيها، وكان عالماً قديراً متضلعاً من أربع لغات: العربية والكوردية والفارسية والتركية[3].

20- الملا أحمد بن الملا قادر (1270-1328هـ/1853-1910م):

ولد في السليمانية، وأخذ العلوم الدينية على مشاهير علماء الكورد، وكان عالماً فاضلاً عين في النيابة الشرعية في قضاء زاخو، التابعة حينئذ للواء الموصل، وحالياً لمحافظة دهوك وذلك سنة 1299هـ-1881م، ثم أصبح عضواً في محكمة بداءة السليمانية فنائب قاضي حلبجة، وبعد ذلك اشتغل بالتدريس في مدرسته الخاصة، نظم الشعر بالكوردية والفارسية والتركية وله ديوان شعر، وكان من المدافعين عن الخلافة العثمانية[4].

---

(1) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص193-194.

(2) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج1، ص231. وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين. ج8، ص115-117. وعلي الوردي: لمحات اجتماعية، ج3، ص55.

(3) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص289.

(4) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج1، ص94. وباقر أمين الورد: أعلام العراق الحديث، ج1، ص103. ومير بصري: أعلام الكورد، ص117.

21- الشيخ نعمة الله بن الشيخ عبد الكريم المردوخي (1277-334هـ/1860-1915م):

ولد في إحدى قرى ولاية (سنندج) عاصمة كوردستان إيران، تلقى العلوم الإسلامية في بلده، وانتقل إلى السليمانية، ثم سافر إلى استانبول وبوساطة ناظر الدفتر الخاقاني (علي رضا باشا) خصص له راتب ثم انتقل إلى أربيل، ثم سافر إلى استانبول وحظي بالمثول أمام السلطان عبد الحميد الثاني وكان له منزلة كبرى لدى أمراء الدولة العثمانية لما كان يبديه من تأييد للسلطان والدولة.

له مؤلفات في علم الفلك والعلوم العربية[1].

22- السيد أحمد النقيب بن السيد أحمد الكلهزردى (1280-329هـ/1863-1909م):

ولد في السليمانية وتلقى العلوم في مساجدها المدرسية، ونال الإجازة العلمية وهو في السادسة عشرة من عمره، اصبح نقيب السليمانية وإماماً ومدرساً في المسجد المشهور باسمه اليوم، ذهب إلى استانبول ومنها قصد بيت الله الحرام لتأدية فريضة الحج، توفي في المدينة المنورة وكان عالماً مرموقاً وشاعراً موهوباً باللغات الثلاث، العربية والكوردية والفارسية، إلا أن آثاره العلمية قد احترقت إبان الاحتلال الانكليزي لمدينة السليمانية عقب فشل ثورة الشيخ محمود الحفيد سنة 1919م، وله ديوان شعر مطبوع سنة 1985م[2].

يذكر السيد أحمد النقيب في مخطوطه (نفح الطيب وتذكرة اللبيب في رحلة السيد أحمد النقيب) واصفاً رحلته إلى استانبول في عهد السلطان عبد الحميد الثاني قائلاً:

---

(1) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص215.

(2) للاطلاع على حياة السيد أحمد النقيب والتعرف على شخصيته، يراجع المصادر التالية:

أ- مقدمة ديوانه المحقق والمطبوع بعنوان (ديوان أحمد النقيب) دراسة وتحقيق، محمود أحمد محمد، 1985م.

ب- جريدة ذين: العدد 1260 في 1955/8/11م، بقلم نجم الدين الملا.

ج- مجلة بيان: العدد 1984/99م، بقلم سوران محوي.

د- جريدة العراق: العدد 2226 في 1984/2/21م بقلم محمود أحمد محمد.

ومحمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص239. وباقر أمين الورد: أعلام العراق الحديث، ج1، ص67.

بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا، وأبداننا، والسلامة والعافية في ديننا، وكن لنا صاحباً في سفرنا، وحافظاً في أهلنا ومالنا واطمس على وجوه أعدائنا، آمين.

الصفحة الأولى من نفح الطيب في تاريخ رحلة السيد أحمد النقيب - بخط المؤلف

الصفحة الاخيرة من نفح الطيب بقلم المؤلف.

وبعد فقد خرجت من وطني السليمانية باكياً على فراق أخي وأقاربي وأهلي وأحبابي مع متصرف (ماردين) ذي السعادة (سامي بيك) ونجله الكبير (حلمي بيك).. يوم الخميس، خامس شهر شعبان 1321هـ).

ويسترسل في حديثه قائلاً: (ثم ذهبت إلى حضرة ذي الدولة (الحاج علي باشا) يسر الله من الخير ما يشاء، سر قرناء حضرة الملك المفخم، والسلطان الأعظم، ظل الله في العالم، سلطان البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، السلطان الغازي عبد الحميد خان بن السلطان الغازي، عبد المجيد خان، نصره الرحمن، فرأيت الباشا المشار إليه على غاية من الصلاح والفلاح.. والتواضع للعلماء والسادة الكرام فاستحصل الإرادة السنية لدخولي في دار المسافرين التي بناها حضرة السلطان للسادة والعلماء والكبراء الغرباء، وهي في (بشكطاش) في العقارات السنية، فدخلتها .. ودعوت لنصرة وتوفيق حضرة السلطان ووكلائه ووزرائه)[1].

ويردف السيد أحمد قائلاً: (ثم أصدر حضرة السلطان إرادة جليلة بتخصيص ثلاثمائة غروش كل شهر لمسجدي وتيكيتي بسليمانية في عشرين من المحرم سنة 1322هـ.. ثم حرر ناظر المالية في 3 ربيع الأول سنة 1322هـ وفي مايس سنة 1322هـ آمراً إلى دفتردار الموصل لإعطاء المبلغ المذكور إلى مسجدي وتيكيتي (ونومروه 64/6) وفي 23 جمادي الآخرة من السنة المذكورة أعطي من جانب السلطان بناء على رجاء شيخ الإسلام، رتبة مولوية أزمير لأخي السيد نوري.. فاسترخصت فأحسن إلي السلطان ثلاثين ليرة عثمانية لمصرف الطريق)[2].

23- الملا رسول بن الملا شريف ديليزي (1280-1338هـ/1863-1919م):

ولد في قرية (ديليز) التابعة للسليمانية، انكب على دراسة العلوم الإسلامية في مدارس كوردستان، انتسب إلى حضرة الشيخ كاك أحمد، مرشد الطريقة، وأصبح خليفة له، كان يدخل المجتمعات والنوادي والمقاهي ويعظ أهلها ويدعوهم إلى إطاعة الله تعالى أصبح إماماً في مسجد إحدى قرى السليمانية.

---

[1] أحمد النقيب: مخطوط (نفح الطيب وتذكرة اللبيب في تاريخ رحلة السيد أحمد النقيب، دراسة وتحقيق محمود أحمد محمد. ومجلة المسيرة: العدد 47، السنة الرابعة، آب، 1986م، ص152، القسم الأول.

[2] أحمد النقيب: مخطوط نفح الطيب، ومجلة المسيرة: العدد 46 السنة الرابعة، تموز، 1986م، ص155، القسم الثاني.

ترأس جمعاً غفيراً من المسلمين المجاهدين، وقادهم لمواجهة الروس القيصري والجهاد في سبيل الله، له ذوق أدبي ونظم أشعاراً جمعها في ديوان، توفي في مدينة السليمانية[1].

24- الملا أبو بكر بن الحاج عمر أفندي (1280-1361هـ/1863-1942م):

ولد في مدينة أربيل، وهو من العلماء الأفذاذ، تلقى العلوم العقلية والنقلية من والده العالم الجليل، واستحصل الإجازة العلمية من أستاذه الوالد، وهو في مقتبل العمر لنبوغه وحدة ذكائه، ولما توفي والده حل محله وملأ مكانه بجدارة تامة، وتفرغ للتدريس في الجامع الكبير بقلعة أربيل.

قصده الطلاب من مختلف الجهات بما فيها بلاد الشرق الأوسط وبلغ عدد مجازيه من العلماء أكثر من مائة.

إن الجهود العلمية له مشهودة، فقلما تخلو مدرسة من المدارس الدينية في كوردستان العراق إلا وله اثر فيها من علم أو تلميذ أو عالم. كان ينفق من ماله الخاص لمعيشة طلابه.

ويعد المرجع الأعلى للفتاوى في مدينة أربيل وما حولها، وكانت لأسرته مكانة اجتماعية مرموقة في الجناح الشرقي من كوردستان العراق، وله أصدقاء ومعارف من كبار العلماء في مصر وتركيا والباكستان وغيرها، لقد لعبت أسرته دوراً رائداً في العهد العثماني وبعده في معالجة الأزمات العشائرية.

منحه السلطان عبد الحميد الثاني وسام (خادم الحرمين الشريفين) من الرتبة الأولى والصنف الاول منها، تقديراً لجهوده المخلصة وولائه المطلق للسلطان عبد الحميد الثاني والخلافة العثمانية، كما نال أيضاً احترام رجال الدولة ورؤسائها بعد استقلال العراق، فنال وسام الرافدين مكافأة في دوره القيادي في المجتمع[2].

25- جميل صدقي الزهاوي، الشاعر (1279-1354هـ/1863-1936م):

ولد هذا العالم الكوردي في مدينة بغداد، أتم دراسته الدينية فيها عين مدرساً

---

(1) عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص209.

(2) بلال زبير: علماء ومدارس أربيل، ص33-34. وباقر أمين الورد: أعلام العراق الحديث، ج1، ص57. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، مج1، ص59. ومير بصري: أعلام الكورد، ص126-127.

في مدرسة السليمانية الدينية ببغداد سنة 1303هـ-1885م، وفي سنة 1305هـ-1887م أصبح عضواً في مجلس معارف ولاية بغداد، ثم عين سنة 1890م مديراً لمطبعة الولاية، ورئيساً لتحرير القسم العربي من جريدة الزوراء الرسمية وفي سنة 1892 نصب عضواً في محكمة استئناف بغداد[1].

لقد ظهر للزهاوي بعد ذلك أن بقاءه في بغداد لا يحقق طموحاته، فقرر في سنة 1896م السفر إلى استانبول لعله ينال مبتغاه بمنصب يليق كفاءته وعلمه، ويذكر بعض دارسيه أنه توجه إلى استانبول مدعواً إليها بإرادة سلطانية، وخلال هذه السفرة زار مصر وقابل أثناء مكوثه فيها بعض كبار العلماء وأساطين الأدب أمثال الدكتور يعقوب صروف، وفارس نمر وجرجي زيدان، والشيخ إبراهيم اليازجي، ثم سافر إلى (دار السعادة) استانبول.

وفي هذا الأثناء اندلعت الحرب بين الجيش العثماني والجيش اليوناني حتى إذا انتصر الجيش العثماني في تلك الحرب، سارع الزهاوي في نظم قصيدته المشهورة جعل عنوانها (الفتح الحميدي)[2].

قال فيها:

هو الفتح ألقى في قلوب العدى هولاً وأثبت أن الحق يعلو ولا يعلى

وفي هذه القصيدة، مدح السلطان عبد الحميد الثاني وسياسته مدحاً عظيماً حيث قال:

لسلطاننا عبد الحميد سياسة طريقتها في المعضلات هي المثلى

سللت لنصر الدين سيف عزيمة فللت به ما لم يكن فله سهلاً

فجهزت جيشاً للجهاد عرمرماً قهرت به ذاك العدو الذي ولى

ولما بلغ علم السلطان هذه القصيدة، استحسنه وأصدر إرادته السلطانية بتعيينه واعظاً عاماً في اليمن وسفره مع اللجنة الإصلاحية إليها سنة 1897م، وقام بمهمة الوعظ والإرشاد ثم أعيد إلى استانبول بإرادة سلطانية، وتقديراً لما

---

(1) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج2، ص137.

(2) جميل صدقي الزهاوي: ديوان جميل صدقي الزهاوي، دار العودة، مج1، بيروت، 1972م، ص و-ز-ح، وجميل صدقي الزهاوي: ديوان شعر (الكلم المنظوم)، ص3.

أداه من خدمات، منحه السلطان عبد الحميد الثاني رتبة دينية هي رتبة (بلاد خمس الموصلة) وأنعم عليه بنيشان مجيدي من الدرجة الثالثة[1].

ومما قاله الزهاوي أيضاً في الثناء على السلطان عبد الحميد الثاني وعهده ما يلي:

وقد بعث الله الخليفة رحمة إلى الناس، إن الله للناس يرحم

أقام به الديان أركان دينه فليست على رغم العدى تتهدم

وصاغ النهى منه سوار عدالة به ازدان من خود الحكومة معصم

وكم لأمير المؤمنين مآثر بهن صنوف الناس تدري وتعلم

ويشهد حتى الأجنبي بفضله فكيف يسيء الظن من هو مسلم

سلام على العهد الحميدي إنه لأسعد عهد في الزمان وأنعم[2].

لقد كان المترجم له مع اتقانه لغته الكوردية أديباً متضلعاً في اللغات الثلاث (العربية والفارسية والتركية) وشاعراً مغلقاً.

كما كان كاتباً نحريراً أيضاً وقد نشر كثيراً من المقالات الأدبية في المجلات والصحف داخل القطر وخارجه.

وله خمسة وعشرون مؤلفاً منها:

- كتاب اللباب (بغداد 1928م). - ترجمة رباعيات الخيام (بغداد، 1928م).

- الفجر الصادق (القاهرة 1905م) وهذا الكتاب رد على الوهابية، وسماه (الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق).

- ديوان الزهاوي (القاهرة)، 1924م[3].

بلغ الزهاوي في الشعر العربي وأدبه درجة متميزة ويشهد له بالتفوق قصيدته

---

(1) جميل صدقي الزهاوي، ديوان جميل صدقي الزهاوي، ص ح.

(2) موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض، ص5. و كوركيس عواد، معجم المؤلفين، مج1، ص273-275.

(3) دليل العراق الرسمي لسنة 1936م، الطبعة الانكليزية، ص587. وأحمد زكي الخياط: تاريخ المحاماة في العراق، ص40. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، ج1، ص274.

التي قالها في توحيد كلمة الأمم الشرقية ومطلعها:

يا أمة الشرق أنشطي وأفيقي	من طول نوم في الغداة عميق
يا شرق إن الناس لم يضرهم	شيء كمثل سياسة التفريق
يا شرق أنت على العقول مضيق	والغرب مبقيها بك تضيق
لا يخدعنك تزلف يدلى به	يا شرق إن الغرب غير صديق

وآخر وظيفة أشغلها الزهاوي عضويته في مجلس الأعيان العراقي عام 1925م وتوفي في بغداد[1].

26- شيخ الإسلام إبراهيم بن عاصم بن إبراهيم (1282-1350هـ/1865-1931م):

ولد في مدينة أربيل، درس العلوم العربية والإسلامية على علماء عصره فنال الإجازة العلمية، عين قاضياً في قضاء زاخو التابع للواء الموصل في حينه، ومن أعمال محافظة دهوك حالياً، ثم ارتحل إلى استانبول وانتظم في مدرسة الحقوق وحصل شهادتها. تقلد بعد ذلك وظائف مختلفة في وزارة العدلية العثمانية. وفي سنة 1316هـ أصبح رئيس لجنة دار الخير السلطاني في استانبول، ثم تولى منصب المدير العام فيها، شغل عضوية مجلس المعارف الكبير لمدة ثماني سنوات، عين بعدها قاضياً لولاية دياربكر، ثم استقدم إلى استانبول وعين رئيساً للشؤون الشرعية في الدفتر الخاقاني.

في سنة 1333هـ عين عضواً في دار الحكمة الإسلامية، وأسندت إليه الوظائف التدريسية، تقلد منصب شيخ الإسلام وظل يشغل هذا المنصب الرفيع في الوزارات التركية المتعاقبة من عام 1918 وحتى 8 آذار عام 1920م وبعد تأسيس الدولة العراقية عاد إلى بغداد سنة 1923م ثم اصبح عضو المجلس التأسيسي، ثم وزيراً للأوقاف في الوزارة الهاشمية الأولى التي تألفت في 2 آب 1924م ثم صار عضواً في مجلس الأعيان، وظل فيه حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها ودفن في بغداد.

كان مؤرخاً، أديباً وشاعراً في العربية والكوردية والفارسية والتركية، وله

---

[1] محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، مج1، ص273-275.

مؤلفات في الفلسفة وتاريخ الأديان، وألف كتاباً منظوماً في خروج العراق من الدولة العثمانية كانت له مواقف مشهودة في الولاء للسلطان عبد الحميد الثاني والعثمانيين[1].

27- توفيق بن محمود آغا (الملقب ثيرةمرد-الشيخ) (1284-1370هـ/1867-1950م):

ولد في مدينة السليمانية ودرس علوم الدين واللغة في مدارس كوردستان العراق وكوردستان إيران، تقلد وظائف عديدة، منها كاتب أول لمحكمة شهر بازار عام 1886م، فنائب المدعي العام في كربلاء سنة 1895م.

سافر إلى استانبول سنة 1898م برفقة الشيخ سعيد والد الشيخ محمود الحفيد، وقابل السلطان عبد الحميد الثاني ضمن الوفد، وحج في السنة التالية. عين عضواً في المجلس العالي بمدينة استانبول بناء على أوامر الباب العالي، وفي سنة 1905م حصل على شهادة الحقوق. وتبعاً لنبوغ بيرةمرد، أصبح يحظى باهتمام وترحاب المسؤولين العثمانيين الذين أغدقوا عليه لقب (بك).

تميز ثيرةمرد بثقافته الواسعة ولغته الشعرية المقتدرة، وأجادته العربية والتركية والفارسية إلى جانب لغته الأم الكوردية.

أصدر جريدة باسم (كورد) عام 1907م في استانبول، وكان يساهم في تحرير جريدة (مصور محيط) و(سربستي) التركية، وفي (فرهنك) و(شفقتي سرخ)، الفارسية في طهران.

وفي سنوات 1909-1918م عين قائمقاماً في (جولمرك) و(ترمورس) و(بالاوا) و(بيت شباب) بكوردستان تركيا .

واشترك في الجمعيات الوطنية الكوردية التي أسست آنذاك في استانبول، وأصدر صحيفة (رسملي كتاب) سنة 1918م وعمل ستاً وعشرين سنة في الصحافة الكوردية، وله مؤلفات وكان من النشطاء المؤيدين للسلطان عبد الحميد

---

[1] محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج1، ص54. وزبير بلال: مدارس وعلماء أربيل، ص58. وباقر أمين الورد: أعلام العراق الحديث، ج1، ص37. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، ج1، ص51.

الثاني، توفي في السليمانية[1].

28- **نور الدين بن إسماعيل بك الشيرواني (1284-1361هـ/1867-1942م):**

ولد في مدينة أربيل، وتلقى العلوم فيها على كبار علمائها، ثم تلمذ على أخيه الشيخ طه الذي كان مدرساً في مدينة كربلاء، عين معلماً في مدرسة كربلاء الرشيدية، ونقل إلى مدينة البصرة 1900م، ثم رقي إلى منصب مدير مستشفى الغرباء في بغداد سنة 1904م وعين عضواً في مجلس المعارف، فوكيل المدرسة الإعدادية فمديراً لدار المعلمين في بغداد والبصرة وعين مديراً لدار الأيتام ثم اصبح مفتش الأعشار في مدينة أربيل.

له مواقف معينة من التأييد الحازم للخلافة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني، ترك المترجم له مؤلفات في التاريخ الإسلامي والفلسفة الأخلاقية والمنطق، وتاريخ التربية، توفي في بغداد[2].

29- **أمير الشعراء أحمد شوقي بك (1285-1351هـ/1868-1932م):**

ولد في القاهرة، وكتب عن نفسه قائلاً: (سمعت أبي يرد أصلنا إلى الأكراد، فالعرب تعلم في بعض المدارس الحكومية، أرسله الخديوي توفيق باشا سنة 1887م إلى فرنسا فتابع دراسة الحقوق، وعاد سنة 1891م ندب سنة 1896م لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين في جنيف واصبح من أعضاء مجلس الشيوخ إلى أن توفي.

عالج أكثر فنون الشعر مديحاً وغزلاً ورثاءً ووصفاً، ثم ارتفع محلقاً فتناول الأحداث السياسية والقضايا الاجتماعية في الشرق والعالم الإسلامي، وله ديوان شعر وآثار أدبية أخرى.

يمدح السلطان عبد الحميد الثاني حينما انتصر الجيش العثماني على الجيش اليوناني سنة 1897م في قصيدة بعنوان (يلدز) فيقول:

---

(1) فائق هوشيار وآخرون: الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر الكوردي ثيرةميَرد، ج1، مطبعة الزمان، بغداد، 1990م، ص7،10، 11، 16. وجمال نبز: مرشد الصحافة الكوردية، ص141. ومير بصري: أعلام الكورد، ص127-128. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، مج1، ص214. ومحمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج1، ص149-150.

(2) مير بصري: أعلام الكورد، ص122. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، مج3، ص410-411.

سلام البرايا في كلاءة فرقد بيلدز لا يغفو ولا يتغيب
وإن أمير المؤمنين لوابل من الغيث منهل على الخلق صيب
سما بك يا عبد الحميد أبوة ثلاثون حضار الجلالة غيب
قياصر أحياناً خلائف تارة خواقين طوراً والفخار المقلب[1].

30- الملا أحمد خانقاه (1285-1372هـ/ 1868-1952م):

هو العالم الروحي والشيخ المتصوف من أحفاد بابا علي الهمداني الكوردي المتوفي سنة 1402م مؤلف الكتب الدينية والصوفية.

ولد المترجم له في مدينة كركوك بكوردستان العراق، درس على أعلام عصره، ثم انصرف إلى الارشاد ورعاية الفقراء في تكيته المعروفة بالخانقاه، عمل بإخلاص في مناصرة الدولة العثمانية، ومن المدافعين لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني.

ذهب إلى الجهاد خلال الحرب العظمى، وحارب إلى جانب العثمانيين مع أتباعه في منطقة الشيعبة والناصرية سنة 1915م ضد الانكليز، ثم عمل لصالح العثمانيين في أثناء بحث قضية الموصل فأوقف ونقل إلى بغداد في عام 1923م، توفي في كركوك وخلف آثاراً دينية وصوفية مخطوطة[2].

31- العلامة أحمد فائز البرزنجي (1258-1336هـ/1868-1918م):

هو العلامة الكوردي السيد أحمد فائز بن السيد محمود، سبط العالم الديني الشهير الشيخ معروف النودهي، ولد في قرية (كلةزردة) الواقعة في جنوب مدينة السليمانية، وهو من بيت علم ودين، تولى جماعة من أهل هذا البيت الإمامة والخطابة والتدريس والمشيخة في جامع القرية.

تحصيله العلمي:

درس مبادئ علوم الدين واللغتين العربية والفارسية عند والده، ثم توجه إلى

(1) جميل صدقي الزهاوي: ديوان جميل صدقي الزهاوي، ص ل، وخير الدين الزركلي: الأعلام، ج1، ص136. وعبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص66-67.
(2) مير بصري: أعلام الكورد، ص137.

مدينة السليمانية وتلقى هناك علمي الكلام والعروض على العالم الأديب الشيخ مصطفى البرزنجي[1]، وأكمل مرحلته الأخيرة من تحصيله العلمي لدى خاله العالم الجليل (كاك احمد الشيخ)[2].

مناصبه:

بعد أن نال البرزنجي شهادة العالمية، عين مدرساً في المدرسة النودشية بالسليمانية سنة 1277هـ-1860م فاشتغل بالتدريس ونشر العلم إلى أن عين قاضياً في محكمة (مركه) من ملحقات السليمانية سنة 1286هـ-1869م، وبعد انتهاء المدة المعينة[3]. عين قاضياً في قضاء كويسنجق بمحافظة أربيل سنة 1291هـ-1784م ثم قاضياً لمركز قرداغ بمحافظة السليمانية سنة 1294هـ-1877م، ثم في مدينة الكوت (واسط) سنة 1297هـ-1880م، ثم في مدينة الناصرية سنة 1300هـ-1884م، ثم في مدينة كربلاء سنة 1303هـ-1887م.

ثم نقل إلى ولاية درسيم بنفس المنصب سنة 1305هـ-1889م ثم إلى مدينة أورفة داخل ولاية حلب، ثم عين قاضياً لمركز ولاية قسطموني سنة 1309هـ-1893م ثم عين لمركز ولاية الموصل سنة 1313هـ-1897م ثم صار عضواً في مجلس المعارف في استانبول، توفي في استانبول ودفن في مقبرة السلطان محمد الفاتح[4]. نال البرزنجي خلال مدة وظيفته سبع رتب عالية.

---

[1] هو الشيخ مصطفى بن السيد بابا رسول المولود سنة 1235هـ-1818م في قرية برزنجة وتلقى العلوم بالسليمانية على العلامة محمد فيضي الزهاوي، عين المترجم له مفتياً في السليمانية سنة 1289هـ-1872م، وكان شاعراً وأديباً في اللغات التركية والفارسية والعربية والكوردية. ينظر: السيد احمد فائز البرزنجي: كنز اللسن، ص4.

[2] كاك احمد بن العلامة الشيخ معروف النودهي، ولد بالسليمانية 1207هـ-1792م توفي سنة 1305هـ-1887م. ينظر إلى المصدر نفسه، ص4.

[3] جرت العادة في عهد العثمانيين بتعيين القضاة لمدة سنة أو سنتين وبعد انتهاء تلك المدة يعين ثانية وثالثة وهكذا إن كانت الظروف موافقة لذلك.

[4] أحمد فائز البرزنجي: كنز اللسن، تعليق الشيخ محمد الخال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، الهيئة الكوردية، بغداد، 1400هـ-1980م، ص5-6. و عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص84-85. وصادق آل بيراق: العلماء في الدور العثماني الأخير، ج1، س40 ملفه 2169، ص29-210.

مؤلفاته:

كان البرزنجي عالماً غزير الإنتاج، ألف خلال حياته العلمية ثمانية عشر مؤلفاً قيماً باللغات العربية والكوردية والتركية والفارسية، نذكر بعضها:

1- روضة الأزهار في شرح غاية الاختصار في الفقه الشافعي ألفها بالفارسية في مدينة السليمانية سنة 1278هـ-1861م.

2- خلاصة العقيدة في شرح الدرة الفريدة (في العقائد) ألفها بالعربية في السليمانية سنة 1278هـ-1861م.

3- التسهيلات البرزنجية في العوامل الجدلية (في علم النحو) ألفها بالتركية في مدينة استانبول سنة 1300هـ-1882م.

4- الحميدية في اختصار الصرف والنحو باللغة الكوردية، ألفها في مدينة كربلاء سنة 1303هـ-1885م.

5- نص القرآن في وجوب إطاعة السلطان، ألفه باللغة العربية في مدينة استانبول سنة 1308هـ-1890م.

6- السحر الحلال في تعريفات العلوم ويقرأ على اثني عشر منوالاً ألفة بالعربية في مدينة استانبول سنة 1312هـ-1894م[1].

7- كنز اللسن، المكنوز فيه ستة ألسن واثنا عشر فناً:

التعريف بكتاب كنز اللسن:

هذا الكتاب ألفه باللغة العربية في مدينة الموصل سنة 1313هـ-1895م وهو عبارة عن أحد عشر عموداً في كل صفحة من صفحات الكتاب ضمنه أحد عشر علماً من العلوم الاثني عشر، ويقرأ بخمسة عشر وجهاً، ويشتمل على ست لغات (العربية، والفارسية، والكوردية، والروسية، والفرنسية) وعلى قصيدتين:

إحداهما بالفارسية والأخرى بالتركية، وعلى أربعة أبيات باللغة الروسية والفرنسية والكوردية ووفق النمط الآتي:

---

(1) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج1، ص192. ومحمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص236-239. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، مج1، ص93.

إن الكتاب المذكور مكون من أحد عشر جدولاً:

الأول: في علم الكلام، الثاني: في التفسير، الثالث: في الحديث، الرابع: في الفقه، الخامس: في النحو والصرف، السادس: في الحكمة، السابع: في المنطق، الثامن: في المعاني والبيان والبديع والآداب وكل هذه الجداول صيغت باللغة العربية[1].

الجدول التاسع: قصيدة تركية في مدح السلطان عبد الحميد الثاني، العاشر: قصيدة فارسية في الثناء على السلطان نفسه، الحادي عشر: أربعة أبيات وكالآتي:

البيت الأول: باللغة الكوردية، الثاني: باللغة الروسية، الثالث والرابع: باللغة الفرنسية[2].

نعود للتعرف على نصوص الجدول التاسع والعاشر وترجمتها إلى العربية.

الجدول التاسع: يتضمن خمسة أبيات تركية في مدح السلطان عبد الحميد خان الثاني، وذلك بمناسبة موافقة تأليف هذا الكتاب عيد ميلاد السلطان – رحمه الله– وهذه الأبيات هي:

1- مذدة أي ملت نشاط أفزا بو كون سوردر

كيم عمومك قلب وجاني منشرح مسرور ددر

2- ظل يزدان ثادشاة بحر وبر سلطان حميد

كيم سماحت كندينة حصراولديغي مشهوردر

3- أي ملك سيرت عدالت طستر أي ظل إله

أيدرز تحديث نعمت نعمتك مشكور در

4- ضامي فضل وكمال ماحي جوروستم

اهل عرفان وكماله شفقتن موفور در

5- شمس أفلاك عدالت منبع جودو كرم

ذكر خيرى هر لسانه جملة جة مذكوردر

ترجمة الأبيات التركية إلى العربية:

---

(1) أحمد فائز البرزنجي: كنز اللسن، ص5.

(2) أحمد فائز البرزنجي: كنز اللسن، ص5-6. وعبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص84-85.

1- بشرى لك أيتها الأمة النشيطة، أن هذا اليوم يوم فرح وابتهاج لأن قلب كل فرد منها منشرح ومسرور.

2- إن هذا اليوم يوم ولادة ظل الله، خليفة البر والبحر، السلطان عبد الحميد، ذلك السلطان المعروف، بالسماحة والبذل والعطاء.

3- يا من سيرته، سيرة الملائكة، وعدله ظاهر بين الورى، ويا ظل الله سبحانه، نتحدث بنعمتك الواسعة، لأن نعمتك على الأنام مشهورة.

4- يا حامياً لأرباب الفضل والكمالات، وماحياً للظلم والجهالات إن رأفتك وعطفك على أرباب الكمال موفورة.

5- إن شمس فلك العدالة، ومنبع الجود والكرم، والسماحة، وذكرك الجميل، يجري على لسان كل فرد من أفراد هذه الأمة[1].

الجدول العاشر: وهو أيضاً عبارة عن ستة أبيات فارسية في مدح السلطان عبد الحميد الثاني وإليكم نصوصها وترجمتها:

1- زمن هريكي طر بعمر دراز ثناء حميدخان طوييم باز

2- ندانيم طفتن زهر صد بكى كهباشد بنزديك أواندكي

3- أزان وقت كهيزدان جيهان آفريد كمال وجمال وسخا آفريد

4- بس أزجار ياران باكيزة خو نديدة زمان ثادشاة جوار

5- نيا يد ثناءوي آندر كتاب كة مستغني أست أز ثناء آفتاب

6- خدايا بجاه رسول أمين مدامش نما فتح ونصرت قرين.

المعنى

1- لو أن كل إنسان مثلي يتلو آيات الثناء والمدح للسلطان عبد الحميد خان مدة حياته المديدة.

2- لا نقدر أن نقول في حقه عشر معشار ما يليق بجنابه أو يقرب من ساحة فضله وإحسانه.

3- من الوقت الذي خلق الله البرية وخلق الكمال والجمال والسخاء.

---

[1] أحمد فائز البرزنجي: كنز اللسن، ص6.

4- لم ير الزمان سلطاناً مثله بعد الخلفاء الأربعة الحميدة الخصال.

5- لا يمكن تحرير ثنائه في كتاب، لأن الشمس مستغنية عن المدح والثناء.

6- وفقه يا رب بجاه الرسول الأمين واجعل اللهم النصر قرينه أبد الآبدين[1].

ومن أغرب الغرائب أنه إذا قرئ الكتاب أفقياً، بأن يقرأ السطر الأول من جميع تلك الأعمدة، ثم السطر الثاني والثالث كذلك وهلم جرا إلى نهاية الكتاب، تنقلب اللغة التركية والفارسية والفرنسية والروسية والكوردية إلى اللغة العربية، وهنا لابد من القول بأن الأبيات الفرنسية والروسية مكتوبة بالحروف العربية مثل التركية والكوردية والفارسية.

كما تنقلب جميع العلوم والأشعار المذكورة إلى وصف جميل وثناء جليل لحضرة السلطان عبد الحميد الثاني، ثم إلى مسائل متفرقة في الفروع، ثم يدعو إلى إطاعة الله، وإطاعة السلطان، وبيان فضائل آل عثمان.

وإذا لقطت من آخر كل عمود في نهاية الكتاب كلمة واحدة، يحصل من مجموعها بيت عربي، فيه تاريخ تأليف الكتاب وهو قوله

ما نيل ما أبدعت من عجائبي   لذا أتى التاريخ (من غرائبي)

وبحساب الجمل، تكون قيمة عبارة (من غرائبي) مساوية لسنة تأليف هذا الكتاب وهي سنة 1313هـ-1895م.

حقاً إنه كتاب معجز وتحفة رائعة من تحف علمائنا الكورد النابغين[2].

هذا وللعلامة البرزنجي كتاب آخر وهو (أبهى القلائد في تلخيص أنفس الفوائد)[3] ذكر في مقدمة هذا الكتاب، عبارات صاغها في منتهى الإبداع البلاغي والسحر الكلامي في الثناء والمديح على السلطان عبد الحميد الثاني، فيقول:

(وسميته أبهى القلائد في تلخيص أنفس الفوائد (في علم العقيدة)، وهذا خامس عشر ما ألفته من الكتب والرسائل، المدخرات للعقبى والوسائل، ولما انتظم

---

(1) أحمد فائز البرزنجي: كنز اللسن، ص7، 16، 17.

(2) أحمد فائز البرزنجي: كنز اللسن، ص8. ومجلة المسيرة: العدد (16) كانون الثاني سنة 1983م، ص141. وباقر أمين الورد: أعلام العراق الحديث، ج1، ص99-100.

(3) أحمد فائز البرزنجي: كتاب أبهى القلائد في تلخيص أنفس الفوائد، برخصة نظارة المعارف الجليلة، نومرو (117)، ذي القعدة سنة 1314هـ، طبع بمطبعة ولاية الموصل.

فرائده في مسلك الانتظام، وانختم قلائد فوائده بأبهى الختام، وشحته بدعاء حضرة من خصه الله بالنفس القدسية في البرايا، وميزه بحيازة السلطنة الأنسية، وجميع المزايا، وأفاض عليه من سجال إفضاله محامد الخصال، وجعل جنود الظفر في ركاب ركائبه، ووفود النصر مع جانب جنابه بالإجلال، عم الأنام من الخواص والعوام، بجود جوده وغمام الإنعام.

ما نوال الغمام وقت ربيع	كنوال الأمير يوم سخاء
فنوال الأمير بدرة عين	ونوال الغمام قطرة ماء

وهو السلطان الأعظم والخاقان الأفخم الأشهم، أفضل السلاطين عدلاً، وسطوة، أكمل الأساطين شوكة وهيبة، وارث الخلافة الكبرى كابراً عن كابر، حائز السلطنة الأحرى، فاخراً عن فاخر، حامي حوزة الإسلام والملة الزهراء، حامي دياجير الظلم بإحكام أحكام الشريعة الغراء، المجاهد المرابط في سبيل الله، الباذل جهده في إعلاء كلمة الحق، وإحياء سنة رسول الله، المؤيد بالإمداد السبحاني، حضرة السلطان الغازي (عبد الحميد) خان الثاني، خلد الله تعالى ظلال سلطنته القاهرة على مفارق العالمين، وشيد أركان خلافته الباهرة لإعلاء معالم الدين، لا زالت شمس سعود أمته عن أفق التجليات طالعة، وكواكب عظمته في أوج الجلال لامعة ساطعة، آمين ثم آمين)[1].

ويختتم البرزنجي كتابه قائلاً: (وقد صادف ختامه كتأليفه عصر خليفة الله، الذي تلألأ بعدله الآفاق، واعترف بكمال إحسانه الكل على الإطلاق، السلطان الأعظم والخاقان الأفخم، وخليفة الرسول الأكرم، حضرة السلطان ابن السلطان، والخاقان ابن الخاقان، السلطان الغازي عبد الحميد خان، أيد الله شوكته، وأيد سطوته إلى آخر الدوران)[2].

32- الشيخ سعيد بن الشيخ محمود فيضي، المعروف بـ(بيران) (1285-1344هـ/1868-1925م):

ولد في قرية (بالو) بكوردستان تركيا، انتقل مع والده إلى قرية (خنس) تتلمذ على مشائخها، جمع في دراسته بين علمي الشريعة والطرقية، أخذ الطريقة

(1) احمد فائز البرزنجي: كتاب أبهى القلائد في تلخيص أنفس الفوائد، ص1-2.
(2) أحمد فائز البرزنجي: كتاب أبهى القلائد في تلخيص أنفس الفوائد، ص226.

النقشبندية عن مولانا خالد الشهرزوري النقشبندي، وتعد أسرة الشيخ سعيد من أشهر أسر المشيخات الدينية في منطقة آمد (دياربكر) لما لها من النفوذ والسلطة على أهل المنطقة، وكانت هذه الأسرة تمتلك تكية ومكتبة عامرة تحتوي على مئات الكتب والوثائق النادرة[1].

رحل الشيخ إلى إيران وبعض بلاد العرب والعثمانيين طلباً للتحصيل العلمي ودرس في مدارسها حتى نال الإجازة العلمية، وأصبح مدرساً في حياة والده، وبعد وفاة والده سنة 1898م حل محله في مشيخة الطريقة النقشبندية.

كان للمترجم له روح شعرية لتأليف القصائد البديعة المؤثرة بالعربية والكوردية والفارسية.

كان له ما يقارب الاثني عشر ألف مريد وتابع، وقد منح شهادة التدريس للذين ارتووا من علمه وهم اثنا عشر شخصاً.

في 17،/ آذار سنة 1925م قام الشيخ سعيد بيران بالثورة ضد حكومة أنقرة التي اتبعت سياسة التتريك للمنطقة الكوردية في كوردستان تركيا بسبب المظالم التي فرضتها الحكومة من التجنيد والضرائب المثقلة على الفلاحين وإهمال المنطقة من الناحية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، بل كان السبب الرئيسي هو الرد على النظام العلماني والسعي لإعادة الخلافة الإسلامية واستقلال كوردستان، ورفع قائد المجاهدين شعارات إسلامية، مطالباً بتطبيق الشريعة الإسلامية.

ولغرض تحقيق هذه الأهداف السامية أعد الشيخ القائد العدة العسكرية ونظم جبهات القتال على النحو الآتي:

1- جبهة بالو-خربوط: حشد الكورد هنا قوة قوامها ثمانية عشر ألف مجاهد.

2- جبهة وارتو: جمع الثوار فيها حوالي اثني عشر ألف مقاتل.

3- جبهة دياربكر: ضمت قوة تقدر بحوالي عشرين ألف مجاهد.

4- جبهة باخرمدان: وكان فيها حوالي سبعة آلاف مجاهد.

---

[1] هذه المعلومات وغيرها المتعلقة بأسرة الشيخ، مستقاة من أقوال الأستاذ عبد الله فرات، حفيد الشيخ سعيد، في مقابلة أجرتها معه مجلة (نوبهار) التي تصدر بالكوردية في استانبول، في العددين (45، 46) حزيران تموز، 1997م.

5- تجمع حوالي عشرة آلاف مجاهد في جبهة سليفان.

إلا ان الحكومة التركية باغتت الثوار بقوات برية وجوية تفوق قوات الثوار أضعاف المرات، مما أدى إلى انهيار الثورة واستسلام أعداد كبيرة من الثوار المجاهدين، وتم أسر قائد المجاهدين الشيخ سعيد وأركان حربه، وفي 29 حزيران حكم عليه وعلى ستة وأربعين من أتباعه بالموت ثم شنقوا في اليوم التالي.

وأكد الشيخ سعيد خلال المحاكمة بأنه قام بالثورة لإعادة الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة، وتحرير الكورد من العبودية[1].

وهكذا طويت صفحة الثورة، وسمع العالم بصدى انتفاضة الكورد للانقضاض على أعداء الإسلام، ومصاصي دماء الشعب الكوردي، وممن عبر عن مشاعر الحزن الرئيس الهندي (جواهر لال نهرو) حين قال: (قضى كمال باشا، على الكورد بلا رحمة وأقام محاكم الاستقلال الخاصة بمحاكمتهم بالألوف، وأعدم الزعيمان الكورديان، الشيخ سعيد والدكتور فؤاد وغيرهم الذين ماتوا وأمنية استقلال كوردستان لا تفارقهم.. ومن الغريب كيف تنقلب القومية المدافعة إلى قومية معتدية...)[2].

33- الملا محمود بن سعيد خواهرزاد (1287-1354هـ/1870-1935م):

ولد في قصبة بنجوين، التابعة للسليمانية، درس العلوم الشرعية والعربية وارتحل لتحقيق مزيد من الاستحصال العلمي إلى مدينة (مهاباد) بكوردستان إيران، ونال الإجازة العلمية عند العلامة الملا عبد الرحمن البنجويني، ولما اشتهر فضله وعلمه أمر عثمان باشا الجاف، أحد أمراء البابان برجوعه إلى بنجوين ونصبه قاضياً، واستصدر له الأمر السلطاني، فأقام بها قاضياً.

كان مؤرخاً، وله (تفسير القرآن الكريم) مؤلف باللغة الكوردية في عدة مجلدات.

بقي مستمراً على القضاء، في العهد العثماني وبعد الاحتلال وأيام الاستقلال[3].

---

(1) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ص236. وجليلي جليل: الحركة الكوردية في العصر الحديث، دار الرازي، بيروت، 1992م، ص137. ومجلة متين، العدد 73، شباط، 1998م، ص136.

(2) جواهر لال نهرو: لمحات من تاريخ العالم، نقله إلى العربية نخبة من الأساتذة الجامعيين، بيروت، 1979م، ص259.

(3) عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص538.

34- الملا عبد العزيز بن الملا محمد أمين (1288-1367هـ/1871-1947م):

ولد هذا العالم في مدينة السليمانية، من أسرة علمية شهيرة في كوردستان تولى والده وجده منصب الإفتاء في السليمانية قبله.

درس في المسجد المختص بأسرته، وحصل على العلوم، نال الإجازة العلمية على يد العلامة الشيخ عبد الرحمن البنجويني (ت 1318هـ).

تعين إماماً ومدرساً في السليمانية، واجتمع حوله الطلبة، ثم عين إضافة إلى ما سبق مفتياً في بلدة السليمانية، وعضواً في المجمع العلمي العثماني، ومنح من قبل السلطان عبد الحميد الثاني (مدالية مجيدية) وأسند إليه مهمة رئاسة معارف السليمانية، ووكالة المشيخة الإسلامية التي كان مركزها في استانبول، ثم عين في سنة (1318هـ) مفتياً لبلدة (بروسة) في تركيا، لكنه لم يقبل ذلك، فعين سنة 1320هـ مفتياً لبلدة (أدرنة) ورفضه أيضاً، تعرض للاضطهاد بعد الاحتلال الانكليزي للعراق، لمواقفه المؤيدة للسلطان عبد الحميد الثاني والدولة العثمانية لكنه استمر في التدريس والإرشاد.

له بحوث في علم المنطق، وقصائد باللغتين، الكوردية والفارسية وملحمة تصور مآسي الحرب العظمى وكوارثها، توفي في السليمانية[1].

35- الرائد الإسلامي الكبير سعيد النورسي (1293-1379هـ/1873-1960م):

ولد الملا سعيد بن ميرزا الكوردي، الملقب ببديع الزمان في قرية (نورس) التابعة لناحية (اسبارت) المرتبطة بقضاء (خيزان) من أعمال ولاية (بدليس) في شرقي الأناضول، كوردستان تركيا من أسرة كوردية صالحة تقية[2].

تحصيله العلمي:

درس على أخيه العالم الجليل الملا عبد الله وغيره من العلماء ثم بدأ يتنقل في

---

(1) عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص295-296. ومير بصري: أعلام الكورد، ص135.

(2) محسن عبد الحميد: النورسي الرائد الإسلامي الكبير، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، موصل، العراق، 1408هـ-1987م، ص12. وبديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، كليات رسائل النور (9)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، مطبعة سوزلر، 1419هـ-1998م، ص35.

قرى ومدن كوردستان تركيا بين الأساتذة والمدارس، ليستزيد من العلوم، اجتمع له الذكاء الخارق مع قوة الحافظة، بحيث حفظ كتاب (جمع الجوامع) في أصول الفقه في أسبوع واحد، وبلغ محفوظه من المتون (80) متناً، رحل لطلب العلم إلى (ماردين) سنة 1892م ثم إلى مدينة (وان) سنة 1894م وانكب فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) والفلسفة الحديثة والتاريخ والجغرافية، حتى فاز فيها بقصب السبق، إلى درجة إفحام الأساتذة المختصين، فسمي لأول مرة بـ(بديع الزمان) اعترافاً من أهل العلم بمكانته العلمية.

موقفه من السلطان عبد الحميد الثاني:

يقول النورسي: (إن السلطنة والخلافة متحدتان بالذات ومتلازمتان لا تنفكان، وأن كانت وجهة كل منهما مغايرة للأخرى.. وبناء على هذا فسلطاننا هو سلطان، وهو خليفة في الوقت نفسه، يمثل رمز العالم الإسلامي، من حيث السلطنة يشرف على ثلاثين مليون، ومن حيث الخلافة ينبغي أن يكون ركيزة ثلاثمائة مليون مسلم الذين تربطهم رابطة نورانية، وأن يكون موقع إمدادهم وعونهم، وهو السلطان المظلوم)[1].

ويذكر (مصطفى صونغور) أحد طلاب النورسي: (أن الأستاذ بعد ما عانى ما عانى من عهد الحزب الواحد (عهد مصطفى كمال وعصمت إينونو) كان يخاطب نفسه قائلاً:

(أيا سعيد، تجرع أذى هذا الإستبداد الرهيب عقاباً لما اعترضت على سلطان رؤوف شفيق، أنه مستبد)[2].

وينقل أيضاً: (قال أستاذنا يوماً بحق المرحوم السلطان عبد الحميد الثاني، إن السلطان عبد الحميد ولي من الصالحين، وقد ادخلته ضمن دعواتي الخاصة، فأدعو صباح كل يوم، يارب أرض عن السلطان عبد الحميد خان والسلطان وحيد الدين والأسرة العثمانية الحاكمة)[3].

---

(1) المصدر نفسه: ص76-77.
(2) بديع سعيد النورسي: سيرة ذاتية، هامش، ص76.
(3) المصدر نفسه: ص76.

يقول د. محسن آلو: أحد طلاب النور الذي لازم الأستاذ النورسي: (عندما سمع الأستاذ، أن أحداً قد نشر كتاباً في استانبول، يتهجم فيه على السلطان عبد الحميد، قال: إن السلطان عبد الحميد كان خليفة ستين مليون من المسلمين، وأنا أنظر إليه نظر ولي من الأولياء، ثم نشر رسالة خاصة (ملحقة) بهذا الشأن) Son Sahidler /4/ 313[1].

لقد كان النورسي يعتقد أن السلطان عبد الحميد الثاني، في حكم ولي من الصالحين لوقوفه بصمود تجاه دسائس الأجانب وقواهم، وكونه خليفة معظم العالم الإسلامي ومراعاته الشعائر الإسلامية ما استطاع إليه سبيلاً، وأدائه صلاة الجمعة في المسجد، واتخاذه شيخاً فاضلاً ومرشداً معنوياً بصورة دائمية في قصره، فضلاً عن حسناته الأخرى[2].

إن الدستور الذي سار عليه النورسي طوال حياته هو القرآن، والقاعدة الجليلة (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[3] بمعنى أن الأخطاء التي ارتكبتها حكومة ذلك العهد لا تستند إلى السلطان، ولهذا حمل النورسي نحوه حسن النية، بل سعى – تجاه معارضيه- لتأويل ما اضطر إليه من أخطاء وتقصيرات.

النورسي يدافع عن الدولة العثمانية:

لم يكن النورسي راغباً في دخول الدولة العثمانية في الحرب ضد روسيا بسبب عدم احتمال الظروف الداخلية والدولية لكسب الظفر والانتصار على العدو، غير أنه لما رأى الحرب واقعة، فقد ترأس مجموعة جهادية من تلاميذه الثلاثمائة وتوجه إلى جبهة القتال ضد روسيا التي هاجمت الدولة العثمانية من جهة القفقاس، ودافع هو مع جنده الأبرار عن مدينة (بدليس) دفاعاً مستميتاً حتى جرح وعلى أثره وقع في أسر الروس، وقاده الجيش الروسي إلى شرق (سيبيريا)[4].

عريضة من النورسي إلى السلطان عبد الحميد الثاني:

في سنة 1896م، قرر شد الرحال إلى استانبول ليقدم مشروعاً لإنشاء جامعة

(1) المصدر نفسه: هامش ص78.
(2) المصدر نفسه، ص79.
(3) سورة الأنعام: الآية، 164.
(4) محسن عبد الحميد: النورسي الرائد الإسلامي الكبير، ص20.

إسلامية حديثة في كوردستان تركيا، إلا أنه لم يلق الاستجابة ورجع خائباً إلى شرق الأناضول.

وفي عام 1907م ذهب مرة أخرى إلى استانبول، وفيها قابل السلطان عبد الحميد الثاني وقدم إليه طلباً جاء فيه:

(إن هذا العالم، عالم الرقي والحضارة، ينظر بعين الشكر والتقدير إلى أوامر الحكومة بإنشاء مدارس في قصبات كوردستان وقراها أسوة بالأخرى.. ومن الأسباب المهمة لحياة كوردستان المادية والمعنوية مستقبلاً هو إحياء بعض المدارس)[1].

ومما جاء في عريضته أيضاً:

(كنت ألمس الوضع الرديء لما كان يعيشه أهالي الولايات الشرقية، فأدركت أن سعادتنا الدنيوية ستحصل بالعلوم الحديثة الحاضرة... وعلى الرغم من أن الحكومة على علم بأحوال أهالي كوردستان الذي يمثلون عنصراً مهماً في الأمة العثمانية، فإنني أرجو السماح لي بتقديم بعض المطاليب الخاصة بالخدمة العلمية.. ونطلب تأسيس مدرسة زهراء -شقيقة الجامع الأزهر-[2] في (بدليس) مع رفيقتها في كل من (وان) و(دياربكر) وأضاف النورسي قائلاً: (وفوائدها .. إقحام المعرفة عن طريق المدارس إلى كوردستان)، واشترط انتخاب المدرسين فيها إما من العلماء الكورد أو ممن يعرفون اللغة المحلية (الكوردية) ولكن لم يتم إنشاء المدارس التي اقترحها النورسي[3].

تراثه:

اشتهر النورسي بتأليف رسائل تجاوز عددها مائة وثلاثين رسالة، في موضوعات العقيدة الإسلامية والعلوم الشرعية، وترك موسوعة إيمانية رائعة، استقاها من فيض نور القرآن الكريم، سماها (رسائل النور) وهي تفسير لمعاني القرآن المجيد[4].

---

(1) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص498.

(2) المصدر نفسه، ص498.

(3) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص499، 501، 53.

(4) محسن عبد الحميد: النورسي الرائد الإسلامي الكبير، ص33. وحازم ناظم فاضل: هكذا يجيب سعيد النورسي عن كبرى القضايا الإسلامية، مطبعة الحوادث، بغداد، 1412هـ-1992،، ص17.

36- الملا محمد بن الملا عثمان بن أبي بكر (كجك ملا) (1290-1365هـ/1873-1945م):

ولد في قلعة أربيل، درس على جماعة من العلماء، أخذ الإجازة العلمية عن عمه الملا عمر أفندي، كان المترجم له يقرض الشعر بالعربية والكوردية والفارسية والتركية، انتسب إلى الطريقة النقشبندية، عين مدرساً في أربيل، ثم مفتياً بفرمان سلطاني، نال وساماً رفيعاً من الدولة العثمانية، تقديراً لمكانته العلمية والاجتماعية، وولائه للسلطان عبد الحميد والخلافة العثمانية، تحدث عنه الحاكم السياسي البريطاني في أربيل (الكابتن هاي) وذكر بانه تعلم على صاحب الترجمة (اللغة الفارسية).

كان حافظاً مئات الأبيات من أشعار حافظ الشيرازي، وابن الفارض والشاعر التركي فضولي.

له مؤلفات في التفسير وفي الطريقة النقشبندية، وشرح قصيدة البردة[1].

37- الملا عبد الله بن محمود أفندي البشدري المعروف بـ(زيور) (1291هـ/1875م):

ولد في مدينة السليمانية، درس العلوم الإسلامية ونال الإجازة العلمية، وأصبح مدرساً، سافر إلى استانبول، ومكث فيها أربعة أعوام، كان يجيد اللغة التركية والفارسية، علاوة على اللغة الكوردية، عين مترجماً للغة التركية في مدرسة الرشد العسكري في السليمانية، ثم عين مدرساً في مدرسة (تشويق) فمدرساً في المدرسة النموذجية (سعادت) في المدينة المذكورة.

له مؤلفات منها:

1- أناشيد (1937م). 2- مجموعة قصائد في ديوان مطبوع عام 1958م.

3- كنز الرجال او ذكريات التشرد (بغداد، 1985م)

موقفه من السلطان عبد الحميد الثاني:

كتب هذا العالم الفاضل شهادته للتاريخ والأجيال بحق السلطان عبد الحميد

---

(1) بلال زبير: علماء ومدارس أربيل، ص35-36.

الثاني في كتابه (كنز الرجال)[1] فقال:

(كان السلطان عبد الحميد الثاني صاحب الحكم والحكمة والعدالة والعقل والمروءة، ومولى الإحسان والنعمة، لم تكن ترى في أيام حكمه قرية أو ناحية أو بلدة إلا وله فيها آثار تدل على صلاحه من منارة أو جسر.

قام السلطان بإنشاء منارة الجامع الكبير لخانقاه المحوي، لقد حجز أراضي باسم الأراضي السنية ليصرف من ريعها على المبرات والعلماء والسادة، وأماكن إيواء المسافرين في استانبول كان يحب أهل الصلاح والعبادة، وشهد له بذلك العلماء الذين أثنوا على السلطان في مقدمات تآليفهم.

لقد أغدق بإحسانه على كثير من أهل المغرب ومصر والهند والأفغان والكورد والعرب، لم يكن السلطان ليرفض طلب سائل، إما بتخصيص راتب له، أو إغداق نعمة عليه، ولم أجد مثله ذا الكلام والعقل والسياسة إلا القليل)[2].

38- الملا محمد بن الملا عبد الله الجلي (1292-1363هـ/1876-1934م):

ولد هذا العالم الجليل في قصبة كويسنجق، وينتمي إلى أسرة علمية ذائعة الصيت في كوردستان، درس العلوم العقلية والنقلية في مدرسة والده، ونال الإجازة العلمية على يده، كان له دور متميز في تنشيط الحركة العلمية في كوردستان وتوجيه المسلمين إلى اليقظة. تخرج على يده فوج من العلماء، امتاز بشخصية علمية فذة، ومقدرة لغوية وفصاحة لسانية.

فوض إليه أمر الإمامة والخطابة، وكان يحث المسلمين على الدفاع عن الوطن الإسلامي في الوقت الذي كانت الحكومة العثمانية تعد للدخول في الحرب العالمية الأولى، بالرغم من إرادتها[3]. في سنة 1912م تولى مهام الإفتاء في كويسنجق بتكليف من الحكومة العثمانية. ومنح من قبل السلطان (محمد رشاد) الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة.

أصبح عضواً في مجلس ولاية الموصل. وفي سنة 1919م عين قاضياً في

---

[1] الملا عبد الله زيور: كنز الرجال أو ذكريات التشرد، تحقيق محمد الملا عبد الكريم، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1985م، ص11.

[2] الملا عبد الله زيور: كنز الرجال أو ذكريات التشرد، ص12، 55.

[3] نجيبة محمد الجلبي: تاريخ أسرة الجلبي، مخطوطة بحوزة مؤلفته.

كويسنجق، انتخب عضواً في المجلس التأسيس العراقي[1].

له مؤلفات منها:

1- كتاب المصقول في علم الأصول. 2- تفسير القرآن الكريم باللغة الكوردية.

3- عقيدة المسلم. 4- ديوان شعر.

كان يجيد اللغات الكوردية والعربية والفارسية والتركية[2].

39- العلامة الشيخ محمد أمين الملكاني النقشبندي (1293-1368هـ/1876-1948م):

ولد في قرية (مليكان) من أعمال آمد (دياربكر) تلقى علومه على فقهائها وتمكن من اللغة العربية، رحل إلى مصر طلباً للعلم، فوجد بغيته في رواق الأكراد بالأزهر الشريف، فنال الإجازة العالمية في الدراسات الإسلامية، ولما عاد إلى مسقط رأسه قر به السلطان عبد الحميد الثاني، وأسند إليه ديوان الرسائل، ثم ولاه الإفتاء في إحدى قطعات الجيش العثماني، حتى إذا زالت الدولة العثمانية مل مقامه في استانبول، ودفعته اللهفة عام 1920م إلى دمشق واستقر في حي الأكراد، فعمل في التدريس في دار الحديث، وأقبل عليه طلبة العلوم، يتلقون عنه المعارف الشرعية والطريقة الصوفية، واجاز العديد منهم.

كان له رسائل وفتاوى وتصانيف هامة في علوم القرآن الكريم والفقه والتفسير والأصول، توفي في دمشق ودفن في سفح جبل قاسيون[3].

40- معروف بن عبد الغني الرصافي، الشاعر العراقي الكوردي (1294-1364هـ/1877-1945م):

هذا العالم الكوردي الشاعر ولد في مدينة بغداد، وهو من عشيرة الجباري الكوردية، الساكنة جنوب مدينة كركوك، درس على العلامة المفسر السيد محمود

---

(1) مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي، 2/1344، 1347، الصادرة عن وزارة الداخلية العراقية. تاريخ العراق السياسي، عبد الزراق الحسيني، 3/273، 2/96.

(2) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج7، ص124. وبلال زبير: علماء ومدارس أربيل، ص64-65. وجواد فقي علي: محمد عبد الله وجهوده العلمية، ص76.

(3) عز الدين علي الملا: حي الأكراد في مدينة دمشق بين عامي 1250-1979م، دراسة تاريخية اجتماعية، اقتصادية، دار آسو للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان، 1998م، ص103-104.

شكري الآلوسي، من مشاهير علماء العراق، مدة اثنتي عشرة سنة، يدرس خلالها العلوم الإسلامية وعلى غيره من العلماء.

تعين مدرساً للغة العربية بأمر من استانبول، ثم سافر إلى استانبول وتولى التدريس في المدرسة الملكية الشاهانية، إضافة إلى تحرير جريدة (العرب)، التي أصدرها (عبيد الله أفندي) نائب أزمير. ثم عاد إلى بغداد، وانتخب نائباً عن لواء (المنتفك) وبينما هو في بغداد، أعلنت الحكومة العثمانية النفير العام، فرجع إلى الاستانة ولاء منه للدولة العثمانية. بقي هناك إلى ما بعد هدنة الحرب العالمية الأولى، ثم عاد إلى العراق بناء على طلب الحكومة العراقية سنة 1921م له خمسة وعشرون مؤلفاً، منها (ديوان الرصافي)[1].

41- الشيخ محمود بن الشيخ سعيد بن الشيخ محمد بن كاك أحمد الشيخ (1298-1385هـ/1881-1956م):

ولد في مدينة السليمانية، درس العلوم الشرعية ومبادئ التصوف والفارسية سافر مع والده إلى استانبول بدعوة من السلطان عبد الحميد الثاني فحظي بمقابلته وذلك عام 1322هـ-1904م، وقضى مدة من الزمن في ضيافة السلطان، تعززت مكانة الشيخ محمود وقوي نفوذه في كوردستان العراق، ولما نشبت الحرب العظمى ونودي بالجهاد هب الشيخ إلى قتال الانكليز في جنوب العراق على رأس المئات من أتباعه الفرسان المغاوير عام 1915م وعاد إلى السليمانية بعد ثمانية أشهر، ووقف مع رجاله الشجعان سداً منيعاً دون مرور القوات الروسية التي وصلت الحدود العراقية في كوردستان، فحاربها وردها على أعقابها.

ولما احتل الانكليز مدينة كركوك في كوردستان سنة 1918م، عين الشيخ محمود حاكماً على كوردستان ولكنه تمرد عليهم حينما رأى تمكن نفوذهم في بلاده، وأعلن الاستقلال في 19 أيار 1919م ودرات الحرب بينه وبين الانكليز لمدة شهر ونصف الشهر، ثم عاد الانكليز إلى مدينة السليمانية واعتقلوا الشيخ وأبعدوه إلى الهند، ثم أعيد من المنفى في سنة 1922م وتولى السلطة ثانية، ونصب نفسه ملكاً على كوردستان عام 1922م ثم قاوم على رأس القوات الوطنية الكوردية

---

[1] محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص197-198. وخير الدين الزركلي: الأعلام، ج7، ص268. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، مج3، ص317-319.

هجوم الجيوش البريطانية على أرض كوردستان، وأجبرته غارات القوات الجوية البريطانية على مغادرة السليمانية، وأخذ نجم حظه يميل إلى الأفول، فخابت آماله وذهبت أحلامه أدراج الرياح بين عشية وضحاها، وتوفي في السليمانية، ودفن في غرفة جده كاك أحمد الشيخ في الجامع الكبير[1].

42- العلامة الإمام أمجد بن محمد سعيد الزهاوي: فقيه العراقين، والعالم الإسلامي (1300-1387هـ/1883-1968م):

ولد هذا العالم الجليل في مدينة بغداد، ونشأ في أسرة علمية ثرية ذات مكانة اجتماعية مرموقة، كان ذكياً بارعاً، حافظاً فقيهاً، ومرجعاً مهماً، ترد إليه الأسئلة من مختلف أنحاء العالم في القضايا الفقهية.

درس على والده العلامة محمد سعيد الزهاوي مفتي بغداد، وعلى علماء آخرين تخرج من مدرسة النواب (كلية القضاء) باستانبول عام 1906م، وكان الأول على أقرانه.[2] ولما رفع اسمه إلى السلطان عبد الحميد الثاني أهداه وسام الشرف مع ميدالية، تقديراً لنبوغه وتفوقه.

وعرض عليه السلطان أن يعينه عضواً في محكمة استانبول، فشكر السلطان على رعايته وعطفه، ثم عين مدرساً في جامع (أيا صوفيا) ثم نقل مفتياً في الإحساء، فتوسط والده لدى السلطان عبد الحميد ليلغي قرار تعيينه في الإحساء، وعين حاكماً في محكمة استئناف بغداد سنة 1909م.

موقف الزهاوي تجاه السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة العثمانية:

في هذا الأثناء أخذت ريح التغيير تهب على عاصمة الخلافة، ورأى الشيخ ما كان يدور فيها من أحداث سياسية رهيبة ومخططات تمزيق الأمة الإسلامية إلى قوميات وطوائف ومذاهب وأحزاب وجمعيات، وكلها يعمل باسم حرية الرأي وحرية الاعتقاد، والهدف منها إسقاط السلطان عبد الحميد الثاني الذي رفع

---

(1) محمد الخال: الشيخ معروف النودهي، ص200. ومير بصري: أعلام الكورد، ص38-40. وفؤاد حمه خورشيد: العشائر الكوردية، ص55.

(2) كاظم أحمد ناصر المشايخي: الإمام أمجد بن محمد سعيد الزهاوي، فقيه العراقين والعالم الإسلامي، تقديم د. طه جابر العلواني، مراجعة زينب طاهر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن-فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1417هـ-1996م، 73-91.

شعار (يا مسلمي العالم اتحدوا، ضد قوى الشر القادم من الغرب التي تريد تقسيم الأقطار الإسلامية)[1].

سمع الشيخ الشائعات التي روجت ضد السلطان وضد علماء الدين، وقرأ كثيراً مما نشرته الصحف والمجلات والنشرات السرية والعلنية ضد نظام الحكم القائم على الخلافة، وشهد التظاهرات والاحتجاجات ضد السلطان، فكان يكظم غيظه في كل ما يرى ويسمع، ويفكر في إيجاد حلول لذلك الواقع الأليم، فعاد إلى العراق ولم يحتمل المشهد الرهيب.

تهجم اثنان على السلطان عبد الحميد الثاني في أحد المجالس وكان الشيخ الزهاوي أحد الحاضرين فغضب هذا العالم الجليل واسكتهما بعنف قائلاً:

(إن السلطان عبدالحميد الثاني، كان حاكماً مسلماً ورعاً شديد الغيرة على مصالح المسلمين، وإن الدنيا لم تشهد حاكماً مثله في العصر الحديث، أنتم يا أهل المكاتب أفسدتم عقائد الطلاب)[2].

عرض على الزهاوي احد المشائخ المقربين إليه بالسفر إلى تركيا عقب انهيار الخلافة العثمانية، لينصح الرئيس التركي (عصمت إينونو) لعله يصير مسلماً فأجاب الشيخ أمجد، كيف يسلم (عصمت إينونو) على يدك بكلمة، فإن سيدنا موسى عليه السلام لم يستطع أن يهدي فرعون بهذه الصورة فكيف أنت بعصمت)[3].

أنشطته الإسلامية:

لقد خدم الشيخ الحرمة الإسلامية كثيراً من خلال المهام التي تولاها فكان رئيس جمعية التربية الإسلامية، ورئيس رابطة العلماء ورئيس جمعية التربية الإسلامية، ورئيس المؤتمر الإسلامي العالمي، كما كان أستاذاً للشريعة في كلية الحقوق العراقية، وأستاذاً في جامعة آل البيت، ومحاضراً لمادة التفسير في جامع الإمام الأعظم أقام بالمدينة المنورة سنتين، وطاف بالعالم الإسلامي داعياً لنصرة فلسطين.

منزلته العلمية:

حينما التقى الزهاوي بشيخ الجامع الأزهر الشيخ عبد الرحمن تاج الدين في

---

[1] المصدر نفسه، ص76.

[2] أحمد ناصر المشايخي: أمجد الزهاوي، ص258.

[3] المصدر نفسه: ص266.

الديار المصرية، دار بينهما حوار علمي، انتهى بان اقترح على الزهاوي ان يقيم في مصر فترة كافية، ليتلمذ على الزهاوي هو وهيئة كبار العلماء[1].

وقال في الزهاوي إمام الشيعة السيد محسن الحكيم: (لو ان فقه أبي حنيفة فقد من العالم، لاستطاع الشيخ أمجد الزهاوي أن يمليه عن ظهر قلب)[2].

هذا وله رسائل موجهة إلى كل من رئيس جمهورية باكستان أيوب خان وملك المغرب محمد الخامس، والملك سعود ملك المملكة السعودية ومقالات وخطب كثيرة كلها تحث المسلمين على الاتحاد والتعاون، وتوفي ببغداد[3].

43- الملا طاهر بن المعروف البرزنجي: (عاش في فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني)

درس العلوم العقلية والنقلية على كبار علماء عصره، ونال الإجازة العلمية، ألف كتاباً سماه (تحفة السلطان) هدية إلى السلطان عبد الحميد الثاني، ولاء منه لجلالة البادشاه، والكتاب لا يزال مخطوطاً في دار صدام للمخطوطات تحت رقم (11943) يقول المؤلف في المقدمة:

(أما بعد: فيقول العبد المفتقر إلى ألطاف ربه الغني، محمد طاهر بن المعروف البرزنجي الحسيني: لما تشعشعت شموس العلوم والفواضل بعد الانكساف، وتلألأت نجوم المعارف والفضائل عقب الانخساف، وترونقت الممالك العثمانية مخضرة الأطراف والأكناف، منزهة الوجنات عن شوائب الظلم وشواظب الاعتساف، بيمن نقيبة (نقيب) مالك زمام ملوك الزمان، حافظ حدود حدائق العدالة والإيمان، ماهد بساط الأمن والأمان، باسط سماط الإنعام والإحسان، دافع شواظ الجور والعدوان، قالع بنيان البغي والطغيان، خافض جناح الإفضال لأهل العرفان، المتمثل لنص (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) السلطان الغازي عبد الحميد خان..)

---

(1) أحمد ناصر المشايخي: أمجد الزهاوي، ص21.

(2) المصدر نفسه: ص20.

(3) باقر أمين الورد، أعلام العراق الحديث، ج1، ص142. والدليل العراقي لسنة 1936، ص862. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين العراقيين، ج1، ص147. ومير بصري: أعلام الكورد، ص220.

ويتابع المؤلف قائلاً: (لم أجد بدأ أن أقدم إلى سدته السنية وحضرته العلية، هدية تستعجز عن جايزتها الملوك، ويستغني بفائدتها الصعلوك، تؤهلني لعواطفه الوافية، وتهيئني لمواهبه الكافية، وإذا كانت الرسالة المشتهرة بالبرهان مشتملة على أمهات قواعد الميزان، بعبارات رائقة تتعجب من استماعها الآذان، وإشارات شافية لتبتسم من إدراكها الأذهان، ولم أجد لها ما يعد من إعداد الشروح إذ كل ما عثرت عليه من ذلك مقدوح ومجروح، شرعت في شرح مشكلاتها ..)

ويختتم المؤلف كلامه بالقول:

(تم الجزء الأول من تحفة السلطان في شرح البرهان، ويليه الجزء الثاني بعون الله الملك المستعان... هكذا تحقيق الجواب والسؤال، والله أعلم بحقيقة الحال والأحوال، اللهم حول حالنا إلى أحسن الحال، بحرمة كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. أحمد الحسيني البرزنجي في 8 شعبان في سنة 1329)[1].

44- الملا عزيز بن عبد الرحيم بن عبد الله (...-1970م):

توفي سنة 1970م وكان قد جاوز التسعين من العمر، ولد في أربيل ونشأ بها ودرس على علمائها وتوج دراسته بالإجازة العلمية من الحاج الملا عمر أفندي (ت 1309هـ-1891م) انتظم الملا عزيز في الجيش العثماني في سنة 1891م، فأصبح إماماً للطابور العسكري في حامية أربيل، ثم نقل إلى استانبول بنفس وظيفته ثم إلى اليمن التي ظل فيها أكثر من عشر سنوات، ثم عاد إلى استانبول بعد انهيار الدولة العثمانية سنة 1918م.

توفي في استانبول بعد عمر طويل قضاها في أداء الواجب للدفاع عن الخلافة الإسلامية حسب إمكانياته، وطاعة للسلطان عبد الحميد الثاني[2].

ومن الجدير بالذكر أن هناك مئات من علماء الكورد، المجازين والمجيزين من الأئمة والوعاظ والخطباء والمدرسين والمفتين والقضاة الذين كانوا يعاصرون عهد

---

(1) محمد علي القرداغي: إحياء تاريخ العلماء الأكراد، من خلال مخطوطاتهم، ج1، مطبعة أوفسيت وميض، 1419هـ-1998م، ص379-380. ومجلة هاوكاري: العدد 1815 في 1993/10/19م.

(2) زبير بلال اسماعيل: الشيخ جولي، محمد ثناء الدين بن مصطفى بن الحاج عمر الأربيلي النقشبندي، مطبعة اربيل، 1989م، ص41.

السلطان عبد الحميد الثاني ومن المؤيدين للسلطان، باعتباره امير المؤمنين وخليفة المسلمين يوجب عليهم الشرع الشريف والدين الحنيف، طاعته والدفاع عنه، وتقديم الولاء له، وكان أولئك العلماء الكورد يعدون كل خروج على السلطان عبد الحميد خروجاً على الجماعة وإمام المسلمين، لا يجيزه الإسلام، ويأثم فاعله، لأنه شق لصفوف الأمة وشذوذ عنها .

نكتفي بالقدر الذي أوردناه ولولا خشية الإطالة لعززنا القول بالفعل بتدوين أسماء سلسلة طويلة لمزيد من العلماء المنتصرين للسلطان والخلافة العثمانية التي كانت الرابطة الجامعة بين الشعوب الإسلامية والقوة المعدة لترهيب عدو الله وعدو المسلمين.

مواقف بعض العلماء الكورد المعاصرين من السلطان عبد الحميد الثاني:

تلبية للدعوة الكريمة الموجهة لي من المؤتمر الرابع لاتحاد علماء الدين الإسلامي في كوردستان العراق، للحضور في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر المنعقد في عاصمة إقليم كوردستان، أربيل، للفترة من 4/23 ولغاية الخامس منه من عام 1422هـ-2001م تحت شعار الآية الكريمة: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)[1]. تشرفت بالحضور، واستثمرت الفرصة لاستجلاء مواقف بعض أصحاب الفضيلة العلماء الكورد المدعوين حول السلطان عبد الحميد الثاني، من خلال المقابلات التي أجريتها معهم.

صغت للاستبيان سؤالاً على النمط الآتي:

(قرأتم التاريخ الإسلامي، واطلعتم على سير كثير من حكام المسلمين؟ خلفاء وأمراء ورؤساء وسلاطين، المتقدمين منهم والمتأخرين، فاستلطف من فضيلتكم بيان رأيكم المستند على القواعد الفقهية حول السلطان عبد الحميد الثاني وأيام سلطنته للعالم الإسلامي في الموافقة أو المخالفة للشريعة، بصورة خاصة وعن الخلافة العثمانية بصورة عامة من حيث:

أ- الحكم بالشريعة. ب- العدالة. ج- نصرة القضايا الإسلامية. د- المحافظة على وحدة المسلمين.

وفيما يأتي تفاصيل تلك المقابلات، مع بيان الأجوبة، وبتصرف طفيف في الصياغة دون المعنى وبإذن من لديهم:

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 103.

المقابلات:

أولاً: عمر بن حاجي رسول الترجاني: ولد سنة 1897م في قرية (نوغران) التابعة لمحافظة أربيل، حاصل على الإجازة العلمية لدى العالم الجليل الملا أبو بكر بن عمر بن أبي بكر، وذلك في سنة 1935م، كان يشغل وظيفة مدرس وإمام وخطيب، وهو متقاعد الآن.

له تعليقات على معظم الكتب المنهجية في الفقه والأصول والنحو والصرف.

الموقف:

والله، كان السلطان عبد الحميد شخصاً محترماً ومحبوباً، ومن أهل الدين ومحب للعلماء والصلحاء، وإن الأجانب والماسونية تعاونوا للقضاء على الخلافة وكان السلطان عبد الحميد يحكم بالشريعة الإسلامية وإنه لا يقارن بينه وبين حكام المسلمين مثلما لا يجوز المقارنة بين عدلي أنا وعدالة عمر بن الخطاب، أين الثرى من الثريا[1]؟



الباحث في مقابلة مع المترجم له

ثانياً: الملا سيد محمد بن السيد اسماعيل، ولد سنة 1916م في قرية (قل نيه) التابعة لمدينة أربيل، نال الإجازة العالمية من العالم الملا صالح الكوزبانكي،

---

(1) أجريت المقابلة في مدينة أربيل، يوم السبت الموافق 21/4/2001، الساعة الحادية عشرة والربع صباحاً، وأذن لي بالنشر.

يشغل وظيفة المدرس والإمام في جامع الفرقان بمركز مدينة أربيل.

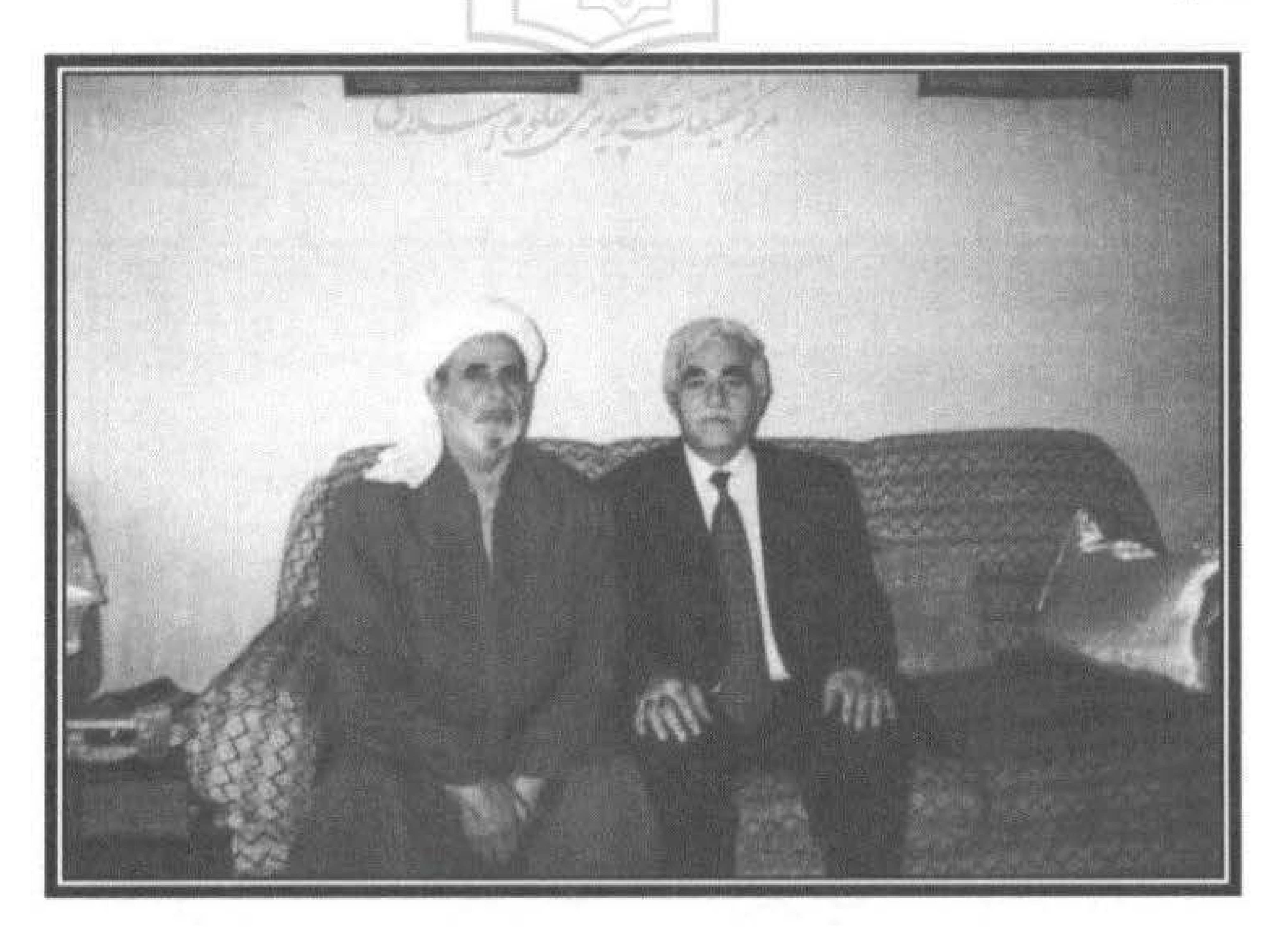
له خمسة مؤلفات باللغة العربية في الفقه الإسلامي منها كتاب الفتوى في زوجات المفقودين. وألف أربعة كتب أيضاً في الفقه باللغة الكوردية منها حكم الشريعة الإسلامية في الموسيقى.

الموقف:

اختصر كلامه في جملة مختصرة حيث قال: (كان السلطان عبد الحميد الثاني رجلاً صالحاً وعادلاً)[1].

ثالثاً: الملا ممدوح بن سليم بن نجم الدين، ولد في قرية (دلبي) سنة 1926م التابعة لقضاء ميركه سور، من أعمال مدينة أربيل، حاصل على الإجازة العلمية لدى الملا عبد الكريم أسعد أفندي الرواندوزي.

له عدة مؤلفات مخطوطة والمطبوعة منها هو كتاب (تاريخ راوندوز) يقوم بوظيفة الإمام والخطابة في جامع الحاج جمال في أربيل، ومدرس في المساجد الدينية الأهلية.



موقفه:

كان السلطان عبد الحميد، أحد أكبر سلاطين آل عثمان، جلس على عرش

---

[1] أجريت المقابلة في مدينة أربيل يوم السبت 2001/4/21م الساعة الثانية ظهراً وأذن لي بالنشر.

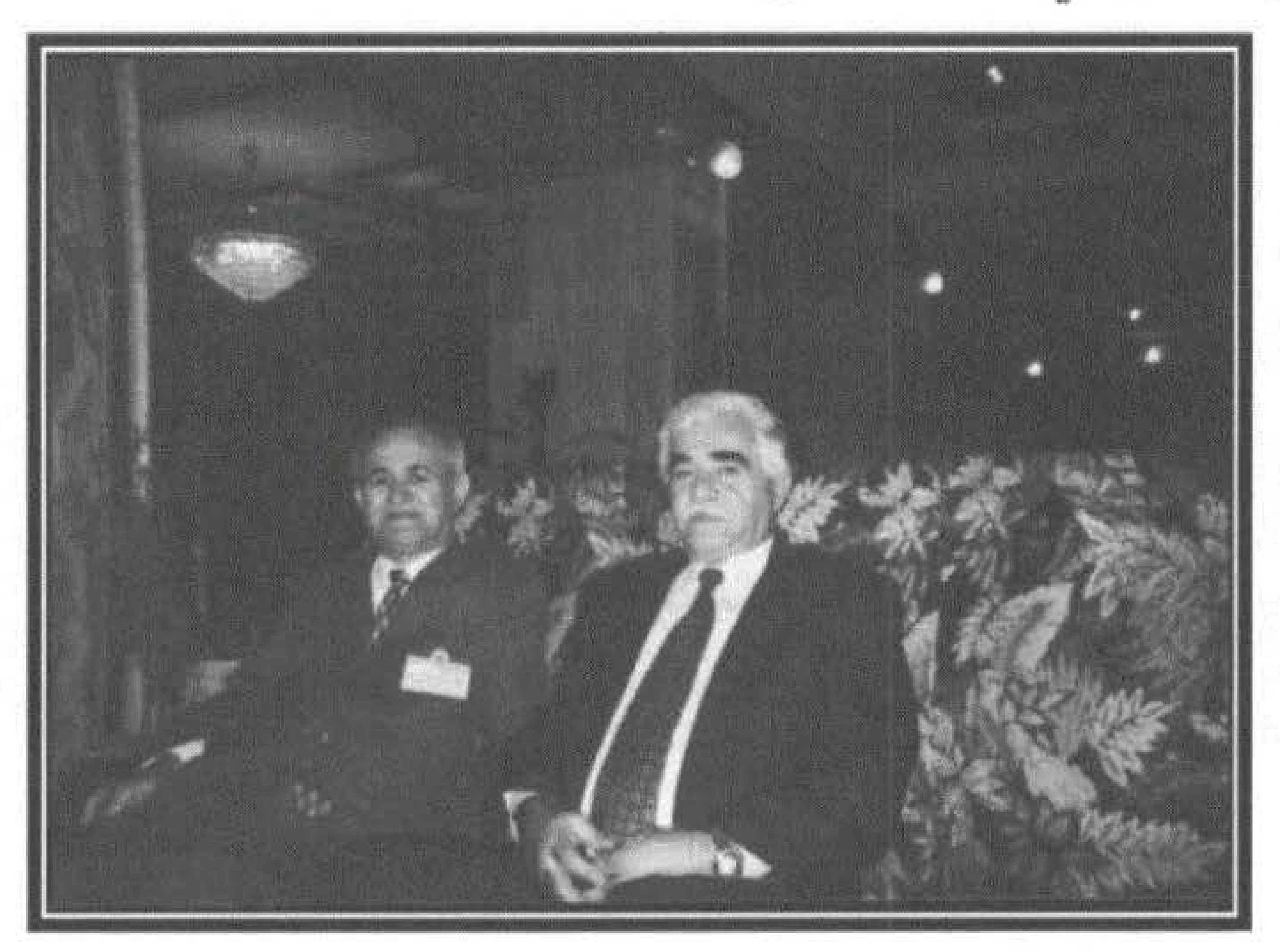
العثمانيين عام 1876م وخلع عام 1909م.

يقول التاريخ: إن السلطان عبد الحميد خان كان مستبداً، يعمل فوق القانون، فهدم الدستور وزلزل أركان الدولة العثمانية، ولقب بـ(السلطان الأحمر) لكثرة ما سفكه من الدماء.

ومع هذا قام الجيش العثماني في عهده وبقيادته بعدة غزوات ناجحة إلى بلاد الكفر هدفها: إضعاف الكفر، وإعلاء كلمة الله وبسط سيطرة دولة آل عثمان ونفوذها، وفتح مزيد من بلاد الأعداء، كما وفي عهده زادت حركة العلم من نشاطها، حيث طبعت في عهده كتب علمية عديدة، مما سهل على الطلاب أخذ أنواع العلوم المفيدة من علم أصول الدين والفقه والفلكيات والرياضيات، وعلم الأوقات وغير ذلك.

هذا وفي عهده تأسست بنية الأحزاب المعارضة من بينها: حزب الاتحاد والترقي فعملوا ضد دولة السلطان عبد الحميد الثاني حيث أدى أخيراً إلى خلعه[1].

رابعاً: الملا محمد شريف بن أحمد: ولد في قرية (كرده سور من أعمال أربيل وذلك في عام 1934م، حاصل على شهادة الدكتوراه في القانون عام 1979م، ومجاز في علوم الشريعة عام 1955م، وهو أستاذ جامعي، وله ثلاثة مؤلفات منها فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين.



---

(1) أجريت المقابلة في داره بأربيل يوم الأحد 2001/4/22، الساعة الواحدة بعد الظهر وأذن لي بالنشر.

موقفه:

(نستطيع القول بأن السلطان عبد الحميد الثاني كان ضحية الظروف الدولية المعقدة التي كبلت إرادته، وحالت دون محاولته لإعادة الهيبة إلى الدولة العثمانية التي قد انهارت بفعل التخلف والجمود اللذين سادا نظام الخلافة. ومما يحمد عليه موقفه الإسلامي من الحفاظ على فلسطين ومن رعاية المساجد والعلماء، ولكنه لم يقدر حق الشعوب المسلمة المنضوية تحت راية الدولة العثمانية في تقرير مصيرها ضمن وحدة الأمة الإسلامية، وبعبارة أخرى لم يتجاوب مع روح العصر)[1].

خامساً: الملا أحمد بن مصطفى بن سليمان: ولد في قرية (رشيور) التابعة لمحافظة دهوك سنة 1935م يحمل شهادة الدكتوراه في الفقه المقارن من جامعة الأزهر عام 1983م، يعمل حالياً عميد كلية القانون والسياسة في جامعة صلاح الدين بأربيل. له مؤلف في فقه الصيام، وكتاب زاد الخطباء، وعقيدة المؤمن، وبحوث فقهية.

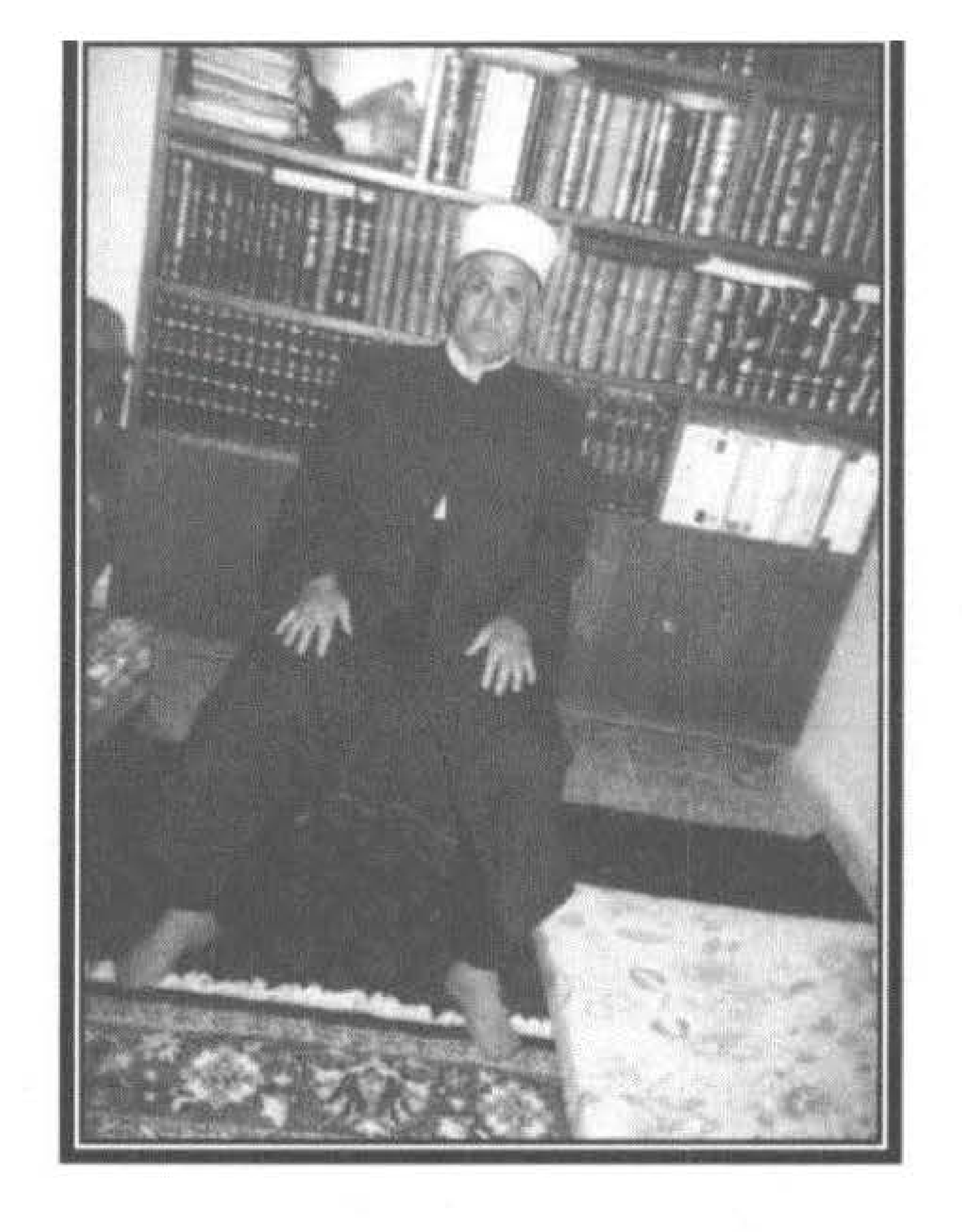
موقفه:

بعد أن أورد بإيجاز تكوين الدولة العثمانية دخل في صلب الموضوع قائلاً: (كان الاتحاد والترقي يلصق التهم بالسلطان عبد الحميد الثاني من أجل إزاحته عن الحكم للسيطرة التامة ونشر التتريك، لقد كان السلطان عبد الحميد الثاني يحب الدين ويعمل من أجل نشر الإسلام، وكان معتدلاً غير جامد، إلا انه كان ضعيفاً جداً بسبب معارضة اجهزة الدولة له، ومع ذلك بقاء الخلافة كان أفضل بكثير من علمانية أتاتورك وأصحابه والسائرين في ركابه، والإسلام الضعيف أفضل وأكرم من الإلحاد والعلمانية، وليس مرة بل آلاف المرات، ومن محاسن العثمانيين في الفترة الأخيرة جعل الفقه الإسلامي قواعد قانونية ويتضح ذلك من تأليف (الأحكام العدلية)[2].

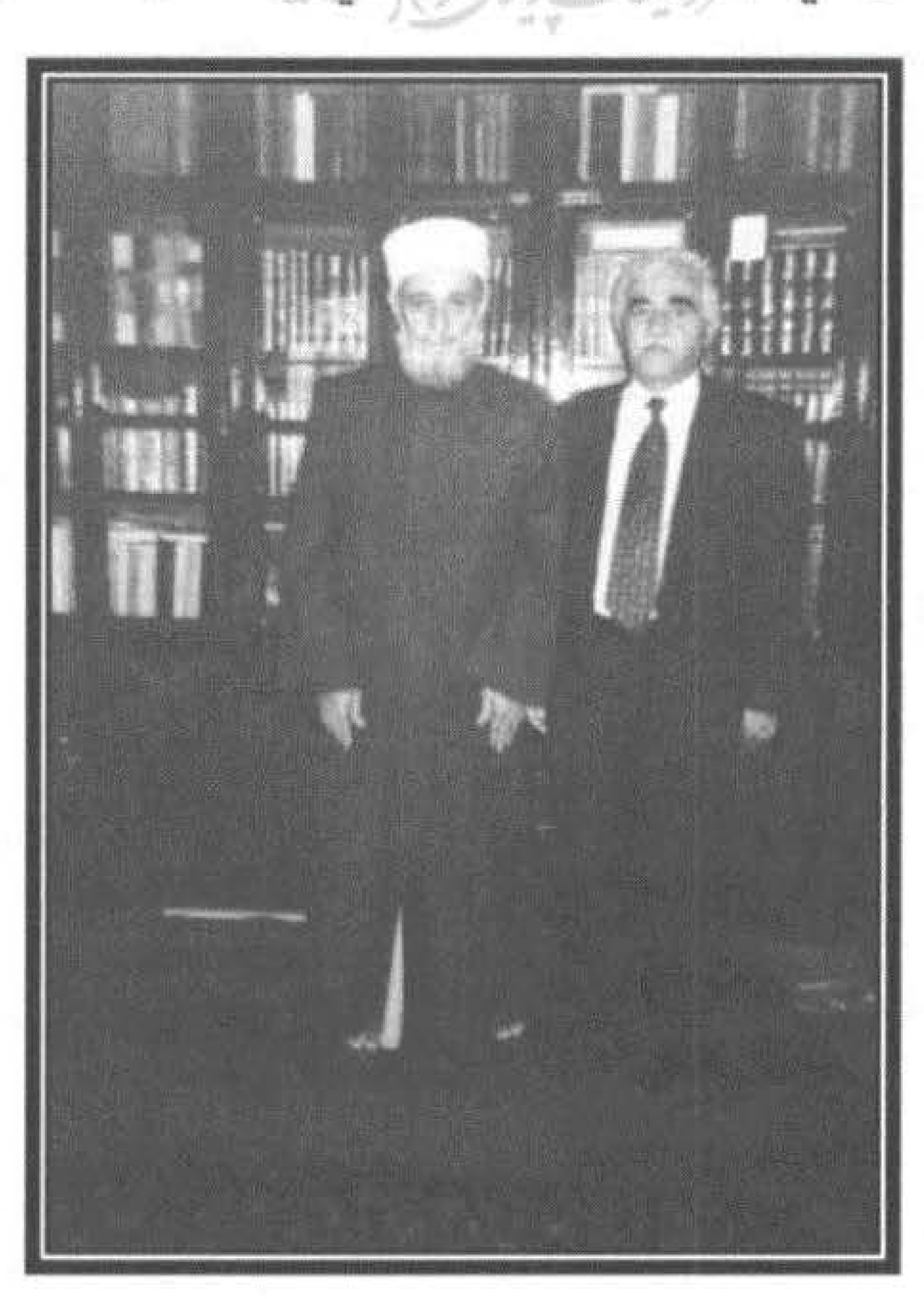
---

(1) أجريت المقابلة في فندق (جوار جرا) بمدينة أربيل، يوم السبت 2001/4/21 الساعة الثامنة ليلاً، وأذن بالنشر.

(2) أجريت المقابلة في داره بالقرية الجامعية في مدينة أربيل، يوم الجمعة، 2001/4/20م الساعة الثامنة والثلث ليلاً وأذن بالنشر.



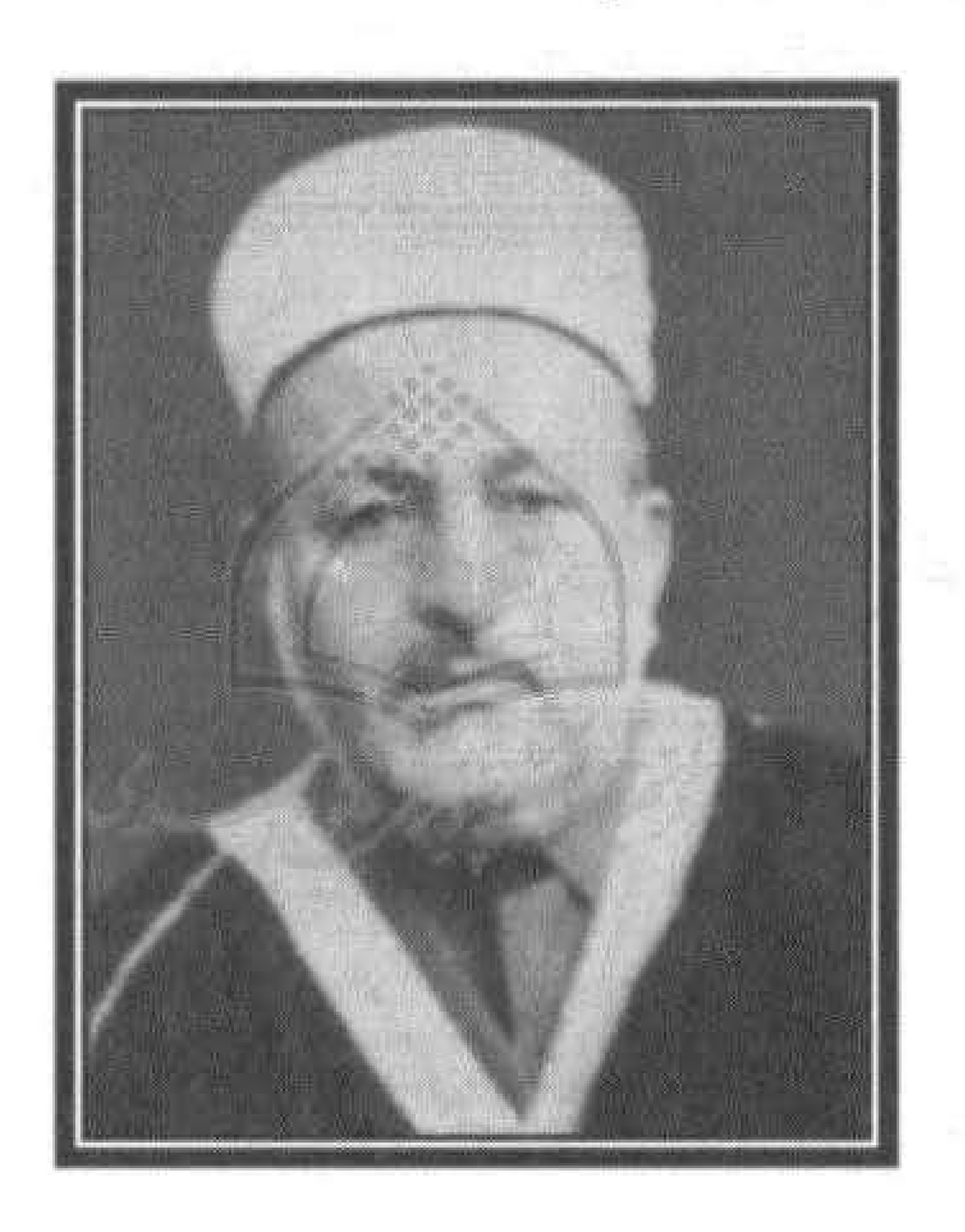
سادساً: الشيخ عبد الله بن الملا محمد الزبيري النقشبندي: ولد في قرية (كلاله) قضاء جمجمال، أربيل سنة 1935م، حاصل على الإجازة العلمية بتاريخ 1953م من العالم الملا عبد الكريم أفندي بن الملا أسعد أفندي الخيلاني، كان إماماً ومدرساً وخطيباً في قريته، وعضو المجلس الشرعي للفتوى في اتحاد علماء كوردستان، المكتب التنفيذي في أربيل، له حواشي ومخطوطات في العلوم الإسلامية.



موقفه:

(كان السلطان عبد الحميد يحترم ويجل العلماء، بشهادات العلماء له في مؤلفاتهم من الكتب الشرعية، وكانوا يدعون له بالموفقية وبقاء سلطنته، ويمنح الرواتب للعلماء الكورد، تقديراً لمنزلتهم، وهو دليل على محبته للعلم والعلماء، لقد كان خليفة للسلطنة العثمانية، وعلى العموم كانت العدالة سارية في الخلافة العثمانية لحين السلطان محمد الرابع (1648-1687م)[1].

سابعاً: الملا محمود الديرشوي: ولد في جزيرة ابن عمر بكوردستان تركيا، سنة 1940، رئيس اتحاد علماء الدين الإسلامي في كوردستان العراق وعضو برلمان كوردستان حالياً، كان يعمل إماماً وخطيباً ومدرساً في السابق، له مؤلف في الحكم والأمثال بعنوان (بيدر الرجال).



موقفه:

(حقيقة وبدون شك في الخلافة العثمانية سلبيات وإيجابيات، وحسب تصوري أن إيجابياتها أكثر من سلبياتها، لأنه مهما كان الأمر، حافظت على السلطة السياسية في العالم الإسلامي، هذا الانطباع من حيث الإطار العام للخلافة العثمانية.

وكل حكم سياسي - ما عدا الحكم الإلهي- في البداية جوهره جيد، وكلما طال أو تقدم، يتأخر ويتراخى شيئاً فشيئاً، وبين فترة وأخرى يحاول الحكام إعادة الحكم إلى مجراه الأول، فقد ينجح مثل عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) وقد

---

[1] أجريت المقابلة في مدينة أربيل، يوم السبت، 2001/4/21م، الساعة الرابعة مساء، أذن بنشر المعلومة.

لا ينجح مثل الآخرين.

وفي اعتقادي، أن السلطان عبد الحميد الثاني كان يريد إعادة الحكم إلى المجرى الأصيل (الشريعة) ولكن – مع الأسف- لم ينجح لأن الدولة العثمانية كان أعداؤها أكثر من أصدقائها، بسبب ظهور المعادن في المملكة العثمانية، فكانت الدول الغربية تريد السيطرة على موارد الثروة.

وهناك سبب آخر حال دون انتصار السلطان على المعارضة وهو المطالبة المتزايدة من اليهود لتأسيس دولة في فلسطين والسيطرة على المقدسات الإسلامية[1].

ثامناً: الملا عبد الله بن مولود بن محمود: ولد في قرية (بليتان) ناحية مصيف صلاح الدين من أعمال أربيل، وذلك سنة 1943م حاصل على الإجازة العلمية، يشغل حالياً وظيفة مدير معهد الأئمة والخطباء في جامع الصواف بأربيل وهو إمام وخطيب وعضو المجلس العلمي.

له مؤلفات منها:

1- تحفة الخطيب في الخطابة. 2- شرح الأنموذج للزمخشري (في النحو)

3- كتاب فرائض وشرح المنهج في الفقه الشافعي.

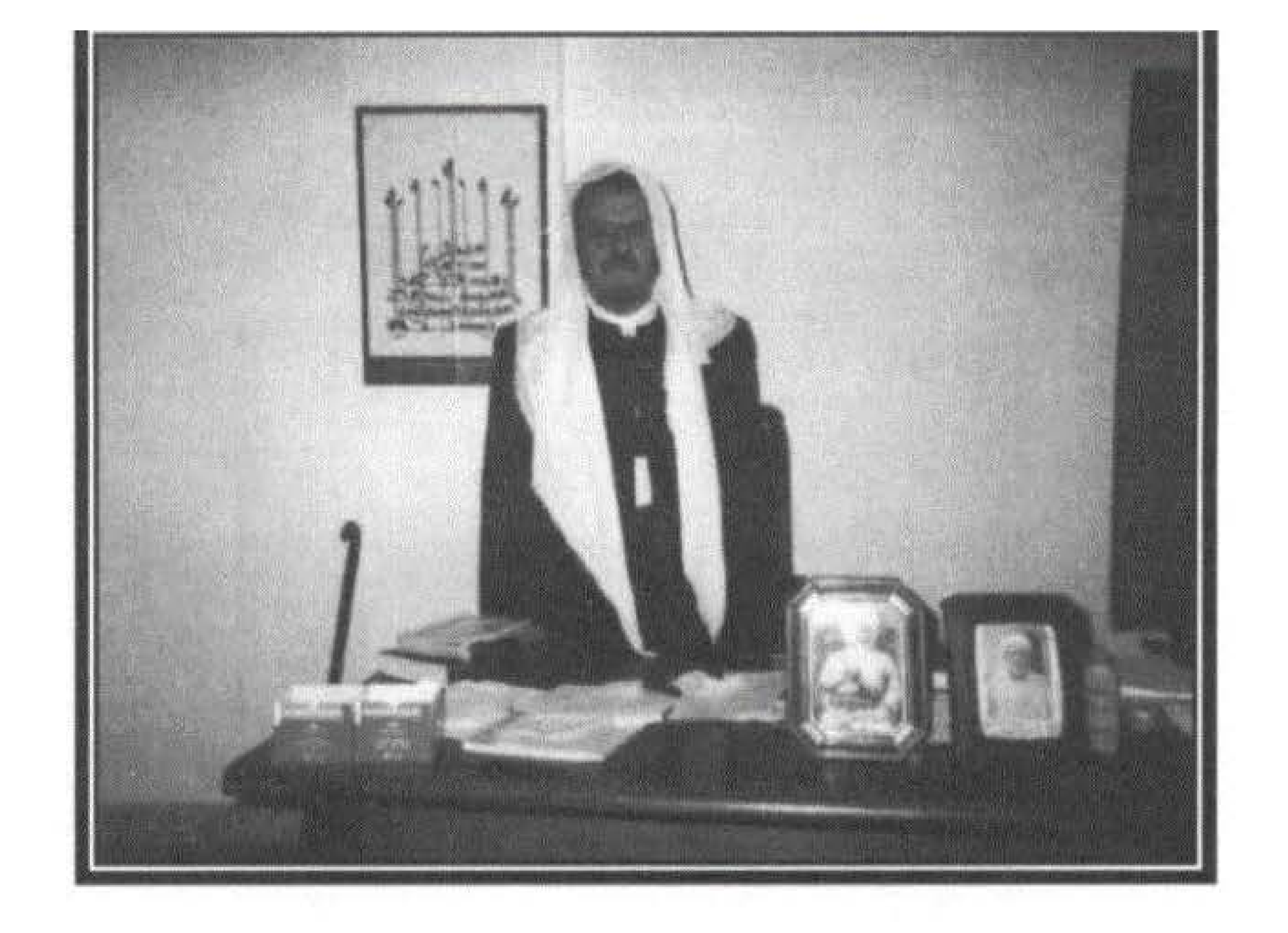
موقفه:

(إن الخلافة العثمانية منذ البداية كان لها دور كبير في نشر الدين الإسلامي الحنيف، وخاصة في أوربا. وتشهد بذلك آثار الجوامع والمدارس والمشاهد الإسلامية في بعض مدن أوربا. ولن يلينوا أمام الأعداء يوماً، ونحن برأينا نعتبرها خلافة خدمت الإسلام قروناً عديدة بشكل أو بآخر. والدليل أن جميع الدول الأجنبية قد اختطوا للقضاء عليها بوسيلة أو أخرى حتى تم تنفيذ مآربها في أيامها الأخيرة.

وأما السلطان عبد الحميد الثاني، فقد كان مشهوراً بالدفاع عن الدين والحماسة له، ولكنه لم يكن مسيطراً على الخلافة المترامية الأطراف.

---

[1] أجريت المقابلة في حديقة مقر اتحاد علماء الدين الإسلامي في كوردستان وذلك يوم الأحد 2001/4/24م الساعة الخامسة مساءً وسمح لي بالنشر.



حدث في زمانه نعرات قومية ولبعض من حوله يد في تغذية العصبية القومية، في نفوس الأقوام الأخرى، وكان ذلك البعض يحاولون تتريك الآخرين، وأخص بالذكر محاولة تتريك الكورد هذا القوم المظلوم[1].

تاسعاً: الملا محمد بن الملا احمد الكزني: ولد في قرية (كزنه) التابعة لأربيل، سنة 1949م حاصل على الإجازة العلمية وحامل شهادة الدكتوراه في الفقه المقارن من جامعة الأزهر في حدود عام 1975م، أشغل وظيفة الإمامة والخطابة وعمادة كلية الشريعة في جامعة دهوك، ووكالة كلية القانون بجامعة صلاح الدين بأربيل، وحالياً هو أستاذ في كلية الحقوق بالجامعة المذكورة، ويشرف على رسائل الماجستير.

له مؤلفات تربو على خمسة عشر مؤلفاً في الفقه والأصول وعلوم اللغة العربية إضافة إلى عشرات البحوث والمقالات المنشورة في المجلات والصحف.

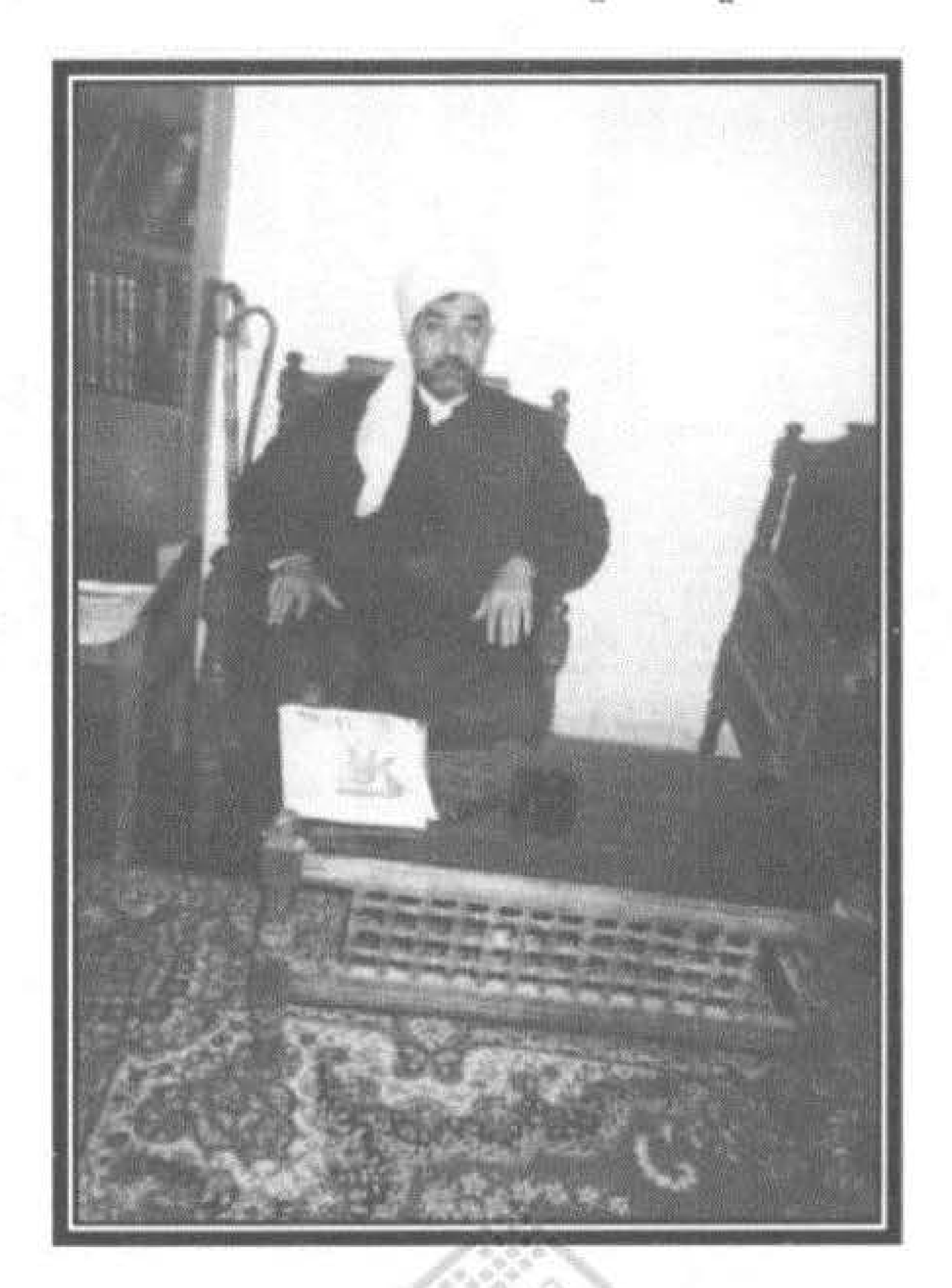
موقفه من السلطان عبد الحميد والخلافة العثمانية:

(لم يكن الحكم بالشريعة الإسلامية في الفترة الأخيرة من العهد العثماني إلا في مسائل النكاح والطلاق والإرث وبعض أحكام المعاملات، وذلك لأن السلاطين العثمانيين بدأوا باستبدال الحكم بالشريعة الإسلامية إلى الحكم بالقوانين الغربية منذ سنة 1840م، حيث ترجموا قانون العقوبات الفرنسي إلى التركية وطبقوها ثم

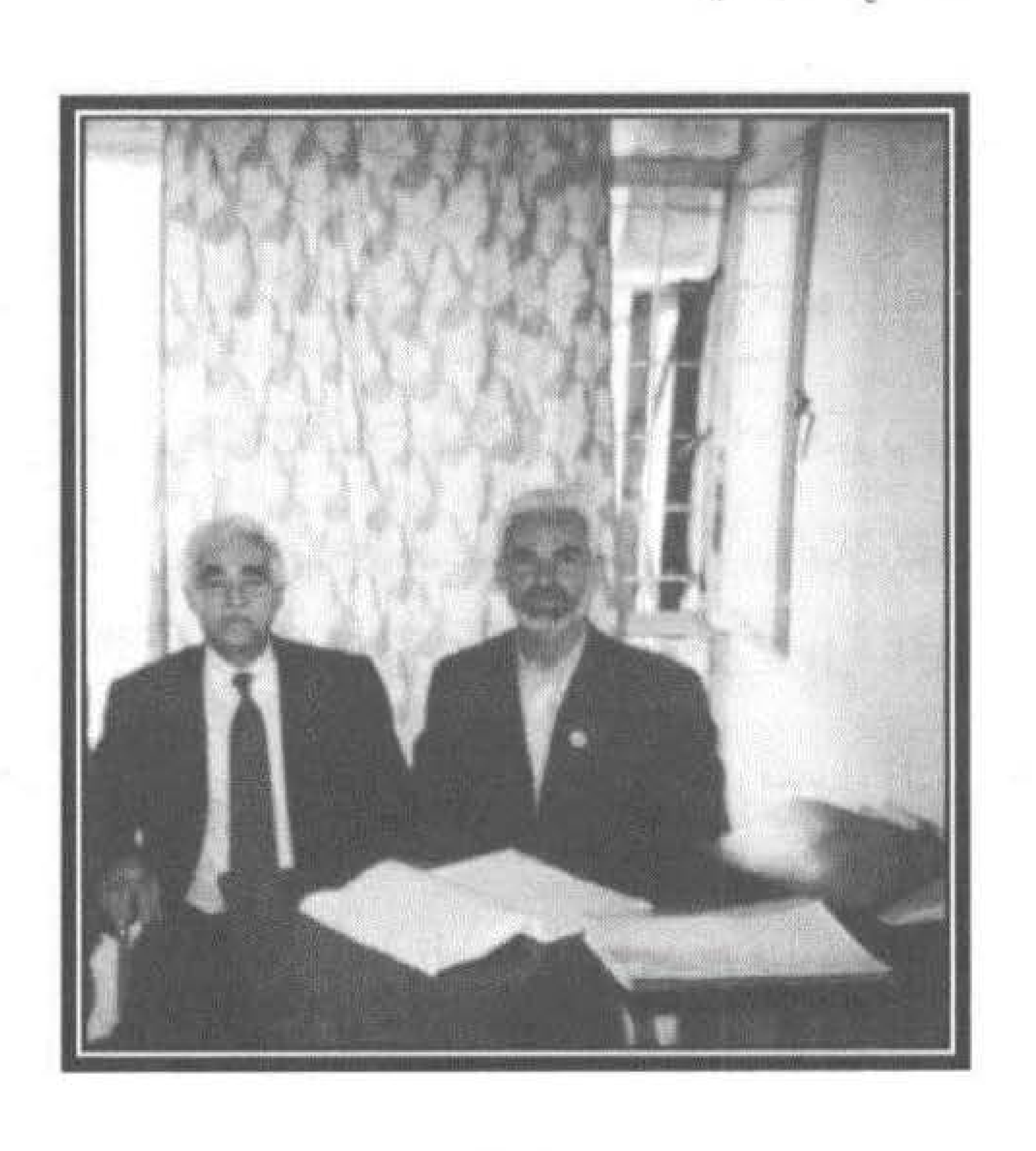
---

[1] حصلت على هذه المعلومات في المقابلة التي أجريتها يوم السبت 2001/4/21م في الساعة العاشرة صباحا بمدينة أربيل، وسمح بالنشر.

تلاه ترجمة وتطبيق قانون أصول المحاكمات والقانون التجاري. وفي سنة 1274هـ- 1857م أصدروا قانون الأراضي الذي هو مأخوذ من قانون الإقطاع الفرنسي.



عاشراً: الملا اسماعيل بن محمد القرني: ولد في إحدى القرى بمنطقة أربيل بحدود عام 1940م حاصل على الإجازة العلمية من الشيخ عبد الكريم المدرس سنة 1989م وحامل شهادة الدكتوراه في الفقه الإسلامي، عمل إماماً وخطيباً ومدرساً في السابق، وفي الوقت الحاضر أستاذ جامعي يدرس في جامعة صلاح الدين- قسم الدراسات الإسلامية.



موقفه من السلطان:

(إن السلطان عبد الحميد الثاني كان غيوراً على الإسلام متحمساً على تطبيق الشريعة الإسلامية ويحافظ على عدم تقطيع العالم الإسلامي، إنه حارب اليهود والنصارى، وحارب أهل الشرك والطغيان والنفاق بعزم وشدة. ولذلك حسب العدو له حساباً خاصاً ودبروا المؤامرات ضده، وتغلغلوا في قلب الخلافة، واختاروا بعض الرؤوس من خريجي المدارس الماسونية لتمزيق العالم الإسلامي ونشر العنصرية بين الفئات والقوميات المسلمة. ولقد نفذ هؤلاء الرؤوس المختارة تلك المخططات السرية ونشروا الفوضى والتعصب في عالم الخلافة الإسلامية فحاول السلطان عبد الحميد الثاني السيطرة على الوضع معتمداً على العلماء والقادة العسكريين ليحافظ على سد الثغرات والطرق المؤدية إلى التنازع والشقاق، إلا أنه لم يفلح بسبب تآمر من باع نفسه لأعداء الإسلام، وقد قال كلمته المشهورة حين طلب منه اليهود أن يبيع إليهم الأراضي المقدسة، فقال: (إنكم لا تستطيعون أن تقطعوا يدي وأنا حي، فإذا مت فاقتطعوا مني كيف ومتى شئتم، فإن فلسطين جزء مني فلا تستطيعون أن تقطعوها مني وأنا حي).

فالسلطان عبد الحميد كان رجلاً حكيماً عاقلاً غيوراً مسلماً صادقاً أميناً، مسالماً محترماً متواضعاً فاتحاً عينيه على العالم الإسلامي، يتمنى أن يتوحد العالم الإسلامي وأن يحرر الشعوب من العبودية – لغير الله - والعنصرية والتعصب، آملاً ان يلقى الله وهو راض عنه، داعياً من الله تعالى أن قد أدى ما عليه من الواجبات تجاهه في خدمة الإسلام والمسلمين[1].

حصيلة نتائج المقابلات:

بعد دراسة إفادات السادة العلماء آنفاً. وشهاداتهم المدونة لله وأمام التاريخ والأجيال، وفي زمن غير زمن حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وبعيداً عن انتزاع اعترافاتهم تحت مؤثرات الحاكم حتى لا يظن المرجفون تحصيل ذلك نتوصل إلى حقيقة حية ناطقة لا عوج فيها ولا آمتاً بان 99٪ من هؤلاء الشهود العدول في ظاهر الأحوال يزكون السلطان عبد الحميد ويضعونه في مصاف الحاكم المسلم العادل ويعترفون بتدينه وصلاحه وإصلاحاته، وإن 1٪ منهم ينتقد السلطان

---

[1] اجريت المقابلة في مبنى كلية الدراسات الإسلامية بجامعة صلاح الدين في أربيل، يوم الأحد 2001/4/23م الساعة الحادية عشرة صباحاً وأذن لي بالنشر.

والخلافة العثمانية في الشق الأخير من شهادته، ومع ذلك يعترف له في الشق الأول بتحكيم الشريعة الإسلامية في أساسيات القضايا من باب الأحوال الشخصية والمعاملات، ولا يعاب على السلطان استعارة قوانين دنيوية لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية والعبادات.

مقابلة مع معمرين معاصرين للسلطان عبد الحميد الثاني:

أولاً: حاجي ملا علي معروف: اكبر إنسان في السن من أبناء منطقة (سهل شاره زور=شهرزور) التابعة لمحافظة السليمانية بكوردستان العراق من مواليد سنة 1877م بموجب هوية الأحوال الشخصية (دفتر النفوس) المرقم (96936) والصادرة من دائرة النفوس في السليمانية، والمعاصر للسلطان عبد الحميد الثاني يتكلم لمجلة (جماوه ر= جماهير[1]) ويدلي بشهادته حول السلطان كشاهد على عصره وجرى الحوار على الشكل الآتي:

س: ما اسمك يا محترم؟

ج: حاجي ملا علي معروف.

س: أين ولدت؟

ج: في قصبة حلبجة ونحن من السكان الأصليين فيها .

س: كم هو عمرك؟

ج: 131 مائة وإحدى وثلاثون سنة.

س: كيف كان السلطان عبد الحميد الثاني بنظرك؟

ج: والله – الآن- يقول الناس إنه كان مستعمراً.. ولكن كلهم يكذبون ولا يوجد مسلم مثله.. كان رجلاً طيباً صالحاً ومسلماً، ومن اهل الشرع والكتاب، ولم يكن ظالماً.

س: هل رأيت أنت عملاً حسناً من السلطان عبد الحميد؟

ج: عمله حسن.

س: كيف؟

---

[1] مجلة (جماوه ر=جماهير) باللغة الكردية، تصدر في مدينة أربيل، ذي العدد (78)، محرم وصفر، 1419هـ، أيار وحزيران، 1998م، ص46-47.



ج: كان الذئب والغنم يشربان معاً الماء في عهده، وهذا هو غاية الأمن والاستقرار ودليل على صلاح السلطان ولم يكن ظالماً، ولم يجبر الناس على العسكرية، ولم يغبن حقوقهم، ولم يغتصب أراضيهم وكانت حكومته إسلامية متدينة.

س: هل رأيت حكماً آخر بعده؟

ج: هاجموا على السلطان عبد الحميد.

س: من؟

ج: هذه الدولة الأجنبية الخارجية.. وتحالف الكفار وتآمروا عليه، وأرسلوا إليه رسالة وطلبوا منه التوقيع على هذه الورقة، وقد كتبوا فيها (الحرية المساواة الأخوة العدالة) هذا كان شعارهم، وقالوا للسلطان عليك التوقيع والموافقة على هذه الأمور فقال السلطان: إني أوافق وأوقع على (العدالة، والمساواة، والأخوة) ولكن لا أوافق على (الحرية) لأنها هي اختلاط النساء والرجال ومعناها هي زوال القيم الأخلاقية.

فقال المعارضون لسياسة السلطان: إذا لم تقبل وتوقع على (الحرية) فنحن لا نقبل منك، وتولى السلطنة بعده السلطان رشاد، وأعلن الحرب على الكفار والمناوئين لسياسة السلطان عبد الحميد.

س: هل تذكر هذه الحرب؟

ج: نعم.. كيف لا أتذكر؟ أتذكر – يا أخي- عندما أعلن السلطان رشاد الحرب، اجتمع الكفار لحربه، و أفنوا السلطان، وفي تلك الفترة، كانت مناطق (عربستان، قفقاس، أرمنستان، باكستان، هندستان، تركيا) تحت سيطرة العثمانيين، فجزأ

الكفار هذه المناطق جزءاً فجزءاً.. شريف مكة كان قائداً للقوات العثمانية في مكة وخان العثمانيين بتدبير من الانكليز وأمريكا وفرنسا، وأرضوه بالمال ووعدوه بجعله وأولاده ملوكاً على البلاد العربية... وأذكر حين صار الشيخ محمود الحفيد ملكاً على كوردستان أفديك يا شيخ محمود، كان رجلاً متديناً)[1].

ثانياً: المعمر عمر رسول أحمد المعاصر للسلطان عبد الحميد الثاني:

أجريت مقابلة مع المعمر (عمر رسول أحمد) (1881م-) المعاصر للسلطان عبد الحميد الثاني، ووجهت إليه أسئلة ودونت إفادته بهدف تعضيد بحثي وفق النمط الآتي[2]:

س: ما اسمك؟

ج: اسمي عمر بن رسول بن أحمد.

س: كم هو عمرك؟

ج: عمري (120) مائة وعشرون سنة أي من مواليد 1881م الف وثمانمائة واحدى وثمانين للميلاد.

س: ما هو مسقط رأسك؟

ج: ولدت في قرية (دار هوزان سندي) ناحية دركار، قضاء زاخو، محافظة دهوك.

س: هل تعرف القراءة والكتابة؟

ج: كلا، بل أعرف قراءة جزء يسير من القرآن الكريم.

س: كم سلطاناً عاصرت؟

ج: عاصرت السلطان عبد الحميد الثاني، والسلطان رشاد (1909-1918م).

س: ما هي شهادتك للسلطان أو على السلطان؟

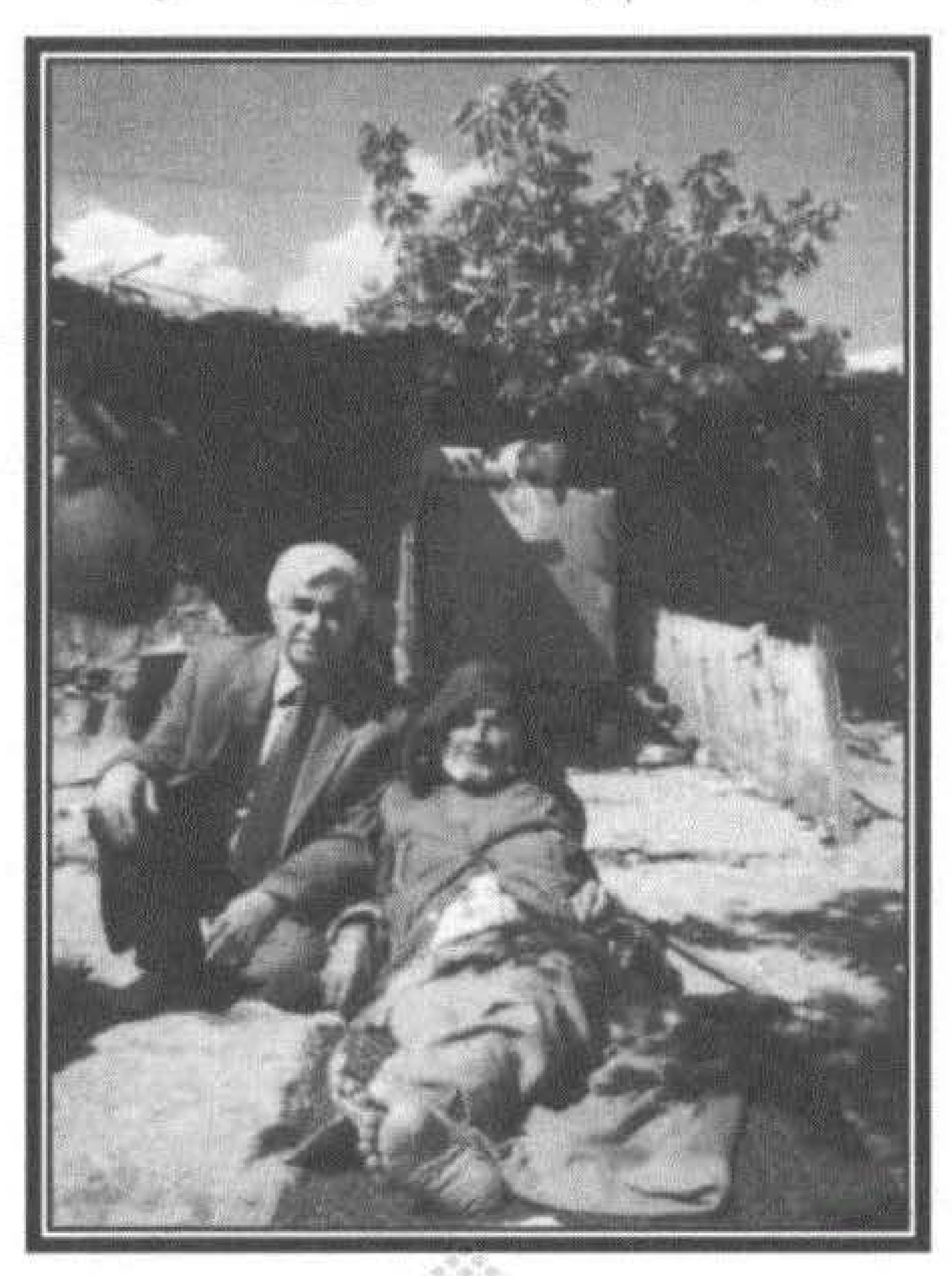
ج: كان السلطان عبد الحميد الثاني حاكماً عادلاً، وكان عصره عهد الأمن والأمان، وكان بمقدور الإنسان أن يسافر من العراق إلى اليمن دون أن يتعرض له أحد بأذى لم يكن في عهده ظلم ولا اعتداء، وكان الناس يشهدون بعدله، ولم

---

(1) مجلة (جماوه ر=جماهير) العدد 78، محرم وصفر، 1419هـ-أيار وحزيران 1998م، ص46-47.

(2) سافرت إلى ناحية (باطوفة) التي تقع على حدود كوردستان العراق مع تركيا يوم الثلاثاء الموافق 2001/4/17م وسجلت المقابلة في دار المومأ إليه في الثانية والنصف بعد الظهر وأذن لي بالنشر.

يشتك أحد من حكمه، وكان متديناً ولم يكن السلاطين يتزوجون إلا بالمسيحيات، على اعتبار أن بنات المسلمين بناتهم (هذا تصور المعمر).



وكان تجنيد الناس للعسكرية يجري عن طريق القرعة إذ كانت دوائر التجنيد تهيئ صناديق وتوضع فيها أوراق بيضاء وسوداء وتطلب من الشباب سحب ورقة من تلك الأوراق التي بداخل الصندوق والتي لا يمكن معرفتها، فمن وقعت في يده ورقة سوداء يؤخذ للعسكرية ويعفى الذي حصلت له ورقة بيضاء.

كان السلطان يهتم بالرعية وكان الناس بصورة عامة راضين عن عبد الحميد، ويعتبرونه سلطان دين الإسلام وخليفة المسلمين، وقد كان الرخاء موجوداً في عهده، أما في عهد السلطان رشاد فقد حصلت مجاعة بين الناس، وغلاء في أسعار المواد الغذائية بحيث كانت الأم تأكل لحم أولادها أمام الأنظار وهذا ما حصل فعلاً في قرية (مزري) التابعة لناحية السليفاني من أعمال محافظة دهوك.

س: ما هي أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني، حسب رأيك؟

ج: حصل انقلاب من السلطان رشاد على السلطان عبد الحميد الثاني.

س: ما هي ردود فعل الناس حينما عزل السلطان عبد الحميد؟

ج: كان الناس يلعنون السلطان رشاد لأنه حل محل عبد الحميد، لقد كان عبد الحميد مؤمناً.

س: كيف وجدت الحكومة التي تلت عهد عبد الحميد الثاني؟

ج: كل الناس كانوا يشتكون من رشاد، ويهربون إلى الجبال خوفاً من العسكرية التي جعلها إجبارية، وحدثت في عهده مجاعة شديدة ومات على أثرها مئات الألوف جوعاً.

س: ما هو موقفك من الانقلابيين (مصطفى كمال أتاتورك)؟

ج: أنا ضد الانقلابيين.

ثالثاً: المعمر ملا خليل بن سليمان المعاصر للسلطان عبد الحميد الثاني:

حاورت مع المعمر الملا خليل بن سليمان (1897م-   ) المعاصر في الفترة الأخيرة لعهد السلطان عبد الحميد الثاني، وأدون فيما يلي نصوص الأسئلة التي وجهتها إليه والردود التي تلقيتها منه وعلى النحو الآتي:

س: ما هو اسم سيادتكم؟

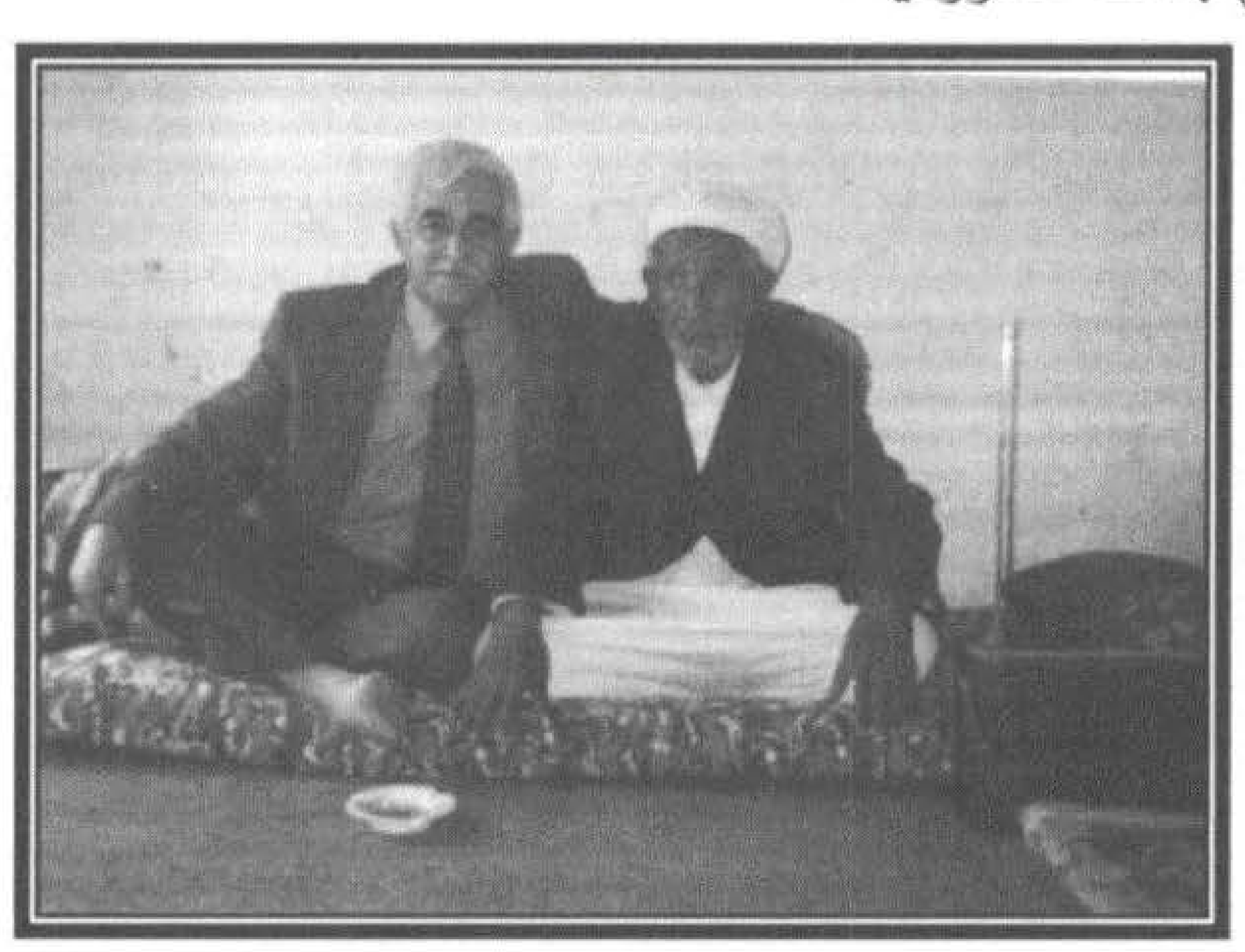
ج: الملا خليل ابن سليمان بن خابور، المعروف بـ (المشختي).

س: ما هو ميلادك؟

ج: انا ولدت عام 1897م، الف وثمانمائة وسبعة وتسعون في قرية (بلاوات) في منطقة الشبك التابعة لمحافظة الموصل.

س: حالتك العلمية؟

ج: درست عشرين سنة العلوم الإسلامية، ونلت الإجازة العلمية من العالم الملا أحمد رش في قصبة عقرة والفت ثلاثين كتاباً في مواضيع مختلفة ومنها (تفسير القرآن الكريم) باللغة الكوردية.



س: ما هي المساجد المدرسية التي تلقيت العلوم فيها، ومن هم أبرز رفاقك من الطلاب الدينيين؟

ج: درست في كل من مدرسة عقرة، التابعة لمحافظة دهوك حالياً وشقلاوة التابعة لمحافظة أربيل، وأذكر زملائي الطلبة فيها منهم الأديب والشاعر الكوردي جكر خوين، والملا سعد الله، والملا عمر سيدو. ومدرسة بارزان. مركز المشيخة النقشبندية والسلطة الزمنية في كوردستان والمعروفة عالمياً وكان رفاقي الطلبة فيها، كل من: الزعيم الكوردي المغفور له الملا (مصطفى البارزاني)، الذي أكمل دراسة العلوم الإسلامية فيما بعد، وأشقائه الشيخ بابو (المتصوف) والشيخ سليمان، والشيخ عبد السلام وكان المدرس فيها العالم الجليل الملا سعيد آكريي (العقراوي) وذلك في سنة 1919م (على ما أذكر).

كما درست في المسجد المدرسي بمركز قضاء زاخو التابعة لمحافظة دهوك لدى العالم الملا محمد قلاسنجي.

س: من هم أصدقائك الذين تقف بك محطة الذاكرة لذكراهم؟

ج: 1- هذار موكرياني، الأديب والشاعر المعروف (عبد الرحمن شرف كندي).

2- الأديب الشاعر الملا أحمد المخلص (نالبند).

3- كاميران بدرخان بك، الأمير البوتاني، حفيد بدرخان بك الكبير.

4- الأستاذ صالح اليوسفي احد قياديي الحركة الكوردية.

5- الأستاذ أحمد إبراهيم أحد أعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني (سابقاً).

6- العالم الجليل وأعلم علماء منطقة بهدينان بالعلوم الشرعية في حينه التقي الزاهد، وأحد أولياء الصالحين الملا حسين بن الحاج أحمد بن المتصوف مصطفى بن مير محمد، المعروف بالاسبينداري البرواري.

س: ما هو عدد أحفادك؟

ج: مائة حفيد.

س: ما هو رأيك في السلطان عبد الحميد الثاني؟

ج: كان الانكليز يخافون من السلطان عبد الحميد الثاني، لأنه كان يعمل

بالإسلام ولهذا حاول الغرب القضاء عليه.

س: كيف كانت الأوضاع الأمنية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني؟

ج: كان بمقدور الناس الذهاب من كوردستان العراق إلى استانبول دون أن يتعرضوا للأذى والمسائلة.

س: كيف تقيم الأوضاع الاقتصادية يومئذ؟

ج: كانت سيئة ولكنها ساءت أكثر فأكثر في عهد السلطان رشاد حيث كان الشرطة في عهده تستولي على أرزاق الناس، وانتشر جوع قاتل، ولم أسمع بعمل حسن في عهده، وشوه سمعة السلاطين، وأفضل الشيطان على مثل هذا السلطان وأنا مستعد أن أقدم الدجاج والشاي للشيطان دون هذا السلطان[1].

موقف علماء الكورد من الخلافة العثمانية بصورة عامة:

إن علماء الكورد، يرون ان الخلافة الإسلامية هي حلقات إيمانية مترابطة، بدأت منذ عهد الخلفاء الراشدين فالأمويين فالعباسيين فالعثمانيين، وإن هذه السلسلات ما هي إلا القنوات المثلى المتواصلة المستمرة بالتدفق لنقل مبادئ الإسلام عبر الوسائل المذكورة، التي تجمع بين السلطتين الزمنية والدينية، من جيل إلى جيل، ويعتقدون أن الخلفاء والحكام يجب أن يكونوا أمناء الشريعة والسلطة التنفيذية لتطبيق أحكام الشريعة في مختلف صنوف وفنون ومراحل الحياة بأبعادها الكلية، وإن أي تعطيل لأحكام الله تعالى من قبل الحكام إن هو إلا خيانة عظمى بحق المواطنين، وخنجر سام يطعن به ظهر الأمة خلسة، وتمزيق لشمل المجتمع، وحرب على الله ورسوله والمؤمنين، فكان علماء الكورد ومن منطلق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، يحاولون التقرب إلى رؤساء المسلمين تحت أي مسمى كانوا، ليكون هؤلاء العلماء لهم مرشدين وبطانة خير وعقولاً استشارية مؤتمنة بغية توجيه القادة نحو الصراط المستقيم إذا انحرفوا وأدرك هؤلاء العلماء ضرورة تواجدهم في الساحة السياسية لتعديل المسار إذا جانب الحق.

---

[1] سافرت يوم الثلاثاء الموافق 2001/4/17م إلى منطقة عقرة التابعة لمحافظة دهوك وأجريت هذه المقابلة في قرية جره، التابعة لقضاء عقرة مع الموما إليه في داره في الساعة الرابعة عصراً، وأذن لي بالنشر.

وتأسيساً على ذلك نجد أولئك العلماء الكورد كانوا يبدون النصح حسبة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في بلاط سلاطين الدولة العثمانية في محطات تاريخية كثيرة.

لدى دراستي لسير علماء الكورد في الفترات المختلفة للخلافة العثمانية او الحكم العثماني الممتد من سنة ألف وثلاثمائة للميلاد وإلى آخر عهدهم وجدت أن هؤلاء العلماء كانوا مؤيدين للحكم العثماني باعتباره راعي شؤون المسلمين وسائس شؤونهم والمحافظ على مصالحهم، والحامي للعقيدة والممالك من شرور القوى المعادية للإسلام، تلك القوى التي كانت تصارع كل ما هو إسلامي وتحارب للهيمنة على المسلمين وتبتلع حضارتهم فكانت المعركة قائمة بين الحضارة الإسلامية من جهة والحضارة والآيديولوجيات الغربية المختلفة من جهة أخرى.

ففي مثل هذه الأحوال يجب على الأمة بصورة عامة، وعلى علمائها بصورة خاصة الوقوف بجانب القيادة الإسلامية، وهكذا فهم علماء الكورد المرحلة التاريخية القائمة خلال حكم العثمانيين للبلاد الإسلامية فانتصروا لهم ووقفوا معهم.

وللتدليل على ما ذكر نورد في السياق الآتي نماذج من العلماء الكورد الذين عبروا عن تأييدهم للخلافة أو الحكم العثماني من خلال كتاباتهم وأقوالهم وأفعالهم.

أولاً: الملا أحمد بن الملا اسماعيل الجوراني (الكوراني) (توفي سنة 892هـ-1486م):

ولد في شهرزور بمنطقة السليمانية في كوردستان العراق، (أجهل تاريخ ولادته) وهو من أعلم علماء عصره قرأ مقدمات العلوم في شهررزور ثم رحل في طلب العلم إلى مصر، وأخذ الإجازة العلمية عن علامة الدهر ابن جحر العسقلاني (أحمد بن علي أبو الفضل (ت 852هـ-1449م) ثم رحل إلى (بروسة) فقدم إلى السلطان مراد الثاني (1421-1444 و1446-1451م) فعينه السلطان مدرساً في مدرستي (خداوندكار) و(بايزيد) ثم اتخذ مدرساً خاصاً لتعليم ولي العهد، محمد الفاتح الذي حكم في السنوات 1446و 1451-1481م ولما كان محمد الفاتح غير راغب في الدراسة كان الملا أحمد يجلده حتى حمله على الدراسة قهراً فلما تسنم الفاتح عرش الحكم حاول ان يستوزره فرفض الملا الأستاذ فعين قاضياً للعسكر في مدينة (بروسه) ومتولياً على الأوقاف السلطانية ثم اتفق أن عهد إليه السلطان

محمد الفاتح تنفيذ أمر يخالف الشريعة فمزق هذا العالم أمر هذا السلطان ولم يهتم به وعلى أثره أصدر السلطان أمراً بعزله، وعندئذ شد الملا أحمد الرحال إلى مصر فاستقبله السلطان (قايتباي)[1] بإكرام بالغ، وأهدى إليه هدايا وخصص له مرتباً ولما علم السلطان محمد الفاتح برحيل أستاذه ومربيه تألم كثيراً، فكتب إلى سلطان مصر يرجوه أن يرده عليه أستاذه، أما سلطان مصر فلم يرغب في مفارقة الملا الجوري (الكوراني) ولكن الأستاذ لما كان يود (الفاتح) كأولاده لم يتمالك نفسه، وبادر بالعودة فأعاده الفاتح إلى منصب القضاء في (بروسة) سنة (862هـ-1457م) ثم عهد إليه مقام الإفتاء وكان يومئذ مع منصب المشيخة الإسلامية مقاماً واحداً، وكان راتبه في السنة (50.000) الف درهم.

لقد كان الملا الجوري المرجع الوحيد لحل مشكلة التفاسير وقضى أوقاته بالتدريس والإفتاء والتأليف.

كان ينادي السلطان والوزراء بأسمائهم المجردة عن ألقاب التفخيم وإذا زار السلطان يقول (على العكس من عادة ذلك الزمان) السلام عليكم ويصافحه:

وله مؤلفات منها:

1- غاية الأماني في تفسير السبع المثاني.

2- الكوثر الجاري في رياض البخاري (شرح أحاديث البخاري).

3- الدر اللامع في شرح جمع الجوامع).

4- ألف للسلطان (محمد الفاتح) منظومة سماها (الشافية) في ستمائة بيت، وتوفي في الاستانة وصلى عليه السلطان بايزيد (1481-1512) وحضر دفنه وأدى عنه دينه البالغ مائة وثمانين ألف درهم، وتدعى اليوم إحدى حارات الاستانة باسمه[2].

---

(1) قايتباي: (الملك الأشرف) من المماليك (1468-1496م) اشتراه (برسباي) وأعتقه (جقمق) عين اتابكاً سنة (1467م) ثم سلطاناً لسوريا ومصر، له مآثر عمرانية وحربية، تنازل لابنه، ينظر إلى معجم الأعلام، ط22، ص544.

(2) اسماعيل باشا البغدادي الباباني: هدية العارفين، ج1، مج5، ص130، وخير الدين الزركلي: الأعلام، ج1، ص97. ومحمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص235-236، وطاشكبري زاده (ت 968هـ) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، دار الكتاب العربي، بيروت، 1395هـ-1975م، ص51-55.

ثانياً: الملا ادريس البدليسي (المتوفى 926هـ-1520م):

هو مولانا ادريس بن الشيخ حسام الدين، علي البدليسي، من فضلاء الكورد الذائعي الصيت، وكان معروفاً بـ(الحكيم)، ينتسب إلى أكراد الهكاري بكوردستان تركيا، والمولود في مدينة (بدليس) أكمل دراسته للعلوم الإسلامية في كوردستان إيران، كان متضلعاً في اللغات: الفارسية والعربية والتركية والكوردية، دخل في المناصب الحكومية لأول مرة ككاتب خاص للسلطان يعقوب بن حسين الطويل = آلاق قويونلي ولما كتب للسلطان بايزيد (1481-1512م) النصر في إحدى حروبه، نظم مولانا ادريس كتاب تهنئة للسلطان نيابة عن السلطان (يعقوب) فأعجب (السلطان بايزيد) بأسلوبه البارع، وأراد أن يقربه إليه سنة (889هـ-1484م) وعندما بلغ منصب الوزارة لدى حكومة (آلاق قويونلي) سافر إلى الديار المقدسة لتأدية فريضة الحج، وذهب لزيارة السلطان فاحترمه كثيراً وأولاه باللطف، ونزولاً عند رغبة السلطان، أقبل على كتابة تاريخه المعروف بـ(هشت بهشت) باللغة الفارسية، وجمع فيه تاريخ ثمانية من السلاطين العثمانيين، لقد كان ذا مكانة سامية على عهد السلطان (سليم الأول) الذي حكم في الفترة (1512-1520م) وأصبح في معيته وعين بمرتبة (قاضي العسكر) للبلاد العربية.

وبعد انتصار السلطان (ياوز) في معركة (جالديران 1514م) أوفده السلطان إلى إيران لاستلام مدينة (تبريز) عاصمة إيران حيث قام بأعداد الترتيبات الرسمية لاستقبال السلطان سليم لقد قدم البدليسي خدمات جليلة للدولة العثمانية في فتح البلاد الكوردية بطريقة سلمية، وأيده أمراء الكورد تأييداً مطلقاً في احتلال العثمانيين لمدينة (دياربكر) و(ماردين)، كما أن مدن (أورفة) و(الموصل) وغيرهما من المدن الواقعة شمال الجزيرة، دخلت تحت سيطرة العثمانيين بمعونته الأدبية والمادية.

لقد كان مولانا ادريس البدليسي أول من استطاع من تأسيس إدارة داخلية في كوردستان، تتفق واحتياجات ذلك العهد وذلك لمصلحة العثمانيين، ووضع أسساً صالحة ملائمة للقومية الكوردية بإقدامه تطبيق نظام (الفيدراسيون = نظام الولايات أو الحكومات المتحدة) وبتسهيله المحافظة على دوام الإمارات الكوردية المحلية.

ولو لم تقدم هذه الإمارات على إثارة الفتن والاقتتال فيما بينها، ولو اتفقت كلمتها على الاتحاد، لكانت قد ضمنت مستقبلاً رائعاً للكورد.

ومن جهود البدليسي الحميدة ما أسداه من خدمة عظيمة، بإقامة إمارة (حصن كيفا) الكوردية في كوردستان تركيا، وبذلك حال دون انطفاء الشعلة الأيوبية الوهاجة.

اشترك البدليسي في حملة (ياوز) على مصر، وبعد فتحها اسدى له النصح في كيفية إدارة ذلك البلد، وصاغ نصائحه هذه في قصيدة فارسية رائعة، وقدمها إلى السلطان سليم، فتقبل النصيحة هذا السلطان القوي المراس وعمل بها.

توفي في الاستانة في نفس السنة التي توفي فيها السلطان سليم وذلك في عام 926هـ-1520م ودفن في مقبرة أبي أيوب الأنصاري.

آثاره من المؤلفات منها:

1- الحق المبين، شرح حق اليقين (في علم الكلام) (فارسي).

2- رسالة الإباء عن مواقع الوباء وجواز الفرار عنه.

3- شرح فصوص الحكم للشيخ محي الدين العربي.

4- شرح كلشن راز، للعطار (فارسي).

5- مرآة الجمال (فارسي).

6- هشت بهشت في تاريخ آل عثمان (فارسي): وهذا الكتاب هو أول تاريخ كتب عن الدولة العثمانية، وبلغ عدد أبياته ثمانين ألف بيت، ويعد هذا الأثر المؤلف من ستة أجزاء وثلاثة مجلدات من الآثار الممتازة الخالدة. وكان البديسي كاتباً فذاً في العربية والتركية والفارسية[1].

هذا ونقدم للقارئ الكريم نص الفرمان الصادر من السلطان سليم إلى مولانا الملا ادريس البدليسي يشكره فيه البدليسي على تأييده وتعاونه مع العثمانيين.

والخلاصة:

إن جميع البلاد الكوردية، دخلت في حكم العثمانيين هكذا طواعية، ورضى بفضل دراية مولانا الشيخ ادريس وسياسته الرشيدة، وبعد هذا كله أخذ الشيخ في وضع الأنظمة الإدارية الكفيلة لرقي البلاد التي كانت مضطربة من جراء القلاقل

(1) اسماعيل باشا الباباني: هدية العارفين، ج1، مج5، ص196. ومحمد أمين زكي: مشاهير الكرد وكوردستان، ج1، ص104-106. وعبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص87.

والفتن، فنالت هذه التدابير والأنظمة التي ترمي إلى تقدم البلاد في ظل الإمارات الكوردية والإدارات المحلية المشمولة بالسيادة العثمانية القبول والموافقة لدى السلطان سليم، فأرسل له فرماناً شاهانياً بذلك، كما أرسل له سبعة عشر علماً وخمسة مائة خلعة من الخلع السلطانية لتوزيعها على رؤساء الحكومات والإمارات الكوردية، الوارثين الحكم عن أجدادهم، وأرسل إلى مولانا الشيخ خاصة هدية ثمينة، هي خمسة وعشرون ألف دوقة ذهب.

وكانت العهود والمواثيق التي قطعها مولانا ادريس باسم السلطان لأمراء كوردستان تحتوي على المواد التالية:

أ- الاحتفاظ باستقلال الإمارات الكوردية وحرياتها.

ب- أن تنتقل الإمارة عند خلوها عن شاغلها من الأب إلى أولاده الذكور.

ج- يساعد الكورد الترك في جميع حروبهم.

د- يساعد الترك الكورد ضد الاعتداءات الخارجية.

هـ- يدفع الكورد الصدقات والرسوم الشرعية لبيت المال الخاضع للخليفة.

أبرمت وثيقة هذه العهود والمواثيق المعقودة بين السلطان والحكومات والإمارات الخاضعة له في كوردستان سنة (920هـ-1514م) ولكن الحكومة التركية نقضت شروط هذه المادة بعد خمسة عشر عاماً من التوقيع عليها شيئاً فشيئاً حتى أتت على آخر إمارة كوردية سنة (1226هـ-1850م).

هذا وكانت ثقة السلطان سليم بمولانا الشيخ في هذه الأمور عظيمة، حتى أنه أرسل إليه فرمانات عديدة على البياض، ليملأها مولانا الشيخ كما يشاء ويوزعها على من يشاء من الأمراء والزعماء الكورد[1].

(1) ندرج هنا نص الفرمان الصادر من السلطان سليم إلى مولانا ادريس نقلاً من تاج التواريخ، ج2، ص322 لمؤلفه خوجه سعد الدين، ثم نعقبه بترجمته الحرفية بدلاً من ملخصه الذي كان الأصل نقله من تذييلات ترجمة تاريخ هامر التركية.

الترجمة

عمدة الأفاضل، وقدوة أرباب الفضائل، والسالك مسالك الطريقة والهادي

---

[1] شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ص436.

إلى مناهج الشريعة كشاف المشكلات الدينية، وحلال المعضلات اليقينية، وخلاصة الماء والطين، مقرب الملوك والسلاطين، برهان أهل التوحيد والتقديس مولانا حكيم الدين ادريس، ادام الله فضله، ليعلم عند وصول الفرمان العالي الهمايوني إن كتابكم وصل الآن إلى سدتي السعيدة مفيداً بشرى تسببكم في فتح ولاية (دياربكر) كلها، على مقتضى حسن، ديانتك وامانتك، وفرط صداقتك واستقامتك، كما هو المؤمل منك، بيض الله وجهك وإنشاء الله الأعز تكون سبباً فعالاً في فتح سائر الولايات وأنواع عناياتي العلية الملكية متوجهة إليك ومبذولة في حقك.

وقد أرسل مع مخصصاتكم إلى آخر شهر شوال المبارك، ألف جنيه ذهب (فلوري) وفروة سمور وأخرى وشق و(مربعان- ثوبان) من الصوف وإثنان من الجوخ وكذاكرك من الصوف مبطناً بفروة سمور وآخر مبطناً بفروة وشق وسيف مذهب بغلاف مكسو بجوخ افرنجي، فلدى وصولها إليك إنشاء الله الأكرم، تتسلمها بالصحة والسلامة وتصرفها في نفقاتك، ودمت متمتعاً بما أنت جدير به من أنواع تعطفاتي الملكية الجليلة، تقديراً لخدماتك ومكافأة لاستقامتك وإخلاصك وبما أن الأمراء الذين أتوا من دياربكر وتابعوك معلومة لديك أحوالهم وألقابهم ومقادير ما يخصص لهم من السناجق (ألوية) في تلك الولاية، وبالنسبة إلى صداقتهم وإخلاصهم واختصاصهم وخدماتهم، فقد أرسلت مراسيم ملكية شريفة على البياض، معنون أعلاها بعلامتي الملكية الشريفة إلى افتخار الأمراء العظام، ظهير الكبراء الفخام، ذي القدر والاحترام، صاحب المجد والاحتشام، المؤيد بأنواع تأييدات الملك الصمد، أمير أمراء دياربكر (محمد) دام إقباله، فينبغي أن تكتبوا البراءات السلطانية عن أحوال السناجق التي خصصت لكل أمير وكيفية توجيهها وألقاب هؤلاء الأمراء، ومقادير اقطاعاتهم على الأسلوب المناسب مع تسجيل صور تلك البراءات السلطانية تفصيلاً، ومقدار اقطاعاتهم في دفتر خاص وإرساله إلى سدتي السعيدة، ليحفظ هنا وليكون كل شيء مفهوماً ومعلوماً، مع مذكرة تفصيلية عن السناجق (المقاطعات) التي وجهت إلى الأمراء وكيفية تفويضها، ووجه كتابة ألقابهم، ونوع الأنعام، بشرط أن يكون هذا التوزيع والتخصيص لا يخلان بالأصل بحيث لا يحتمل أن يؤدي إلى تزلزل ما بينهم من أس الارتباط. وأرسلت أيضاً أوراق بيضاء متوجه بالعلامة الشريفة السلطانية، لأجل إرسالها إلى أمراء يلزم إرسال كتب استمالة إليهم، فتحرر كتب الاستمالة

على الصورة المناسبة وترسل إليهم مع الإنعامات الملكية، فتدون صور تلك البراءات السلطانية وكيفية انعاماتهم، ووجوه مراعاتهم في دفتر خاص، وتبعثون بها إلى سدتي التي هي ملجأ العالم، ليكون كل شأن منها معلوماً هنا على التفصيل.

وان المهام السلطانية في هذا الجانب قد تمت حسب رغبتي الشريفة على هؤلاء الأمراء أكبر مما يأملونه.

هذا وقد أوفد الآن اسماعيل الضلالي ابن الشيخ الأردبيلي، المدعوين حسين بك وبهرام آغا من رجاله بسفارة إلى سدتي السعيدة، يعرض بواسطتهما تقريراً وتحريراً انواع الخضوع والطاعة ويتضرع ويتلمس، بضروب من الملق والدهان عقد الصلح والسلامة، قائلاً أنه يقبل جميع ما أطلبه وأبتغيه من ذلك الطرف بلا قيد ولا شرط، ولكن لا يجوز الاعتماد على قوله وخلوص نيته، فلذا أمرت بحبس الرسولين المذكورين في قلعة (ديمتوقة) وحاشيتهما في قلعة (كليد البحر) فيجب عليك أن تقوم بدورك في اتخاذ أحسن التدابير من جانبك في شأن المقهور المذكور.

وفي الختام أرجو أن تظهر منك ضروب من الآثار الجليلة والمآثر الحميدة، أعلم هذا واعتمد على علامتي الشريفة تحريراً في أواسط شهر شوال المبارك سنة إحدى وعشرين وتسعمائة الهجرية بمقام دار الخلافة. ادرنة (اوائل نوفمبر سنة 1515م.

المترجم

ثالثاً: شرف خان بن الأمير شمس الدين (حاكم بدليس) (المولود 994هـ-1585م):

ولد بقرية (كروت) بكوردستان إيران، بسبب وجود والده فيها درس العلوم الإسلامية حتى تضلع فيها، عينه الشاه اسماعيل الثاني (1576-1578م) حاكماً على (نخجوان) إحدى مقاطعات بلاد فارس، وأرسل معه جيشاً كبيراً لمحاربة العثمانيين، ولكنه أراد التخلص من الدولة الفارسية الشيعية، فانضم إلى العثمانيين بعد مفاوضات، وقبله السلطان مراد الثالث (1574-1595م) وأرسل له فرمان حاكمية (بدليس) بكوردستان تركيا، فقدم شرفخان إلى (بدليس) موطن آبائه وأجداده، وتبوأ مقام والده في الإمارة[1].

---

[1] شرفخان البتليسي، الشرفنامة، ص460، واسماعيل باباان البغدادي، هدية العارفين، مج5، ج1، ص416.

وفي سنة (1005هـ-1546م) ترك الإمارة لولده، بمجرد رغبته في إكمال مؤلفه التاريخي الشهير (الشرفنامه)[1].

ثناء البدليسي على السلطان محمد الثالث (1595-1603م):

يقول شرفخان البدليسي في ديباجة سفره التاريخي (الشرفنامه): (يعد أداء الحمد للخالق الجبار، وإبلاغ التحية لسيد الأبرار، إن التحية والثناء حريان بملك يعد مدار زحل؛ على الرغم من علوه المكاني، أدنى من عتبته وسلطان الإيوان الرابع (أي الشمس) على الرغم من بذله الأعطيات للعالم، أصغر حراسه وحجبته، من هو درة في تيجان أعظم السلاطين، وجوهرة نتاج أكارم الخواقين، ملاذ أفاخم القياصرة ومعاذ أعاظم الأكاسرة، تعظم الخواقين بتقبيل عتبته العلية، وتعزز السلاطين بتلثيم سدته السنية، حامل أهل السنة والجماعة، ماحي آثار البدعة والضلالة، وهو السلطان الأعظم المطاع والخاقان الأعدل والأكمل الواجب الأتباع، رافع رايات الخلافة بالعدل والإحسان، راقم آيات الرحمة والرائعة على صحائف الأمكنة والأزمان، المؤيد بالرياستين، الموفق بالسعادتين، سلطان البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، ثالث عمرين، ثاني أسكندر ذي القرنين، باسط بساط الأمن والأمان المنظور بأنظار ألطاف الملك المنان (أبو المظفر محمد خان) خلد الله تعالى ملكه، وسلطانه، وأفاض على العالمين بره وإحسانه)[2].

دعاء البدليسي للدولة العثمانية:

يدعو البدليسي في موضع آخر من المولى سبحانه قائلاً:

(إلهي، لقد نظرت نظرة رحمة، حين بسطت هذا الظل على خلقك ماذا أقول في وصف هذا الجليل الذي هو شمس لا تعتريه شائبة؟

إنني من دعاة هذه الدولة المطيعين إلهي: أدم هذا الظل)[3].

(نص هذا الدعاء باللغة الفارسية)

---

[1] كتاب الشرفنامة: تاريخ فريد، يبحث عن الحكومات الكوردية، والحكام الوراثيين من الأكراد، وحكام الأكراد بصورة عامة الذين سبقوا عصر المؤلف والمعاصرين له، فرغ المؤلف من كتابته سنة (1546م) ولقد ترجمت إلى اللغة التركية، والروسية والفرنسية والعربية، وأصل الكتاب بالفارسية، ينظر إلى: محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج1، ص254.

[2] شرفخان البتليسي، الشرفنامة، ص6.

[3] المصدر نفسه، ص7.

خدايا برحمت نظر كرده كة اين ساية بر خلق كسترده

جكويم در أوصاف أين سرفراز كةهست أفتاب أز صفة بى نياز

دعا كوى أين دولتم بندةوار خدايا تواين ساية بايندةدار

رابعاً: الملا أبو بكر الثاني بن الملا عمر بن الملا أبو بكر الأول (1068-1138هـ-1657-1725م)**:**

ولد في أربيل، وترعرع في بيت آبائه العلمية العريقة، تفقه في الدين في الجامع الكبير بقلعة أربيل، ولما بلغ أشده ونال المراتب العليا في العلوم بدأ بالتدريس والتأليف في علم الكلام والحديث والتصوف.

كان من حفاظ الأحاديث النبوية وبعض التفاسير عن ظهر قلب وعلى درجة عالية من التقوى، صائم الدهر وقائم الليل وحافظ القرآن، محب للعلم والعلماء، تعرف على عدد كبير من العلماء بالشام والحجاز أثناء سفره إلى بيت الله الحرام.

وبناء على محبة هذا العالم للخلافة العثمانية ودعواته لها بالموفقية وتقديراً لمنزلته العلمية الرفيعة، فقد أصدر السلطان أحمد الثالث (1703-1730م) فرماناً منح بموجبه إيرادات مزرعة (باداباد) وزكاة بعض القرى بمنطقة أربيل، للملا أبو بكر، وطلبة العلوم الدينية في قلعة أربيل)[1].

السلطان أحمد خان الثالث:

إلى/ قدوة القضاة والحكام مولانا عبد الرحيم زيد فضله قصبة كركوك – سنجق (ناحية أربيل).

إن مزرعة (باداباد) المرقمة خمسة آلاف وسبعمائة وثمانية وثمانين قد خصصت إيراداتها لحامل هذا التوقيع الخاقاني ونعني به مولانا رفيع الشأن أبو بكر زيد علمه والذي هو أهل علم وصاحب فضيلة ومحل تقدير، وذلك للتصرف في معيشة طلبة العلوم في قلعة أربيل في مدرسة الجامع الكبير في القلعة.

وقد كتب هذا الفرمان في اليوم الحادي عشر من شهر محرم سنة ألف ومائة وثمانية وعشرين هجرية، وله حق التصرف في تلك المرزعة بعد هذا التاريخ.

---

(1) زبير بلال اسماعيل، علماء ومدارس في أربيل، ص28.

ملاحظة:

1- لم أعثر على شخص يستطيع قراءة هذا الفرمان، فتوكلت على الله واستطعت بعد أيام طوال وجهد جهيد، أن أقرأ أكثر من 70٪ من الفرمان، وكتبت محتواه، وحتى يحين وقت أستطيع فيه ترجمة الفرمان حرفياً أكتفي بهذا القدر. لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

2- كتب والدي رحمه الله خلف هذا الفرمان ما يلي:

إن هذا الفرمان أعطي في زمن السلطان محمد خان الرابع المتوفي 1687م.

إفادة عثمان رشاد المفتي من أحفاد المترجم له

أربيل 29/11/1992

السلطان أحمد خان الثالث :-

إلى/ قدوة القضاة والحكام مولانا عبدالرحيم زيد فضله

قصبة كركوك - سنجق (ناحية أربيل).

إن مزرعة (بادا باد) المرقمة خمسة آلاف وسبعمائة وثمانية وثمانين

قد خصصت إيراداتها لحامل هذا التوقيع الخاقاني ونعني به

مولانا رفيع الشأن أبوبكر زيد علمه والذي هو أهل علم

وصاحب فضيلة ومحل تقدير. وذلك للتصرف في معيشة

طلبة العلوم في قلعة أربيل. في الجامع الكبير في القلعة

وقد كتب هذا الفرمان في اليوم الحادي عشر من شهر محرم

سنة ألف ومائة وثمانية وعشرون هجرية.

وله حق التصرف في تلك المزرعة بعد هذا التاريخ.

ملاحظة

١. لم أعثر على شخص يستطيع قراءة هذا الفرمان.. فتوكلت على الله

واستطعت بعد أيام طوال وجهد جهيد أن أقرأ أكثر من ٧٠٪ من

الفرمان.. وكتبت محتواه. وحتى يحين وقت أستطيع فيه ترجمة

الفرمان حرفياً أكتفي بهذا القدر. لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

[illegible]

٢. كتب والدي رحمه الله خلف هذا الفرمان ما يلي:-

[إن هذا الفرمان أعطي في زمن السلطان محمد خان الرابع المتوفي ١٦٨٧م.]

عثمان رشاد المفتي

أربيل ٢٩/١١/١٩٩٢م

خامساً: الشيخ محمد معروف النودهي[1](1166-1254هـ/1752-1838م)

كان النودهي من المعتقدين بصلاح الخلافة العثمانية، نظم قصيدة تائية مؤلفة من واحدة وثمانين بيتاً، بعث بها لخليفة الإسلام السلطان سليم الثالث (1789-1807م) يشتكي فيها من المفسدين المتغلبين، الذين أعماهم حب السيطرة والرئاسة ويتذمر النودهي فيها من الاضطرابات، ويترحم من السلطان أن يخصص له مكاناً في مكة المكرمة او القدس أو في الشام، ويثني فيها على سلاطين آل عثمان، ويصفهم بظهير الملة الإسلامية.

نورد هنا مقتطفات من قصيدته:

تحيات إجلال عن الحصر جلت	أضاءت كشمس للقلوب
وأثنية في الخافقين تأرجت	كأوعية عن نافخ المسك حلت
إلى حضرت السلطان غرة دهره	وراقي ذرا طود الكمال
وغوث بلاد المسلمين وغيثها	وناصر دين الله حامي الحقيقة
هو الملك المشغوف بالفتح والوغى منية	وساقي جيوش الكفر كأس
هنيئاً لكم يا آل عثمان كلكم،	ملوك كرام أهل مجد ونجدة
ممالك الإسلام بكم قد تمهدت	وأنتم ظهير الملة النبوية
ومسقط رأسي أرض كورد وريعها	وقد كان منها نشأتي ثم نشوتي
ولكنني قد عفت فيها إقامة	فإني عفت فيها رسوم مسرتي
وقد آن لي أن أبوح بحاجتي	لعلك تقضيها وتكشف كربتي
وأمنيتي بل نيتي ظعن إلى	مهاجر إبراهيم قبل منيتي
فبالله يا سلطان أهل زمانه	أغثني وأدركني بتفريج غمتي
وخذ بيدي للقدس لازالت فائزاً	بإسعاف آمال وأرغد عيشة
أصلي على خير الأنام وآله	وأصحابه في بكرة وعشية[2].

---

(1) سبقت ترجمته في فقرة (التعريف بعلماء الكورد).

(2) بعد بحث مستفيض وتحريات مكثفة في مظان الكتب ومن شيوخ أسرة النودهي لم نعثر على جواب للسلطان على هذا الطلب.

كما أن الشيخ محمد معروف النودهي كتب إلى داود باشا (1774-1851م) والي بغداد العثماني (1817م) بعد أربعة وعشرين عاماً من تاريخ هذه القصيدة رسالة شبيهة في المغزى والمرمى، وأنه أجاب النودهي بكتاب فارسي بديع سنة 1229هـ-1814م لبى فيها جميع طلباته وخيره بين الإقامة في أربيل أو كركوك أو بغداد ويقول له في آخر الكتاب:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل[1]

ومن مراسلات النودهي ما كتبه إلى داود باشا وللوزراء:

(ألا يا وزراء السلاطين، كونوا لمشيد قصر الدين أساطين، ولبستان الشريعة حياطين، ولا يكيدنكم أبالسة الإنس والشياطين، ولا تغتروا بالدنيا وزخارفها، ولا تركنوا إلى تالدها وطارفها، حافظوا على أعمال توجب لكم الفلاح، وكونوا على حذر من مقارفة الجناح، واخفضوا جناح الذل للسادة العلماء، وذوي الصلاح.. واكفلوا الأيتام كما تكفلون لكم أطفالاً وكونوا للأرامل وأولادهن ثمالاً..)[2].

سادساً: الملا علي بن عبد الله بن احمد بن اسماعيل الكوردي (1074-1207هـ/1663-1792م):

ولد في بلدة (كوي) من أعمال كركوك وأخذ العلوم من علماء كوردستان، ودخل الطريقة النقشبندية، استوطن دمشق وحج وجاور، وسافر إلى إيران ومصر والروم، استغرقت سياحته مدة تزيد على ثلاثين سنة، استدعاه السلطان مصطفى الثالث (1757-1774م) إلى إيوانه في استانبول للتبرك به، فرحل من دمشق إلى دار الخلافة العثمانية، وأنعم عليه السلطان فخصص له سنوياً ألفين وخمسمائة قرش، فزهد عن ذاك، فألح عليه السلطان فقبل من ذلك قرشاً واحداً في كل يوم، من مال جزية دمشق ووزع الباقي على رفقته.

طلب منه السلطان الدعاء بالنصر للجيش العثماني الذي جهزه على الخارجي (طهماسب الثاني ابن الشاه حسين ولي العهد (1722م) بمملكة إيران،

---

(1) الشيخ محمد الخال: الشيخ معروف النودهي، ص54-58، 59. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، مج3، ص319.

(2) الشيخ محمد الخال: الشيخ معروف النودهي، ص194. وعبد الكريم المدرس: علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص577.

فلبى الله دعاء الملا بهزيمة جيش الفرس سنة (1731م) فاعتقد به السلطان توفي ودفن في قاسيون[1].

سابعاً: الملا محمد بن آدم البالكي الكوردي[2](1653-1844م):

كان هذا العالم الجليل مرجعاً علمياً في عصره، وممن أخذ عنه العلوم مولانا خالد النقشبندي، وكان معاصراً للشيخ معروف النودهي، تأتيه الأسئلة في المسائل العلمية والعويصة من أنحاء العالم الإسلامي فيجيب عليها.

في سنة 1205هـ-1790م أراد السلطان سليم الثالث (1789-1807م) اختبار علماء الدين في أنحاء السلطنة العثمانية، وأعد أسئلة صعبة ووجهها إلى علماء المسلمين، فلم يهتد أحد منهم إلى الأجوبة الصحيحة فوجه السلطان بتلك الأسئلة إلى الملا محمد بن آدم البالكي فأجاب عنها في مدة قصيرة فخصص له السلطان ألفي دينار ذهب[3].

ثامناً: الملا محمد الخطي (القرن الثامن عشر للميلاد-1908م):

المولود في النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد والمتوفى سنة 1326هـ-1908م.

ولد في قرية (خطي) بالقرب من مدينة (شقلاوه) التابعة لمحافظة أربيل كان من أبرز علماء الكورد في القرن التاسع عشر الميلادي، حاز على الإجازة العلمية ونال شهرة فائقة بين العلماء والناس، وقد ذكره العلامة الكوردي: إبراهيم فصيح الحيدري (ت 1300هـ-1883م) في كتابه عنوان المجد فقال: (ومن أجل من أدركته العلامة المحقق وشيخ العلماء محمد الخطي الكوردي، وكان من أعظم علماء العراق، وصار شيخ عصره في كل فن)[4].

قصد استانبول وواصل الدراسة فيها في المدارس السلطانية، وزاول التدريس ثم

---

(1) عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص395.

(2) سبقت ترجمته في فقرة (التعريف بالعلماء).

(3) عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج2، ص139-140. و الملا ممدوح المزوري: الأسر الشهيرة في راوندوز، ص54. وصوت العالم، مجلة يصدرها اتحاد علماء الدين الإسلامي في أربيل، العدد (34) جمادي الأولى، 1420هـ، وآب 1999م، ص35-40.

(4) إبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد، ص143-144.

قصد مصر وتعلم الفرنسية، ثم تحول في أوربا وعاد إلى استانبول وتوفي فيها[1].

كان للملا الخطي منزلة رفيعة لدى أمير سوران (مير محمد باشا الرواندوزي) المتوفى سنة 1253هـ-1837م فاتخذه الأمير شيخ الإسلام ومستشاره الخاص لشؤون الإمارة الكوردية، وحينما أراد الجيش العثماني القادم لعزل الأمير والقضاء على إمارته سنة 1836م، أقنع الخطي الأمير بعدم جدوى مقاومة العثمانيين، وأصدر الخطي فتوى لتثبيط همة الأمير وعزيمة الجيش الكوردي، بعدم القتال ، لأن الحرب كانت تعني انتحار الأكراد وتدميرهم بسبب ظروف دولية وإقليمية غير مواتية وليست في صالح الكورد، وإليكم نص الفتوى حول وقف إطلاق النار بين الأمير وجيشه من جهة وبين الجيش العثماني:

(لأجل مصلحة سوران وبأمر الأمير، قد أفتينا بوقف الحرب بين سوران والجيش العثماني).

واستجابة لهذه الفتوى، استسلم الأمير للجيش العثماني وتوقف القتال[2].

تاسعاً: الملا أحمد بن حيدر الكوردي السهراني (عاش في القرن الحادي عشر الهجري)

ولد في منطقة سوران بكوردستان العراق، وجال في الآفاق وأكمل دراسته في العلوم الإسلامية، ونال الإجازة العلمية، التقى بالعلماء وناظرهم وناظروه، حتى اشتهر في الآفاق ورد اسمه في كتاب خلاصة الأثر، أنه كان مدرساً في مدرسة (القجماسية) بالشام، ثم تركها سنة (1060هـ) وعاد إلى بلاد الروم[3]، ثم عاش أواخر حياته في قرية (سارداف) من أعمال أربيل.

ويقول (العمري) في حقه: ذلك الحبر المجد، رجل افتخرت به الأكابر والأشراف وجبل دونه طور سيناء وقاف... فارتقى بفضله إلى الأنجم الزاهرات..).

له مؤلفات منها :

(1) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص250-251. وبلال زبير: علماء ومدارس أربيل، ص113-114.

(2) محمد ممدوح المزوري: الأسر الشهيرة في راوندوز، ص26. ومحمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص147.

(3) محمد المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1، ص242.

1- حاشية على رسالة إثبات الواجب، للدواني (كما ذكرها صاحب خلاصة الأثر).

2- رسالة في رد مذهب الشيعة (مطبوعة).

3- رسالة في تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والأرض)[1].

4- رسالة (نبذة من الأفكار وزيدة من الأسرار) على قوله تعالى (عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً..)[2].

لقد أهدى المؤلف هذه الرسالة إلى السلطان إبراهيم الأول (1640-1648م) وجاء في مقدمة هذه المخطوطة الموجودة منها نسختان في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد، والتي قام بمراجعتها الملا محمد أحمد الكزني في عام 1999م[3].

وهذا مقتطف من نص المخطوطة:

(سبحان من لا يظهر على بعض غيوبه أحد من الأنبياء والمرسلين.. والصلاة والسلام على أول من اكتسى الوجود الإمكاني في النشأة الروحانية.. ثم كنت برهة من الزمان، وقطعة من الأوان، منكسر الخاطر بسبب تراكم الهموم والأحزان، من توارد الهوابق.. فتفكرت في نفسي فيما يكون باعثاً لرفعها فناداني منادي الاستشارة من أولي الألباب، وهداني هادي الاستخارة من ملهم الصواب.. بأن نقوم متوجهاً نحو كعبة الآمال.. وملاذ بني نوع الإنسان.. فرسمت على صفحاتها أماني ألقاب سلطان السلاطين المختص بمزيد العلم والدين ومزية المعارف واليقين، حامي حوزة الإيمان عن إفساد أهل الشرك والطغيان.. مؤيد الشريعة القويمة، مشيد الطريقة المستقيمة، ناصر أهل السنة والجماعة.. مدبر امور الخلافة بالاستحقاق.. ناصر دين الإسلام بقاطع السيف والبرهان قرين ذي القرنين، المسيد بالرئاستين المسدد بالجلالتين، سمي خليل الرحمن، السلطان بن السلطان (إبراهيم بن السلطان أحمد خان)[4]. أيد الله ظلاله إلى آخر الزمان

---

[1] سورة النور، الآية: 35

[2] سورة الجن، الآية: 26

[3] عصام الدين عثمان بن علي العمري: كتاب الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، ج3، تحقيق سليم النعيمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1975م، ص7.

[4] استانلي لين بول: طبقات سلاطين الإسلام: ترجمها من الفارسية عباس إقبال، وترجمها عن الفارسية إلى العربية، مكي طاهر الكعبي، منشورات دار البصري، 1968م، ص182.

(بالصاد، والواقعة، والرحمن...).

فإن وقع من خدام حضرته موقع القول، فهو غاية المنى ونهاية المأمول والله ولي التوفيق وبيده أزمة (التحقيق)[1].

عاشراً: مولانا العلامة تاج الدين الكوردي:

قرأ على علماء عصره ومنهم العالم الجليل سراج الدين الأرموي، مؤلف كتاب (المطالع) اشتهر صاحب الترجمة بنبوغه في العلوم العقلية والنقلية، وبرع في جميعها وتمهر في الفقه، واشتهرت فضائله في الآفاق، حتى عينه السلطان أورخان (1324-1360م) مدرساً لمدرسة (أزنيق) وأفاد طلاب زمانه[2].

حادي عشر: الشيخ عبد القادر بن الشيخ محمد سعيد المهاجر (1211-1304هـ/1796-1886م):

ولد في بلدة (سنندج بكوردستان إيران، فأرضعته الكرامة، وتلقى العلوم العقلية والنقلية وقام مقام والده في التدريس والتأليف والإمامة والخطابة، وحينما حدثت الفتنة المذهبية بين الشيعة والسنة سنة 1236م في بلده اضطر للهجرة إلى السليمانية، واستقبله محافظ السليمانية في حينه فأبلغ مقام السلطان عبد المجيد الأول (1839-1861م) في استانبول بقدوم الشيخ الجليل ورفع إليه نسخة من مؤلفه (تقريب المرام، شرح تهذيب الكلام) الذي ألفه هذا العالم قبل الهجرة، فانشرح صدر السلطان بهذا المقدم الكريم، وأصدر فرماناً بتخصيص راتب شهري له ولأسرته، وكان المترجم له من أنصار الخلافة العثمانية[3].

موقف مشائخ الطرق الصوفية في كوردستان تجاه السلطان عبد الحميد الثاني:

قبل الحديث عن موقف مشائخ الطرق الصوفية في كوردستان من السلطان

---

[1] مجلة صوت العالم، العددان 31-32 محرم وصفر 1420هـ، أيار وحزيران، 1999م، ص71-74.

[2] طاشكبري زاده (ت 968هـ): الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ويليه، العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، دار الكتاب العربي، بيروت، 1395هـ-1975م، ص9. ومحمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج1، ص188.

[3] عبد الكريم المدرس: علماءنا في خدمة العلم والدين، ص306. وكوركيس عواد: معجم المؤلفين، ج2، ص302.

عبد الحميد الثاني (1876-1909م) لابد من تصوير فكرة مصغرة عن (التصوف) من حيثيات مختلفة، الذي كان منتشراً في كوردستان.

أولاً: تعريف التصوف:

هناك تعريفات عديدة لمصطلح (التصوف) منها:

- قال القاضي شيخ الإسلام (زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى 926هـ-1520م): (التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية)[1].

- عرف الإمام الغزالي (450-550هـ): التصوف: (بأنه علم خاص بطريقة واضحة مجموعة من العلمين الشرعي والعقلي)[2].

- قال ابن القيم (ت 751هـ) في تعريف التصوف: (زاوية من زوايا السلوك الحقيقي، وتزكية النفس، وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحب)[3].

ثانياً: التصوف لغةً وحسب الأصول النظرية:

اختلف الباحثون في أمر التصوف لغة، واصطلاحاً وبنية وغاية، حتى بلغ الاختلاف بينهم من لغويين ومفكرين ومؤرخين حد التناقض في الرأي والموقف[4]. ولذلك يلاقي الباحث صعوبة الإحاطة بالآراء والمواقف المتعلقة بالشأن الصوفي في الفكر الإسلامي.

ففي اللغة، يختلف المبنى الصرفي لفعل (التصوف) عن المباني الاشتقاقية لفعل (ص-ا-ف) الثلاثي[5]. إذ لا يكون ماضيه (صاف) ومضارعه (يصوف)

---

[1] عبد الكريم بن هوزان (ت 465هـ-1072م)، هامش الرسالة القشيرية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1330هـ، ص7.

[2] أمين علاء الدين: ما هو التصوف، تعريب، محمد شريف أحمد، تقديم عبد الكريم المدرس، الدار العربية، 1988م، ص29.

[3] مصطفى حلمي: التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث، الأسكندرية، دار الدعوة، د.ت، ص89.

[4] للتفاصيل ينظر إلى: علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج3، دار المعارف، ط7، القاهرة، 1978م، ص19-20.

[5] المنجد في اللغة والأعلام، ط22، دار المشرق، بيروت، 1973م، ص441.

ومصدره (صوفاً) بل يكون ماضيه مزيداً (صوف) ومضارعه (تصوف) ومصدره (تصوف)[1].

ففاعله (متصوف) ويجمع على (متصوفة) على الأرجح ولكن بعض أهل اللغة، أجازوا (الصوفي والصوفية) تماشياً مع ما أجمع عليه أهل الاصطلاح الذين جهدوا في اشتقاق هذين المصطلحين[2].

وذهب ابن تيمية إلى القول: (إنها مشتقة من الصوف لاختصاص من أهلها بلبس الصوف)[3].

أما ابن خلدون فيقول: (إنها مشتقة من الصوف لاختصاص أهلها بلبس الصوف)[4].

ثالثاً: نشأة التصوف:

هناك آراء في تاريخ نشأة التصوف، إذ يرى القشيري[5]: أن لقب الصوفية اشتهر قبل المائتين للهجرة، والحقيقة أن كلمة (التصوف) قد برزت في القرن الأول الهجري، بدليل ان الحسن البصري، الذي يعد من أقطاب التصوف والذي عاش في الفترة (21-110هـ) الموافق (642-728م) روي عنه أنه قال: (رأيت صوفياً فأعطيته شيئاً فلم يأخذ) وقال (معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي)[6].

ويروي عن السفيان الثوري، إمام الحديث والتفسير الذي عاش في الفترة

---

(1) محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، (مادة صاف)، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م، ص373.

(2) أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، تحقيق عبد الكريم محمود وآخرين، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى، بغداد، 1960م، ص1.

(3) ابن تيمية المتوفي (661هـ-728م): الصوفية والفقراء، تقديم: محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة، د.ت، ص554.

(4) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، مج5، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1971م، ص585-586.

(5) القشيري: هو عبد الكريم بن هوزان (ت 465هـ-1072م) صوفي من الأعلام فقيه شافعي، شيخ خراسان في عصره، له (التفسير الكبير) و(الرسالة القشيرية) في التصوف، ينظر إلى، منجد الأعلام: ط22، بيروت، ص552.

(6) أبو النصر: السراج الطوسي: اللمع، ص42.

(97-161هـ) انه قال: (لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء)[1].

رابعاً: التوجه العثماني العام وانعكاسات الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي:

كان التصوف عند العثمانيين أحد أبرز العوامل المحركة لحياتها السياسية والاجتماعية، وكان له تأثيره العميق في الدولة والمجتمع معاً، فقد طبعت الحياة العامة بطابع صوفي مميز، واتضح هذا في التقاليد ومنها اعتلاء السلطان للعرش وفي التشكيلات العسكرية العثمانية كالانكشارية مثلاً، وفي الحياة العلمية والثقافية، فضلاً عن الحياة الاجتماعية العامة التي تنتشر هنا وهناك في أرجاء الدولة العثمانية[2].

وقد وردت في وثيقة عثمانية، ترجع إلى سنة (1526م) إشارة إلى وجود تسع وعشرين زاوية في الموصل[3]، وذلك في أوائل العهد العثماني، وهذا يدل على مدى تأصيل الحركة الصوفية في بنية الدولة العثمانية، ويرجع تمسك العثمانيين إلى طريقة وطبيعة الدعوة الإسلامية في الأناضول وأن دعوة هؤلاء الأتراك قد نمت على أيدي الصوفية والأتقياء وليس على أيدي العلماء الأصوليين الفقهاء الأمر الذي قد أظهر الإسلام هناك على مرونة من حيث المعتقدات والعبادات[4].

ومما لا شك فيه أن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عراق القرن التاسع عشر، كانت لها دور في تمسك الناس بالجانب الصوفي، فقد شجع السلطة العثمانية هذا التمسك، وذلك لعدم السماح للمذهب الوهابي، بالانتشار في العراق خشية سيطرة آل سعود، ومحاولة كسب الناس، شيعة وسنة بواسطة المراقد للأئمة الموجودة في العراق، وبهذا تمكن العثمانيون من إبعاد أكبر منافس سياسي عن العراق وتصوير الوهابيين كلصوص قساة[5].

---

[1] المصدر نفسه: ص42.

[2] أدهم محمد حنش: الخط العربي في الوثائق العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي العربي للدراسات العليا، بغداد، 1996م، ص64.

[3] أحمد فكاك أحمد: الحركة الصوفية في العراق، رسالة ماجستير في جامعة الموصل، غير منشورة 1417هـ-1997م، ص36.

[4] شاخت وبوزورث: تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وآخرين، ط2، ج1، الكويت، 1988م، ص191.

[5] فائق سليمان: تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، مطبعة المعارف، بغداد، 1962م، ص41.

خامساً: الطرق الصوفية في كوردستان:

انتشرت الطرق الصوفية بين أبناء كوردستان بسرعة[1] ولم يعرقل سريانها واستقرارها في نفوس معظم الكورد أي عائق، ويبدو لي أن تآلف عدة عوامل تمخضت عنها الأرضية الخصبة لهذه النبتة الطيبة منها:

أ- العامل الديني: فمنذ أن اعتنقت الكورد الإسلام ورضوا به ديناً ومنهجاً، سخروا قواهم الروحية والمادية للتفاعل مع كل ما من شأنه ترسيخ العقيدة في قلوبهم، معتقدين أن هذه الطرق المؤطرة بالحدود الشرعية، تعبر عن التقوى والصلاح والتقرب إلى الله تعالى.

ب- العامل النفسي: شعر الكورد أن الطمأنينة والاستقرار النفسي مرتبطان بهذه الطرق التي تزكيهم وتعلمهم الحكمة.

ج- العامل التربوي: إن شفافية الروحانية المتأصلة في الكورد، جعلتهم في حالة الاستجابة والتلقي لهذه الدعوة.

د- العامل الاجتماعي: يتصورون أن هذه الطرق تؤلف بينهم وتجعلهم تحت مظلة الأخوة الإيمانية في إطار تجمعات أو أخويات فكرية مترابطة.

هـ- العامل الجغرافي: إن الطبيعة الساحرة في كوردستان تساعدهم على التفكير في آثار رحمة الله في هذا الكون، والانشغال بالرياضة الروحية التي تقوي كيان الإنسان وتشعرهم بالسعادة.

و- وهناك عامل آخر مؤثر وهو أن جل القائمين بالإرشاد والتصوف كانوا من العلماء الصالحين الذين آمن بهم القوم أئمة في الدين.

ومن أهم الطرق الصوفية السائدة في كوردستان هي:

أولاً: الطريقة القادرية: التي أسسها الشيخ عبد القادر موسى الكيلاني[2].

---

[1] توما بوا: مع الأكراد، ترجمة آواز زنكنه، ص201.

[2] الشيخ عبد القادر الكيلاني: ولد عام (470هـ-1077م) توفي سنة (561هـ-1165م) ويذكر حفيده القاضي (أبا ناصر- صالح) الذي أظهر شجرة نسبه فأبان أن مسقط رأس الشيخ عبد القادر، في قرية (نيف - نايف) في منطقة (الجيلان- الكيلان) في جنوب بحر خزر. علماً بأن سكان (جيلان-كيلان) في ذلك العهد كانوا من الأكراد، وعليه فليس ببعيد أن يكون الشيخ من

ويذكر أن انتشار الطريقة القادرية في كوردستان يعود إلى القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي، إلا أنها شهدت أوج انطلاقها في القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين) (الثامن أو التاسع عشر الميلادي) ثم أعقبت بالطريقة النقشبندية.

ثانياً: الطريقة النقشبندية:

مؤسسها الشيخ محمد بن محمد بن محمد بهاء الدين البخاري[1] ولقد تأخر انتشار هذه الطريقة بعض الوقت.

ومن مشاهير الطريقة القادرية في كوردستان:

أ- الشيخ محمد معروف النودهي المولود في صقع (شهربازار) التابعة لمحافظة السليمانية، سنة 1166هـ-1752م والمتوفى سنة 1252هـ-1836م ودفن في السليمانية مؤلف أربعة وأربعين كتاباً[2].

ب- الحاج كاك أحمد الشيخ: هو نجل الشيخ (محمد معروف النودهي) ولد عام (1207هـ-1792م) في بلدة السليمانية، وتتملذ على والده، فكان في الإحاطة بالعلوم العقلية والنقلية ذا حظ عظيم، وعلى درجة عالية من التقوى، وقد ذاع صيت فضله في الآفاق حتى الهند، وكان مرشداً آخذاً بمجامع القلوب وخادماً جليلاً للإنسانية، جامعاً في شخصيته النابغة بين العلم والعمل وأصول الشريعة والطريقة، تدل آثاره وتعليقاته على مستواه العلمي الرفيع، استخلف والده في تولي مشيخة الطريقة القادرية.

ألف الشيخ الكاك زهاء مائة وعشرين رسالة باللغة الفارسية[3].

الكورد، هذا وله مؤلفات عديدة وهي شهود عدول على رسوخ عقيدته وإخلاصه للدين الحنيف، ومعرفته بالله تعالى، ينظر إلى محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص210-214.

(1) هو الإمام الروحاني، المولود سنة (717هـ-1317م) والمتوفى سنة (865هـ-1460م) في قرية بالقرب من (بخارى)، ولهذه الطريقة فروع في أكثر بلدان العالم الإسلامي، ينظر إلى دائرة المعارف الإسلامية، ج15، ص186-187.

(2) سبقت ترجمته.

(3) قام بترجمتها إلى اللغة الكوردية، وطبعها الشيخ عبد الكريم المدرس مؤلف كتاب علماءنا في خدمة العلم والدين، ينظر إلى: الملا عبد الكريم المدرس: مكتوبات كاك أحمد الشيخ، مطبعة الحوادث، بغداد، 1989م.

موقفه تجاه السلطان عبد الحميد الثاني:

لما اخترقت شهرته الآفاق، رغب السلطان عبد الحميد الثاني في رؤيته، غير أنه لم يستطع السير إلى دار السلطنة في استانبول، لكبر سنه فأناب عنه السيد محمد مفتي السليمانية، وأرسل معه للسلطان حجاباً ومكتوباً ضمنه النصح والإرشاد، فاستقبله السلطان بغاية اللطف والكرم[1].

وأصبح السلطان فيما بعد من مريدي الشيخ الكاك أحمد، وحينما نشبت الحرب الروسية-العثمانية سنة 1876م جرد الشيخ من مريديه قوة لا يستهان بها للوقوف مع الدولة العثمانية للجهاد ضد الغزاة وذلك بقيادة حفيده الشيخ سعيد المتوفى سنة 1909م.

كما دعا السلطان عبد الحميد الثاني الشيخ سعيد حفيد الشيخ كاك أحمد إلى استانبول وفقاً للخطة التي كان قد رسمها وسار عليها، فلبى الشيخ سعيد الدعوة، واستصحب معه وفداً كبيراً حل ضيفاً على السلطان مدة من الزمن، ويظهر أن السلطان كان قد أعجب بالشيخ كاك احمد وأحبه، وازداد حباً بهذه الأسرة ورغب في تقريب أربابها إليه أكثر فأكثر، بعد الزيارة التي قام بها (الشيخ سعيد) الحفيد إلى استانبول فقد نال المرتبات والوظائف كل من له علاقة قرابة، بالشيخ سعيد قبل عودته من استانبول إلى السليمانية، وأمر السلطان بتخصيص زكاة خمس قرى لمصاريف ضيوفه ومريديه[2].

وكان السلطان قد منحه بالإضافة إلى ذلك (الحروف الرمزية السرية = شفرة) خاصة به، ليتمكن (الشيخ) من مخابرته برقياً وتفهيمه بما ينبغي عند الحاجة أو اشتداد الأزمة، وكان هذا أعظم عطف يتصور أن يقوم به سلطان عثماني مع أحد أفراد رعيته (شعبه) وهذا أكبر شاهد وأبلغ دليل على المنزلة الرفيعة التي يحظى بها حفيد (كاك احمد) هذا لدى السلطان.

وللأسباب المارة الذكر، كان المتصرفون الذين يتولون حكم السليمانية وكذلك كان قواد الجيوش الذين يرسلون إليها يحذرون أنفسهم من القيام بأي عمل يثير

---

(1) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص244. ومجلة كولان العربي: العدد 55، السنة الخامسة في 2000/12/31م، ص91-92. و سي.جي. أدموندز: كرد وترك وعرب، ص74.

(2) رفيق حلمي: مذكرات رفيق حلمي، ج1، باللغة الكوردية، تعريب الملا جميل بندي الروزبياني، مطبعة المعارف، بغداد، 1957م، ص38-39.

غيظ (الشيخ) بل كانوا يسعون إلى مرضاته، وكان منهم من يخضع له الخضوع التام ويجعل نفسه رهن إشارته فلا يحرك ساكناً بدون أمره[1].

هذا ومن الجدير ذكره، أن السلطان عبد الحميد الثاني قد بدأ سياسة الانفتاح والتعاون مع القيادات التقليدية الكوردية، وكان ذلك جزءاً من سياسة السلطان عبد الحميد للانفتاح على الشعوب المسلمة باسم (الجامعة الإسلامية).

وكانت سياسة السلطان، تستند إلى تمتين أواصر الصلة مع العلماء وشيوخ الطرق الصوفية داخل الدولة العثمانية، وانطلاقاً من هذه السياسة قرب السلطان عبد الحميد الشيخ سعيد البرزنجي حفيد (الكاك أحمد) والشيخ عبيدالله النهري، إلى الباب العالي، وذلك من خلال الزيارات المتكررة والبقاء الطويل في استانبول، وتكريم السلطان لهم بالألقاب والهدايا[2].

توفي الشيخ كاك أحمد سنة 1305هـ-1887م ودفن في السليمانية وقبره مزار[3].

أما مشاهير الطريقة النقشبندية منهم:

أ- **مولانا خالد بن حسين النقشبندي** من عشيرة الجاف، المعروفة بالميكائيلية، الكوردية، ولد في قرداغ سنة 1193هـ-1779م بلواء السليمانية أخذ العلوم العقلية والنقلية من نوابغ علماء كوردستان.

يعد المترجم له مؤسس الطريقة النقشبندية في مدينة السليمانية بكوردستان العراق وبلاد الأناضول، وإيران، له مؤلفات عديدة[4]، توفي في بلاد الشام 1242هـ-1826م[5].

---

(1) رفيق حلمي: مذكرات رفيق حلمي، ج1، ص39-40. ومحمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص224.

(2) مجلة راية الإسلام، السنة الحادية عشرة، العدد الأول، 1997م، ص20.

(3) باقر أمين الورد: أعلام العراق الحديث، ج1، ص106. وخواجه أفندي: مناقب وخوارق وكرامات كاك أحمد، بالتركية، ترجمة بيرمرد، تحقيق حمه صالح، مطبعة قشنك، ط2، السليمانية، 1420هـ-2000م، ص19-20.

(4) محمد الخال: الشيخ معروف النودهي، ص38.

(5) نكتل كشموله: النجم الزاهر، مطبعة الجمهورية، ط1، الموصل، 1402هـ-1982م، ص49. و عبد الكريم المدرس: تذكار الرجال، ج1، ص7، 35.

تمسك على يديه ونال منه الطريقة علماء بارزون من أمثال المفسر الشهير السيد محمود شهاب الآلوسي (مؤلف تفسير روح البيان) والملا يحيى المزوري وكثير من أمراء الدولة العثمانية، منهم داود باشا (1817-1831م) وسعيد باشا (1813-1817م).

ب- **الشيخ عبيد الله النهري:** ولد سنة 1247هـ-1831م في قرية (نهري) الواقعة في منطقة (شمزينان) بكودرستان تركيا، من خلفاء مولانا خالد النقشبندي، كان يتمتع بشخصبة قوية، وأصبح مرشداً للطريقة النقشبندية، وكان يمتلك زهاء مائتي قرية في الدولتين العثمانية والإيرانية، واستند على سلطته الروحية لتحقيق أهدافه السياسية والوطنية، وكان يتوفر فيه مؤهلات القيادة الحكيمة والعدل والكرم[1].

موقفه من السلطان عبد الحميد الثاني:

ساعد الجيش العثماني في الحرب الروسية (1878م) من جهة أرضروم ثم طالب بالاستقلال الداخلي لكودرستان، فلم تصغ الدولة العثمانية لمطالبه، لذلك أعلن الثورة (1880م) للوصول إلى غايته واستولى على عدة مناطق في كوردستان تركيا وإيران، فاتفقت الدولتان العثمانية والإيرانية على إخماد ثورته، وسد الروس حدودهم من جهة القفقاس، فاضطر إلى الانسحاب، وسلم نفسه إلى العثمانيين، فأرسل إلى استانبول ثم هرب منها ورجع إلى كوردستان تركيا، وخاف العثمانيون قيامه بثورة أخرى، فأرسلوا قوات لإيقافه، ثم سلم نفسه مرة أخرى سنة (1883م) وطلب الذهاب إلى الحجاز وسكن مدينة الطائف حيث توفي سنة 1900م[2].

وتقول روايات تاريخية: ان السلطان عبد الحميد، كان متردداً في اتخاذ إجراءات جدية ضد حركة الشيخ عبيد الله، وأنه في الواقع لم تتحرك القوات العثمانية ضد الشيخ إلا بعد ضغط وتهديد من القوى الأوربية، خصوصاً بريطانيا وروسيا على الدولة العثمانية، وأخيراً بعد أن سلم الشيخ نفسه للسلطات العثمانية لم يعامل معاملة الأسير، حيث استقبل استقبالاً رسمياً وشعبياً وأكرمه السلطان،

---

(1) خالفين: الصراع على كوردستان، ص118. وكمال مظهر: دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، 1985م، ص236.

(2) جليلي جليل: انتفاضة الأكراد (1880م) ترجمها عن الروسية، سيامند دار الكتاب، ط1، بيروت، 1979م، ص33-34.

إضافة إلى أنه استطاع الهرب عام 1881م إلى منطقة هكارى على الحدود الإيرانية العثمانية، وهذا عزز المخاوف لدى القوى الأوربية بأن الشيخ يحظى بتأييد السلطان أو بعض الدوائر في الباب العالي[1].

ج- **الشيخ أسعد بن الشيخ محمد سعيد**: ولد في أربيل سنة 1224هـ-1848م توفي عام 1349هـ-1931م أحد مشائخ الطريقة النقشبندية:

موقفه من السلطان عبد الحميد:

قصد إلى استانبول بطلب من السلطان عبد الحميد الثاني، ومنحه زاوية للإرشاد ونشر الطريقة النقشبندية، وسلك على يده الكثير، فكان له مئات الألوف من المريدين، ونال مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع العثماني، ولدى السلطان وأصبح هو ومريدوه قوة مجندة للدفاع عن السلطنة.

كان عالماً اديباً وشاعراً وله عدة مؤلفات منها:

1- كنز العرفان في أحاديث نبي الرحمن، يحتوي على (10001) عشرة آلاف حديث وحديث، في المواضيع المختلفة، متن الكتاب باللغة العثمانية وحواشيه بالفارسية.

ولبعض الأسباب حكم عليه وعلى ابنه الشيخ علي بالموت، وقبل تنفيذ حكم الاعدام بحقه، توفي المترجم له[2].

د- الحاج الشيخ محمد بن الشيخ عثمان المحوي البالخي: ولد في قرية (بالخ) في ناحية (ماوت) بصقع شهربازار، بمحافظة السليمانية، سنة 1246هـ-1324م، وتوفي عام 1324هـ-1906م، أخذ العلم من والده، ونال الإجازة العلمية من الشيخ (محمد فيضي الزهاوي).

تولى مشيخة الطريقة النقشبندية، واستقطب حوله المريدون، في سنة 1883م، قصد محمد المحوي بيت الله الحرام، لتأدية فريضة الحج، فلما رجع عرج على استانبول، حيث قوبل بالتكريم والتبجيل.

---

(1) راية الإسلام، العدد الأول، السنة الحادية عشرة، 1997م، ص21.

(2) بلال زبير: علماء ومدارس أربيل، ص69.

علاقته مع السلطان عبد الحميد الثاني:

أثناء مكوث الشيخ في دار السلطنة تشرف بمقابلة السلطان عبد الحميد الثاني، ولما علم السلطان بورعه وتقواه، احترمه بالغ الاحترام، واهتم به كثيراً، طلب منه السلطان البقاء في استانبول، ويخصص له زاوية، ويعينه في منصب عال في الدولة، ولكن المحوي استلطف منه الاذن بالعودة إلى السليمانية، فأذن له وأصدر فرماناً يتضمن الآتي:

إنشاء تكية باسم (خانقاه المحوي) في مدينة السليمانية، وإعطائه مخصصات شهرية له وللتكية، وبناء دار كبير له ولأبنائه، وتأسيس مكتبة واسعة، ملحقة بالتكية مجهزة بالكتب فرجع إلى السليمانية منشرح الصدر، ومارس الإرشاد والتدريس وأصبحت تكيته مطعماً للمنتسبين إلى الطريقة، وتعقد فيها حلقات الذكر، واستمرت بعدئذ العلاقات الطيبة بينه وبين السلطان وكان المحوي إضافة إلى تضلعه من العلوم، ذا مقدرة على قرض الشعر بالعربية والفارسية والتركية، موضوعاتها الحب الإلهي.

طبع ديوان شعره سنة 1399هـ-1987م، دفن في خانقاه بالسليمانية، وأصبح قبره مزاراً[1].

---

(1) محمد أمين زكي: مشاهير الكورد وكوردستان، ج2، ص162. ومحمد القزلجي: التعريف بمساجد السليمانية، ص51. ومير بصري: أعلام الكورد، ص116.

الفصل الخامس

موقف علماء كوردستان

من عزل السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم

نبذة من سيرة السلطان عبد الحميد الثاني:

ولد السلطان عبد الحميد الثاني في دار الخلافة العثمانية، مدينة استانبول يوم الأربعاء السادس عشر من شهر شعبان عام ألف ومائتين وثمان وخمسين للهجرة الموافق الواحد والعشرين من شهر أيلول عام ألف وثمانمئة واثنين وأربعين للميلاد، وفي رواية في اليوم الثاني والعشرين من ذات الشهر وعين السنة. ووالدته السيدة (تيري موزكان قادت أفندي) الجركسية المتدينة[1] والزوجة الثانية لوالده السلطان عبد المجيد، وقد توفيت والدة عبد الحميد، وهو لم يتجاوز بعد السابعة من عمره فتولت تربيته إحدى المربيات في قصر والده.

توفي السلطان عبد الحميد -رحمه الله- في اليوم العاشر من شهر شباط لعام ألف وتسعمائة وثمانية عشر للميلاد المصادف للعام الهجري ألف وثلاثمائة وسبعة وثلاثين.

تولى السلطنة في اليوم الحادي عشر من شهر شعبان عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وتسعين من الهجرة، الموافق لليوم الحادي والثلاثين من شهر آب، عام ألف وثمانمائة وستة وسبعين من الميلاد[2].

تقول عنه والدته: (وكان نموه أسرع من سائر الأطفال) ولم تتوقف أمه عن تغذيته روحياً وأخلاقياً، وما أن وافى الرابعة من عمره حتى بدأت عليه علامات النبوغ، فكان يسأل أسئلة تنبئ عن ذكائه وحذاقة فطنته.

ثقافته:

صور أعداء السلطان عبد الحميد بأنه كان جاهلاً لا يستطيع القراءة والكتابة إلا بصعوبة، ولبيان الحقيقة والرد على الخراصين الملفقين، نذكر مستواه التعليمي والثقافي من خلال الحقائق التالية:

بدأ بتعلم القرآن الكريم وحفظه في الثامنة من عمره، وتلقى الأحاديث النبوية، وتعلم العلوم العربية والإسلامية على كبار العلماء، حتى أكمل دراسته فيها، فقد

---

[1] كانت والدته امرأة تقية، بعكس ما قيل عنها بأنها تلك الراقصة التي لفتت الأنظار إليها، ينظر إلى: أورخان محمد علي: السلطان عبد الحيد الثاني، حياته وأحداث عصره، مكتبة الأنبار، 1987م، ص96.

[2] إشراف محمد شفيق غربال: الموسوعة الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص1180، وبطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف، ج11، ص552.

درس العربية على يد (فريد أفندي، وشريف أفندي) وتاريخ الدولة العثمانية لدى (فاكانويس لطفي أفندي) واللغة الفرنسية على (أدهم باشا، وكمال باشا) وعلى معلم فرنسي يدعى (كاردت) كما ألم باللغة التركية وآدابها على أستاذه (عمر أفندي). وكان يتقن العربية والألمانية والفرنسية وشيئاً من الروسية، ويقرض الشعر، وتشهد له ابنته (عائشة) التي نشرت له قصائد في كتابها الموسوم (أبي عبد الحميد). وهذه ترجمة لنص شعري، يصور ابتهالاته لله تعالى، بعد أن تفاقمت المؤامرات حول القصر وأحاطت به:

يا إلهي: إني أعرف أنك العزيز... وليس أحد سواك.

إنك الواحد، وليس سواك.

يا إلهي: خذ بيدي في هذه المحنة

يا إلهي: كن عوني هذه الساعة الحاسمة[1].

وعلاوة على ما ذكر فقد درس الموسيقى على مدربين إيطاليين هما (كواتللي) و(لومباردي)، وتعلم الفارسية على أستاذه (علي محوي أفندي).

هواياته:

كان للسلطان عبد الحميد هوايات متعددة منها: الرياضة، واقتناء الأسلحة والسيوف، وكان قد أنشأ له متحفاً صغيراً في أحد قصوره، جمع فيها مجموعة من الأسلحة القديمة، ويتمرن على الرماية وألعاب الفروسية المختلفة، ومن هواياته أيضاً:

أ- مناقشة العلماء ومناظرة المشائخ، حيث كان يستضيفهم في قصره ويجادلهم في المسائل العلمية وخاصة في شهر رمضان المبارك، كما كان يجتمع بهم مرات في التكية الشاذلية للشيخ ظافر[2].

ب- جمع الكتب: فقد جمع من الكتب النادرة الشيء الكثير، وبلغ عددها من المخطوطات أربعة وستين ألف ومائة واثنين وستين مجلداً في مختلف العلوم، موضوعة في خمس وأربعين خزانة في جناح خاص من قصره، ويهدي الكتب

---

(1) محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ (السلطان عبد الحميد الثاني)، مكتبة الجيل العربي، موصل، العراق، 1994م، ص6. و موفق بني المرجه: صحوة الرجل المريض، ص5، 35.

(2) محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ، ص11.

النفيسة إلى المكتبات، ويكرم القائمين عليها .

ج- الهندسة المعمارية: إن الفن الهندسي الذي ابتكره في بناية (يلدز) برخص الثمن وسرعة الإنجاز وجمال المنظر، لدليل ساطع على عبقريته وذوقه الرفيع في هذا الفن المعماري.

د- المختبر الكيمياوي: لقد أنشأ مختبراً للتحليل الكيماوي لفحص المشروبات المشتبهة بها بنفسه للتأكد من سلامتها وخلوها من المواد المضرة.

هـ- النجارة: انتهج السلاطين العثمانيون تدريب أنجالهم على صنعة، حسب الرغبة، عسى أن تنفعهم في المدلهمات، فوقع اختيار عبد الحميد على مهنة النجارة، فبرع فيها حتى غدا أستاذاً مقتدراً في هذا الفن.

و- الرسم: اتخذ لكل من فن الرسم والتصوير الشمسي قاعة خاصة، ينفق بعض وقته فيها للتدريب على الرسم، وتفوق في الإبداع وأصبح من خيرة الرسامين المتميزين، وأهدى إحدى تلك اللوحات التي رسمها بريشته إلى السفير الألماني (الكونت هاجلفد)[1].

ز- تصليح الساعات وصناعة الخزف:

ح- فن تخطيط المدن: صحب عبد الحميد عمه السلطان عبد العزيز في زيارة له إلى الأسكندرية والقاهرة عام 1863م، ثم رافقه مرة أخرى في زيارته إلى لندن وباريس في صيف عام 1867م وكانت الجولتان له بمثابة بعثة علمية حركت فيه الأشواق نحو تثقيف ذاتي أوسع، فازدادت لديه الرغبة في العلوم والمطالعة المستمرة واستطلاع ما يجري في العالم، فأحب من فنون العلم التاريخ والجغرافية وفن تخطيط المدن.

شخصية السلطان عبد الحميد الثاني:

لقد كان رجلاً طويل القامة، حنطي البشرة، كثيف اللحية، أسود العينين، ويعلو جبينه نتوء قليل. يتمتع بشخصية جذابة مؤثرة، تحيط به هالة من الرزانة

---

[1] كاظم السيد أحمد : تاريخ السلطان عبد الحميد الثاني: مجلة التربية الإسلامية، العدد الرابع، ذو القعدة، بغداد، 1395هـ، بتصرف. و محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ (السلطان عبد الحميد الثاني)، ص12-13.

والكياسة والثقة بالنفس، لم يتأثر بالمظاهر الخداعة، وكان مثالاً للعفة والوقار، يتمتع بذاكرة وبصيرة حاذقتين، وعلى جانب كبير من الفصاحة ومقدرة عالية في العبقرية، ولعل أهم ما تميز به هو تلك البراعة والذكاء والدهاء الخارقة، وصفه أعداؤه قبل أصدقائه، بأنه أعظم داهية في عصره[1].

لقد كان الرجل معتدل السلوك في شبابه وغير مندفع وراء الملذات ويعيش في قصره في (تارابيا) المطلة على البسفور حياة بسيطة خلافاً للباشوات الأغنياء، وكان متمسكاً بالدين، ويقوم بأداء الفرائض الدينية كأي مسلم ورع، ويقال إنه لم يكن يستقبل في شهر رمضان أي مسيحي دون استثناء، حتى السفراء والأصدقاء ومنهم طبيبه الشخصي، تأثر منذ صباه بأستاذه الدمشقي محمود أبو الشامات، شيخ الطريقة الشاذلية وأصبح من مريديه المقربين، واستمر السلطان على محبته وتقديره له حتى الرمق الأخير من عمره. وقد بلغ في درجة تقواه وتمسكه بالدين، بحيث لم يوقع يوماً على أي فرمان متعلق بسياسة الدولة إلا وهو على وضوء[2].

استوقف بشخصيته وسيرته مئات المستشرقين والمؤرخين، بهدف سبر أغوار تلك الشخصية المرموقة، التي توصف بصفات حميدة، استوى على عرش الخلافة في دولة شاسعة الأطراف، وهو أشبه ما يكون بمركب تتضاربه الأمواج وتتناطح معه رياح عاتية، ذات اليمين وذات الشمال، في غمرة بحر السياسة الدولية المتحركة يومئذ، وحينما تربع على دست الحكم في قصر الخلافة لم ينزل عنه قبل أن يقضي ثلاثة عقود ونيف عجاف، مملوءة بالأحداث الزلزالية والمؤامرات الرعناء، ثم شاءت الأقدار الإعلان بالأفول، بعد طول كفاح، ليمضي أياماً كانت المتسع لتدوين مذكراته، ويكشف عن الحقائق للأجيال ويرد على خصومه الذين لم يرعوا فيه إلاً ولا ذمة، وقبل أن تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها تشكو ظلم العباد، وتطوى صفحات المجد والرجولة كانت الأقلام على موعد لتكتب عنه، إما ناطقة بالحق، متعاطفة معه حتى حد الاستشهاد، أو متصدية له حتى الهلاك، ولا

---

(1) أنور الجندي: تاريخ الإسلام، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د.ت ص271، عبد القادر دقدة أغلو: ألبوم العثمانيين، الدار العثماني للنشر، د.ت، ص34.

(2) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص316-317، و سهير رجب محمد: الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامية بديع الزمان، سعيد النورسي، ص17.

حياد بين المعسكرين[1].

إن المتتبع لمجرى الأحداث في التاريخ المعاصر قلما يجد شخصية لقيت من الظلم مثلما لقيت شخصية السلطان عبد الحميد الثاني، فقد تعرض لحملات إعلامية شرسة، ولا يزال –من عدد من خصومه السياسيين، تناولوا فيها حياته العامة والخاصة بكل نقيصة، ونعتوه بالسفاح والسلطان الأحمر والمستبد والشهواني الفاسق وغيرها من الصفات التي لا يستحقها إلا قائلوها[2]، وأضاف خصومه إلى هذه المثالب، أنه نشر في أنحاء الدولة شبكة من الجواسيس، على غرار شبكة الجاسوسية الروسية المعاصرة له إلى غير ذلك من التهم والتلفيقات.

براءة السلطان من التخرصات والبهتان:

إذا حللنا أسباب تلك الحملات المشبوهة التي تعرض لها السلطان عبد الحميد الثاني بالأمس، ولا يزال يتعرض لها اليوم من فئة من الكتاب الذين ارتضعوا من ثدي أمهم الاستعمار، فيمكن معرفة الدوافع والأهداف والحقائق، وللرد على أولئك المرجفين نقول:

1- كل الذين شرعوا أقلامهم وسلطوا ألسنتهم للتهجم على السلطان عبد الحميد الثاني والإساءة إلى سيرته، هم اليهود والماسون والمنصرون والمستشرقون، وقلدهم في السنة السيئة في العالم الإسلامي نفر ممن أبهروا بالغرب وجندوا أنفسهم في المعسكر المعادي للحق، وسخر التابعون والمتبوعون الإعلام المقروء والمسموع والمرئي لتشويه سمعة عبد الحميد الثاني والإساءة إليه وذلك لسبب واحد ليس غير وهو مجرد كونه يمثل رمز تجمع المسلمين ووحدتهم ولعدم رضوخه لليهود والنصارى وأتباع ملتهم، وللقوى والآيديولوجيات الأخرى، وبسبب رفضه بيع مقدسات المسلمين في فلسطين والمساومة عليها بعكس حكام المسلمين اليوم.

2- إن الذين عاشروا السلطان يشهدون له بكونه كان حاكماً مثل غيره من الحكام، ولكنه كان يمتاز على سواه بالذكاء وبُعد النظر والصلاح، وإذا كان قد ظهر منه شيء يفسر بالاستبداد، فذلك كان من ضروريات الحكم في دولة تتكالب عليها الذئاب من كل حدب وصوب، وإن الذين كانوا يرون فيه حاكماً مستبداً

---

(1) موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، ص53.

(2) عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ص1003.

وعدواً للحرية والفكر والرأي إنما يرونه من خلف مقارنة ذلك بين أوربا القرن العشرين وبين الدولة العثمانية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وجزء من القرن العشرين، ويا ليتهم يقارنون عهده بالأزمان الحاضرة في كثير من بقاع الأرض فيحمدونه كثيراً وينصبون له تمثال الحرية. لقد كان عبد الحميد سمحاً حتى مع أشد معارضيه بل وأعدائه، ولم تكن عقوباته صارمة ضد أولئك، وكان يكتفي بالسجن المؤقت أو النفي إلى ولاية أخرى[1] بعكس بعض حكام هذا العصر، الذين كلما أرادوا التخلص من المعارضة نفذوا فيهم سياسة (إني أرى أن رؤوساً قد أينعت).

3- وعلى عكس تصوير السلطان بالفاسق المتهتك، فقد عرف عن عبد الحميد حرصه على أداء الصلوات ومواظبته تادية صلاة الجمعة في مسجد (يلدز) وسط احتفال عسكري شاركت فيه فرق المشاة والفرسان والمدفعية، والبحرية حتى إن الاستخبارات العسكرية الانكليزية، استغلت هذا التقليد، فرتبت له أكثر من محاولة اغتيال والأطاحة به خلال أدائه صلاة الجمعة، وكان الرجل ذا نزعة صوفية يكرم العلماء وشيوخ الطرق الصوفية[2].

وكانت العداوة بينه وبين دعاة السلفية على أشدها بسبب ضراوتهم في الهجوم على الطرق الصوفية.

4- أما اتهام المعارضة للسلطان بتأسيس جهاز أمن تجسسي سري متطور، فهذا حق طبيعي ومشروع وذلك لمراقبة المشبوهين والخونة أعداء الإسلام والماسونيين وعملاء الدول الأجنبية وخاصة إذا علمنا أن السلطان كان يقاتل في الجبهة الخارجية التي كانت تتألف من جميع الدول الأوربية المسيحية، وفي الجبهة الداخلية التي كانت فيها كثير من العناصر التي غذاها الغرب وحرضها على الثورات والفتن الداخلية ثم من حق السلطان أن يأخذ الحيطة والحذر لئلا يصيبه ما أصاب عمه السلطان عبد العزيز، وأخاه السلطان مراد اللذين ما زال دمهما المهراق يترقرق أمام ناظريه، وكان يخشى أن يحل به ما حل بهما، لاسيما وأن العثمانيين لم يكونوا يبالون بقتل الملوك لأسباب تافهة، وكان قاتلهما أو المتهم بقتلهما ما زال على قيد

---

[1] هاسلب (جون): السلطان الأحمر (عبد الحميد الثاني)، ترجمة فيليب عطا الله، دار الروائع الجديدة، بيروت، 1974م، ص103-118. وأحمد طربين: تاريخ المشرق العربي المعاصر، جامعة دمشق، 1986م، ص280-283.

[2] موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، ص121.

الحياة وهو (مدحت باشا) رئيس حزب تركيا الفتاة والمتهم بالعمالة لروسيا والانجليز. ولذلك فقد أحسن السلطان صنعاً باتخاذ الحيطة والحذر للدفاع عن نفسه، بتقليم أظافر (مدحت باشا) وعزله عن الوزارة[1].

وهنا أسئلة كثيرة تطرح نفسها على أولي النهى والأبصار وهي:

أ- هل يعاب على السلطان إذا أقام أجهزة استخباراتية تراقب المحافل الماسونية؟ وتترصد اليهود الذين يدخلون إلى فلسطين سراً ويحيكون المؤامرات ويجرون الاتصالات مع عملائهم؟

ب- وهل من عيب للسلطان أن تراقب أجهزته الأمنية أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الماسونية؟ أو تلاحظ الأنشطة التخريبية للدول الأجنبية وإلى آخره؟

ج- هل يلام السلطان أن يقيم حكمه على العيون والترصد، وفي بلاطه وحكومته عملاء لقيصر روسيا وحكومة فرنسا، وحشد هائل من المخابرات البريطانية والايطالية والنمساوية والألمانية؟[2]

د- السؤال الأخير هو، أليس لكل دولة قديمها وحديثها وحتى تلك التي تدعي الديمقراطية وفي عصرنا الحاضر من دول أوربية وأفريقية وآسيوية وأمريكية من أجهزة مخابراتية في منتهى الدقة وعلى أوسع نطاق في داخلها وخارجها، تعمل لحسابها، وهي أكبر حجماً وتقنية من الأجهزة التجسسية التي كانت تحت إمرة السلطان عبد الحميد الثاني؟ لماذا كان يعد هذا العمل سيئة للسلطان وحسنة للآخرين؟

رجال يشهدون أمام محكمة التاريخ للسلطان عبد الحميد الثاني:

ظل الغموض يكتنف شخصية السلطان عبد الحميد الثاني أكثر من خمسين سنة لدى كثير من الكتاب، أشباه المتنورين الذين ضللهم الإعلام الغربي وأسكرتهم بهرجة الخدعة الأوربية، فرددوا نغمات أبواق أسيادهم في الإساءة إلى شموخ هذا الرجل، ولكن هذه السحابة ما لبثت أن انجابت بعد سنوات، وتكشفت حقيقة السلطان، واستعلن موقفه الجهادي ومقاومته العنيدة للمؤامرات، ولم يخدعه الإغراء، وتحمل الوعيد والتآمر صابراً طول حياته المليئة بالأمجاد، وسنوات مديدة بعد وفاته.

---

(1) محمد فريدون بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص742.

(2) محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ، ص56.

وهكذا انجلى الحق جزئياً ولاسيما بعد ترجمة بروتوكولات حكماء صهيون التي أسفرت عن قبح مغزاها في تخطيط المؤامرات على الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية، ثم تكشفت الحقائق أكثر بعد ترجمة مذكرات الصهيوني (هرتزل) الذي روى باستفاضة قصة الوساطة بينه وبين السلطان وعروضه ورفض السلطان لمطاليبه[1].

ومهما يكن من أمر فلا تخلو الأيام من إنجاب رجال يميزون بين الخبيث والطيب، بذوقهم الفكري المنصف وبرؤيتهم الثاقبة وبتقليب الأمور على أوجهها حتى يستنبطوا الحقيقة من أعماق بحر الغموض ويستخرجوا اللآلئ من بين ظلمات التشويه ومن طيات التزوير، فينتصروا للحق ويدلوا بشهاداتهم إنصافاً للمظلوم وإزهاقاً للباطل، ومن بين هؤلاء:

أ- يقول المؤلف مصطفى كامل في كتابه (المسألة الشرقية) ما يلي: (... وإن أعظم سلطان جلس على أريكة ملك آل عثمان ووجه عنايته لإبطال مساعي الدخلاء، وتطهير الدولة من وجودهم هو جلالة السلطان الحالي –عبد الحميد الثاني- فقد تعلم من حرب 1877م وما جرى فيها، أن الدخلاء بلية من البلايا ومصيبة المصائب، فعمل بحكمته العالية على تبديد قوتهم وتربية الرجال الذين يرفعون شأن الدولة، ويعملون لإعلاء قدرها)[2].

ب- وكتب محمد مصطفى نقلاً عن عبد الله التل يقول: (... ومهما قيل عن مساوئ العهد الحميدي، يكفي السلطان عبد الحميد فخراً أن يثبت بأن القوى التي تآمرت على إسقاطه، كانت معادية للعروبة والإسلام، ويكفيه فخراً كذلك، أنه صان الحكومة الإسلامية طوال مدة حكمه وإن عملية التمزيق لم تبدأ إلا بعد أن سيطر اليهود والماسون على اسطنبول)[3].

ج- ويقول محمد مصطفى الهلالي نقلاً عن طه المدور: (وكان السلطان عبد الحميد أعقل سلاطين آل عثمان، وأدهاهم، وأعمقهم تفكيراً)[4].

---

(1) أنور الجندي: تاريخ الإسلام، ص270. و عبد القادر دقده أغلو: ألبوم العثمانيين، ص34.
(2) مصطفى كامل: المسألة الشرقية، ط1، مصر 1898م، ص10.
(3) محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ، السلطان عبد الحميد الثاني، ص61. وعبد الله التل: الأفعى الصهيونية في معاقل الإسلام، ص44.
(4) محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ، ص60.

د- وليس أدل على تقييم العلامة جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) للسلطان عبد الحميد الثاني في وصفه له حيث يقول: (إن السلطان عبد الحميد الثاني لو وزن مع أربعة من نوابغ العصر، لرجحهم ذكاءً ودهاءً وسياسة، فقد رأيناه يذلل ما يقام لملكه من الصعاب من دول الغرب، حيث كان يعلم دقائق الأمور السياسية، ومرامي الدول الغربية، وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك مخرجاً).

ويضيف قائلاً: (أما ما رأيته من يقظة السلطان وشدة حذره وإعداده العدة اللازمة لإبطال مكايد أوربا، وحسن نواياه، واستعداده للنهوض بالدولة، فقد دفعني إلى مد يدي له ومبايعته بالخلافة والملك، عالماً علم اليقين أن الممالك الإسلامية في الشرق لا تسلم من شراك أوربا)[1].

هـ- وبالرغم من التناقض في رأي الإمام محمد عبده (1266هـ-1849م) والمتوفى (1323هـ-1905م) من السلطان وخلافته ودولته، فقد تحدث إلى الناس أثناء إقامته منفياً في بيروت سنة 1300هـ-1882م في خطاب سياسي، قائلاً: (أفتتح كلامي بالدعاء لمولانا أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، السلطان عبد الحميد خان، فمقام هذا الخليفة فينا، هو الحافظ لنظامنا، والمحامي عن مجدنا، والآخذ بميزان القسط بيننا، وهو هادينا إلى أفضل سبلنا، فهو ولي النعمة علينا، ولو أفرغنا جميع أوقاتنا في الدعاء لعظمته ما أدينا حقه علينا..)[2].

ويسترسل في الإعراب عما يكنه للدولة العثمانية قائلاً: (إن من له قلب من أهل الدين الإسلامي، يرى أن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله، فإنها وحدها الحافظة لسلطان الدين، الكافلة ببقاء حوزته، وليس للدين سلطان في سواها... وإنني على ضعفي والحمد لله-مسلم العقيدة، عثماني المشرب، وإن كنت عربي اللسان، لا أجد في فرائض الله، بعد الإيمان بشرعه والعمل على أصوله، فرضاً أعظم من احترام مقام الخلافة والاستمساك بعصمته والخضوع لجلالته، وشحذ الهمم لنصرته بالفكر والقول والعمل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وعندي إن لم أقم على هذه الطريقة، فلا

---

(1) محمد عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص245-246. و عيسى الماضي: كيف ضاعت فلسطين، ص86.

(2) محمد عمارة: الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، الكتابات السياسية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1972م، ص113.

اعتداد عند الله بإيماني، فإنما الخلافة حفاظ الإسلام، ودعامة الإيمان، فخاذلها محاد لله ورسوله، ومن حاد الله ورسوله فأولئك هم الظالمون)[1].

و- وهذه إفادة أخرى يدلي بها أحد أمهر الساسة وأكبر أقطاب الغرب في الدهاء بحق السلطان، أمام محكمة التاريخ، إذ يقول برنس (بسمارك Bismark 1815-1898م): (إن 90٪ من العقل موجود في رأس السلطان عبد الحميد الثاني، و 5٪ في رأسي، والخمسة الباقية في رؤوس باقي السياسيين)[2].

ز- ويقول أرنولد توينبي في كتابه (العالم والغرب): (إن السلطان عبد الحميد الثاني، كان له من الذكاء ما جعله يدرك أنه سيخسر امبراطوريته عن طريق الغزو من ناحية دولة أخرى إذا لم يمكن طلبة المدرسة الحربية التركية من مجاراة الغرب في تقدمه في العلوم العسكرية)[3].

ح- ويقول جورج أنطونيوس: (وبلغ عبد الحميد من الفطنة مبلغاً جعله يدرك أن السبيل الوحيد لسلامة تركيا تعتمد على ما بين الدول الكبرى من خصومات وتنافس)[4].

السياسة العامة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

أ- الإدارة:

تولى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم كنتيجة لمحاولة انقلابية دبرها دعاة الإصلاحات الغربية داخل الدولة ضد السلطان القوي عبد العزيز (1861-1876م) في ظل ظروف داخلية صعبة وخارجية متأزمة للغاية، ففي الجبهة الداخلية كان على السلطان مواجهة نفوذ الباب العالي بصدوره العظام الذين حاولوا السيطرة على منصب الخليفة السلطان والذين سبق لهم السيطرة على كل من والده عبد المجيد (1839-1861م) وعمه عبد العزيز (1861-1876م)، وخطر جمعية الفتاة التي تشكلت عام 1860م والتي كانت تدعى أن إنقاذ الدولة لا يتم إلا

---

(1) محمد عمارة: الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج1، ص13-14.
(2) عبد القادر دقده أغلو: ألبوم العثمانيين، ص34.
(3) عبد الحميد متولي: أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث، ص310.
(4) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، تعريب: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت، 1966م، ص135. و محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ، ص60.

بنظام برلماني بالمفهوم الغربي والانسلاخ رويداً رويداً من منظومة الشريعة الإسلامية، وتحويل قبلة السلطنة العثمانية نحو الغرب بالتمام.

وكانت أنشطتها تدار في الخفاء ولكن السلطان كان دائم الترصد لها، ولم يكتف السلطان بذلك، بل صاغ استراتيجية طموحة لمحاربة كل التحديات التي كانت تواجهه، والقيام بإصلاحات جذرية في المجال الإداري والاقتصادي والتعليمي، وتعزيز القوة العسكرية، وانتهاج سياسة حكيمة في الشؤون الخارجية.

كما واجه السلطان في الجبهة الخارجية تمرد البوسنة والهرسك[1]، حيث هزموا الجيش وحاصروه في الجبل الأسود[2]، وأعلنت الصرب[3] الحرب على الدولة بقوات منظمة وخطرة، ونتجت عنها انفجار الحروب الروسية المدمرة[4]، ومن أعظم تلك التحديات هو ظهور وانتشار المحافل الماسونية في الولايات العثمانية، وكان أنصار هذه المحافل يعملون تحت شعار الجمعيات الإصلاحية التي تنادي بالتغيير وإشاعة قيم الحرية والمساواة، ولكن في حقيقتها مرتبطة باليهود والسفارات والقناصل الأوربية.

كان السلطان عبد الحميد من دعاة الإصلاح الحقيقي ولكن بالحجم المناسب والوقت الملائم والكيفية اللازمة وحسب متطلبات الأوضاع، فوقع اختياره على تعيين (مدحت باشا، 1882-1884م)[5] المعروف بكفاءته صدراً أعظماً (رئيساً للوزراء) كما وافق السلطان على سن الدستور، وتشكيل مجلس المبعوثان، ومجلس الأعيان، ويعتبر مدحت باشا[6] من أبرز الداعين للاقتباس من

---

(1) البوسنة والهرسك: منطقتان مسلمتان واقعتان ضمن حدود يوغسلافيا، وعاصمتها (بوسنة سراي)، وتشكل البوسنة والهرسك جمهورية ذات حكم ذاتي، ينظر إلى عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة وتعليق، محمد حرب عبد الحميد، دار الأنصار، مصر، 1978م، ص140.

(2) الجبل الأسود: واقع ضمن حدود يوغسلافيا، وتتمتع بحكم ذاتي، وعاصمتها (تيتوجراد)، ينظر إلى المصدر نفسه، ص140.

(3) الصرب: هي أيضاً جمهورية ضمن الجمهوريات اليوغسلافية، الستة، ومركز عاصمتها بلغراد، ينظر إلى المصدر نفسه، ص140.

(4) هي الحرب العثمانية الروسية التي حدثت عام 1877م، ينظر إلى المصدر نفسه، ص140.

(5) صديق الدملوجي: مدحت باشا، ص26.

(6) أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م، ص41.

الغرب، ورأى في تبني الثقافة والمدنية الغربية، وسيلة لنهضة الدولة العثمانية، وكان يعتقد أن الدولة العثمانية يمكنها التخلص من المشاكل، إذا طبقت النظام الانكليزي والأساليب الانكليزية في الإدارة والحكم.

ويقول عنه السلطان عبد الحميد: (كانت فيه ميزة رجل الدولة كما كان يبرع في أداء بعض الأعمال التي عين فيها... وأمكن الإفادة منه ومن خبرته إلا أن له مجموعة أخطاء قاتلة)[1].

رأى (مدحت باشا) أن تقليص نفوذ السلطان العثماني وسلطة الأسرة العثمانية لا يتم إلا بإعلان القانون الأساسي (المشروطية) أي الدستور، وفي البداية لم يجد السلطان بدأ من التعاون مع (مدحت باشا) ورجالات تركيا الفتاة، ويقول السلطان عن هذه المجموعة: (لم أكن أستطيع الوقوف أمام تيار ذلك العهد، كنت مجبراً على التعاون معهم، فقد كان من الضروري أن نقدم لشعب مريض أفصح، أن اسم (مدحت) يساوي في حساب الجمل (دواء الأمة) أن تقدم الدواء الذي طلبه)[2].

وحينما أعلن الدستور عام (1876م) لم تلق فكرة إعلان الدستور ارتياحاً لدى أغلبية رعايا الدولة، والأكثرية رأت فيه بديلاً عن الشريعة الإسلامية ولم يسانده سوى الفئات المناوئة لتيار الجامعة الإسلامية من اليهود والنصارى، ولهذا السبب فلم يحدث عند تعليق الدستور أي رد فعل في الولايات العثمانية، فهو كما يقول ساطع الحصري: (دستور مدحت أولاً وأخيراً)[3].

وهنا ما يفيد أن (مدحت باشا) كان يهدف بعد إعلان الدستور أن يتخذ إجراءات تهدف في نهاية المطاف إلى حصر سلطة السلطان العثماني في الجوانب الروحية، وأن يكون (لمدحت باشا) الإشراف على الجوانب السياسية، أي الفصل بين السلطة الدينية وبين السلطة الزمنية، بعد أن كان تجمعها الخلافة[4].

رأى السلطان عبد الحميد أن في استمرار مدحت باشا لمنصب الصدارة خطراً كبيراً على الدولة، لما لمسه من أخطاء وانحرافات قاتلة في أسلوبه لمعالجة

---

(1) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص25.

(2) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص30.

(3) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، بيروت، 1960م، ص98.

(4) إحسان ثريا صيرما: النشاط الإسلامي للسلطان عبد الحميد في شمال أفريقيا، مجلة المعهد التاريخي، كلية الآداب، استانبول 1977م، ص157.

المشاكل التي مرت بها الدولة العثمانية فعندما كان والياً على الطونة (الدانوب) أمر بإضافة الصليب على العلم العثماني (ذي الهلال والنجمة) بحيث يكون علماً محلياً للمنطقة[1].

وفي أثناء صدارته قام بتعيين ولاة من الأقليات في ولايات ذات الأغلبية الإسلامية، وكان له الدور الكبير في دخول الدولة في حرب مع روسيا عام 1877م، رغم محاولات السلطان صرف مدحت باشا وأعضاء وزارته عن هذا القرار، وكانت النتيجة أن منيت الدولة بأبشع هزيمة عسكرية، خسرت الدولة على أثرها كل ممتلكاتها في أوربا، وانتهت بمعاهدة (سان استفانوس)[2] المذلة والمهينة للدولة، إلى ان استطاع السلطان عبد الحميد الثاني التخفيف من آثارها في معاهدة (برلين)[3] في 13 يوليو 1883م وقد عمد السلطان إلى إقالة (مدحت باشا) من منصب الصدارة العظمى ونفاه إلى خارج البلاد، وذلك بموجب المادة (13) من الدستور الذي أعده المذكور نفسه[4]، إلا أنه أعاده والياً على سوريا (1878-1880م) واتهم خلالها بالعمل لاستقلال سوريا عن الدولة العثمانية، فنقل

---

(1) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات عبد الحميد الثاني، ص137.

(2) معاهدة (سان استفانوس) في (3 مارس، 1878م) عقدت نتيجة هزيمة الدولة العثمانية أمام روسيا ونصت على:
1- إقامة مملكة بلغارية تمتد من البحر الأسود إلى ألبانيا.
2- استقلال رومانيا والصرب والجبل الأسود.
3- إعطاء روسيا كلاً من (قارس) و(أردخان) و(باطوم) مع تعهد الدولة بدفع (مليار وأربعمائة مليون روبية) كتعويضات للحرب. ينظر إلى السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص142.

(3) معاهدة برلين (13 يوليو، 1878م) لم يصادق السلطان على معاهدة (سان استفانوس) وألغى مجلس المبعوثان، وكشف نشاطه الدبلوماسي لدى الدول الأوربية وعطل معاهدة (استفانوس) وطالب بعقد مؤتمر جديد، عرف باسم (مؤتمر برلين) وجاء في بنوده الآتي:
1- تخفيف تعويضات الحرب إلى ثلاثمائة وعشرة ملايين روبيات.
2- تقليل الأراضي المعطاة إلى بلغاريا.
3- استقلال رومانيا والصرب والجبل الأسود.
4- اعتبار البوسنة والهرسك جزءاً من البلاد العثمانية.

(4) تنص هذه المادة من الدستور على: (أن للسلطان سلطة مطلقة لطرد من عرف أنهم طعنوا في ثقة الدولة الامبراطورية بناء على معلومات موثوقة بها جمعتها إدارة الشرطة)، ينظر إلى: سالنامه دولت عليه عثمانية، ص24-25.

والياً على أزمير[1].

لقد كان السلطان عبد الحميد مسلماً متفهماً لروح العصر، ولذلك فقد كان مقتنعاً بالحكم المشروطي والشورى الإسلامية في الحكم، وقد عرف عنه ذلك وهو لم يزل ولياً للعهد، وهذا ما دفع بالتيارات الدينية الغربية المتعصبة إلى أن تقود المظاهرات ضده وهو ما زال يتلقى التهنئة بتولي العرش، بل وعقدت الدول الاستعمارية مؤتمر استانبول الأول سنة 1876م في قصر سلطنته إمعاناً في التحدي والمهانة[2] ونجح عبد الحميد بذكائه أن يفشل المؤتمر، فأحاط المستعمرون الدولة العثمانية بالمخاطر الجسام مثل افتعال مشكلة تونس[3]، ومشكلة كريت[4]، ومشكلة مصر[5]، والمسألة الأرمنية[6] ومسألة بلغاريا[1].

---

[1] رضا نور: مذكرات رضا نور، ترجمها عن التركية، بهجت رشيد، مجلة المجتمع الكويتية، الحلقة (5)، الكويت، 1982م، ص239.

[2] سمير محمد رجب: الفكر الإسلامي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان (سعيد النورسي)، ص17.

[3] تونس: رغبت فرنسا في الاستيلاء على تونس، مثلما استولت انجلترا على قبرص، وكان (بسمارك) المستشار الألماني يؤيد فرنسا في ذلك وفعلاً اجتاحت القوات الفرنسية تونس عام 1881م. ينظر إلى المصدر:

Tahsin Unal, Turksiyasi Tarihi 1700-1958, S. baskl, Ankara 1978, S 337.

[4] كريت: استغل سكان جزيرة كريت عام 1877م الأخطار التي تكالبت على السلطان عبد الحميد إبان الحرب العثمانية الروسية التي اشتعلت في تلك السنة، وطالب الثوار منحهم مزيداً من الامتيازات، ورفض السلطان عبد الحميد الاستجابة إلى مطالبهم، فقرروا تحريك الثورة ضد الدولة العثمانية، واستمرت نشوب الثورات حتى أوائل القرن العشرين بتحريض من اليونان والدول الأوربية. ينظر إلى سمير محمد رجب: الفكر الإسلامي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان (سعيد النورسي)، ص338.

[5] مصر: ثارت بريطانيا وفرنسا وألمانيا على سياسة الخديوي اسماعيل في مصر، وطلبت من السلطان عبد الحميد خلعه، وأصدر بناء على قرار مجلس الوزراء العثماني (إرادة، بخلع اسماعيل وتعيين ابنه توفيق خديوياً لمصر عام 1879م، ولما تولى توفيق الحكم، سيطرت عليه بريطانيا، وساندته في مقاومة الحركة العرابية، ثم تدخلت بريطانيا واحتلت مصر، مدعية أنها فعلت ذلك باسم الخديوي توفيق ونيابة عنه، وتأييداً لسلطته. ينظر إلى المصدر نفسه، ص338.

[6] الأرمن: تكونت عام 1890م جماعة أرمنية ثورية في تفليس بأرمينيا الروسية، وأحس السلطان عبد الحميد بخطر تلك الجماعة، فكون فرقاً من المتطوعين لصد خطرهم.

ولقد عبر السلطان عبد الحميد عن تلك المؤامرات الأوربية والتحديات العلنية ضد الدولة العثمانية حينما يقول: (بالأمس قطعوا (الأوربيون) أيدينا وذلك بفصلهم بلغاريا وصربيا ومصر عن جسم الدولة، وقطعوا أرجلنا بفصل المقاطعات العثمانية في أوربا، واليوم بإثارتهم مشكلة الأرمن في مقاطعات الأناضول الآسيوية في الشرق يريدون شق بطننا وإخراج الأحشاء منها لنموت)[2].

السلطان عبد الحميد والألوية الحميدية الكوردية (1881-1909م):

الفتنة الأرمنية:

تعد فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) مرحلة تاريخية هامة في تاريخ الكورد، حيث ظهر في هذه الفترة صراع استعماري مرير على الولايات الشرقية في الأناضول (كوردستان تركيا)، وأرادت الحركة القومية الأرمنية وبدعم الدول الأوربية خاصة روسيا القيصرية إنشاء كيان أرمني في المنطقة التي تسمى اليوم شرق تركيا والتي تسكنها غالبية كوردية. وتأثروا مثل شعوب البلقان بالنزعة الانفصالية، وتغلغلت بينهم البعثات التنصيرية الأمريكية منذ عام 1850م[3].

وظهرت فيها أفكار للمطالبة بالحكم الذاتي كخطوة أولى نحو الانفصال، وأرسلوا وفداً إلى مؤتمر برلين (1878م) مطالبين بأن يتولى أمرهم حاكم مسيحي، وسعت بريطانيا لتحسين أحوال الأرمن لدى الدولة العثمانية، وكان الرأي العام البريطاني والصحف الانكليزية مستنفرة للطعن في الدولة العثمانية لمجرد أن يكون خصمها مسيحياً، واعتادت الصحف أن تبالغ وتختلق الأكاذيب وتؤلب الرأي العام الأوربي ضد المسلمين والإسلام باسم الدولة العثمانية، وتلتزم الصمت لو ذبح آلاف المسلمين[4]. وطلبت كل من انكلترا وفرنسا وروسيا عام 1895م إلى الباب

---

(1) البلغار: في سنة 1878م، بدأت مشاكل بلغاريا تطفو إلى السطح مع الدولة العثمانية، حيث وضعت روسيا قدمها في بلغاريا، كما أن البلغار شعروا بأنهم لن ينالوا استقلالهم ولن يتحرروا من الحكم التركي إلا بفضل روسيا وتدخلها. ينظر إلى، محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، 1976م، ص284.

(2) Joah Hgslip, The Sultan Life of Abdulhamid, London, 1958, p. 211

(3) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية: ص339.

(4) علي سلطان: الدولة العثمانية، ص340.

العالي لإجراء إصلاح إداري في أرمينيا، وأصدر السلطان عبد الحميد بياناً بالإصلاح سنة 1895م.

لقد أشعل الأرمن نار حرب لا تبقي ولا تذر وأيقظوا فتنة نائمة، استحقوا بها لعنة الله والتاريخ وأرادوا كيداً، فكانوا هم المكيدون وأقدموا على قتل الأبرياء وتدمير البلاد وأثاروا فتناً شعواء، ولقد كان إحياء الروح الانفصالية من أهداف الحركة الأرمنية التي بزغت في جزأين: هما الجزء الروسي والجزء التركي، وعبرت عن توجهاتها الخطيرة من خلال الانتفاضات المسلحة التي قاموا بها في منطقة (زيتونة) عام 1862م والأعوام التي تلتها 1884م و1887م، كما انتفضت في (وان) عام 1886م[1]، وكان ظهيرهم في كل مرة لإثارة الفتن الدول الأوروبية التي كانت تهدد الدولة العثمانية باحتلال المضائق إذا لم تنفذ الإصلاحات في أرمينيا، وامتدت المذابح إلى استانبول، وأمام التهديد الأوربي العنيف للسلطان فقد أصدر أمره (ممنوع القتل)[2].

لقد تكشفت نوايا الأرمن اللانسانية من خلال سلوك وتصرفات وسياسات الحزبين الأرمنيين المتطرفين، حزب (هنجاك) الناقوس الذي تأسس عام 1887م وحزب (داشناق=الاتحاد) عام 1890م.

إن هذين الحزبين الأرمنيين لم يتمكنا من بناء علاقات تعاون مع الشعوب المجاورة في المنطقة من أجل الأهداف المشتركة وتعميق التفاهم بينها وبين الآخرين.

وخاصة في علاقاتهم مع الكورد، ويقول: م. س لازاريف في هذا الصدد: (وفي تلك الأيام، أيام المذابح قدم الداشناقيون خدمة سيئة إلى الشعب الأرمني حيث كانوا يدفعونه إلى انتفاضات لم يحن أوانها بعد، ويثيرون في أبنائه روح الكره والحقد ضد الأكراد والأتراك كلهم.. وكان له الدور في إثارة المذابح بين الأرمن والتتر في منطقة القفقاس..)[3].

كما تحدث بعض المؤرخين الأرمن في هذا الإطار بشكل موضوعي، فيقول الدكتور أروتوينا في هذا الباب: (بدلاً من جذب القوى الديمقراطية للشعب

---

(1) محمد خليل أمير: علاقة الأكراد بمذابح الأرمن، د. مط. د. ت، ص41.

(2) بروكلمان: الحضارة العثمانية، ص594-596. وهاسلب (جون): السلطان الأحمر عبد الحميد الثاني، ترجمة فيليب عطا الله، دار الروائع الجديدة، بيروت، 1947م، ص253-259.

(3) محمد خليل أمير: علاقة الأكراد بمذابح الأرمن، ص43.

الكوردي كحلفاء والقيام معها بنضال تحرري مشترك ضد الاقطاعيين الأتراك والأكراد، حاولت الأحزاب القومية الأرمنية بدعوتها إلى الكره العنصري والديني أن تفعل كل شيء من أجل إقامة جدار بين الشعبين الأرمني والكوردي...)[1].

ويقول الدكتور هاملين بهذا الخصوص –وهو مؤسس كلية Robert Collage وأول مدير لها، ويشير إلى أول جريدة أمريكية نشرت في عام 1893م اعترافاً لأحد الثوار الأرمن عن تكتيكهم قائلاً: (سيهرب الثوريون إلى الجبل بعد إيجاد الفرصة المناسبة لقتل الأتراك والأكراد، وحرق قراهم، إثر هذه العمليات سيثور طبعاً السكان الأتراك المتهيجون ويهاجمون السكان الأرمن العزل، ويقتلوهم بطرق وحشية، حتى أن روسيا باسم الانسانية والمدنية، ستقوم باحتلال البلاد)[2].

ويقول الدكتور ألكسندر كشيشيان في دراسته حول هذا الموضوع: (إن هذا الشعب لم يكن بريئاً من كل ما اتهم به، بل إن ثوراته على الحكومة التركية متواصلة واتصالاته ببعض الدول الأجنبية لا شك فيها)[3].

وكانت العصابات الأرمنية تغدر بالسكان الأتراك كلما سنحت لها الفرصة كما أنه قد تعددت المؤامرات الأرمنية لاغتيال السلطان عبد الحميد، وأهم تلك المؤامرات تلك التي كادت أن تقضي على حياته عند خروجه من أحد الجوامع.

لقد ظن الأرمن بأنهم سيحصلون على استقلالهم عن طريق مساعدة الدول الأوربية الكبرى لهم، وذلك بإنشاء أرمينيا الكبرى على أجزاء كثيرة من كوردستان تركيا مثل دياربكر وتوابعها، ولذا دب الفزع والهلع بين الكورد من جراء ذلك وهذا ما دفع الشاعر الكوردي الحاج قادر الكويي (ت 1897م) إلى القول: (قسماً بالقرآن، ولم يبق هناك غيره، إن تظهر أرمنستان للوجود، فلن يبقى أحد من الكورد)[4]، ويضيف قائلاً: (وا أسفاه، إن بلاد الجزيرة، وبوطان –أعني بلاد الكورد– باتوا يحولونها إلى ديار أرمنية)[5] في الوقت الذي كان معظم رجال السياسة الكورد، يعتبرون أرمينيا الغربية ضمن كوردستان غير أن ضعف الحركة القومية الكوردية بالقياس إلى مثيلتها الأرمنية لم يتح المجال لأن يكون لادعاءات

---

(1) محمد خليل أمير: علاقة الأكراد بمذابح الأرمن، ص43.

(2) مايكل آرلف: العبور إلى الآرارات، ترجمة المهندس خليل حنونيك، اللاذقية، ص271.

(3) محمد خليل أمير: علاقة الأكراد بمذابح الأرمن، ص44.

(4) عبد الرحمن سعيد: ديوان حاجي قادر كويي، بغداد، 1925م، ص5.

(5) المصدر نفسه: ص5.

الكورد صدى كبير.

الألوية الحميدية الكوردية:

في عام 1891م أصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرماناً يقضي بتشكيل الألوية الحميدية (الخيالة) من العشائر الكوردية في المناطق المتاخمة للامبراطورية الروسية في شرق تركيا الحالية (كوردستان تركيا)، ونصت التعليمات على أن تكون هذه القوة غير النظامية بمثابة قوة مساندة للجيش النظامي أثناء الحروب، وقد منح أفراد العشائر الحميدية امتيازات عديدة، منها العفو عن أداء جميع الضرائب والرسوم الحكومية، ما عدا ضريبتي العشر والكود ونص الفرمان أيضاً على أن لا يخضع أفراد الألوية الحميدية (أسوة بالجيش النظامي) للمحاكم المدنية.

لقد أولى السلطان عبد الحميد اهتماماً خاصاً بالألوية الحميدية، وجعلها حجر الزاوية في سياسته الرامية لإحياء الخلافة الإسلامية، ولتشجيع العشائر الكوردية للانخراط في صفوف التشكيلات الحميدية، ووجه السلطان وعلماء الدين بياناً إلى الكورد يطلبون منهم الانضمام إلى الألوية لأنها كانت تدافع عن الإسلام وعن شرفهم، واعتبر الانضمام جهاداً مقدساً كما لعب علماء الدين وشيوخ الطرق الصوفية دوراً مهماً في تشجيع الكورد في الدخول إلى الألوية الحميدية.

وفي عام 1891م عقد في استانبول مؤتمر كوردي واسع النطاق –حضره رؤساء العشائر الكوردية والنبلاء بالاضافة إلى علماء الدين، والتقى السلطان بالمؤتمرين، وذكرهم بواجبهم تجاه عقيدتهم الإسلامية وبلادهم التي بدأ يهدد من قبل الأعداء[1].

أسباب ظهور الألوية الحميدية:

كان السلطان عبد الحميد يدرك بأن الأمن والاستقرار لن يتحقق في الولايات الكوردية في الأناضول دون كسب ود الكورد، وكان يرغب في اتخاذ هذه الألوية كجيش احتياطي للحروب المقبلة للدولة العثمانية مع الروس[2]، كما ان الدافع إلى تأسيس هذه الألوية هو ما يمتلكه السلطان من شعور بصدق وإخلاص الكورد والقدرة العسكرية العالية التي يتميزون بها، فالسلطان سبق وأن شهد بأم عينه

---

(1) كمال مظهر أحمد: كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ص85-89.

(2) كمال مظهر أحمد: كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ص74.

مدى إخلاص الكورد له أثناء الحرب الروسية العثمانية في 1877 و1878م، وأثناء انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري في 1881م حيث لعبت العشائر الكوردية في الحرب الروسية العثمانية دوراً مشرفاً في الدفاع عن الدولة العثمانية[1].

النتائج والآثار:

يعتقد بعض المؤرخين والباحثين من الكورد وغيرهم ممن لم يدرسوا بإمعان وروية أسباب الصراع بين الكورد والأرمن وما أقامه الأرمن من مذابح للكورد من ذبح للأطفال واغتصاب للنساء وتهجيرهم، ومحاولة اغتصاب أرضهم بإنشاء وطن قومي أرمني عليها، واتبع هؤلاء المؤرخون قاعدة ما حسنه الغرب فهو حسن، وما قبحه فهو قبيح، ثم رددوا أقاويل الغربيين فقالوا: أن تشكيل الألوية الحميدية صفحة سوداء في تاريخ الكورد، لأنها لطخت أيديهم من خلال هذه الألوية بدماء الأرمن، وهذا مما أضر بالمصالح الكوردية ويحكم على الكورد بهذا العمل، بأنهم (برابرة) وسفاكو الدماء[2].

ولكن في الحقيقة أن سمعة الكورد في الغرب كانت منذ عام 1843م غير جيدة لقيام الجمعيات التنصيرية والمسؤولين الانكليز والفرنسيين بإعطاء صورة مشوهة عن صراع الأمير بدرخان مع النساطرة (الآثوريين) حيث قام هؤلاء بنقل تقارير مليئة بالأكاذيب عن مجازر وهمية للآثوريين بيد العشائر الكوردية، لذلك امتلأت الصحافة الغربية بالعبارات التي تنعت الكورد بـ(البرابرة) والوحوش المتعطشة (لدماء المسيحين)[3]، وهذه ديدنة القوى المستعمرة، فإذا لقوا مقاومة من الناس ذوي الكرامة والشجاعة نعتوهم بـ(التعصب) و(البربرية) وإذا وجدوا من يقلدهم كالقرد في الفكر ويتعاون معهم أعطوهم الألقاب الرفيعة كـ(المتنورين) و(المعتدلين) و(الوطنيين).

يجمع الباحثون بأن السلطان عبد الحميد قد أفلح في إقناع العشائر الكوردية المتنفذة على الحدود الروسية مع الدولة العثمانية للانخراط في التشكيلات الحميدية، فأصبحت هذه القوة فعلاً قوة رادعة، منعت الروس من الإقدام على مغامرات أخرى لاحتلال الولايات الشرقية، كما كان للقوات الحميدية سجلاً رائعاً

---

[1] ن. خالفين: نضال كوردستان، ترجمة جلال تقي، السليمانية، 1971م، ص141-143.

[2] كمال مظهر أحمد: كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ص382.

[3] H. Layard, Nine veh And its Rem ains New Yourk, 1850, p. 183 .

خاصة في معارك (بوسنيا وصربيا واليونان)، وعبر هذا السجل بحق عن روح الفروسية والعسكرية العالية التي عرف بها الكورد[1]، وظلت هذه القوة غير نظامية في نمو متصاعد إلى بداية القرن العشرين.

إن أهم نتائج التشكيلات الحميدية على المجتمع الكوردي، هو عودة الاعتبار للكورد بصورة عامة ولقيادتهم التقليدية المتمثلة برؤساء العشائر وعلماء الدين، تركت الألوية الحميدية أيضاً بصماتها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في كوردستان، أمر السلطان عبد الحميد بفتح المدارس العسكرية والعلمية لتطوير القدرة القتالية والإدارية للألوية الحميدية، ففتحت في استانبول والمدن الكوردية الرئيسية معاهد ومدارس سميت بـ(عشيرة مكتيلري) كانت هذه المدارس تعد أبناء العشائر الكوردية التابعة للألوية الحميدية إعداداً إسلامياً بالإضافة إلى تأهيلهم علمياً[2].

وقد أدى ذلك إلى التفاف الشباب المثقف والجماهير الكوردية بعمومها حول فكرة الخلافة الإسلامية وظل الكورد من أخلص حماتها ودعاتها في وقت كان الفكر القومي قد تغلغل بين الشعوب المجاورة. لذلك لم يكن مستغرباً بأن يقوم قواد الحميدية بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني بعدة انتفاضات مسلحة لصالح عبد الحميد، فمثلاً ثورة الشيخ سعيد البرزنجي في عام 1909م، وثورة ملا سليم في بدليس، وثورة إبراهيم باشا في العام نفسه، كلها قامت من أجل الخلافة[3]، لذلك كانت الألوية الحميدية مستهدفة من قبل الدول الأوربية أيام السلطان عبد الحميد، وحين وقع الانقلاب كان أول عمل أقدم عليه الانقلابيون هو إلغاء الألوية الحميدية، واستمر الكورد بعد ذلك يسعون لإعادة الخلافة كما يتضح ذلك من الانتفاضة الجهادية للشيخ سعيد يالو عام 1925م[4].

الألوية الحميدية والدم الكوردي المراق في الاعتداء الأرمني:

من المؤسف جداً أن يتجنب الكتاب من ذكر الحقائق المتعلقة بالمذابح المروعة

---

[1] Waheed Shaikh, The Kurds, and Their country Lahoure, 1958, p. 148 .

[2] Van Bruiness, 239 .

[3] Dickson pp. 371-2 .

[4] Bruiness, p. 239; Rodert Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Bebellion texas, University of Texas press, pp. 32-4 .

التي ارتكبتها العصابات الأرمنية ضد الكورد (ستيفان شو) والقوات الروسية في نهاية القرن التاسع عشر وأثناء الحرب العالمية الأولى والتي يقدرها الخبراء وبإحصائيات ميدانية دقيقة في أكثر من (600) ستمائة ألف إنسان[1].

وفي الغالب كانت العصابات الأرمنية تقوم بالتسلل من الأراضي الجورجية أو من أراضي آذربيجان وتهاجم ليلاً القرى الكوردية الآمنة، تحرق بيوتهم وتذبح الأطفال وتغتصب النساء لإرهاب أهل القرية والقرى المجاورة، وكان الأرمن يمارسون سياسة (التطهير العرقي) على أمل أن يترك الكورد قراهم وتخلو الساحة للهجرة الأرمنية إلى ما أسموه (أرمينيا القديمة) وكانت العصابات الأرمنية بقتلها الكورد وحرقها لقراهم تستهدف استفزاز مشاعر الكورد ودفعهم للانتقام من الأرمن من أجل تدويل القضية الأرمنية[2].

كما أن الأرمن قاموا في سنة 1894م بإحراق وقتل الناس وممتلكاتهم في أكثر من ثلاثين قرية كوردية في قضاء ساسون الكوردية[3].

في الحقيقة ان المنظمات الأرمنية قديماً وحديثاً لم تخف رغبتها في إحياء المملكة الأرمنية في المنطقة التي هي بجملتها منطقة كوردية منذ آلاف السنين.

إن التشكيلات الحميدية هي التي منعت الأرمن وأرغمتها على التخلي من إبادة الكورد في كوردستان تركيا، وأجبرتها على التخلي عن سياسة إحراق القرى الكوردية وتهجير أهلها وإنشاء كيان على أراضي كوردستان كما كان لهذه التشكيلات دور فعال لثني روسيا والدول الأوربية عن مناصرتها للأرمن ضد الكورد.

كما أن أفواج الحميدية هي التي جعلت السلطان عبد الحميد يقرر ويعترف بكوردستان تركيا كوطن للكورد وهم أصحابها الشرعيون والسادة فيها حينما قال: (لا مجال لإنكار أن الأرمن في ولاياتنا الشرقية محقون في شكواهم ولكن لابد أن نشير إلى مبالغتهم فيها، وكأنهم يتباكون من ألم لم يحسوا به، إنهم أمة جبانة تتدلل كالنساء، تحتمي بالدول الكبرى وتصرخ لأتفه الأسباب.

---

[1] S. Shaw, history of ottoman Empire and modern turky, vol. 2, Cambridge University press, pp. 202-203 .

[2] Haslip, p. 218 .

[3] Shaw, pp. 203-204. Pears, p. 230 .

أما الأكراد فهم على النقيض من ذلك، أقوياء جبابرة، غلاظ شداد رعاة، يعيشون في هذه الولايات منذ أقدم العصور، لذا فهم ينظرون إلى الأرمن نظرتهم إلى الأجانب، فالأكراد هنا هم السادة والأرمن عبيد)[1].

ب- السياسة الاقتصادية للسلطان عبد الحميد الثاني:

لقد ورث السلطان عبد الحميد اقتصاداً هزيلاً عندما استلم الخلافة في الأول من أيلول عام 1876م، حيث كانت الدولة غارقة بالديون بلغت الديون بذمة الدولة التركية (300) ثلاثمائة مليون ليرة ذهبية وقدر الدخل بمبلغ لا يتجاوز العشرين مليوناً، وكانت الأزمات تحيط بالسلطنة من كل جانب، خزينة خاوية مفلسة، وجند أعزل وعناصر تدغدغ أنفسها أحلام القومية، وشعب فقير منقسم على نفسه، إلى جانب ذلك مؤامرات دولية تحاك وراء الدهاليز لتفكيك الدولة[2].

فقام السلطان عبد الحميد بوضع خطة اقتصادية ذكية لانعاش الاقتصاد العثماني المنهار، وذلك بعد دراسة مستفيضة واستشارة الخبراء المتخصصين في الشؤون المالية، فقام بمكافحة الفساد الإداري والتخلص من البذخ وسوء التصرف بالأموال العامة، وبدأ عهد الإصلاح في هذا المجال، ولتحقيق ذلك أكد السلطان على ضرورة احياء قيم الإسلام في التقوى، وبدأ السلطان بنفسه في إصلاح مالية الدولة وفرض سياسة اقتصادية صارمة على مصروفاته، ليكون قدوة للآخرين، وخاصة بعد ما رأى التبذير وخراب الذمم[3]. فاتخذ قصراً متواضعاً للسكن وحول البلاط السلطاني الكبير الذي ورثه عن أجداده في طوب قابي سراي (استانبول) أكبر مكتبة في الشرق وجامعة إسلامية لتدريس العلوم الشرعية والطبيعية، كما أمر بتخفيف مخصصاته الشهرية كي يكون مثالاً يحتذى به في التضحية، وكانت الصحافة الأوربية توجه الانتقادات إليه على هذه المخصصات وتراها أكثر من اللازم، ويجيب السلطان على تلك الأقاويل بالقول: (ولكن هناك أمورٌ لا تدركها هذه الصحافة أو تتجاهلها، إنني أصرف من هذه المخصصات على مدينة بأسرها وعلى كتيبة الحرس السلطاني وعلى رجال القصر، وعلى ثلث موظفي الدولة)[4].

---

(1) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1399هـ-1979م، ص47.

(2) محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ (السلطان عبد الحميد الثاني)، ص16.

(3) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص319.

(4) عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص97.

لقد ادعى الكاتب الألماني (داجوبرت فون مبكوشي) بأن عدد الطباخين الذين يشتغلون في قصر عبد الحميد فحسب ثمانمائة طباخ[1].

وللرد على هذا الإفك العظيم والتلفيق المقصود، نستمع إلى الدكتورة (الماوتلن) أشد المنتقدين للسلطان عبد الحميد الثاني لتتولى الإجابة، والفضل ما شهد به الأعداء، إذ تقول: (لقد ضرب السلطان عبد الحميد بنفسه أروع مثال في الاقتصاد القومي، فكان يلبس دائماً الجبة نفسها السوداء الخالية من الزخارف، ويأمر بإعداد طعام متواضع، مؤلف من اللبن والبيض والخضار، وكان طبق الخيار المحشو، يقدم له على قائمة الطعام الملكية، أما شرابه المفضل فكان يصنع من ماء السكر، ممزوجاً ببعض الروائح الخفيفة، وأصدر أوامره الصارمة بمنع الإفراط في تحضير الأطعمة الملكية، بينما كان فائض الأطعمة وفتات الموائد يكفيان في العهود السابقة لإطعام حي من أحياء استانبول بأكمله!، وقد رفض السلطان بإباء أن تصرف الآلاف من الليرات الذهبية للانفاق على حفلات ختان أولاده وزواج بناته، بينما كانت تبتلع مثل هذه الاحتفالات في الماضي مئات الألوف من الليرات[2].

وتضيف الدكتورة ألماوتلن قائلة: كان السلطان عبد الحميد أول شرقي فهم أهمية النقود وقوتها في العصر الحديث، وقد حدث مرة أنه أعطى كاتم أسراره هدية، شكلها الظاهر كالطربوش، لكنه كان طربوشاً مصنوعاً من شمع الأختام الأحمر، الذي كان السلطان يستخرجه بصبر وأناة من الخطابات الواردة إليه، وكان يكسر أظافره أحياناً في محاولته كشط الشمع عن الغلاف، أو يحرق أطراف أنامله وهو يذيب القطع فوق لهب الشموع، لكي يعطي لتابعه رمزاً مزخرفاً ولكنه زهيد الثمن، يذكره دائماً بوجوب التوفير[3].

لقد كان السلطان عبد الحميد يميل إلى البساطة في ملبسه أيضاً ولذلك اتهمه خصومه بالبخل، وكم كان يسره أن يرى وزراءه وكبار رجال الدولة يقلدونه في ملبسه البسيط وفي مأكله، ويعزى تلك البساطة إلى أمر الدين الإسلامي الحنيف بذلك.

---

(1) داجوبرت: مصطفى كمال المثل الأعلى، ترجمة ميخائيل صموئيل، د. مط. د. ت، ص37.

(2) الدكتورة ألماوتلن: عبد الحميد ظل الله على الأرض، ترجمة راسم رشدي د. مط. د. ت، ص15. و محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ (السلطان عبد الحميد الثاني)، ص49.

(3) الدكتور ألماوتلن: عبد الحميد ظل الله على الأرض، ص15.

وكان ينتقد رجال دولته الذين يبذرون الأموال ويسرفون في الملبس والمأكل[1].

وكان السلطان يعيب على الدولة -وهو على رأسها- كثرة الموظفين من أصحاب الرواتب الضخمة، وفي ذلك يقول السلطان: (... فارتداء بعض نظرائي سترة سوداء بسيطة حتى في أفخم المراسم أمر يسرني جداً، هؤلاء يتميزون عن غيرهم بالمعرفة واتباع الحق، إن ديننا يأمرنا بمطلق المساواة، فعلينا أن نكون بسطاء في مأكلنا وملبسنا، وعدم ميل الباشاوات إلى البساطة في معيشتهم أمر يدعو للأسف)[2].

كانت ثروة السلطان عبد الحميد عند ارتقاء العرش تزيد عن مائة ألف ليرة ذهبية، حصيلة سنوات تجارته بمحاصيل مزارعه، وطول حكمه الذي بلغ أكثر من ثلاثين سنة لم يتصرف في خزينة الدولة كأسلافه بل قام في كثير من الأحيان بالتبرع بماله الخاص، وصرفها على المشاريع الخيرية كالمدارس والجوامع والمستشفيات وبلغ عدد هذه البنايات التي أنشأها على نفقته الخاصة ألفاً وخمسمائة واثنتين وخمسين بناية، بلغ مجموع تكاليفها سبعمائة وثمانية ألفاً ومائة وتسعاً وعشرين ليرة ذهبية، كما أنه أسهم بالتبرع لإنشاء خط سكة (دمشق- الحجاز) وافتتح القائمة بالتبرع بمبلغ ثلاثمائة وعشرين ألف ليرة ذهبية[3].

وعندما وقعت الحرب اليونانية عام 1897م دفع السلطان أكثر مصاريفها من أمواله الخاصة، كما كان ينفق الكثير من أمواله على المحتاجين والفقراء[4].

خطوات على طريق الإصلاح الاقتصادي:

لقد كان السلطان يتمتع بالذكاء والنظرة الثاقبة والدراية وتدبير الأمور بعقلية الخبير المتدرب، واستفاد من المامه بالحضارات فبذل جهوداً مكثفة في تخطيط وتنفيذ منهاج للإصلاح الاقتصادي بصورة فعالة، وأقام عدداً من المؤسسات الحديثة من كليات وأكاديميات ومدارس في كافة أنحاء الامبراطورية، وأرسل البعثات العلمية المتخصصة في مختلف الميادين المهنية، وأوفد طلاباً لدراسة علم

(1) محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ، ص50.
(2) محمد مصطفى الهلالي: شخصيات ظلمها التاريخ، ص50.
(3) محمد مصطفى الهلالي: عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود (مخطوط) للمؤلف.
(4) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص77.

الأحراج في أوربا، واتخذ قراراً بغرس الأشجار وزراعة الغابات والمحافظة على الغابات الموجودة[1].

وعمل على إسكان الأراضي الخالية من الدولة العثمانية لغرض استصلاحها وزراعتها بحيث تقتصر الهجرة إليها من المسلمين دون غيرهم من اليهود، وهذا مما أدى إلى نمو الاقتصاد الوطني والقدرة الوطنية وأعطى السلطان امتيازات للشركات الأوربية لاستخراج المعادن واهتم اهتماماً خاصاً بفتح الطرق ومد خطوط سكك الحديد، ويعد خط (بغداد-برلين) وخط (دمشق-الحجاز) من مآثر السلطان.

وكان حريصاً على إنشاء شبكات الري فيقول بهذا الصدد: (وإذا تمكنا من إنشاء شبكة ري مدروسة للاستفادة من النهرين التوأمين دجلة والفرات لجعلنا هذه الأراضي القاحلة جنة من جنات الدنيا... وأعتقد أننا إذا وفقنا إلى ربط خط حديد بغداد بخط حديد الحجاز نكون قد أنجزنا عملاً هاماً جداً)[2].

ويتابع القول (أننا بعون الله سنجعل هذا المشروع حقيقة واقعة بأموال الألمان وخبرائهم والمهم ألا تنحرف الدبلوماسية الألمانية تحت تأثير سياسة الانكليز)[3].

بذل السلطان ما في وسعه للعمل على سرعة مد خط حديد الأناضول بهدف ربط شرق البحر المتوسط وبغداد بالأناضول والوصول إلى خليج البصرة وقد تم إنجاز هذا المشروع بمساعدات ألمانية، ودر أرباحاً كثيرة على الولايات الواقعة على طول هذا الخط، وسهل المشروع مهمة نقل الحبوب في الأسواق الرائجة وفتح الأسواق العالمية لبضائع الدولة العثمانية[4].

ومن خطوات السلطان الأخرى على طريق الانعاش الاقتصادي إقامة مؤسسات حديثة للمياه وغرف للصناعة والزراعة والتجارة وتأسيس البلديات وإقامة دوائر البريد وربط أجزاء الدولة بثلاثين ألف كيلومتر من خطوط البرق والهاتف وادخل الترامواي في الخدمة ودعم الأساطيل الملاحية والعسكرية وبنى الغواصة، وعنى بتسليح وتدريب الجيش بحيث تمكن من تدمير أساطيل الحلفاء

---

(1) المصدر نفسه، ص42.

(2) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص29.

(3) المصدر نفسه، ص67-68.

(4) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص77.

ومنعها من اقتحام الدردنيل.

عالج السلطان قضية الديون المترتبة على الدولة والتي بلغت ثلاثمائة مليون ليرة ذهبية عند توليه الخلافة فاستخدم الخبراء الماليين وعندما شكلت إدارة الديون العامة انخفض المبلغ الإجمالي إلى العشر تقريباً، ورفعها الانقلابيون الاتحاديون بعد عهد السلطان عبد الحميد إلى ثلاثة عشر ضعفاً[1].

ج- السياسة التعليمية للسلطان عبد الحميد الثاني:

يشهد للسلطان عبد الحميد الثاني سجل حياته الحافل بالأمجاد وسفره التاريخي المليء بأحسن الانجازات ويعتبر أعظم خليفة في عصر انحطاط الدولة العثمانية، وأخلص زعيم مسلم لوطنه وأكفأ رجل قيادة في عصره، وأجل مصلح قاد شعبه نحو السمو في الأخلاق وأمهر شخصية ريادية أراد تعميم الثقافة في أرجاء الدولة والبحث عما فيه تطور الأمة الإسلامية ومواكبة عصره ودراسة الأوضاع العامة.

فلقد كان يعلم أن الحياة هي الحركة الدائبة والنشاط المستمر وأن الغلبة في هذا السباق على متن كوكبنا لا يملكها إلا من أوتي العلم والمعرفة.

من هذا المنطلق وبرغم الحروب التي خاضتها أو أجبرت على خوضها الدولة العثمانية والمؤامرات التي حيك نسجها في الغرب المسيحي والظروف الداخلية التي كدرتها الأوساط الذيلية العميلة لم يغب عن بال السلطان عنصر الديمومة وصمام الأمان ومفتاح الدنيا وغذاء روح الأمة ألا وهي المعارف والعلوم فركز جل اهتمامه لنشر التعليم بمختلف أنواعه في أرجاء الامبراطورية.

عملاً بما جاء في القرآن الكريم الذي استهل بأول خطاب من السماء إلى الأرض للرسول ﷺ بالآية الآمرة بالقراءة التي لا تقتصر على القراءة في كتاب واحد وإنما الدنيا كلها كتاب مفتوح للقراءة يلزم الإنسان قراءته ليس لذاتها فحسب وإنما الهدف من ذلك الاستنتاج والاستنباط ولهذه المعاني فقد قام بخدمات جليلة للدولة العثمانية وشعوبها وأنشأ كليات للعلوم السياسية الجامعة لفروعها العلوم والحقوق والآداب واكاديمية الفنون الجميلة وكلية الهندسة العالية

---

(1) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص319.

ومدارس عليا للتجارة والزراعة والبيطرة والغابات والتعدين والتجارة البحرية ومدرسة اللغات ودور المعلمين والمعلمات ومدرسة الفنون النسوية ومدارس متوسطة للصم والبكم والعمي وأسس التعليم الابتدائي والمتوسط على الطراز الغربي وأمر بفتح المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية في كافة الولايات وأكثر المناطق، وإنشاء دور للمعلمين في عدد كبير من الولايات ومدارس للحقوق في بعضها، وأسس ثانوية في كل لواء ومدارس عليا في بغداد ودمشق وبيروت وسالونيك وقونية وأرسل البعثات العلمية إلى أوربا[1]. كما افتتح بعض المؤسسات الثقافية التي تؤول منافعها للعامة مثل متحف الآثار القديمة، والمتحف العسكري، ومكتبة بايزيد، ومكتبة يلدز، ومدرسة الطب، وثانوية حيدر باشا[2]، كما أنشأ السلطان عبد الحميد جهازاً كبيراً للرقابة على المعارف والمدارس والصحف لئلا تتلوث بالأفكار السامة وتنفلت من الانضباط والمعايير الشرعية[3].

التعليم العسكري:

لقد اهتم السلطان بالتعليم العسكري فأنشأ أكاديمية للعلوم العسكرية وعدداً من المدارس العسكرية العالية والثانوية والاعدادية وكون جهازاً تنظيمياً لها باسم (نظارة المكاتب العسكرية) وأمر بارتداء الزي الأوربي وتمت إصلاحات عسكرية هامة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي استخدم عدداً من الجنرالات الألمان المتخصصين منهم (فون دركولج، وفون هوفذ، وكامب هوفذ) حيث قاموا بتدريب الجيش العثماني على أحدث الأسلحة ووفق متطلبات العصر[4].

وأرسل السلطان بعثات عسكرية إلى ألمانيا وقام بافتتاح مدرسة في قصره لإعداد موظفي التلغراف لإدارة الشبكة الهاتفية للأغراض العسكرية والمدنية، وأصبح في الإمكان إصدار الأوامر وتيسير الاتصالات بين القادة في مختلف الجهات والولايات مما نتج عنه تحقيق عدة انتصارات بعد سلسلة من الهزائم العسكرية[5].

لقد كان السلطان عبد الحميد يحب العلم ويكرم العلماء ويوقر الأدباء، ويجل

---

(1) علي سلطان: الدولة العثمانية، ص319.

(2) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص13.

(3) علي سلطان: الدولة العثمانية، ص319.

(4) موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، 9.

(5) موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، ص90.

القلم، وكان جليسه الكتاب ونستدل على ذلك بكلام الرجل نفسه إذ يقول: (لقد ظنوني عدواً للأدب وهكذا أعلنوا، لا... لست عدواً للأدب وإنما لسوء الأدب ولست عدواً للأدباء وإنما لمن عدموا الأدب، لا، وأكرر هنا أنني كنت صديقاً حقيقياً ومشفقاً على الأدباء لو كنت عدواً لهم، أفلم يكن رجالي يمكنهم أن يقتلوا الأدباء والمحررين في وسط الشارع؟[1].

السياسة الدولية للسلطان عبد الحميد الثاني:

سلك السلطان عبد الحميد الثاني في سياسته الدولية منهجاً متزناً حكيماً مستنداً على مبدأ الحياد، إدراكاً منه بأن الدولة العثمانية لم تعد تلك الدولة التي في مقدورها وحدها، التصدي بوجه القوى الأوربية جميعاً. فرأى من المصلحة العليا للدولة، أن يعتمد على ثلاث دعائم:

الأولى: لقد أحس السلطان مدى الضعف الذي تعاني منه الدولة العثمانية نتيجة الهزائم العسكرية السابقة في معظم الحروب التي خاضتها ولا تبرح الصورة تتراءى أمامه شاخصة، لذلك كان السلطان حذراً من مواقف الدول الأوربية تجاهه، فاتخذ الحيطة والترقب من تحركات ومخططات الأعداء، وآثر اللجوء إلى الدبلوماسية العقلانية والأعصاب الهادئة، وحسم الخلافات بالتي هي أحسن تجنباً لما هو أسوأ وتفادياً لكارثة كبرى تبتلع الأخضر واليابس.

الثانية: هي كما يسميها السلطان (محاربة العدو بسلاحه) عن طريق تفريق قواه، والإيقاع بين القوى العالمية المهيمنة آنذاك، بحيث تدخل حروباً فيما بينها وتضرب بعضها رقاب البعض وتأتي الفرصة السانحة ثم الاستعانة ببعضها على البعض الآخر[2].

ورأى السلطان أن وقوع مثل هذه الحروب من شأنها تصفية غطرسة هذه الدول، وإحداث معادلة في ميزان القوى العالمية، وفي أثناء ذلك يعمل على تجميع القوى الإسلامية، المبعثرة في العالم لمواجهة أطماع الدول الكبرى.

فقد تظاهر السلطان بالتحالف مع ألمانيا، واستقبل القيصر الروسي في بلاده ليضغط على بريطانيا بغية استرضائه، كما أن السلطان منح ألمانيا امتياز سكة

---

(1) عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ص21.

(2) عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ص8.

حديد برلين وبغداد، وذلك رداً على تمادي البريطانيين في معاداتهم، بعد أن تحقق أن (بسمارك) الزعيم الألماني، قلب موازين القوى العالمية، ولكن السلطان في نفس الوقت عارض استثمار ألمانيا لبترول العراق الذي اكتشفه تحت شعار التنقيب عن الحفريات الأثرية، ولم ييأس في استمالة قيصر روسيا، حتى تمكن من كسب معارضة قيصر للحكومة البريطانية في توجهاتها الرامية إلى تقسيم الدولة العثمانية، رغم اندفاع روسيا في عدائها السافر للإسلام، ولم يجن السلطان ثمار سياسته مع روسيا ومساعيه مع ملك رومانيا لإقامة حلف بلقاني ضد روسيا والنمسا حيث أسقطه الانقلابيون الاتحاديون[1].

الثالثة: الجامعة الإسلامية: فبالاعتماد على هذه السياسة استطاع تعبئة المسلمين في الهند وغيرها لتعضيد الخلافة ضد السياسة البريطانية، كما حقق نجاحاً باهراً مماثلاً مع مسلمي روسيا في (بخارى) و(سمرقند) ضد السياسة القيصرية.

ويعطي السلطان صورة حقيقية للصراع الدولي الذي شهدته الدولة العثمانية في أيامه الأخيرة إذ يقول: (إن التنافس بين الروس والانكليز كان على أشده في منطقة آسيا، كما ظهرت إلى الوجود في أمريكا دولة قوية ثرية، وكانت إسبانيا قد أخرجت من مستعمراتها، وانتظم يهود العالم وسعوا عن طريق المحافل الماسونية في سبيل إنشاء كيان قومي على الأرض الموعودة –على حد زعمهم- وجاءوا إلي بعد فترة وطلبوا مني أرضاً في فلسطين لتوطين اليهود فيها، مقابل أموال طائلة، وبالطبع رفضت[2].

لقد أعاقت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تشريعات قانونية، حالت دون تحقيق المزيد منها، ومنعت إنشاء المستوطنات اليهودية بالرغم من حدوث خروقات لتسلل مجموعة يهودية خلسة إلى فلسطين بأساليب ملتوية غير قانونية، إما بالتواطؤ مع السلطات المحلية العثمانية أو عن طريق الارتشاء واختراق الحدود المحادة لفلسطين.

وعقب انطلاقة الحركة الصهيونية عام 1897م حاولت إقناع السلطان بالموافقة على الاستيطان اليهودي في فلسطين، ولما فشلت المساعي تلك مع

---

(1) موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، ص100.

(2) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص37.

السلطان، لم يجد زعماء الصهيونية بدأ من اللجوء إلى الدول الأوربية للتعاون معها لاغتصاب فلسطين، على أمل أن تكون الدولة اليهودية المنوي إقامتها بمثابة قاعدة حصينة وركيزة ثابتة للمصالح الأوربية في الدولة العثمانية[1].

السياسة الإسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني:

يكون الكلام في هذه الفقرة والتي بعدها عن أبرز ملامح السياسة الإسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني، وأنشطته المكثفة والمكرسة لخدمة المسلمين وقضايا العالم الإسلامي وترتيب بيتهم من الداخل، وتوحيدهم في إطار دنيا الإسلام وتحت مظلة الخلافة الإسلامية وجعلهم يعتصمون بحبل الله جميعاً، وقوة مؤثرة فعالة في السياسة الدولية ورادعة للأطماع الأجنبية قادرة على سحق الظلم والعدوان وتكون الأمة موفورة الكرامة مهابة الجانب مرفوعة الرأس حامية الأوطان باعثة للأمان والآمال في النفوس والجنان.

ومن الأدلة على السياسة الإسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني تلك الرسالة المؤرخة في الفاتح من شهر رمضان المبارك لعام ألف وتسعمائة وأربعة للميلاد التي بعث بها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود إلى السلطان عبد الحميد الثاني والتي تفصح عن سياسة السلطان الرشيدة في استقطاب المسلمين حول الخلافة وجاء فيها: (إلى أعتاب سيدي وولي نعمتي سلطان البرين وخاقان البحرين خليفة رسول الله ﷺ السلطان المعظم عبد الحميد خان الثاني، أدام الله عرش سلطنته إلى آخر الدوران آمين أقدم عبوديتي وطاعتي ودخالتي إلى الأعتاب السامية المقدسة ممتثلاً كل إرادة وفرمان، لست بعاص ولا خارج عن دائرة الأمر، بل أنا العبد الصادق في خدمة دولتي وجلالة متبوعي الأعظم..)، وينهي عبد العزيز خطابه بعبارة: (عبد الدولة العثمانية عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود)[2].

ومن سياسات السلطان الإسلامية بذل مساعيه لإعادة الحركة المهدية إلى خطها السليم[3] بحيث تتمحور محاربتها للانكليز وتتعاون مع الحركة

---

[1] د. حسان علي حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش 1908-1909م، الدار الجامعية، بيروت، 1982م، ص31.

[2] مجلة المجتمع الكويتية، العدد 537، في 1981/5/5م.

[3] مؤسس الحركة المهدية هو محمد أحمد المهدي، 1844-1885م التي ظهرت في السودان واستهدفت إقامة حكومة إسلامية ونشر سلطانها على بقية أجزاء العالم الإسلامي بعد أن أعلن

السنوسية[1] لنشر الإسلام في أواسط وجنوب أفريقيا تحت سقف الخلافة الإسلامية إلا أن بريطانيا عرقلت مساعي السلطان في هذا السبيل والتي يهمها التنافر بين الحركة المهدية ودولة الخلافة العثمانية وهذا ما أكده السلطان حينما قال: (إن سياسة الانكليز في مصر تتلخص في زيادة النفوذ المهدي كزعيم ديني على حسابنا والحط من شأننا في الولايات العربية توطئة للقضاء على حكمنا فيها)[2].

لقد قربه إليه السلطان عبد الحميد كثيراً من رجالات الإسلام مثل جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) والشيخ أبو الهدى الصيادي (1849-1909م) من حماة بسورية وأحمد عزت العابد من دمشق والشيخ محمد الظافر من الجزائر والشيخ أحمد القيصرلي من المدينة المنورة والسيد فضل الله من مليبار بالإضافة إلى أشراف مكة وفي مقدمتهم الحسين بن علي وغيرهم وأجري عليهم المرتبات[3].

وقرب إليه العناصر غير التركية وعهد إلى كثير من العرب بأعلى المناصب في الدولة منهم (أحمد عزت باشا العابد)[4] الكاتب الثاني في المابين[5]، وغيرهم من الجزائر ومصر ولبنان ودمشق واتخذ السلطان من العرب حراساً خاصاً أنزلهم حول القصر وألبسهم عمائم خضر ولم يهمل الأقوام المسلمة الأخرى فجمع حوله طائفة

نفسه خليفة وادعى المهدوية. ينظر إلى منشورات الإمام المهدي، الجزء الأول، ص7-9 مصورة بدار الوثائق المركزية بالخرطوم، نقلاً عن الطاهر محمد علي البشير: الدعوة إلى الخلافة العثمانية وأثرها في الأدب العربي الحديث، ص206-207، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1969م.

[1] محمد بن علي السنوسي 1787-1859م، هو مؤسس الحركة السنوسية في شمال أفريقيا وكان يسعى لإعادة الخلافة العثمانية إلى سابق عزها وهيبتها. ينظر إلى: أحمد فهد بركات الشوابكة، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، الزرقاء، الأردن، 1984م-1404هـ، ص18-19.

[2] عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص119.

[3] محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص746.

[4] أحمد عزت باشا العابد: هو سوري من دمشق انتدبه السلطان عبد الحميد كاتباً ثم عينه سكرتيراً له، كان ذا عقلية عملية وفنية ممتازة، تم تحت إشرافه العديد من المشروعات منها المشاركة في الإشراف على مشروع السكة الحجازية، لقد أشاد السفير البريطاني (أكوندر Ocondor) بأعماله الجليلة أمام السلطان عبد الحميد الثاني. ينظر إلى: فيليب دي طرزي: تاريخ الصحافة العربية، ج2، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913م، ص217-219.

[5] المابين: هي وظيفة هامة تعني عضواً بقلم المراسلات بين السلطان والصدر الأعظم. ينظر إلى السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة محمد حرب، ص138.

من الكورد مثل اسماعيل باشا الكوردي والأرناؤوط مثل درويش باشا الألباني.

هذه بعض مساعي السلطان من أجل لم شمل رعايا الامبراطورية حول الإسلام العظيم، ولكن بقدر ما كانت هذه السياسة ناجحة ومفيدة في تدعيم أركان الدولة فإنها كانت أشبه بناقوس الخطر بالنسبة إلى دول الغرب التي ترتعد فرائصها عند سماع كلمة الإسلام وتحاربها بكل قوة لأن انتصار الإسلام في نظرها يعني معادلة رياضية وهي انتحار المسيحية ولذلك فقد عملت تلك الدول على إزالة السلطان أولاً ومهما كلفت التضحيات والأثمان وبأي وسيلة تكون ثم القضاء في الخطوة التالية على دولة بني عثمان[1].

السلطان عبد الحميد يضحي بعرشه في سبيل المقدسات الإسلامية:

حاولت الحركة الصهيونية منذ تأسيسها في أواخر القرن التاسع عشر بقيادة (ثيودور هرتزل) جمع اليهود وتوطينهم في فلسطين كبذرة أولى لنبتة سرطانية خبيثة، تزرع في جسم الأمة الإسلامية وتكون اللبنة الأولى والحجر الأساس لدولة يهودية في المستقبل، وبذلوا جهوداً كثيرة مع أصحاب القرار في الدولة العثمانية وقطعوا على أنفسهم وعوداً بتقديم المساعدات المالية لحل مشاكلها الاقتصادية وتسخير صحافتها في خدمة مصالحها[2].

وكانت دول أوربية كثيرة تؤيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين للتخلص من اليهود -العرق السامي- إلا ان كافة المحاولات والمساعي لم تثن المسؤولين العثمانيين عن عزمهم في الرفض القاطع وعدم السماح للاستيطان الصهيوني في فلسطين، وكان السلطان يرى أنه إذا سمح لليهود بالتوطين في فلسطين فإنهم يستطيعون في القريب العاجل السيطرة على الحكم وتصبح فلسطين تحت رحمتهم، ونكون بذلك قد قضينا على ديننا بالموت المحتم[3].

لقد كان السلطان عارفاً بنوايا الصهيونية حيث يقول: (لا يريد الصهيونيون الاشتغال بالزراعة فقط في فلسطين بل إنهم يريدون إنشاء حكومة لهم وانتخاب

---

[1] محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص746.

[2] هرتزل: يوميات هرتزل، إعداد أنيس صايغ، ترجمة هيلدا شعبان، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، يونيو حزيران 1897م، ص58.

[3] د. حسان علي حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، 1897-1909م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1999م، ص352.

ممثلين سياسيين عنهم وإنني أفهم جيداً معنى تصوراتهم وإنهم لسذج إذا تصوروا أني سأقبل محاولاتهم هذه.. إن هرتزل يريد أرضاً لإخوانه في دينه لكن الذكاء ليس كافياً لحل كل شيء)[1].

ولما كانت مدينة القدس ذات أهمية روحية وعبادية قصوى وأعظم منزلة من فلسطين في نفوس ملايين المسلمين فقد شكلت عقبة أخرى أمام الأطماع الصهيونية حيث يقول عنها السلطان: (لماذا نترك القدس إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان، وستبقى كذلك فهي من مدننا المقدسة، وتقع في أرض إسلامية ولابد أن تظل القدس لنا)[2].

لقد فقد هرتزل الأمل في تحقيق أمنيات اليهود في فلسطين وأدرك أن لا طاقة لهم بالدخول إلى الأرض الموعودة ما دام السلطان عبد الحميد متربعاً على عرش الحكم، فإنه على حد زعم هرتزل سلطان ماكر جداً وخبيث جداً.

السلطان عبد الحميد يعدل الوضع الإداري للقدس ويصدر فرمانات لحمايتها:

قرر السلطان عبد الحميد إدخال تغييرات جذرية على الوضع الإداري لبيت المقدس، فجعلها سنة 1887م متصرفية خاضعة للباب العالي مباشرة بعد أن كانت سنجقاً تتبع باشا دمشق[3]، وذلك بهدف إحكام مراقبة الدوائر العليا في حكومة استانبول على الحدود من حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

كما أصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرمانات خاصة بالهجرة اليهودية إلى

---

(1) عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ترجمة كمال خوجة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م، ص34-35.

(2) المصدر نفسه: ص11-12. وهنا في هذا التاريخ 2001/6/6 الذي أعد فيه أطروحتي وفي هذه الظروف التي أوقدت الصهاينة محرقة الموت في أرض فلسطين ولشعب فلسطين على مرأى ومسمع العالم وعلى مسافة بضع كيلومترات من ملايين العرب دون أن تتحرك فيهم مشاعر الدين وروابط الدم، وجيرة الأرض، أقول وأنادي واصلاحديناه وامعتصماه وا السلطان عبد الحميداه، أين أنتم من زعماء العرب؟ نعم الفرق بينهم أكبر من المسافة بين الثرى والثريا !! الباحث.

(3) أحمد عزت عبد الكريم: التقسيم الإداري لسوريا في العهد العثماني، الباشويات العثمانية والعصبيات الاقطاعية، بحث منشور في حوليات كلية الآداب، جامعة إبراهيم باشا الكبير، (عين شمس) حالياً، المجلد الأول، سنة 1950م، ص149.

فلسطين وإليكم تعريب بعض الفرمانات السلطانية التي أصدرها السلطان عبد الحميد الثاني 1308هـ الخاصة بالهجرة اليهودية إلى فلسطين[1]:

الفرمان الأول: -21 من ذي القعدة سنة 1308هـ

لا يسمح بإجراء ينتج عنه قبول اللاجئين اليهود المطرودين من كل بلد يترتب عليه إنشاء حكومة موسوية في القدس مستقبلاً. وبما أن هؤلاء ليسوا من مواطني امبراطوريتنا فيتحتم إرسالهم إلى أمريكا يرفض قبولهم وقبول غيرهم في البلاد بل يجب تهجيرهم إلى بلاد أمريكا بوضعهم في السفن دون أي تأخير وعرض الموضوع علينا بعد اتخاذ قرار خطير بشأن تفاصيله.

لماذا نقبل في بلادنا من طردهم الأوربيون المتحدثون وأخرجهم من ديارهم؟ لا محل لقبولهم ما دامت عندنا فتنة أرمنية فنطلب إلى مقام الصدارة اتخاذ قرار عام في هذا الموضوع دون حاجة لعرض الموضوعات فيما بعد على أحد.

الفرمان الثاني: -28 من ذي القعدة 1308هـ-

إلى اللجنة العسكرية السلطانية بما أن قبول هؤلاء الموسويين ومنحهم الجنسية العثمانية وإسكانهم أمر ضار وبما أن هذا التسامح تنتج عنه مستقبلاً إقامة دولة موسوية فيتعين عليه عدم قبولهم في البلاد، وعلى اللجنة العسكرية أن تقدم على ضوء هذا بعرض القرار سريعاً على مقام الصدارة.

الفرمان الثالث: -29 ذي القعدة سنة 1308هـ-

إلى اللجنة العسكرية السلطانية إن الدول التي تقدم إلينا احتجاجات عتاب بحجة عدم قبول الموسويين الذين أخرجوا مطرودين من دول متمدنة ورفضت الدول الأخرى قبولهم لو أنها ترى في نفسها حق الاحتجاج فلتتقدم به إلى الدول التي طردتهم ورفضت قبولهم هؤلاء الموسويون أينما سكنوا ومهما اتخذ ضدهم من التدابير فإن الذي يلاحظ عليهم هو النزوح التدريجي إلى فلسطين مقصودهم الأصلي يقيموا فيها حكومة موسوية فيما بعد بتشجيع الأوربيين وحمايتهم لهم وبما أنهم قوم لا يشتغلون بالزراعة والفلاحة وثابت عليهم أنهم سوف يضرون الأهالي مثلما أضروهم في البلاد التي طردوا منها، وكانوا يهاجرون قبلاً إلى أمريكا فإن الأنسب لهم أن يتوجهوا إليها أيضاً، ونطلب مذاكرة هذه النقطة في

---

[1] الدكتور حسان علي حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، 1897-1909م، ص350.

اللجنة العسكرية مذاكرة مستوفاة.

السياسة الإسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني تجاه مسلمي العالم:

اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بمسلمي تركستان عقب تعرضها للغزو الصيني للمرة الثانية عام 1875م واعترف بأميرهم (يعقوب خان) سلطاناً عليهم، وبعث رسولاً ليتولى أمر الاتصال بوجهاء المسلمين هناك، ويعمل على تقوية ارتباطهم بحركة الجامعة الإسلامية، ونتيجة تلك الزيارة لمبعوث السلطان قام مفتي بكين الشيخ إلياس عبد الرحيم بالتوجه إلى دار الخلافة في استانبول وقابل خلاله السلطان عبد الحميد الثاني وطلب منه إرسال بعثة إسلامية إلى الصين للقيام بتوعية المسلمين فيها، وتؤكد ارتباطهم بدولة الخلافة فلبى السلطان الطلب وأرسل كلاً من (حسن حافظ) و(علي رضا) من رجالات الجامعة الإسلامية إلى بكين، واستقبلهم المسلمون بحفاوة بالغة[1].

وكان من أهم نشاطات موفدي السلطان افتتاح معهد إسلامي كبير في بكين باسم (الجامعة الحميدية) التي افتتحت عام 1908م.

وحضر حفلة الافتتاح جمهور غفير من العلماء وآلاف المسلمين وألقيت في المناسبة خطب استدرت من مآقي المستمعين دموع الفرح، وقدم السلطان لهذه المؤسسة العلمية ما يلزم من الكتب والمراجع الإسلامية، وأمر بتعيين العلماء والمدرسين فيها، والسعي لنشر المذهب السني بين مسلمي الصين، وامتد نشاط الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد ليشمل المجموعات الإسلامية في كل من تركستان وجزر الهند الشرقية الخاضعة للاستعمار الهولندي[2]، والفلبين التي دخلت ضمن دائرة النفوذ الأمريكي وأواسط أفريقيا وجنوبها، كما وأرسلت بعثة إسلامية إلى اليابان لنشر المبادئ الإسلامية هناك[3].

---

(1) محمد مكين: تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، المطبعة السلفية، القاهرة، 1353هـ، ص44.

(2) شكيب أرسلان: تعليق على حاضر العالم الإسلامي، ج1، ص343.

(3) عبد الرشيد إبراهيم: العالم الإسلامي وانتشار الإسلام في اليابان، ص50-60، من الترجمة العربية، وصفحات أخرى متفرقة.

السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية:

أدرك السلطان عبد الحميد الثاني أنه يواجه أخطاراً في الداخل والخارج وكان يرغب لدولته أن تتجاوز المحنة ورأى أن الإسلام هو القوة الفعالة الوحيدة التي تنقذه والبلاد من الكوارث وفي هذا يقول: (إن الإسلام هو القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوياء ونحن أمة حية قوية ولكن شرط أن نصدق في ديننا)[1].

وكان يرى أن الحروب الصليبية ضد الدولة دائمة ومتواصلة ولابد من الاعتماد على الإسلام وتوحيد العناصر المتعددة في الدولة من ترك وعرب وكورد وغيرهم لكي نتمكن من الصمود أمام الغرب الزاحف على بلاد المسلمين، وكان يعتقد أن جبهة المسلمين في الدولة العثمانية غير كافية لكسب النصر، ولابد من امتداد الوحدة إلى جميع مسلمي العالم من آسيا وأفريقيا وغيرها وحتى مع إيران الشيعية التي يبدي أسفه لعدم وجود عناصر التفاهم والترابط معها[2].

في منتصف القرن التاسع عشر تعرض العالم الإسلامي للأطماع الأوربية وتسابقت الدول الأوربية للسيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية، فغزت فرنسا الجزائر عام 1830م، واحتلت تونس 1881م، وسيطرت بريطانيا على مصر عام 1882م، وفي الغرب من ممتلكات الدولة العثمانية تعرضت ولاية البغدان في (رومانيا اليوم) لغزو روسي عام 1828م وخاضت الدولة العثمانية حرباً خاسرة عام 1877م واستغلت انكلترا هذه الأوضاع لتعقد مع الدولة العثمانية معاهدة تمتلك بموجبها جزيرة قبرص عام 1878م، بحجة الدفاع عن استانبول أمام الخطر الروسي[3].

ونتيجة هذه الأوضاع القائمة التي كانت الدولة العثمانية تعيشها فكر المسلمون في جمع كلمتهم للوقوف أمام التيار الأوربي فنشأت فكرة الجامعة الإسلامية وأصبحت سياسة الجامعة الإسلامية محوراً للسياسة العثمانية طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

اتجاهات فكرية لحركة الإصلاح العثماني:

تمخضت عوامل الضعف المذكورة عن إحساس الدولة العثمانية بحتمية القيام

---

(1) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد، ص13.

(2) المصدر نفسه، ص13.

(3) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص372، 411، 431، 447.

بإصلاحات وأسفرت عن تبلور ثلاثة اتجاهات فكرية لحركة الإصلاح في الدولة العثمانية:

الأول: اتجاه التغريب: رأى أصحاب هذا المبدأ أن الإصلاح يكون بالاقتباس غير المشروط من الغرب في شكل الحكومة والنظم والأساليب في الحكم والإدارة والثقافة والاجتماع وقطع كل صلة بماضي الدولة العثمانية وما كانت عليه وكان من أشهر المنادين بهذا الاتجاه: فؤاد باشا (1815-1869م)[1]، مدحت باشا (1822-1885م)[2].

الثاني: الاتجاه التوفيقي في الإصلاح: طالب أصحاب هذا الرأي بالتدريج في الاقتباس عن الغرب في مجال الإدارة والسياسة والثقافة وكل ما جاءت الثورة الفرنسية وزعم أصحاب هذا الرأي أنما ينادون باقتباسه من الغرب لا يعارض مع مفاهيم المجتمع الإسلامي وثقافته، بل إن له في الشريعة الإسلامية وتقاليد نظام الحكم في الإسلام السند والأساس، وكان ما بين الداعين إلى هذا الاتجاه ضياء باشا 1825-1880م[3].

الثالث: اتجاه الأصالة الإسلامية: يرى أصحاب هذا المذهب أن تستلهم الدولة إصلاحاتها من تراثها الإسلامي ونظمها العثمانية الشرقية إبان عصور ازدهارها.

وكان من بين هؤلاء أحمد جودت باشا 1822-1895م[4].

---

(1) فؤاد باشا: تولى منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان عبد العزيز ورغم دراسته الطبية والعسكرية فقد التحق بعد تخرجه بدائرة الترجمة بالباب العالي، كلف بمهمة إعادة الهدوء إلى لبنان على أثر فتنة عام 1860م، توفي في نيس جنوب فرنسا. ينظر إلى صديق الدملوجي: مدحت باشا، ص230.

(2) سبقت ترجمته.

(3) ضياء باشا: من الأدباء الترك المرموقين في عهد التنظيمات العثمانية وما بعدها تعين في الأمانة العامة في القصر السلطاني عام 1855م وأصبح عضواً في جمعية (تركيا الفتاة) هرب إلى أوربا عام 1869م ثم عاد إلى استانبول في عهد السلطان عبد الحميد الثاني اشترك في صياغة القانون الأساسي (الدستور). ينظر إلى حسين مجيب المصري: تاريخ الأدب التركي، القاهرة، 1951م، ص30.

(4) أحمد جودت باشا: تثقف بالثقافة الشرقية إلى جانب اطلاعه الواسع على الفكر الغربي عين في 1850 مدرساً لمدرسة المعلمين، وفي عام 1855م أصبح مؤرخاً رسمياً للدولة العثمانية ثم

الجامعة الإسلامية:

ساعد على ظهور فكرة الجامعة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغاني 1839-1897م فقد كانت تعاليمه وآراؤه من الأسس التي قامت عليها فكرة الجامعة وقد انتقل بين الأقطار الإسلامية المختلفة يبشر فيها هذه الفكرة، وقامت دعوة جمال الدين الأفغاني على أساسين:

أولهما : إصلاح حال المسلمين وتعليمهم المدنية الإسلامية الحديثة.

ثانيهما : تحرير الشرق من سيطرة الغرب ولفت أنظار المسلمين إلى ما وصلوا إليه من ضعف وتأخر نتيجة عدم مسايرتهم الحضارة المدنية حتى طمع الأجانب في بلادهم، ودعا جمال الدين إلى الاتحاد للوقوف في وجه الاستعمار[1].

رأى السلطان عبد الحميد الثاني أن يستفيد من ظهور فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية للتخلص من مشاكله الداخلية فتبنى سياسة الجامعة الإسلامية التي كانت أنجح وسيلة لإحياء الخلافة الإسلامية ودعا الأمم الإسلامية للإلتفاف حول الدولة العثمانية باعتبارها دولة للخلافة التي تحمي الإسلام والمسلمين وأرسل دعاته إلى جميع البلاد الإسلامية، وخاصة تلك التي هددتها الأطماع الأجنبية مثل مصر والهند وأفغانستان والملايو وغيرها.

لقد أحاط عبد الحميد حياته الخاصة بإطار التقوى والتقشف فكان يقوم بالفروض الدينية والتف حوله عدد من الفقهاء وأنشأ معهداً دينياً لتخريج الوعاظ الذين أرسلهم إلى أرجاء العالم الإسلامي ينادون لعبد الحميد خليفة للمسلمين، ونجح عبد الحميد في كسب تأييد شريف مكة فنادى به خليفة في جموع الحجاج وسخر عبد الحميد الصحافة لتأييد دعوته[2].

وكانت زيادة الأطماع الأوربية في العالم العربي والإسلامي عاملاً هاماً في نجاح الجامعة الإسلامية، ولهذا رحب بالفكرة كثير من الزعماء الذين عرفوا بأدوارهم الوطنية[3] مثل الزعيم المصري (مصطفى كامل) فقد كتب يقول: (إننا

تولى رئاسة لجنة مجلة (الأحكام العدلية) لتقنين الشريعة الإسلامية على المذهب الحنفي، استوزر في عهد السلطانين عبد العزيز وعبد الحميد الثاني.

(1) علي حسين الخربوطلي: غروب الخلافة الإسلامية، ص186.

(2) علي حسني الخربوطلي: القومية العربية من الفجر إلى الظهر، الحلبي، 1959م، ص165.

(3) علي حسين الخربوطلي: غروب الخلافة الإسلامية، ص189.

نحب الدولة العثمانية لأننا قبل كل شيء نريد أن نرى أمة شرقية قوية تصدر منها الأنوار إلى كل أمة شرقية ولأننا بصفتنا مسلمين نرى أنها تحمي المسلمين في الشرق وتحفظ البلاد الطاهرة المقدسة فمملكة الخلافة الإسلامية هي في الحقيقة مملكتنا وقبلتنا التي إليها نلجأ ونحوها نتجه)[1].

مشروع سكة حديد الحجاز:

استمر السلطان في تنفيذ مشروع إحياء الجامعة الإسلامية بكل الوسائل المتاحة ويقول الدكتور حسان حلاق: (واستمراراً لسياسة الجامعة الإسلامية بتنفيذ مشروع خط سكك حديد الحجاز في ربيع 1901م وانتهى في خريف عام 1908م حيث أوصل القسطنطينية بالمدينة المنورة مخترقاً سوريا من الشمال إلى الجنوب فكان ما أنفقه على هذا المشروع ثلاثة ملايين ليرة، جمع أكثر من ثلث المبلغ من تبرعات المسلمين من جميع أقطارهم وكان من بين الأسباب الهامة لإنشاء هذا الخط هي استمالة عطف المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي وكسب صداقتهم لما يترتب عليه من تيسير أداء فريضة الحج[2])، لقد اتخذ السلطان عبد الحميد من خطة سكة حديد الحجاز وسيلة لتنفيذ فكرة الجامعة الإسلامية، ومما لا شك فيه أن السلطان هو صاحب الدور الأساسي في إنشاء هذا المشروع الإسلامي وأنه يعتبر في مقدمة منجزات سياسة الجامعة الإسلامية وهو دليل على حيوية الدولة العثمانية وقابليتها للتطور.

ويقول السلطان بهذا الخصوص: (المهم هو إتمام خطة السكة الحديدية بين دمشق ومكة في أسرع وقت.. ففي هذا تقوية للرابطة بين المسلمين، كما فيه أيضاً اتخاذ هذه الرابطة بعد تقويتها صخرة صلبة تتحطم عليها الخيانات والخدع الانكليزية)[3].

أهداف مد الخطوط الحديدية:

كان السلطان يبتغي أن يحقق هذا المشروع أهدافاً دينية ووطنية وسياسية وعسكرية واقتصادية، كلها تصب في دائرة السياسة الإسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني.

---

[1] المصدر نفسه، ص189.

[2] حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الصهيونية، ص272.

[3] السلطان عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ص8.

فقد سهل على المسلمين تأدية فريضة الحج دون عناء وأراد توطيد نفوذه في أطراف الدولة التي لم تخضع للسلطان إلا خضوعاً اسمياً وربط الولايات التي بدأ فيها بزوغ النزعة القومية بعجلة الدولة العثمانية مثل سوريا والعراق وكوردستان والحجاز وإجبار هذه الولايات على الاندماج في الدولة والاشتراك في الدفاع عنها لكي لا تختلف الأمة الإسلامية فيما بينها وتصبح شذر مذر.

ومن الناحية السياسية خلف المشروع في أنحاء العالم الإسلامي حماسة دينية منقطعة النظير والتفافة حول القيادة الإسلامية ونال بها السلطان رضا المسلمين في مختلف بقاع دنيا الإسلام، ومكن المشروع تسهيل نقل الجيوش في حالة الطوارئ إلى الأماكن المضطربة للدفاع عن حياض الوطن وردع العدوان والحفاظ على وحدة أراضي المسلمين[1].

كما كان هذا المشروع الحيوي عاملاً هاماً في بعث النشاط التجاري في الأسواق المحلية، وتصدير البضائع وعرضها في الأسواق العالمية والحصول على الأرباح الطائلة منها.

لم يرق للانكليز وأعوانه إقامة مثل هذا المشروع في العالم الإسلامي واستمرارية تأديته الخدمات للمسلمين فتعاون الانكليز مع الشريف (الحسين بن علي) على الإثم والعدوان ومعصية الله ورسوله والمؤمنين ومدت أيديهم الآثمة إلى تخريب الخط الحديدي أثناء الحرب العالمية العظمى[2].

رعايته للمسلمين والأماكن المقدسة:

أولى السلطان عبد الحميد الثاني رعاية خاصة بتعمير مساجد مكة المكرمة والمدينة المنورة وشكل عام 1883م لجنة من الخبراء والمختصين لزيارة الكعبة المشرفة وتقدير ما تحتاجه من إصلاحات ثم الاطلاع على أحوال الولاية في مكة والمدينة ورفعت اللجنة تقريرها إلى السلطان متضمناً ما يحتاجه الحرم المكي من تعميرات مخمناً تكاليفه المقدرة بما يقارب ألفين وثمانمائة وأربعين ليرة عثمانية، كما شمل التقرير بياناً بالأحوال العامة، الاجتماعية والتعليمية هناك[3].

---

(1) علي حسني الخربوطلي: غروب الخلافة الإسلامية، ص190.

(2) عبد الكريم وعبد الحميد البطريق: تاريخ العالم العربي الحديث، ص108.

(3) حسين عبد الله سلامة: تاريخ الكعبة المعظمة (عمارتها وكسوتها وسدانتها)، جدة، 1354هـ، ص241.

نال علماء الدين في مكة والمدينة خطوة خاصة لدى السلطان عبد الحميد الثاني وأنعم عليهم بكثير من مظاهر التشجيع المادي والأدبي، وهذا مما حدا بأولئك العلماء صب جام غضبهم على الاتحاديين أثر خلعهم للسلطان.

ارتبطت أهمية الحجاز بفريضة الحج التي تشكل أساساً هاماً قامت عليه حركة الجامعة الإسلامية.

تولت الدولة العثمانية تنظيم هذه الفريضة وأشرفت عليها إشرافاً فعلياً وعملت جاهدة على أمن وراحة الحجيج فأنشأت الآبار على طول الطريق المؤدية إلى الحجاز وأقامت في البوادي الحصول لحراستها وشيدت فيها الخانات وأماكن الاستراحة[1] وقامت بتسيير أربعة قوافل في كل عام من كافة أنحاء الدولة وفق الخطة التالية:

- قافلة الحج الشامي وتضم حجاج بلاد الشام والجزيرة وكوردستان وآذربيجان والقفقاس والقرم والأناضول والبلقان وحجاج استانبول العاصمة.
- قافلة الحج المصري تضم حجاج مصر وشمال أفريقيا.
- قافلة الحج العراقي وتضم حجاج العراق وبلاد فارس.
- قافلة الحج اليمني تضم حجاج اليمن والهند وماليزيا وأندونيسيا وغيرها.

وقد كانت مناسبة الحج وتجمع أعداد غفيرة من المسلمين الوافدين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي للديار المقدسة أفضل وسيلة وأكبر حملة إعلامية لنشر أفكار الجامعة الإسلامية بين المسلمين[2].

عوامل عزل السلطان عبد الحميد الثاني والنتائج المترتبة عليه:

كانت النفخة الأولى في الصور للعالم الإسلامي والإيذان بغروب شمس الخلافة الإسلامية التي أشرقت منذ فجر الإسلام في سماء صاحية في أغلب الأوقات برغم إصابتها بخسوف جزئي في فترات ومع ذلك كان الناس يعيشون تحت ضوء ما تبقى من الجزء السليم، قد بدأت يوم زلزل كيان الأمة الإسلامية

---

(1) السيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص11.

(2) باول شمتس: الإسلام قوة الغد العالمية، ترجمة محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، 1971م، ص168-172.

ودكت جبالها دكاً وأزيح الجبل الصخري وتهاوى كالنيزك المضيء إلى المنحدر بفعل تلك القنبلة التي صنعتها الصهيونية والماسونية والصليبية واليهودية وفجرها الاتحاديون الانقلابيون الغوغائيون الذين أتحدت أهدافهم الخبيثة الشريرة مع أهداف القوى المعادية للفضيلة والحضارة الإسلامية على السلطان عبد الحميد الثاني ضحية فلسطين وشهيدها الأول الذي كان عزله هو البداية لنهاية الخلافة الإسلامية وقرار الحكم بإعدام الدولة العثمانية الذي يعني تحقيق الحلم الكبير لليهود والمتهودين.

لقد كان الهدف من إسقاط حكم السلطان عبد الحميد الثاني تمزيق شمل الأمة الإسلامية وتفريق هذا الجمع الذي ربطته السياسة الإسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني، ثم تقديم فلسطين لقمة سائغة للصهيونية وتشويه حقيقة الإسلام الذي هو الدين والنظام والمجتمع وإثارة الشبهة حوله بتصويره ديناً لاهوتياً على النمط الذي صوره الكماليون وأعداء الإسلام.

دور التحالف الصهيوني[1] اليهودي التآمري في عزل السلطان:

لقد كانت معارضة الترك والقوميات الأخرى لحكم السلطان عبد الحميد الثاني من العوامل المؤثرة في تنمية ومساعدة الحركة الصهيونية[2]، والدول

---

[1] الصهيونية: ليست مصطلحاً دينياً وإنما هي مصطلح سياسي يحمل فكرة يهودية تقوم على حق مزعوم، بعودة أرض فلسطين التي يطلقون عليها اسم (أرض الميعاد) ومن بين أهدافها: إعادة إقامة (هيكل سليمان) في القدس ولتحقيق ذلك رأوا ضرورة قيام منظمة سياسية تحقق هذا الغرض وهذا المشروع السياسي لا يتأتى من معتقد ديني لأن العودة إلى أرض الميعاد لا تكون وفق نصوص الكتاب المقدس على يد حركة سياسية وإنما تتحقق ببعثة مسيح مخلص، مبعوث من الخالق سبحانه وتعالى ورغم ذلك قامت الحركة الصهيونية وعملت على تحقيق المطلوب في إنشاء كيان سياسي يهودي في أرض فلسطين وحاولت هذه الحركة تجاوز الحقيقة الدينية لديهم ولتعتمد الحقيقة الاستعمارية أساساً لعملها. ينظر إلى أسعد السحمراني: من اليهودية إلى الصهيونية، دار النفائس، ط1، 1413هـ-1993م، ص26-27.

[2] أدى رجال الدين اليهود دوراً مؤثراً في تكوين الفكر الصهيوني الحديث حيث رأى الحاخام (صموئيل ايزاكس Samuel Izakess) (1825-1917م) أن لليهود، إسرائيل الصغرى، وإسرائيل الكبرى، ولكل منها -في نظره- حدود معينة جاءت في التوراة.. وأول مؤسس للصهيونية الثقافية والروحية هو أحدها عام (AhadHaam) (1856-1927م) الذي يرى: أن حل المشكلة اليهودية لا يتم بنقل اليهود من مكان إلى آخر، وإنما يتم عن طريق الحفاظ على الروح اليهودية، وتطويرها،

الأوربية لاستثمار هذه المعارضة وجني ثمارها فشرعت الصهيونية تكسب ود الترك الموجودين في بعض العواصم الأوربية والترك الموجودين في الدولة عن طريق يهود (الدونمة)[1] سلانيك، للتخطيط في عزل السلطان على الرغم من تعاطف السلطان عبد الحميد الثاني على اليهود (المقيمين في مملكته، ويذكر أنه عندما صدر (القانون الأساسي) أمر السلطان بضرورة مراعاة الطوائف اليهودية والمسيحية كأهل ذمة في الدولة. ويذكر (حبيب فارس) صاحب صحيفة (المحروسة) مخاطباً اليهود: (وطلب أمير المؤمنين من رجالات الدولة ووزرائه المحافظة على صدور العلماء وبطارقة النصارى وكواهن اليهود[2].

قامت المحافل الماسونية مع يهود الدونمة بدور نشط في الإعداد لعزل السلطان وكانت بمثابة الممول لنفوذها الكبير في أروقة الباب العالي ولدى الترك الشبان لم يكن السلطان مرتاحاً من مواقف المحافل الماسونية وتحركاتها وتعود كراهيته لها إلى يوم قبول شقيقه مراد 1876م رئيساً للماسونيين الترك وشرح السلطان في مذكراته الدور التخريبي الذي يقومون به قائلاً: (... من أن العمل الوحيد الذي استطاع الماسونيون القيام به في الدولة العثمانية هو نشر الشقاق والتمرد في البلد ما بين

وتحقيق ذلك يكون بإيجاد مركز روحي ثقافي في فلسطين. ينظر إلى، حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909م، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، 1999م، ص38-40.

(1) الدونمة: كلمة تركية تعني (الهداية) أو (العودة إلى الحق) أطلقت على فئة من يهود الأندلس الذين لجأوا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق العقيدة الإسلامية، وهم أيضاً يسمون بـ(الرجعيون) أو (السباتائيون) نسبة إلى (سباتاي سيفي) المولود بأزمير سنة 1626م، وتقول رواية أخرى: بأن كلمة الدونمة تعني (المرتد) وهم أتباع حاخام يهودي ظهر في (أزمير) وادعى سنة 1648م أنه المسيح المنتظر وأنه سيخالص اليهود ويؤسس لهم دولتهم حيث سيسطرون على العالم وعندما أشيع أنه سيقوم بحركة تمرد قبضت عليه السلطات العثمانية وسجنته وشكلت لجنة علمية للمناقشة معه فرأى أن أسلم شيء له هو أن يعلن إسلامه ففعل ذلك وتسمى باسم (محمد عزيز أفندي) وطلب من السلطات العثمانية أن يسمح له بدعوة اليهود إلى الإسلام وانتهزها فرصة لدعوة اليهود لاعتناق الإسلام ظاهرياً وكان يحثهم على الإيمان به والالتفاف حوله ولا تزال هذه الطائفة موجودة في تركيا . ينظر إلى، مصطفى طوران: يهود الدونمة، ترجمة كمال خوجة دار السلام، ط1، 1977م، ص5. و أحمد نوري النعيمي: أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية، ص23.

(2) حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، 1897-1909م، ص283.

صفوف الجيش دون أن يعلموا أنهم يعملون لحساب انكلترا التي تدعي نشر الأفكار المتحررة في امبراطوريتنا وأشد ما يؤلمني أن يتعاون هؤلاء الضالون الترك مع اليونانيين والبلغاريين في سبيل إزاحة (المستبد Mustabit) عن الحكم[1].

لقد بذلت الماسونية[2] جهوداً كبيرة لتأسيس محافل ماسونية عديدة في كل من مدينتي (استانبول وأزمير) بعضها من تبعية الشرق الأعظم الانجليزي والأخرى تتبع المحافل الفرنسية أو الإيطالية لحين أنشأ (حليم باشا) مجمعاً وطنياً برئاسته وتعددت محافله بحيث وصل عدد الماسون الترك المسلمين في عام (1882م) ما يقارب عشرة آلاف شخص فيهم الوزراء وكبار المسؤولين وقادة الجيش، ولما شعر السلطان بتفشي هذا الوباء الخطير قام في عام 1894م بسد أبواب جميع المحافل الماسونية ما عدا محافل (سلانيك) لارتباطاتها الدولية مع دول ومحافل أوربا مثل الانكليز وفرنسا وإيطاليا والنمسا[3] وألمانيا، ولقد استطاعت الحركة الصهيونية بالتعاون مع المحافل الماسونية أن تقطع أشواطاً مهمة بغية تنفيذ المشروع الصهيوني لاستيطان فلسطين وكان يهود الدونمة يشكلون اللبنة الأولى لتنفيذ المخططات الصهيونية الدولية الماسونية[4].

وأخيراً قررت الصهيونية العالمية أن تضاعف أنشطتها المكثفة والعمل الدؤوب المتواصل للإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني كمفتاح لأبواب فلسطين وطريق لعودة (شعب الله المختار) إلى أرض الميعاد في مملكة إسرائيل التي تطمح للوصول بحدودها من الفرات إلى النيل[5] لأن الصهيونية أدركت أن تطلعاتها وأهدافها ستبقى مجرد أضغاث أحلام ولن تتحقق البتة ما دام هذا السلطان الخصم اللدود للصهيونية وللهجرة اليهودية قابضاً على زمام الحكم فأولجت الليل في النهار وطرقت كل الأبواب ورفعت من مستوى استعداداتها إلى أعلى حد لعزل السلطان الذي بإزالته عن الكرسي تخلو الدار عن الرجال فتسرح الصهيونية وتمرح وتفعل ما تشاء وهذا ما تحقق – مع الأسف – فقد أثمرت المؤامرة الصهيونية العالمية والمحلية في خلع

---

(1) حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص282-284.

(2) الماسونية قسمان: ماسونية اليهود وماسونية الغويم (وهو غير اليهود) إلا أن رسالة محافلها ومختلف أهدافها خاضعة للنفوذ اليهودي. ينظر إلى المصدر نفسه، ص284.

(3) حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، 1897-1909م، ص284.

(4) المصدر نفسه: ص286.

(5) موقف بني المرجه: صحوة الرجل المريض، ص228.

السلطان عبد الحميد عن العرش عام 1909م ودفع السلطان حياته وعرشه ثمناً لمواقفه البطولية الفذة ومبادئه الأخلاقية المثلى ضد محاولات الطامعين في إقامة وطن قومي يهودي في القدس والأراضي المباركة حولها في فلسطين[1].

دور الماسونية التضامني مع القوى المتآمرة في عزل السلطان:

عملت الماسونية بجد ونشاط منقطع النظير ومن خلال تنظيماتها السرية المبثوثة للإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني لتحقيق أهدافها التي تتلخص في إعادة اليهود (قادة الماسونية) إلى أرض فلسطين، وقد تحقق الحكم الآن بالعودة في ظل غياب رجال يدافعون عن الشرف والكرامة والأرض والعرض، ومن أهدافهم الأخرى إقامة هيكل (سليمان) فيها، وبناء عرش الملك (دواد) في القدس، مكان المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وقد قطعوا أشواطاً بعيدة في هذا الصدد واتخاذ فلسطين قاعدة ومنطلقاً للسيطرة على العالم وإقامة حكومة عالمية[2].

لقد انتشرت الماسونية في الدولة العثمانية وسرت انتشار النار في الهشيم ففي (سالونيك) وحدها التي كانت الأم والحاضنة والمنبع الأساسي لفكر الاتحاد والترقي أنشأ ستة محافل ماسونية[3].

يقر الكاتب الشيوعي التركي (إلهام سوسيال) أمام التاريخ بدور الماسونية في الإطاحة بعبد الحميد الثاني قائلاً: (إن إجبار عبد الحميد على قبول المشروطية الثانية (1908) ثم الاطاحة به نهائياً كان من فعل الماسون الذين لعبوا أخطر أدوارهم في الحادثتين (المؤامرة الأولى والثانية للأرمن) وأن كبار رجال الاتحاد والترقي كلهم تقريباً ماسون)[4].

---

(1) حسن حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص6.

(2) يرى البعض أن تحقيق إقامة حكومة عالمية بعيداً وأنا أراه قريباً وأصبح قاب قوسين أو أدنى وأن المسألة ليست سوى مسألة وقت إذ أن المنادات العالمية بالعولمة واتخاذ المحافل الاقتصادية الدولية خطوات للاندماج الاقتصادي الذي هو الحالة الطبيعية لصورة الترسيم السياسي العالمي لأن الاقتصاد في العصر الحالي هو العقل المفكر المدبر والمحرك لهذا العقل هو الصهيونية والماسونية التي سيطرت على الساحة السياسية والاقتصادية العالمية.

(3) موفق بن المرجه: صحوة الرجل المريض، ص231.

(4) موفق بني المرجه: صحوة الرجل المريض، ص230.

نظمت الماسونية العالمية المؤامرة الأرمنية الأولى بتشجيع من كال إدوارد السابع (ملك بريطانيا) الماسوني الذي قدم ثلاثة عشر ألف ليرة ذهبية للمنظمة الأرمنية (الطاشناق) لقتل السلطان عبد الحميد الثاني وألقي القبض على الأرمني المتلبس بالجريمة بالباب العالي فتدخل السفير البريطاني لحمايته تحت ذريعة الامتيازات الأجنبية وأنقذ المجرم من المسائلة القانونية[1]، ثم رتبت الماسونية المؤامرة الأرمنية الثانية للقضاء على السلطان عبد الحميد الثاني حيث كلف يهود سويسرا اليهودي (إدوار جورج) الفرنسي الجنسية بالتعاون مع منظمة (الطاشناق) الأرمنية أيضاً لتفجير قنبلة في العربة التي تقل السلطان بعد خروجه من صلاة الجمعة بجامع (يلدز) وقد ذهبت ضحيتها عشرات الأرجل والأيدي البشرية وظل السلطان عبد الحميد وحيداً في هذا الأثناء لم يصبه أذى ويركب العربة ويدخل قصر (يلدز)[2] وجاء في كتاب (الخطوط العريضة لتاريخ الماسونية في تركيا) العبارة التالية: (لابد من القول: أن الماسونية قد أدت خدمات جليلة لجمعية الاتحاد والترقي وبقدر هذه الخدمات بقدر ما كانت خدمات جمعية الاتحاد والترقي لتنظيم الماسونية التركية وتطورها وذلك عقب إعلان المشروطية)[3].

وجاء في دائرة المعارف الماسونية إن الانقلاب التركي الذي قام به الأخ العظيم (مصطفى كمال أتاتورك)[4] أفاد الأمة فقد أبطل السلطنة وألغى الخلافة وأبطل

---

[1] المصدر نفسه: ص230.

[2] موفق بني المرجه: صحوة الرجل المريض، ص230.

[3] المصدر نفسه: ص232.

[4] مصطفى كمال أتاتورك: ولد في سلانيك عام 1880م من امرأة اسمها (زبيدة) ويقول الدكتور رضا نور: في مذكراته حياتي وذكرياتي المجلد الثالث ص57، ما يلي: (ويأتي إلى المدرسة الحربية في سلانيك طالب اسمه مصطفى كمال كان ابناً بالتبني لأحد الحراس العاملين في الجمرك في سلانيك واسمه (علي رضا أفندي) وهناك روايات عديدة حول الأب الحقيقي لمصطفى كمال وتقول إحداها إنه كان صربياً وآخر يقول إنه بلغاري ويزعم أن أمه كانت عشيقة هذا البلغاري، أما النسخة الجديدة من كتاب لاروس: اسم دائرة المعارف الفرنسية الشهيرة، (القرن العشرين) فتذكر أن أبا مصطفى من البوماك أما المعمرون من أهل تساليا فيذكرون ما يلي: كانت أم مصطفى كمال تعمل في أحد المواخير في سلانيك وفي أحد الأيام يأتي إلى (سلانيك، تساليا) أحد الفتيان المشهورين في مدينة (بني شهر) واسمه (أبدوش آغا) فيراها ويأخذها إلى مدينته وهناك يولد مصطفى كمال كابن حرام (غير شرعي). وعندما يبلغ مصطفى كمال الخامسة من عمره يموت (الدوش) فترجع (زبيدة) إلى سلانيك مع ابنها. ينظر

المحاكم الشرعية وألغى الدين وهو من رجالات الماسون سابقاً ولاحقاً.

التحالف الاتحادي الترقي الماسوني[1] الصهيوني لعزل السلطان عبد الحميد الثاني:

تشكلت النواة الأولى لجمعية الاتحاد والترقي في 21 مايس عام 1889م حينما طرح الطالب الألباني (إبراهيم تمو) على بعض أصدقائه وهم:

شركس محمد رشيد، والكورديين عبد الله جودت، وإسحاق سكوني، إنشاء جمعية سرية تعمل على عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وأراد صاحب الفكرة أن يستلهم الأفكار من جمعية الكاربوتاري الإيطالية التي تشكلت في القرن التاسع عشر، والتي أعجب بمبادئها خلال زيارته لها في العطلة الصيفية للسنة السابقة لتشكيل الجمعية، حيث زار في هذه الأثناء خلال إقامته في (برنديزي) و(نابولي) محفلاً ماسونياً فتأثر بتنظيماتها وقرر المضي في تجسيد فكرته بإنشاء جمعية سرية شبيهة بها وانضم إليها بالإضافة إلى المذكورين خلق كثير[2]. ومثل الجمعية في باريس (أحمد رضا)[3] الذي بدأ يرسل من هناك رسائل إلى السلطان ينتقد فيها الأوضاع القائمة في الدولة، ويبدي رأيه في كيفية الإصلاح.

إلى ضابط تركي سابق، الرجل الصنم كمال أتاتورك، ترجمة عبد الله عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط2، 1398هـ-1978م، ص47-48.

(1) الماسونية: هي حركة تنظيمية خفية قام بها على الأرجح حاخامات التلمود وخاصة في مراحل الضياع السياسي الذي تعرض له يهود التوراة، فأخذ الحاخامات على عاتقهم إقامة تنظيم يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية، ويعرف العلامة الهولندي دوزي، الماسونية بقوله: جمهور عظيم من مذاهب مختلفة، يعملون لغاية واحدة، لا يعلمها إلا القليلون منهم، إلا أن الغاية هي رفع راية إسرائيل في سماء أرض كنعان، ينظر إلى: صابر طعيمة: الماسونية ذلك العالم المجهول، دار الجيل، بيروت، ط2، سنة 1979م، ص15. ومحمد علي الزعبي: الماسونية منشئة ملك إسرائيل، المكتبة الثقافية بيروت، د. مط، د.ت، ص11.

(2) أرنست أ. رامزور: تركيا الفتاة، وثورة 1908م، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت-نيويورك، 1960م، ص50.

(3) أحمد رضا: من أب تركي وأم نمساوية، كان أبوه معروف باسم (علي بك الانجليزي) نظراً لحبه المفرط للانجليز، أما (أحمد رضا) فقد كان مديراً في مدرسة الزراعة في مدينة (بروسة)، يكتب مقالات المديح للسلطان عبد الحميد الثاني، في جريدة تصدر هناك واسمها (نيلوفر) ويحاول التقرب إلى القصر، وعندما لم يحقق أي مكسب من ذلك، هرب إلى باريس رافعاً راية التحدي والمعارضة للسلطان، ينظر إلى المصدر نفسه، ص55.

وفي استانبول تعري أمر الجمعية ومخططاتها الهدامة، فألقي القبض على معظم أعضائها المتآمرين وصدرت بحقهم أحكام المحكمة العسكرية التي أدانتهم بجريمة التآمر ولكنهم لم يقضوا مدة محكومياتهم إذ أصدر السلطان العفو عنهم لم تكن الوسائل التي كان السلطان عبد الحميد يستعملها ضد الاتحاديين وأعضاء جمعية (تركيا الفتاة) فعالة ومناسبة لحجم جرائمهم، وكانت تلك الوسائل تتلخص في إسداء النصح إليهم أو استمالتهم بمنح خاصة، أو نفيهم وتحديد إقامتهم هنا وهناك، ولم يؤذ أحداً منهم خارج هذا النطاق، وهذا دليل على أن السلطان كان عطوفاً ولكن هذا العطف لم يكن في محله، ولنعلم بأن العقوبات في حد ذاتها وسائل تربوية إصلاحية رادعة، ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب، وبسبب تساهل السلطان، فقد فقست بيوض الأفاعي تحت جناحي رحمته وكبرت ونمت وانتشرت في الميادين والساحات، فلدغت وأماتت.

وبدأت الجمعية تتسع دائرتها، وكثر الهروب إلى أوربا للتدفئة في أحضان الدول الأجنبية، وبدأت تلك الدول تقدم المساعدات إلى الاتحاديين، وفي سنة 1895م بدأ الاتحاديون بنفث السموم في المجتمع فألقت السلطات العثمانية القبض مرة أخرى على معظم رؤوسهم في استانبول مثل اسحق سكوني، وعبد الله جودت، وكانوا بعملهم يستحقون العقاب الشديد إلا أن عطف السلطان حال دون ذلك، وللمرة الثانية يكتفي بعقوبة النفي لهؤلاء المتآمرين عليه[1].

وأمام سماحة السلطان وعدم معاقبة هؤلاء الاتحاديين فقد استغلوا الفرصة واستمرت الجمعية في الداخل والخارج بنشاطاتها معتمدة على مساعدات الدول الأوربية مثل انجلترا وفرنسا، ومساعدات الجمعيات الماسونية، التي كانت تهيمن عليها الصهيونية الدولية، وبعد سنة من حركة الاعتقالات هذه، خططت الجمعية لحركة انقلابية في آب سنة (1896م) ولكن المؤامرة اكتشفت، فألقي القبض على جميع المشتركين، وفي هذه المرة كسابقتها، يكتفي السلطان بعقوبة النفي وما شاكله، ولم يعدم أياً من المتآمرين.

كانت صحف الاتحاديين وبخاصة (مشورت) و(الميزان) تنشر مقالات عنيفة ضد السلطان متهمة إياه بكافة التهم الدنيئة.

---

[1] أرنست، أ. رامزور: تركيا الفتاة وثورة 1908م، ص172.

في هذا الأثناء، تسللت شرارة هذه الحركة إلى الجيش الثالث في مدينة سلانيك مهد الدونمة ومركز اليهودية ومرتع الماسونية، ورأى الاتحاديون، أن نهاية السلطان أصبحت في الاحتضار، فقرر أعضاء الجمعية البدء بالثورة، والقيام بها يوم ذكرى مقتل السلطان عبد العزيز، غير أن الظروف لم تكن مؤاتية وعليه تأجلت من (5 حزيران 1908م) إلى 23 تموز من نفس العام[1].

ويمكن القول أن اليهود قد أدوا دوراً فعالاً في انقلاب 1908م وأن العقول المحركة لانقلاب الاتحاد والترقي عام 1908م كانت يهود الدونمة، وأن ذلك الانقلاب كله مؤامرة يهودية ماسونية[2].

وقفة تاريخية لا تنساها ذاكرة التاريخ لصانع التاريخ:

بناء على موقف السلطان عبد الحميد الثاني الرافض لكل الوساطات الأوربية لاقناعه بالموافقة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد قرر الزعيم الصهيوني (ثيودور هرتزل) في عام 1896م السفر إلى استانبول لمقابلة السلطان، وعرض المساعدات المالية اليهودية، فكان رد السلطان كما دونه (هرتزل) نفسه في مذكراته هو: (لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي، بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الامبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا... لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها، ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن نقسم إلا جثتنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان)[3]، كما عرض هرتزل مرة، إقراض الدولة بمبلغ عشرين مليون جنيه استرليني على أن تستوفي من رسم الضرائب على المهاجرين اليهود. فلم يتزحزح موقف السلطان قيد أنملة وأصر على الرفض، وأصدر عام 1898م، قوانين جديدة منع بمقتضاها اليهود الأجانب من دخول القدس.

وفي 13 أيار عام 1901م قصد هرتزل استانبول للمرة الثالثة بعد زيارته

---

(1) حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909م، ص294.

(2) أرنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة 1908م، ص243.

(3) حسان حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1908-1909م الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1982م، ص10.

الأولى والثانية في الأعوام (1896م و 1898م) ساعياً وراء تحقيق هدفه الرامي إلى استحصال موافقة السلطان على مطاليبه فجاء الرد النهائي القاطع من السلطان عبر خطابه التاريخي الموجه إلى هرتزل، حيث يقول:

(انصحوا هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، فإني لا أستطيع، أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين.. فهي ليست ملك يميني.. بل ملك الأمة الإسلامية.. لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض، ورواها بدمه.. فليحتفظ اليهود بملايينهم.. وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن)[1].

تؤكد هذه المواقف من السلطان منتهى التحدي وذروة التصدي لأعتى قوة وأشرس هجمة، وتدل على عمق الشعور بمسؤوليته تجاه شعبه برفضه التفريط بشبر واحد من الوطن مقابل مغريات الدنيا، حتى ولو كان قتله وعزله ثمناً، ولم يكن ليفضل أحدهما على الآخر، فدفع الثمن وأبى الخضوع، ولم يتنازل عن الأخلاق والشهامة ولم يفعل ما فعله الآخرون من بعده من الحكام وولاة أمور المسلمين.

سويعات قبيل ساعة الصفر:

لم تلبث سلانيك، مركز الاتحاد والترقي، أن أرسلت برقيات إلى قصر (يلدز) متهمة السلطان بتدبير حادثة 31 مارت حيث حدث في استانبول اضطراب قتل فيه بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقي، نتيجة تدبير أوربي مع رجال الاتحاد والترقي، لاتخاذها ذريعة لعزل السلطان، بحجة أنه أثار هذا التمرد لكي يقضي على المشروطية وعلى جمعية الاتحاد والترقي، والسلطان من هذه التهم بريء براءة الذئب من دم يوسف.

تحركت على أثره قوات من سلانيك مكونة من جنسيات مختلفة، بينها البلغاريون والألبانيون ويهود سلانيك، وتوجهت صوب استانبول للقضاء على التمرد والاضطرابات، وأحاطت هذه القوات بالقصر السلطاني، وما أن سمع السلطان بهذا الخبر حتى أوفد رئيس كتابه ليخبر قوة حماية السلطان ما يلي: (ممنوع على الجنود منعاً باتاً إطلاق أية طلقة).. فإن أرادوا إطلاق النار، فليطلقوها أولاً علي، فاستسلم عرين الأسد، وانتهى كل شيء وبهذا تم عزل خليفة المسلمين عبد الحميد الثاني،

---

(1) حسان حلاق: دور اليهود في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ص14.

وجرد من كل سلطاته الدينية والمدنية، وطويت صفحات الخلافة الإسلامية ووضعت في متحف التاريخ، وغربت مع غروب السلطان شمس الخلافة.

فتوى عزل السلطان عبد الحميد الثاني:

مرة أخرى يكشر الأفعى اليهودي عن أسنانه ويبث سمومه وذلك في حادثة عزل السلطان، عندما مارس اليهود عن طريق عملائهم الاتحاديين الضغط على مفتي الإسلام (محمد ضياء الدين أفندي) بإصدار فتوى العزل، ففي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر نيسان عام 1909م، اجتمع 240 عضواً من مجلس الأعيان في جلسة مشتركة، وقرروا بالاتفاق خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وكتب مسودة الفتوى الشيخ النائب (حمدي أفندي المالي) لكن أمين الفتوى (نوري أفندي) الذي دعي للاجتماع، رفض هذه المسودة، وهدد بالاستقالة من منصبه، إن لم يجر تعديل عليها، وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب، فعدل القسم الأخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه.

نص الفتوى الموقع من شيخ الإسلام، ووافق عليها مجلس المبعوثان بالإجماع:

(إذا أقام أحد المسلمين (زيد) فجعل ديدنه طي وإخراج المسائل الشرعية المهمة من كتب الشرع، ومنع هذه الكتب وأحرقها، وبذر أموال بيت المال بالإسراف، والصرف على خلاف الشرع، وقتل وسجن ونفي الرعية بدون سبب شرعي، وجعلهم هدفاً للظلم، ولم يف بوعده ويمينه في الرجوع إلى الطريق السوي، بل جنث فيه وأصر على إحداث فتنة كبيرة، أضرت بأحوال وشؤون المسلمين، وجعلهم يتقاتلون فيما بينهم، فإذا بدأ بعض أهل النفوذ بالحيلولة دون ظلمه، وبدأت العرائض ترد من كثير من البلدان الإسلامية، بأنهم يعدون ذلك الشخص متنازلاً عن عرش السلطنة، وإذا تبين أن بقاءه في مكانه ضار، وأن عزله مفيد، فهل يجب على رجال الدولة وساستها أحد السبيلين حسب منفعة المملكة، إما دعوته للتنازل عن السلطنة أو عزله مباشرة؟

الجواب: يجب[1].

التوقيع

شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي

---

[1] مصطفى طوران: أسرار الانقلاب العثماني، ترجمة خواجه، دار السلام للنشر، ط1، 1977م، ص89. هذا ومما تجدر الإشارة إليه، وجود اختلاف في صياغة العبارات في نص الفتوى بين مصادر وأخرى.

إبلاغ قرار العزل للسلطان عبد الحميد الثاني:

في يوم الثلاثاء المصادف لليوم السادس من ربيع الآخر لسنة 1327هـ الموافق لليوم السابع من نيسان عام 1909م حضر الوفد المكلف بإبلاغ قرار عزل السلطان إلى قصر (يلدز) ظهراً، وكان يتألف من (الفريق عارف حكمت باشا) عضو مجلس الأعيان وياور السلطان سابقاً و(آرام أفندي) وهو أرمني وكان عضواً في مجلس المبعوثان و(اللواء أسعد باشا) نائب في مجلس المبعوثان و(عمانوئيل قره صوه) يهودي من سلانيك، أسباني الأصل، نائب عن (سلانيك) ومن زعماء الجمعية الماسونية في سلانيك والمحفل الماسوني الإيطالي.

دخل الوفد على السلطان وهو واقف وقد بادره (أسعد باشا) قائلاً: لقد أتينا من قبل مجلس المبعوثان... وهناك فتوى شرعية شريفة... إن الأمة قد عزلتك، ولكن حياتك في أمان، فاعترض السلطان على كلمة (عزل) وفضل كلمة (الحل) ثم تلا قوله تعالى: (ذلك تقدير العزيز العليم). ثم التفت إلى الوفد مشيراً إلى (قرةصوه) ألم تجدوا شخصاً آخر غير هذا اليهودي، لكي تبلغوا خليفة المسلمين قرار الحل؟ ثم بدأ يدافع عن نفسه من أحداث 31 مارت. وطلب السماح له وأفراد عائلته في قصر (جراغان) في استانبول، ولكن رفض الطلب ثم نفي إلى (سلانيك)[1].

النتائج المترتبة على عزل السلطان عبد الحميد الثاني:

بعد أن تم تنفيذ المؤامرة الدولية بعزل السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909م، نصب الاتحاديون ولي عهده (رشاد أفندي) باسم السلطان (محمد الخامس) محله، وتولى الحكم في البلاد اسمياً وأصبح أداة طيعة منفذة لتحقيق مرسوم سياسة الاتحاديين، وكان من المصطفين الأخيار عندهم لما كان يتصف من ضعف الإدراك وذبذبة الشخصية.

لقد وقعت في عهده أحداث مؤلمة، منها قيام اليمن بالثورة سنة 1911م وعلى أثره أرسلت الدولة جيشاً إلى (صنعاء) ونتجت الحملة عن قتل الكثيرين، ثم أبرمت اتفاقية الصلح بين الطرفين، أسفرت عن فقدان الدولة هناك السيطرة على

---

[1] شادية عثمان أوغلو: ذكريات بنت السلطان عبد الحميد الثاني، ص34. و محمد علي أورخان: السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عهده، ص331، 334.

الأوضاع بصورة عامة، وظهرت فتن كثيرة في بلاد الألبان ووقعت حرب طرابلس بين الدولة العثمانية والإيطالية، وأعلنت دول البلقان (بلغاريا والصرب، والجبل الأسود واليونان) الحرب على الدولة العثمانية فغلبتها، وفقد الدولة ممتلكاتها في قارة أوربا سوى (أدرنة) وما إليها من ضواحي استانبول[1].

ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى أراد الاتحاديون الانضمام إلى تحالف محور (ألمانيا والنمسا والمجر) ضد (بريطانيا وروسيا وفرنسا) وغيرها من الدول.

وفي سنة 1916 أعلن الشريف (حسين بن علي) أمير مكة استقلاله بملك الحجاز، وثار العرب على الترك في مكة، وأبادوا الحامية.

وفي سنة 1918م وقبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى توفي السلطان (محمد الخامس 1909-1918م) وأحل الاتحاديون محله (وحيد الدين 1918-1922م) الذي استخدم سلاح الدين ضد (مصطفى كمال) وأنصاره، فاستصدر من شيخ الإسلام (دوري أفندي عبد الله) فتوى تتهم (مصطفى كمال) بالكفر وتوجب محاربته، وهنا رد عليه (مصطفى كمال) وطلب من مفتي (أنقرة) إصدار فتوى مضادة، اعتبر فيها فتوى شيخ الإسلام باطلة، لأنها صدرت في ظلال الاحتلال الأجنبي[2].

ولما صدر الأمر بالهجوم العام لضرب الجيش التركي الألماني، فاوض البريطانيون الأمير (فيصل) أن يجهز حملة عسكرية تسير من ابي الأسل إلى جسر شهاب في (حوران) لقطع خط الرجعة على الجيوش التركية، وذلك بعد أن تقدم الانجليز إلى فلسطين واحتلوا أكثر مدنها، ثم قطع الجيش العربي الخط الحديدي من شمال (درعا، بمعاونة الطائرات البريطانية، ثم احتلت جيوش الحلفاء وبمساعدة العرب بقية بلاد الشام، كما وقع العراق تحت الاحتلال أيضاً، وأخيراً احتل الحلفاء الدولة العثمانية وأصبحت عاصمتها في قبضة الأعداء، وحينئذ أجبر السلطان لتعيين وزراء ترضيهم فما كان من السلطان إلا التلبية.

عزل السلطان عبد الحميد الثاني وإلغاء الخلافة الإسلامية:

يعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني بمثابة الغاء الخلافة الإسلامية

---

(1) عمر رضا كحالة: العالم الإسلامي، ج2، الشركة المتحدة للتوزيع، ط3، 1404هـ-1984م، ص242.

(2) مصطفى الزين: أتاتورك وخلفاؤه، بيروت، 1982م، ص276.

اعتبارياً ومعنوياً وواقعياً وفق كل المقاييس السياسية والوطنية والنتائج التي انتهت إليها أوضاع الدولة العثمانية، حيث فقدت معالم سيادتها الدستورية المبنية على الفقه الإسلامي واستبدلت بأنظمة علمانية مستوردة من الغرب، مؤلفة من أفكار مسيحية ويهودية، صاغتها الصهيونية العالمية، وصقلتها الماسونية ذات الأيديولوجية الإلحادية، وفرضت على الشعب المسلم الذي كانت بلاده مركز الخلافة الإسلامية.

ومن نتائج العزل السلطاني أيضاً تمزيق أوصال الدولة إرباً إرباً واستحواذ اليهودية من خلال أفكارها على مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية، وتصريف شؤون البلاد من خلال عملائها المنصوبين على دست الحكم وقيادته، وتفرقت الأمة شيعاً وأحزاباً وأقواماً. وساعد عزل السلطان على إتاحة الفرصة للنفوذ اليهودي للتغلغل في الحكم الجديد في تركيا وتسخيره لرفع القيود التي كانت تعرقل الاستيطان اليهودي في فلسطين، بل وانتعشت آمال الصهيونية لإقامة مملكة إسرائيل، وكما نرى فقد أثبتت الأحداث صدق ذلك، ومن سيئات عهد الاتحاديين لجوئهم إلى استبداد مطلق وحكم دكتاتوري في رقاب الشعب، وتفردهم بحكم البلاد، وسعيهم الحثيث لتتريك العناصر الأخرى أو إبادتها[1].

لقد نفذ (مصطفى كمال) كل ما طلب منه الانكليز، فقد تخلى عن الموصل، والجزر اليونانية وسكت عن المطالبة بالتعويضات منها كما تنازل عن مصر والقبرص وجعل استانبول تحت الإشراف الدولي، ثم ألغى القرار بهذا الشأن بتنازلات أكبر[2].

قيام الجمهورية التركية وموت الخلافة المريضة:

أعلن في 29 تشرين الأول عام 1923م عن قيام الجمهورية التركية، وانتخب (مصطفى كمال) أول رئيس للجمهورية، وكلف (عصمت إينونو) برئاسة الوزارة، ثم قررت الحكومة خلع السلطان (محمد وحيد الدين 1918-1922م) وأعلن عن فصل الدين وتجريد الخلافة من سلطانها الزمني[3].

---

(1) حسان حلاق: دور اليهود في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ص82، 84، 100.

(2) ضابط تركي سابق: الرجل الصنم، ص490.

(3) طارق البشري: الملك والخلافة الإسلامية، مجلة الكاتب، العدد 142، السنة الثالثة عشر، يناير، 1973م، ص45.

فالخلافة لم تعد لها سوى صلاحيات دينية لا سياسية، واستهدف (مصطفى كمال) من هذا الإجراء إسكات معارضة الفئات الدينية للتغييرات السياسية، وخاصة أن الخلافة كانت تشكل الصلة بالماضي وبالإسلام وكذلك تجريد السلطان عبد المجيد (1922-1924م) آخر سلاطين العثمانيين من كل سلطة حقيقية، فلم يعد له دخل بقضايا البلاد السياسية والإدارية، ويبدو أن مهام السلطان قد اقتصرت على بعض الأمور الشكلية، كإقامة حفل الاستقبال الأسبوعي، وأحف السلطان بمظاهر الاحترام دون أن تكون له مكانة واضحة في شؤون العالم الإسلامي وفي شؤون بلاده[1].

لقد رضي (مصطفى كمال) في أول الأمر بالتفريق بين السلطتين الدينية والسياسية التي كان ينعم بها الخليفة ، فنزع عنه السلطة السياسية وأبقاه خليفة[2]، وبعد توقيع معاهدة لوزان 1923م وإعلان الجمهورية والتأكد من دعم الجيش له في إجراءاته، أصبح في الإمكان اتخاذ الخطوة الأخرى المتمثلة بإلغاء الخلافة، لذلك أعلن المجلس الوطني الكبير في 3 آذار عام 1924م إلغاء الخلافة بموجب القوانين (429، 430، 431)[3].

لقد كان العلمانية واحدة من الأركان الرئيسية التي استند إليها نظام الدولة في تركيا[4]، كما جاء في دستور عام 1937م إن تركيا أصبحت (جمهورية، ملية، شعبية، دولية، علمانية، انقلابية)[5].

الآثار المدمرة المترتبة على عزل السلطان عبد الحميد الثاني وإلغاء الخلافة:

أقدم مصطفى كمال وحكومته على سن قوانين واتخاذ إجراءات عملية عقب عزل السلطان عبد الحميد الثاني وإلغاء الخلافة، من شأنها قطع كل صلة

---

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص312.

(2) عمر أبو النصر: مجلة عشرون سنة بعد الحرب 1918-1938م، العدد (3)، دمشق، 1939م، ص29.

(3) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، بيروت، 1968م، ص688.

(4) للتفاصيل ينظر إلى: محمد عزة دروزة: تركيا الحديثة، بيروت، 1946م.

(5) لمزيد التفاصيل ينظر إلى إبراهيم خليل أحمد وخليل علي مراد: إيران وتركيا، دراسة في التاريخ الحديث المعاصر، الموصل، 1992م، ص245.

بالإسلام، وطي صفحات القرآن وإعلان حرب على الله ورسوله أمام الأنام واستبدال الإسلام بنظام الشيطان، ورفع راية الكفر وخفض راية الإيمان، والبوح بالإباحية وخنق الأخلاق الفاضلة، واتخذ إجراءات كفيلة لتنفيذ منهاجه الصهيوني الماسوني اليهودي دون خجل أو وجل، ومنها إصدار قانون الإصلاح الديني في سنة 1924م وبموجبه ألغى منصب شيخ الإسلام وجميع الأجهزة المرتبطة به سواء أكانت شرعية أم قضائية[1]، كما ألغيت وزارة الأوقاف ونقل الإشراف على المدارس الدينية إلى إدارة التعليم الرسمي، وفي 8 نيسان عام 1924م تم إقرار قانون تشكيلات المحاكم الذي ألغى المحاكم الشرعية، وأحال قضاتها على التقاعد، باعتبارها تعيق جهود التحديث وتحول دون إقامة نظام قانوني موحد، ثم بدأ (مصطفى كمال) بقمع المظاهر الدينية فقد أصدر ثلاثة قرارات خاصة هي[2]:

1- تحريم جميع الطرق الصوفية.

2- تحريم الزي الديني.

3- الزام موظفي الدولة بلبس القبعة.

وما لبثت هذه القوانين أن تطورت، فحرم على علماء الدين أن يلبسوا زيهم إلا في داخل المسجد، كما فرض ارتداء القبعة على الشعب بأكمله بعد أن كانت مفروضة على الموظفين وحدهم[3].

كما نصت المواد (241، 242، 259) من الدستور على معاقبة المفتين والوعاظ والخطباء والأئمة الذين يحولون دون تطبيق قوانين الدولة، أو يحرضون على عدم إطاعة القوانين[4].

كما قامت الدولة في 6 تشرين الأول 1926م بتبني مجموعة من القوانين الجنائية السويسرية والإيطالية بديلاً لمجموعة القوانين السائدة والمعروفة بـ(مجلة) الأحكام الشرعية.

---

(1) مصطفى الزين: أتاتورك وخلفاءه، ص276.

(2) سليمان البستاني: عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، ص64.

(3) أحمد النعيمي: الوطن العربي الحديث، ص38.

(4) مصطفى الزين: أتاتورك وخلفاؤه، ص280.

وصدر قانون الزواج المدني وحظر تعدد الزوجات، وواصل الكماليون اندفاعهم نحو تغريب المجتمع التركي، فقرروا استخدام الأنظمة للوقت والتقويم والأرقام والعطل، وتمت المصادقة عليها جميعاً في سنة 1926م، ومن ذلك إبطال استعمال التقويم الهجري والاعتماد على التقويم الميلادي[1]، وفي 3 تشرين الثاني 1928م شرع بتنقية اللغة التركية من المفردات العربية والفارسية وتطبيق الأبجدية اللاتينية في الكتابة التركية بدلاً من الحروف العربية التي كانت سائدة في عهد الدولة العثمانية، وترك الأذان الشرعي وتجاوب الأصداء في تركيا بـ(تاكري أولودر) بدلاً من (الله أكبر)، وترجم القرآن الكريم إلى اللغة التركية ونشر مع تفسير تركي له[2].

وخلال السنوات الواقعة بين 1928-1938م اتخذت الحكومة الكمالية خطوات جديدة في مجال صبغ الدولة بالصبغة العلمانية.

ومن ذلك تشريعها مجموعة من القوانين التي وضعت المرأة التركية على قدم المساواة مع الرجل، وفي سنة 1931-1932م ذهبت الحكومة إلى أبعد من ذلك فحددت عدد المساجد وكذلك خفض عدد الواعظين إلى ثلاثمائة واعظ، وأوصدت الحكومة أبواب جامعين من أشهر جوامع استانبول في وجه المصلين، ليحول أولهما (أيا صوفيا) إلى متحف، وثانيهما (جامع الفاتح) إلى مستودع.

وفي حزيران عام 1935م جرى تبديل يوم العطلة الأسبوعية من الجمعة إلى يوم الأحد.

لقد رحبت المحافل الماسونية بالتوجهات العلمانية في تركيا وعدت ذلك انتصاراً لها، خاصة بعد أن اعتمد حزب الشعب العلمانية في منهجه، وانتصرت الماسونية العالمية في تحقيق أهدافها في مجال قطع صلة تركيا بماضيها وبمحيطها الإسلامي.

وفي الختام نقول للسلطان عبد الحميد الثاني الذي كانت روحه الطاهرة ترفرف علي أثناء كتابة هذه الأطروحة التي هي وثيقة تشهد له بالصلاح والتقوى، عليك السلام يوم ولدت ويوم حكمت فعدلت، ويوم عروج روحك الطاهرة إلى بارئها تشكو الظالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص315.

(2) سليمان البستاني: عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية، ص69.

موقف علماء كوردستان من خلع السلطان عبد الحميد الثاني في سنة 1909م

يتضح لمتتبع هذا البحث من خلال قراءته الأولى لمواد وفقرات الفصل الثالث منه، أننا قد أوردنا مواقف نخبة من علماء كوردستان من ذوي الصلاح والتقوى والعلم، من قضاة ومفتين ومدرسين ومؤلفين من المعاصرين للسلطان والآتين بعده، والذين سجلوا بأنفسهم مواقفهم من خلال شهاداتهم بحق السلطان وثنائهم عليه ورضاهم عنه في سياسته الداخلية والخارجية، وعبروا عن مواقفهم تلك من خلال المنابر والمنائر، والقلم والتأليف، وذهب بعضهم إلى الاعتقاد بان السلطان كان ولياً من أولياء الله تعالى واعتبره الآخرون بأنه أمير المؤمنين بحق وصدق، وهذه إفادة وشهادة أغلبية علماء كوردستان، ويمكن للقارئ الكريم استطلاع ما دونته من مواقف لهم بهذا الصدد ليطلع على عبارات الثناء وديباجات التبجيل التي أذاعها العلماء في حق السلطان عبد الحميد الثاني.

وبناء على ما تقدم فإننا نستطيع أن نتوصل إلى نتيجة منطقية لتبيان مواقف علماء كوردستان من خلع السلطان عبد الحميد الثاني وهي اعتبار جميع أولئك العلماء الكورد الذين تحدثنا عن مواقفهم المتضامنة والمؤيدة للسلطان عبد الحميد الثاني، بأنهم أنفسهم يعدون من الناكرين لخلع السلطان عبد الحميد، ومن المنتقمين على المدبرين للمؤامرة، وإن لسان حالهم ومقالهم يعتبر الخلع لاغياً وغير شرعي لعدم وجود مسوغ لخلعه، كما أن الفتوى بالخلع صدرت تحت حكم الإكراه من لدن الاتحاديين، فعليه اعتبر علماء الكورد بأن الخلع كان باطلاً وغير مستند إلى نص من الكتاب أو السنة أو مستنبطاً من أحد المذاهب الفقهية الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من استنتاج لمواقف علماء كوردستان من رفض واستنكار لخلع السلطان عبد الحميد الثاني فإننا نعضد هذه المواقف بتوثيقها بمواقف أخرى لبعض العلماء الكورد المعاصرين الذين يصفون الخلع باللاشرعي، وبالاحتراب مع الإسلام ونسوق تلك المواقف مدللة بشهاداتهم المكتوبة جواباً على الاستفتاء الذي وجهته إلى بعض العلماء الكورد للاطلاع على رأيهم وكانت صيغة الاستفتاء على الشكل الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ (....................) المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بحكم كونكم من علماء الدين الإسلامي، وعلى اعتبار ضرورة معرفة العالم المسلم الأمور المتعلقة بالخلافة لأنها مسألة فقهية وانطلاقاً من قراءتكم التاريخ الإسلامي في مراحله المتعاقبة والتعرف على سيرة حياة الخلفاء وملوك المسلمين لأنهم أولياء أمور الأمة.

عليه أفتونا ببيان موقفكم من خلع السلطان عبد الحميد الثاني الذي حكم من عام 1876-1909م، والذي يعد عزله بداية نهاية وحدة العالم الإسلامي، معتمداً على الحجة الشرعية في حالة السلب والإيجاب.

وفقكم الله

هذا وقد استجاب عدد من العلماء وأفادوني بمواقفهم، وندون تلك بشيء من التصرف.

1- الملا قادر أحمد أمين الورتي (مولود عام 1940م)

يرى هذا العالم: إن المستعمرين وأعداء الحق والدين والشعوب كان يشفي غليل صدورهم خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909م وهذا صنيع أعداء الإسلام، يجاهدون بالسيف والنار وبالكيد والدهاء والأفكار لإفساد العقائد والأخلاق، وبالطعن في جميع مقومات هذه الأمة، وتقطيع جميع الروابط التي تربط بها شعوبها ليسهل جعلها لقمة للطامعين وفريسة لوحوش المستعمرين، وكل هذا لم يكن ليحصل إلا بخلع السلطان عبد الحميد[(1)].

2- الملا عبد اللطيف باموكي (مولود في عام 1939م)

يعبر هذا العالم عن موقفه من خلع السلطان قائلاً: إن خلع السلطان عبد الحميد كان ثلمة في جسم الإسلام كبداية لتمزيق الوطن الإسلامي، وحرق الشجرة

[(1)] إفادة الملا قادر، إمام وخطيب جامع الشهيد، أربيل وعضو المكتب التنفيذي لاتحاد علماء الدين الإسلامي في كوردستان، وعضو المجلس العلمي في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومدرس في معهد الأئمة والخطباء بأربيل، ومسؤول الفتيا العليا في كوردستان، أربيل في 2001/11/10م، أذن لي بالنشر.

التي تستظل بها الشعوب الإسلامية ومنها الشعب الكوردي الذي ذاق الأمرين من الاضطهاد لأن القهر والتفرقة العنصرية زادت بعد انهيار الخلافة الإسلامية بخلع السلطان عشرات المرات واضطهدت الشعوب في ظل دولة الاتحاديين التي أصبحت خاضعة للاستعمار وبائعة للوطن الإسلامي للصهيونية، وبخلع السلطان تفرقت الأمم الإسلامية أيدي سبأ ولم يبق مكان يسمى بدار الإسلام.

لقد كان خلع السلطان خطأ فادحاً، أحدث جرحاً عميقاً في جسم الأمة الإسلامية، ومؤامرة دولية على الإسلام والمسلمين[1].

3- الملا عثمان حسن (مولود 1934م)

يصف هذا العالم خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909م بأنه كان ظلماً وقبيحة، وزيغاً عن الحق، لما كان يتمتع به هذا الخليفة من التدين والعدالة ولمواقفه الجريئة ضد الباطل ولعدم رضوخه للضغوط اليهودية ببيع أراضي فلسطين إلى ألد أعداء الإسلام، فحقاً كان السلطان مضحياً بالنفس والنفيس من أجل المبادئ الإسلامية[2].

4- الملا باشا رمضان عبد الله (من مواليد عام 1939م)

يرى هذا العالم بأن خلع السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1909م ظلم صارخ وبعيد كل البعد عن الحق، ومسألة مخالفة للشريعة لأن ما تم لم يكن بموافقة جمهور أهل الحل والعقد من وجهاء المسلمين، وترتب على خلعه أن دب الفساد في نظام الدولة التركية، وصار إبعاده عن مركز الخلافة مقدمة لفصل الدين عن الدولة وآل الأمر إلى تمزيق أوصال الأمة وتوزيع الإرث على أعداء الدين[3].

5- الملا أحمد الشرنخي (من مواليد 1930م)

يذكر هذا العالم الأسباب التي أدت إلى خلع السلطان عبد الحميد الثاني، بإسهاب ويتطرق إلى أبرزها، وهي أنه مؤامرة يهودية ماسونية ظالمة ضد الإسلام

---

[1] إفادة الملا عبد اللطيف: عالم مجاز، مشرف اختصاصي للمدارس الإسلامية وعضو المجلس العلمي في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أربيل، 6/11/2001. أذن لي بالنشر.

[2] هذا ما أفادني به العالم الملا عثمان حسن، إمام ومدرس ومسؤول اتحاد علماء الدين فرع أربيل، في 8/11/2001م، وأذن لي بالنشر.

[3] إفادة الملا باشا رمضان إمام وخطيب جامع عبد الرحمن بن عوف في أربيل في 8/11/2001، وأذن لي بالنشر.

والسلطة العثمانية الموصوفة بالخلافة الإسلامية والناطقة باسم المسلمين، وذلك لعدم استجابة السلطان لبيع القدس وفلسطين إلى اليهود، كما أقر بذلك السلطان نفسه في رسالته التي بعث بها إلى الشيخ محمود أبي الشامات في دمشق، وأوضح فيها أن خلعه عن العرش كان بسبب عدم قبوله الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين[1].

6- الملا حسين يونس خالد المارونسي (مواليد 1933م)

يدلي هذا العالم بدلوه في هذا الباب ويقول: (والذي يبدو لي وأنا كخادم للفقهاء أن خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم جاء ظلماً وعدواناً لا على شخصيته فحسب، بل كان تدبيراً ومؤامرة على الشريعة الإسلامية بالدرجة الأولى، فإن السلطان كان شخصاً ضد الكفر والإلحاد، وضد الدستور العدائي المقدم له للموافقة، وإذا تأملنا في الأسباب التالية لخلعه يتأكد لنا بأنه ما كان يستحق العزل أبداً، بل كان على حق بموجب الشريعة الإسلامية:

1- إنه رفض العمل بالدستور المقدم له ولم يوافق على إحلاله محل الشريعة الإسلامية كما يريدون ذلك.

2- إنه رفض رفضاً قاطعاً تسليم أرض فلسطين لليهود الخونة للإسلام منذ فجره ورفض الرشوة التي قدمت له من قبل المحافل الماسونية وهي مائة وخمسون مليوناً من الليرات الذهبية، باسم البيع، وقال قولته المشهورة....

3- إن الوفد الذي أرسل لمقابلته وخلعه رسمياً والذي حصل على فتوى شيخ الإسلام بإكراه من جمال باشا الخائن لخلع السلطان كان مؤلفاً من يهودي ونصراني وبعض آخر من العثمانيين الخونة، وهذا دليل على عدم شرعية ما أقدموا عليه.

هذا ما أرى وما بعد الحق إلا الضلال، اللهم فاشهد والله من وراء القصد[2].

---

[1] هذه شهادة الملا أحمد الشرنخي إمام وخطيب الجامع الكبير في زاخو ومدير المعهد الديني للأئمة والخطباء فيها، زاخو 2001/11/1، وأذن لي بالنشر.

[2] هذا ما أفاد به العالم الديني الملا حسين يونس، حاصل على الإجازة العلمية، وبكالوريوس في العلوم الإسلامية، إمام ومدرس وخطيب في دهوك، ومدير المعهد الإسلامي سابقاً، ومحاضر في مادة الفقه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة دهوك، في 2001/11/20م، وأذن لي بالنشر.

7- الملا عز الدين حسن جميل الأتروشي (مواليد 1959م)

يفيد هذا العالم قائلاً: إن أمر خلع السلطان عبد الحميد الثاني في سنة 1909م واضح، وهو تنفيذ مؤامرة صهيونية أوربية من أجل القضاء على رمز التجمع الإسلامي الذي كان يمثله السلطان، وذلك لأن اليهود لما رأوا صلابة موقف السلطان في عدم التنازل بشبر واحد من أرض المسلمين في فلسطين لهؤلاء اليهود، قاموا بتدبير المكيدة للتخلص منه، والقضاء على الخلافة الإسلامية التي كانت تعني القضاء على السلطان الذي التفت حوله الشعوب الإسلامية، عليه يعد خلع السلطان أمراً مخالفاً للشرع الشريف ومتناقضاً مع العرف العام، لأنه قد تم بضغط الاتحاديين على شيخ الإسلام بإصدار قرار العزل هذا والله ولي التوفيق[1].

8- الملا عبد الحميد عبد الخالق البيزلي (مولود في سنة 1949م)

يقول هذا العالم الجليل: (إن مسألة خلع السلطان عبد الحميد الثاني أوضح من البدر ليلة الرابع عشر والشمس في وسط السماء ووضح النهار لمن له اهتمام بالإسلام والمسلمين، وهي أنها كانت مؤامرة على الخلافة الإسلامية وهي نفسها مؤامرة على الإسلام والمسلمين، لتمزيق جسم الخلافة الإسلامية، وتفتيت أمرهم المجمع عليه، لأنه لا يجوز عزل السلطان إلا أن يرى منه كفرٌ بواح كما ورد في الحديث الشريف، بل من أراد تفريق جمع المسلمين يضرب بالسيف كائناً من كان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يتجرأ على تكفير السلطان عبد الحميد الثاني؟ وهو الذي لم يتنازل عن جزء بسيط من أرض فلسطين لليهود لقاء مبلغ مغر، يدفع إليه مع حاجته الملحة وديونه الكثيرة، علماً بأن القائمين على عملية الخلع هم من ألد أعداء الإسلام والله أعلم.

لذا فلا نرى أية شرعية دينية في خلعه، بل كان جريمة لا تغتفر لمن وراء ذلك

---

[1] أفادني بهذا الرأي الملا عز الدين الحاصل على شهادة دكتوراه فلسفة في الدراسات الإسلامية من جامعة بغداد، ومعاون كلية الشريعة سابقاً ورئيس قسم الشريعة حالياً، وله مؤلفات منها: الإمام القشيري ومنهجه في تفسير لطائف الإشارات، ومنهج إسماعيل حقي البرسوي في تفسيره (روح البيان)، والعلاج النفسي في القرآن الكريم، ومناهج المفسرين الكورد في كوردستان، دهوك في 2001/11/20، وأذن لي بالنشر.

ومن قام به وحتى من رضي بذلك... والله أعلم[1].

9- الملا محمد شكري الزاويتي (مواليد 1948م)

يعبر هذا العالم عن رأيه في الموضوع وكالآتي:

لم يكن خلع السلطان عبد الحميد الثاني في سنة 1909م مستنداً إلى دليل فقهي يوجب خلعه، ولا إلى بند قانوني أو عرفي يستحق بمقتضاه عزله، وإنما كان تنفيذاً لمؤامرة يهودية صهيونية صليبية، دبرتها قوى دولية للقضاء على مشروعية الخلافة الإسلامية التي انضوت تحت ظلالها الشعوب الإسلامية، وبهدف إزاحة السلطان الخليفة المعتدل، والحريص على مصالح الأمة، فلم يكن قد ارتكب جريمة تستوجب العزل، اللهم إلا أنه قد دافع عن مقدسات المسلمين في فلسطين، ولم يبع شبراً من أرض المسلمين، وأبى أن يذل المسلم وتنتهك كرامته وتهان مقدساته، فلما أدرك اليهود ان هدفهم في الوصول إلى فلسطين أمر مستحيل ما دام عبد الحميد هو الخليفة وهو السلطان، عقدوا العزم لتوجيه الضربة القاصمة إلى ظهر الخلافة، وذلك بقيام القوى المعادية ومن خلال عملائهم في الدوائر المرتبطة بهم في استانبول وخارجها، بالضغط على المرجعية الدينية هناك لإصدار فتوى الخلع، فانفرط عقد الوحدة الإسلامية وبدأت تأذن شمس الخلافة بالأفول وفتحت أبواب الشرق الإسلامي على مصراعيه أمام الأوربيين فزرعوا الفساد ونشروا الانحرافات السلوكية والعقدية، وهيمنوا على المقدرات والخيرات، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[2].

هذا وقد أصدر جماعة من المتخصصين في الفقه الإسلامي في جامعة صلاح الدين بياناً أوضحوا فيه موقفهم من خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1906م

---

[1] إفادة الملا عبد الحميد عبد الخالق البيزلي رئيس الفتوى في اتحاد علماء الدين الإسلامي في محافظة دهوك، وحاصل على شهادة الماجستير في المخطوطات، إمام وخطيب الجامع الكبير بدهوك، ومدرس مساعد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة دهوك، 2001/11/2 مع الإذن بالنشر.

[2] إفادة الملا محمد شكري الزاويتي، حاصل على دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، رئيس شعبة الدراسات العليا في كلية الشريعة، جامعة دهوك، وله مؤلفات منها: تفسير الضحاك، جمع ودراسة، تفسير الحافظ الهكاري، بحوث في وسائل الإقناع في القرآن الكريم، أسباب سعة الرزق، دهوك في 2001/11/19م، وأذن لي بالنشر.

(بعد التتبع والتقصي في كيفية عزل السلطان وظروفه وما أدى إليه هذا العزل، تبين أن خلع السلطان كان بتأثير من اليهودية العالمية من خلال حلقاتهم السرية المنتشرة في العالم الإسلامي، وكان الهدف من عزله تمهيد الطريق وتلطيف الأجواء المناسبة للاستحواذ على فلسطين لإنشاء كيان قومي فيها، ولما كان موقف السلطان من ذلك كان التصدي والرفض المطلق، فقد لجأت قوى البغي إلى استعمال الوسائل المغرية لإقناع السلطان بقبوله ما يريدون، ولما لم تزحزح كل تلك المؤامرات إيمان السلطان قيد أنملة بمسؤوليته أمام الله وأمام الأمة والتاريخ عن كل خيانة أو تقاعس بحق الأمة وممتلكاتها فقد نفذت تلك القوى مخطط الخلع.

إن هذا الموقف الشجاع من السلطان يجعل من العالم المنصف الذي لا يخاف في الله لومة لائم أن يقول بكل صراحة: إن خلع السلطان كان ظلماً وعدواناً على العالم الإسلامي، وإن تصرف (جون ترك) كان تصرفاً باطلاً يتنافى مع أحكام الشرع الإسلامي والقوانين المدنية وحقوق الإنسان والأمم والشعوب، فطوبى للسلطان في موقفه الأبي النبيل[1].

---

(1) تتألف هؤلاء المتخصصون من إسماعيل محمد قرني دكتوراه في الشريعة من جامعة بغداد ومدرس في جامعة صلاح الدين قسم الدراسات الإسلامية، وله مؤلفان: الكون في القرآن الكريم، والقضاء والقدر، أما الثاني فهو محمد صابر مصطفى دكتوراه من جامعة صلاح الدين بكوردستان العراق، ورئيس قسم الدراسات فيها، وله مجموعة مؤلفات في العلوم العربية منها ظاهرة الإعراب في الدرس النحوي عند القدامى والمحدثين، أما الثالث فهو كريم نجم خضر دكتوراه في الشريعة من جامعة بغداد، مدرس في جامعة صلاح الدين، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، وله بحوث في مجال العقيدة، أربيل 2001/11/1م، وأذنوا لي بالنشر.

خاتمة واستنتاجات

1- إن كوردستان حقيقة واقعة وماثلة للعيان وموجودة تحت الشمس وهي بقعة جغرافية مترامية الأطراف وتشغل مساحات شاسعة مقسمة بين عدة دول، وتمتاز بموقعها الجغرافي الاستراتيجي وتتوفر في طبقات أرضها المعادن والنفط وكنوز أخرى من المواد النافعة التي تصلح للاستعمال في توفير الطاقة وتساعد على الازدهار الاقتصادي، وتكثر فيها المياه الجوفية وتجري على سطحها عشرات الأنهار التي تفيد الإنسان والحيوان وتساعد على الإنبات وتسقى بها الأشجار المثمرة والزروع على اختلاف أنواعها، وهي ملتقى الطرق التجارية للدول التي تضمها في الشرق الأوسط ومطمع الدول الغربية منها والبعيدة ومحط أنظار الدول الأوربية الشرقية منها والغربية، وهي بمواصفاتها المذكورة وجمال طبيعتها الساحرة وجبالها الشامخة واعتدال مناخها ووفرة مراعيها وملائمتها للحياة الطبيعية تعد سويسرا الشرق الأوسط، كما يعبر عن ذلك السواح والرحالة في مذكراتهم ومؤلفاتهم، ولكن أبناء كوردستان لا ينعمون بخيراتها ولا يتمتعون بنعمة الاستقرار فيها، وذلك بسبب تقسيم أرضهم واغتصابها من قبل الآخرين، فأرضهم كالقصعة السمينة، يتهافت عليها من لا يخاف الله ولا يرحم، ويعاملون أهلها معاملة السيد للرقيق.

2- إن الكورد قوم متميز عن غيرهم بهويتهم القومية وثقافتهم المتغايرة واستقلاليتهم في الأصل والمنشأ واللغة والدم، سكنوا في الأرض التي يعيشون عليها منذ عصور موغلة في القدم وقبل الميلاد بآلاف السنين، ويوصفون بالشجاعة والكرم والوفاء والتضحية من أجل القيم النبيلة ولا يقبلون الضيم والمهانة.

3- ومنذ الصرخة الأولى لنداء الإسلام للناس بالدخول إلى عالم النور والهداية، فقد لبى الكورد للدعوة الإسلامية طواعية وتسابقوا للدخول في دين الله أفواجاً وأحبوا الإسلام من الأعماق وتخامرت مبادئه مع دمائهم في العروق، وأخلصوا في نشر مبادئه السامية وكأنهم المعنيون بحمل رسالة هذا الدين الحنيف وتبليغه إلى الناس فجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأرواحهم وبكل عزيز، والتاريخ يشهد لهم بتلك المواقف الرائعة وهم بذلك لا يمنون على أحد ولا يريدون بذلك جزاء ولا شكوراً من أحد سوى ابتغاء مرضاة الله تعالى لأن هذه المبادئ قد تأصلت في قلوبهم وتجذرت أصوله في كياناتهم واعتقدوا جازمين بأنهم بعملهم

هذا إنما يدافعون عن وجودهم الذي ترتكز عقيدتهم فيه، ولا ريب بأنهم ظلموا وكم يتأسف المرء أن يظلمه إخوانه في الدين.

4- كانت للكورد كيانات سياسية وإمارات متعددة منذ فجر التاريخ فانهارت واحدة تلو الأخرى ثم أعادوا الكرة فأنشأوا الحكومات والزعامات فلم يرق ذلك لإخوانهم في الدين والجيرة فأقاموا لهم القيامة وأعلنوا عليهم الحروب والدمار ونقضوا معهم المواثيق ولم يبروا بوعودهم لهم، ودبروا المخططات التي كانت ترمي إلى القضاء على كياناتهم ومسحوا عن ذاكرة القاموس السياسي كل تلك المعالم وشطبوا على هويتهم السياسية التي كانت قائمة وطووا خريطتهم السياسية من أرض الواقع ووضعوها في المتاحف التاريخية روايات تذكرها الكتب والوثائق.

ويعزى المحللون سبب هذا التشرذم والضياع والتفتت إلى عوامل داخلية ضمن البيت الكوردي، من خلالفات كوردية كوردية وخيانات الزعامات وعدم النضج الفكري لدى الكورد، وأما العوامل الخارجية فهي أطماع اعدائهم في السيطرة عليهم والاستحواذ على خيراتهم واتفاقات إقليمية ودولية لإبقاء الكورد على ما هم عليه بناء على المصالح المشتركة لهذه الدول.

هذا وليس للكورد من شفيع لإنقاذهم إلا توحيد الصفوف والنضال على الجبهة السياسية، وتكثيف الجهود لإيصال صوت مظالمهم إلى أصحاب القرار العالمي والمنظمات الدولية المعنية واستعمال أسلوب دبلوماسي مهذب مع دول الجوار التي هي جزء لصنع مثل هذا القرار.

5- استوطن المهاجرون الترك في شبه جزيرة الأناضول وتمكنوا من إنشاء مملكة فيها، تمت وتوسعت بمقياس زمني غير متوقع، وعقد رجالها الأوائل من الأمراء والفرسان الشجعان وفي فترات متباينة العزم والإرادة على السير وفق منهاج السلف الصالح من قادة الأمة الإسلامية في ضخ الدماء إلى نظام الخلافة الإسلامية ضمن حلقاتها السابقة من الخلفاء الراشدين ومروراً بالخلفاء الأمويين واقتداءً بالخلفاء العباسيين وكان معظم أمراء وسلاطين وخلفاء العثمانيين في اغلب أدوارهم أهلاً لقيادة العالم الإسلامي نظراً لتلك الظروف التي عاشوا فيها والأوضاع العالمية السائدة آنذاك والمخاطر التي كانت تحدق بالمسلمين في أوطانهم حيث كانت الدول والقوى المعادية للإسلام تتربص الدوائر وتحيك المؤامرات للانقضاض على العالم الإسلامي واحتواء حضارة المسلمين فلولا أولئك الرجال

القادة وإصرارهم على الدفاع عن العقيدة الإسلامية وحماية دار الإسلام وجهادهم في سبيل الله لاهتز كيان العالم الإسلامي وأصاب جسمه التصدع وتكالبت عليه الأعداء من كل حدب وصوب وأصبح منذئذ في متحف التاريخ.

لقد اقتدى بعض أولئك السلاطين بالخلافة الراشدة في فتح ملف الجهاد الإسلامي لتحرير إخوانهم في الآدمية من العقائد الزائفة والضلالات الرائجة وعبادة المادة، وبمعنى آخر فقد كانت الغاية الأسمى للجوء إلى الجهاد هي إزاحة العوائق التي كان الأوربيون يضعونها في طريق نشر الدعوة الإسلامية والحيلولة دون حرية نشر العقيدة الإسلامية، حيث كان أولئك الصليبيون والمنصرون يعلنون على الملأ معاداتهم للقيم الإسلامية والوقوف ضد مبادئها وقرنوا الأقوال بالأفعال في حروبهم المستمرة على الشرق الإسلامي، وهنا كان من المحتم والواجب الديني على قادة الأمة الإسلامية التصدي بكل حزم لأحقاد أولئك الأشرار والدفاع عن الأرض والاستشهاد في سبيل سلامة العقيدة الإسلامية وحماية الديار، فمن هذا المنطلق رفعوا راية الإسلام وأعلنوا الجهاد، وساروا صوب أوربا ونصبوها في مناطق عديدة من تلك البلاد حتى وصلوا إلى أبواب فيينا، وأعادوا بذلك مجد الإسلام واستعادوا هيبة العالم الإسلامي وأمست الدولة العثمانية قوة عظمى في العالم وأشغلت مساحات واسعة في القارات الثلاث، أفريقيا وآسيا وأوربا وتنعم كثير من شعوبها بالأمن والاستقرار في ظل الامبراطورية التي كانت تستند في منهجيتها إلى الشريعة الإسلامية في تطبيق العدالة والالتزام بقواعد الشرع الشريف التي يقوم بنشرها القضاة والمفتون ويتولون امر المحاكم في المنازعات والقضاء بين الناس، حيث نشرت المحاكم الإسلامية بأمر الدولة في كافة البلاد المفتوحة.

لقد استمر الحكم العثماني أكثر من خمسمائة سنة، وهذه فترة طويلة في عمر الامبراطوريات التي تولت ريادة الشعوب، ولكنها وهنت قواها وأصابتها الشيخوخة وبدأ العد التنازلي في مسيرتها بعد أن غيرت ما بنفسها، ودب الفساد في مفاصلها بابتعادها عن الشريعة رويداً رويداً، وهجرت أسباب النصر وركنت إلى الخمول والكسل، ولم تدرك بأن الله ينصر من ينصر دينه، وأن العدالة أساس الحكم وأن الظلم عواقبها وخيمة، وأن الركون إلى الملذات ينسي الإنسان عظم المهمات والوصول إلى أرقى الدرجات وتغافلوا بان حماية الأرض تعتمد على الحمية والتضحية والمثابرة واستمرار التمسك بأسباب الظفر الذي نالوه وعدم

التهاون في تلك الأسباب، والتقاعس في سبيل إدامة عوامل النجاح.

6- تولى قيادة سفينة الامبراطورية العثمانية سلاطين فكان منهم الصالحون للدين والدنيا، وساسوا الشعوب وفق السياسة الشرعية، فازدهرت البلاد في أيام حكمهم وتنعمت بالتقدم على مختلف الأصعدة ووصفت فترة حكمهم بالرقي والقوة وإعلاء الشأن، وذاع صيتهم في الآفاق واستنجد بحمايتهم الملوك، وتزلفت إليهم أساطين الحكم في البلاد المفتوحة وتوسلوا إليهم بالرعاية وعقد الاتفاقيات والمواثيق معهم. وتلألأ نجمهم في سماء السياسة فكانت لهم الغلبة في ميادين المعركة وكان لهم الرأي الحازم في كثير من القضايا، وأصبحت لهم مكانة مرموقة لم تكن لتحصل لهم هذه العزة والنصر المبين والاحترام في أعين الآخرين والمهابة والجلالة على المستوى العالمي وفي تصور الأعداء إلا لكونهم كانوا بالشريعة متمسكين وللروح الإسلامية حاملين ومن أجل صوت العقيدة مجاهدين، ولتعميم العدالة مطبقين كما برز من بين أولئك السلاطين الطالح الذي استسلم للشهوات وغرق في الملذات وترك أشرف المهمات لقواعد ووصول القيادة ولم يرع الرعية حق الرعاية وأهمل الشؤون الإدارية والاهتمامات العسكرية وأغفل الجوانب الاقتصادية في الوقت الذي كان الأعداء المتربصون بهم يسعون لإصلاح أوضاعهم الداخلية والخارجية ويعدون العدة ويبذلون قصارى الجهد ويخططون للاستحواذ على أسباب الرقي والازدهار ويعملون حثيثاً لتطوير العلوم وابتكار التقنيات وإبداع التكنولوجيا واختراع الأسلحة ويهتمون بالجانب الاقتصادي ويتهيئون للجولات والصولات ويسخرون كل الإمكانيات والطاقات لخدمة المعركة والحسم السياسي والسيطرة على العالم.

7- ومن العيوب التي لا تغتفر للعثمانيين هو الحكم الوراثي المعمول به عند سلاطين آل عثمان وعدم إفساح المجال للرجل الكفوء في المقام المناسب والأخذ بمبدأ المحسوبية والمنسوبية مما جعلت السياسة العامة في الداخل والخارج مضطربة، وهزت أركان الدولة واستغل أعداءها نقطة الضعف واضطراب الأحوال وتسللت إلى مفاصل الدولة أفكار دخيلة فتبوء في المراكز الحساسة في الدولة رجال ألهتهم عن الإصلاح عرض الدنيا وكانت لهم عيون ترنو إلى تحقيق المصالح الشخصية والمنافع الذاتية وجعلوا مصالح الدولة العليا على الهامش وانشغلوا بزينة الحياة الدنيا ونامت أعين الرقابة والرصد وجمدت العقول المفكرة لعمل

التنظيمات والإصلاحات وخارت القوى والإرادة لتحريك الأنشطة والقيام بالفعاليات الضرورية لصيانة الدولة والمحافظة على هيبتها ومصالحها والإخلاص لتربة الوطن والوفاء بما تستحقه الدولة من رعاية واهتمام ودفع عجلتها للتقدم إلى الأمام.

8- لم يأخذ معظم السلاطين بأهم عناصر النجاح في تسيير دفة الحكم الداخلي، وأهملوا مشاركة الشعب في صنع القرارات، وأعرضوا عن مبدأ الشورى الذي أمر به القرآن الكريم والذي به يصلح الراعي والرعية (وأمرهم شورى بينهم) ولم يتذكروا قوله تعالى: (وشاورهم في الأمر) ومما لا ريب فيه أن المشورة مفتاح النجاح في اتخاذ القرارات الصائبة وإصدار الأحكام المبنية على العقل والمنطق، وإن مبدأ الشورى هو قمة ما تنادي به الأنظمة الديمقراطية في العالم لمشاركة الشعب في حكم نفسه بنفسه، ولقد كان القرآن الكريم، دستور المسلمين السباق إلى الدعوة للأخذ بمبدأ الشورى منذ أربعة عشر قرناً ونيف، وسبق دعوات المفكرين الذين أتوا من بعده، والذين نادوا بإيجاد نظام مؤسس على الشورى التي تعني المشورة وإشراك الجميع في حكم البلاد .

لقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً على المشورة (المستشار مؤتمن)، ومما لا يخفى على دارس تاريخ الدولة العثمانية بأن بعضاً من أمرائها كانوا يعتمدون على رأي جاسوس دخيل، تربى في أحضان الأوربيين ومن المعجبين بالحضارة الأوربية، فمثل هؤلاء لا يبتغون للأمة سوى ما فيه النكسة، ولا يوجهون من استشارهم إلا إلى ما فيه اضطراب الأمة وضياع مصالحها وفرارها من جبهة الحياة.

هذا بالإضافة إلى تأثر بعض السلاطين بضجيعة فراشه المسيحية التي أسرت عقله، وأثرت على رأيه، وهي لا تنسى بني دينها ولا تقطع صلة الرحم عن ذويها، حتى قيل: إن الحريم كانت تدير سياسة عقل القصر الملكي في كثير من الأحيان، وهذا مما يؤثر سلباً في سياسة الدولة وتحريفها عن الخط المستقيم، وتجعلها تتحرك وفق الشهوات وبموجب النزعات التي ليست في صالح الأمة وخدمة أهداف الدين، وتقرب الدولة نحو نهايتها المحتومة وانهيارها السريع أكثر مما يتوقع، وهذا ما حصل فعلاً نتيجة هذه الأخطاء المستهجنة من قبل مدبري الأمور في الحكومة العثمانية.

9- إهمال الجانب العلمي في الصناعة والزراعة والتطورات التكنولوجية

وغض الطرف عن أهم جانب من جوانب الاحتفاظ بالمكاسب التي تحققت، وهو عدم مواصلة الاهتمام بالجيش وتدريباته على فنون القتال بموجب السبل المستحدثة في تقوية الجيوش، وجنوح المؤسسة العسكرية نحو مراكز القوى شبه المستقلة بعضها عن البعض وعدم الخضوع لقيادة مركزية في التوجيهات والتأمر بأوامر صادرة عن مصدر القرار في الدولة.

10- إن الفتوحات الإسلامية التي أقدم عليها العثمانيون بدافع الدين والتي اعتبروها استمراراً على المنهجية السابقة أيام الخلافة الإسلامية في أدوارها المتعاقبة، واعتقدوها جهاداً وواجباً دينياً في ذمتهم، قد بعثت في نفوس الأوربيين الهلع وأثارت فيهم النزعة الصليبية وأهاج في تفكيرهم غريزة حب الانتقام من نتائج هزائمهم المنكرة المتلاحقة حينما كانوا يغزون ديار المسلمين ويعتدون على أراضيهم، وحينما أرادوا مسخ الطابع الإسلامي في الشرق بإصرارهم في غزواتهم المكثفة على البلدان الإسلامية فتحولت مدلولات الصراع على الأراضي الإسلامية واستعباد شعوبها إلى صراع حضاري ديني، ابتغت أوربا من ورائها طمس الهوية الإسلامية من الشرق المسلم والعالم الإسلامي، فتآلفت الكنيسة مع الدوائر السياسية الغربية واجمعت أمرهم على إعلان الحرب على العالم الإسلامي المتمثل بالدولة العثمانية على الجبهة الخارجية والداخلية، فكان ما كان كما ذكره التاريخ على صفحات الأيام، فآلت دولة بني عثمان إلى كيان هزيل وإلى مريض مشرف على الهلاك، وسرت الأمور على هذا المنوال وانتهت إلى أسوأ حال.

11- إن الغاية من دراسة التاريخ وقراءة الأحداث هي وضع اليد على مكامن الضعف في أي حدث والاطلاع على ثغرة الفساد والاهتداء إلى أسباب النصر ومعرفة عوامل الدمار المؤدية إلى الضياع، ثم الاعتبار بكل ما جرى والاتقاء من السقوط في مزالق الهلاك، وتجنب ما قد يجر الإنسان نحو المصير الأسود الذي لقيه الآخرون من قبله، ولكن مما يؤسف له أن المسلمين لم يعتبروا من نتائج المؤامرة الغربية على الدولة العثمانية التي تأتت نتيجة تفرقة الكلمة وتشتت الصفوف وخيانات بعض الزعامات والوقوف بجانب العدو المشترك، وضرب قيم الإسلام عرض الحائط والركون إلى الكسل وعدم المبالاة بالمسؤوليات، والانغماس حتى الأذان في مستنقع الحضارة الغربية، واستنساخ عاداتها وتعميمها على المجتمع المسلم، ولم يأخذوا من تلك الحضارة النافع المفيد في مجال العلم والصناعة، بل

انتقوا منها ما يخالف فطرة الشعوب الإسلامية وترويج تقاليدها في انحطاط الأخلاق والعري ونشر الفاحشة والدعارة، لقد نسي ولاة أمور المسلمين أن النصر والفلاح في تكاتف الأمة وتوحيد الكلمة ورص الصفوف، واتباع الكتاب والسنة اللذين كانا سبب عزة الأمة وسؤددها، وأن الهزيمة والضلال والضياع في الاختلاف وترك الجهاد، وأن الله جلت قدرته قد أعز المسلمين في أيامهم الخوالي بالتأسي بالرسول الكريم عليه الصلاة وأزكى التسليم والتمسك بحبل الله المتين، والأخذ بأسباب التفوق والغلبة، والعمل الدؤوب الخالص لوجه الله تعالى.

12- إن الأمة مكلفة شرعاً بتوفير آليات أسباب المنعة والقوة التي تتشعب إلى محاور متعددة، تشمل كل حقل من حقول الحياة المتنوعة، من اقتصاد متين وزراعة وفيرة وتخصص في أنواع المعارف، وتسييس الناس وفق المصلحة العامة، وإعداد جيش ماهر متدرب، وصناعة عسكرية متطورة، ليرهب بهاء أعداء الأمة، فلا يتجاسرون على خرق حدود الدولة الإسلامية ولا يجرؤون على الاعتداء عليها، لأن الأمة الضعيفة غير المسلحة بما يخيف العدو، تكون عرضة لأطماع الطامعين، وتكون لقمة سائغة تبتلعها الوحوش المفترسة، وتكون مسلوبة الإرادة ولا يكون كلامها مسموعاً ولا رأيها مأخوذ به، وتستغلها القوى المعادية، فتفرض عليها ما تريد إملائها عليها.

فعلى الأمة التي تريد أن تحيا حياة طيبة، وترغب أن يكون رأسها مرفوعاً بين الأمم أن تجاهد لما فيه رقيها وسعادتها، ولا يمكن الارتقاء إلى الذروة والعيش بكرامة، والخلود إلى الراحة والسعادة إلا بالحصول على الأسباب المؤدية إلى تحقيق أهداف الأمة التي لا تقبل بالهوان، ولا ترضخ للاستذلال، وتخنع للابتزاز، ولا تكون إلا سيدة نفسها، فتدون تاريخها حافلة بالأمجاد ومليئة بمواقف الرجولات ومزدانة بالسؤدد والكرامة والإباء.

وبعكس ذلك فإن جميع أفراد الأمة يقعون تحت طائلة الحساب أمام الله تعالى ويجنون ثمار التقاعس وأشواط الهزيمة ويجرون ذيل الاندحار، ويولون الأدبار عن مواجهة الحياة الحرة الكريمة.

13- إن الكورد ومن منطلق عقيدتهم الإسلامية التي تأمر من جملة ما تأمر، بإطاعة الله ورسوله وأولي الأمر، فقد كانوا آذاناً صاغية وأبصاراً متفتحة، وأيادي عاملة لتنفيذ حكم السلاطين وتلبية نداء الجهاد حينما تتعرض الدولة العثمانية

لغزوات الأعداء، ويدق ناقوس الخطر على الأمة في إهلاك الحرث والنسل والضرع وتعريض أمن البلاد للاضطراب وفقدان الاستقرار، فكانوا رأس الرمح في الميدان، يضعون أرواحهم على راحات أيديهم يقدمونها فداء للدفاع عن العقيدة والعرض والأرض والمال والأنفس والمحافظة على كيان الدولة التي كانوا يعتقدون فيها الجامعة والرابطة بين شعوب العالم الإسلامي.

14- إن المتتبع للأنشطة الثقافية والمطلع على تاريخ العلوم والمعارف والدارس لتاريخ الشعوب في حقل اهتماماتها بالثقافة والتراث يجد أن الكورد قد اهتموا بدراسة العلوم الإسلامية وبناء المساجد المدرسية، رغبة منهم في فهم أمور الدين، واحبوا اللغة العربية من نحوها وصرفها واهتموا بدراسة علم البلاغة والبيان والبديع، وذلك لغرض تذوق حلاوة القرآن وفهم أسراره والاطلاع على إعجازه وبيانه وحقيقته ومجازه وتشبيهه واستعارته وتصويره وتمثيله، وناسخه ومنسوخه وأسباب نزول الآيات ومناسباتها، وإدراك أحكامه ونصائحه واستنباط قواعده واستيعاب أوامره ونواهيه، ومعرفة شموليته لكافة مناحي الحياة، والتعرف على عالميته في كل زمان ومكان وصلاحيته للتطبيق في كل حين وآن.

ولقد أنعم الله على كثير من أبناء الكورد فزكاهم للانخراط في الحلقات العلمية، وتوج مساعيهم ليكونوا وعاءً للعلوم والمعارف وأهلاً لحمل شرف العلم ونشره بين الناس، ليصبحوا ورثة الأنبياء، وأئمة يهتدى بهم، وروادأ لتقتدي الأمة بسلوكهم ومصابيح تنير الدرب للأجيال الكوردية، فجزاهم الله عن الإسلام خيراً والسلام عليهم يوم ميلادهم ويوم مماتهم ويوم يبعثون حياً.

فعلى الكورد أن يقتفوا آثار أولئك الأجداد العظام الذين أحبوا الله ورسوله وبذلوا عنايتهم وجل اهتمامهم في القضاء على الجهل والأمية، وتبصير الناس بأمور دينهم وتعليم أبناء الكورد الكلمة النيرة والحروف الناصعة الناطقة وأذاقهم طعم العلوم والفنون المعرفية وهداهم إلى أبجدية الثقافة.

15- نتيجة دراستي المكثفة حول مواقف علماء كوردستان من السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) وسياساته العامة، فقد توصلت إلى استنتاج من تلك المواقف وهي أنه قد حصل شبه إجماع لدى العلماء الكورد المنضوين تحت راية الدولة العثمانية الذين كانوا معاصرين للسلطان أيام حكمه، وأولئك العلماء الذين أتوا من بعد عهده، بأنهم كانوا يؤيدون السلطان عبد الحميد الثاني في

سياساته العامة. وخاصة ما يتعلق منها بتطبيقها في كوردستان، في الجانب الاقتصادي والسياسي والعسكري والاجتماعي، ولم يخالف عن القاعدة هذه سوى فئة قليلة من العلماء الذين كانوا يحملون أفكاراً قومية، ومن المعجبين بالثورية والثوار، ولا عبرة بأقوالهم قياساً إلى هذا الكم الهائل من العلماء الكورد الذين استعرضتهم وسيرتهم ومنزلتهم الاجتماعية ودرجة ورعهم وتقواهم.

لقد كان معظم علماء الكورد –كما أسلفت– يعتبرون السلطان عبد الحميد الثاني خليفة وأميراً للمسلمين، ويتمتع بالأهلية لقيادة العالم الإسلامي، وخاصة في تلك الظروف الحرجة التي تجتاحها الامبراطورية العثمانية، من ضغوط أجنبية عليها للوي ذراعها عسى أن ترضخ لليهودية العالمية والماسونية التي كانت تتربص بالدولة لتقسيمها وتمزيقها.

ويمكن للقارئ الكريم أن يتثبت من صدق دعوانا بوقوف علماء الكورد إلى جانب السلطان من خلال استعراض سريع لمواقفهم التي أدرجناها في الأطروحة، ويتضح ذلك أكثر من خلال قراءة لديباجات مؤلفات هؤلاء العلماء ومختتماتها، ومن وقفاتهم المنبرية ومجالس الوعظ، ومن دعواتهم له بالموفقية، ومن تصريحاتهم المدونة المبثوثة هنا وهناك ، ومن لطائف ثنائهم عليه في مناسبات مختلفة، وكذلك من خلال المقابلات الشخصية التي أجريتها مع بعضهم، وإجاباتهم عن الاستفتاءات التي وجهتها إلى بعضهم لبيان مواقفهم.

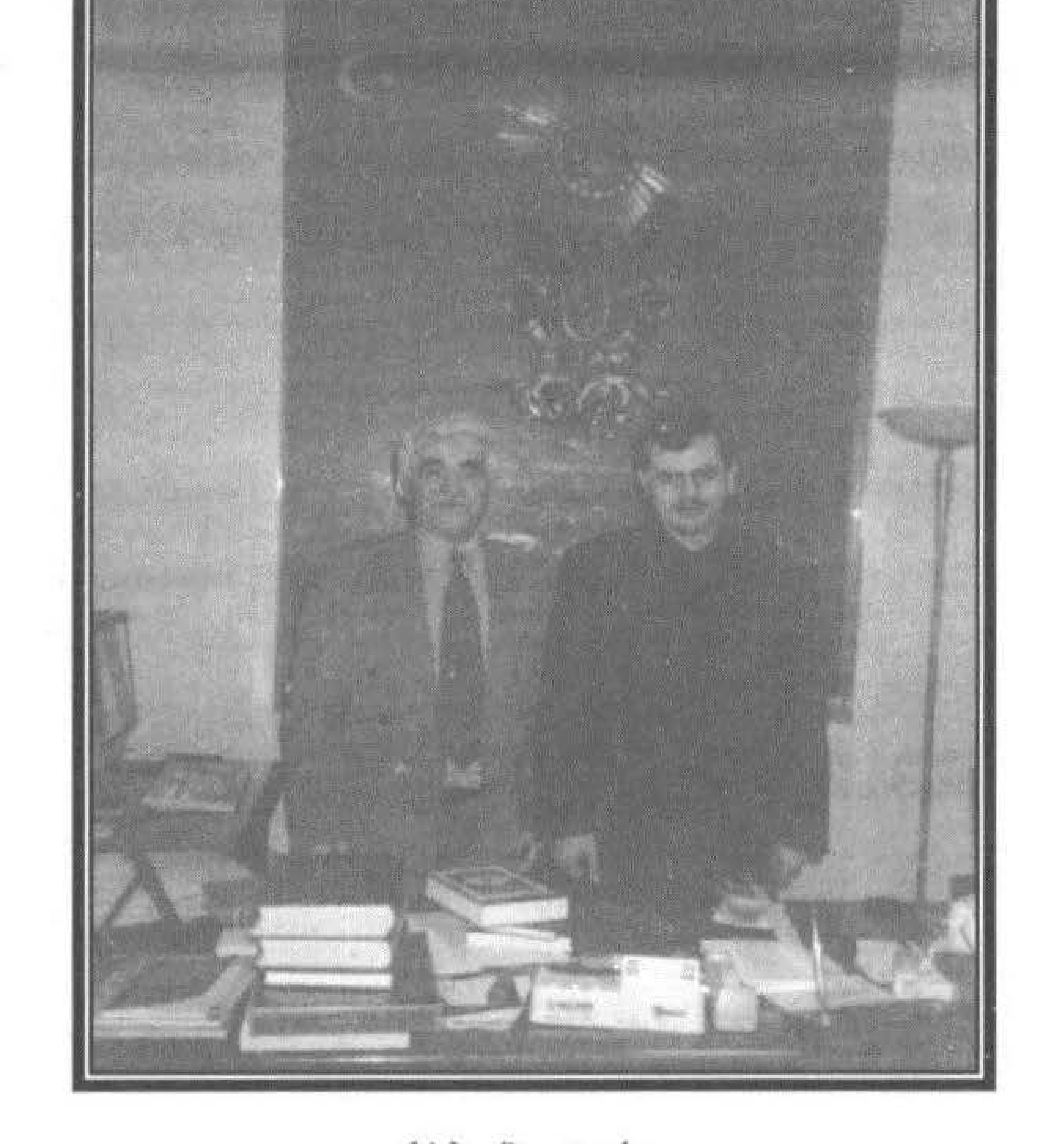
16- إن اليهودية والصهيونية والماسونية وتلامذتهم قادة العالم المسيحي، ومبتدعي الأيديولوجيات المختلفة وبعض أولئك الذين فتنوا بكل ما هو غربي أوربي، حينما أيقنت أن السلطان عبد الحميد الثاني مسلم العقيدة والعمل رجلاً غير مطواع لتحقيق رغباتهم ومجاهداً من طراز خاص في الحفاظ على كل شبر من أراضي المسلمين، وأنه لا يمكن مخادعته والاحتيال عليه في الموافقة على تسليم ذراع واحد لليهود في أرض فلسطين وغيرها، مهما كانت الظروف قاهرة وأوضاع الدولة قاصرة والأحوال الاقتصادية متدهورة حتى إذا كان عرشه الثمن ورأسه الفداء، لذا قرر هذا التحالف الأوربي الصهيوني العالمي غير المقدس توجيه ضربة قاصمة إلى ظهر الأمة الإسلامية وذلك بعزل السلطان عبد الحميد الثانن عن العرش وإبعاده عن المسرح السياسي ليكون المجال فسيحاً لأولئك الأشرار لتنفيذ مآربهم وتحقيق أحلامهم.

فكان خلعه بداية إلغاء الخلافة الإسلامية التي تعني تمزيق أوصال الأمة، وتوزيع إرثها وإنشاء المستوطنات اليهودية على أرض فلسطين وأراضي المسلمين، وذلك في ظل حكام تربوا في كنف الصهيونية وارتضعوا من ثدي الماسونية، وتحالف الناصب والمنصوب على أن تكون الأمة منصوبة، مضروبة، مفعولاً بها، وهكذا أفلت أيام العزة وغربت شمس الخلافة وأصبحت مطوية طي الكتمان، وحديثاً يذكر والروايات تقص وتحكي، وتقبعت في أروقة المتاحف —وما كان الله ليغير قوماً ويبدل أحوالهم إلا بعد ما غيروا ما بأنفسهم، وما كان ربك بظلام للعبيد.

17- لقد كان خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909م مصاباً جللاً على الأمة الإسلامية وطامة كبرى ألمت بكيان الشعوب الإسلامية، وكارثة مروعة خلفت آثاراً سيئة لا يمكن نسيانها وضربة موجعة قصمت الظهر، وجرحاً لا يندمل أبد الدهر، فكان يوم الخلع يوم حزن وأسى لدى كثير من المؤمنين، وأبكى عيون المصلين في الجوامع والمساجد حينما مرت الجمعة الأولى على الخلع ولم يسمع المسلمون ذكر اسم السلطان عبد الحميد الثاني في دعاء الخطبة، وعن مثل هذا الموقف يعبر علماء كوردستان في كتاباتهم وأحاديث مجالسهم، وقمت بتسجيل آراء بعضهم من خلع السلطان، فاتفق جميع أولئك بعدم شرعية ما جرى وعدم جواز ما أقدم عليه أولئك الناس من رجال الاتحاد والترقي، وأفادوا ببطلان فتوى الخلع وعدم استناده إلى مبرر شرعي ومسوغ قانوني، وإنه قد استحصل الفتوى تحت الإكراه والإجبار، وأصبح الخليفة السلطان عبد الحميد الثاني ضحية مواقفه الإسلامية.

18- اللهم إني دائماً متفائل في الحياة، ومتأمل بالنصر على الطغاة والبغاة، وأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، ولكن رؤيتي لمستقبل الأمة الإسلامية، يشوبها الشؤم في ظل حكام المسلمين اليوم، الذين هجروا الدين وطلقوا معايير الأخلاق، وجعل بينهم وبين الشهادة والغيرة الفراق، حيث أصبحوا يتلقون الإلهام من الغرب، المهيمن عليه اليهود وارتموا بكليتهم في أحضان الطاغوت، واتخذوا المادة إلههم والملذات المحرمة هواهم، فإذا لم يتحرك قادة الأمة الإسلامية بتغيير ما هم عليه، والتوبة إلى الله تعالى وإصلاح اوضاعهم وفق المنظور الإسلامي، فإن اليهود والصهاينة سيسيطرون على مقاليد أمورهم ثقافياً وسياسياً وأخلاقياً واقتصادياً بالتمام والكمال خلال السنين القادمة والله أعلم.

ملحق صور ووثائق



ملحق رقم (١)

الباحث في لقاء بحثي خاص

مع الدكتور أحمد آق كوندوز في مكتبه بمركز الوقف العثماني في استانبول ٢/٢/٢٠٠٠



ملحق رقم (٢)

الباحث في لقاء بحثي خاص

مع السيد أورخان محمدعلي في استانبول ٢/٢/٢٠٠٠

رسالة جمعية الاتحاد والترقي الى الصحيفة الصهيونية (Neue Freie Presse) لاشعارها بالثورة على السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٨ .[1]

Très Hononré Monsieur,

C'est aujourd'hui le premier jour de la liberté. Le peuple entier (Turcs, Bulgares, Serbes, etc.) a célébré cette fête. Si le sultan ne tient pas compte de nos revendications, nous marchons sur Constantinople.

Enver

"Membre du Comité Ottoman d'Union et Progrès"

"Général d'Etat Major"

تعريب الملحق رقم (٧)

سيدي المحترم

هذا اليوم هو اليوم الأول للحرية . الشعب بأكمله (اتراك . بلغار ، صرب ، الخ .) احتفل بهـــذا العيد . إذا كان السلطان لا يأبه لمطالبنا سنزحف إلى القسطنطينية .

انفر

عضو اللجنة العثمانية للاتحاد والترقي .

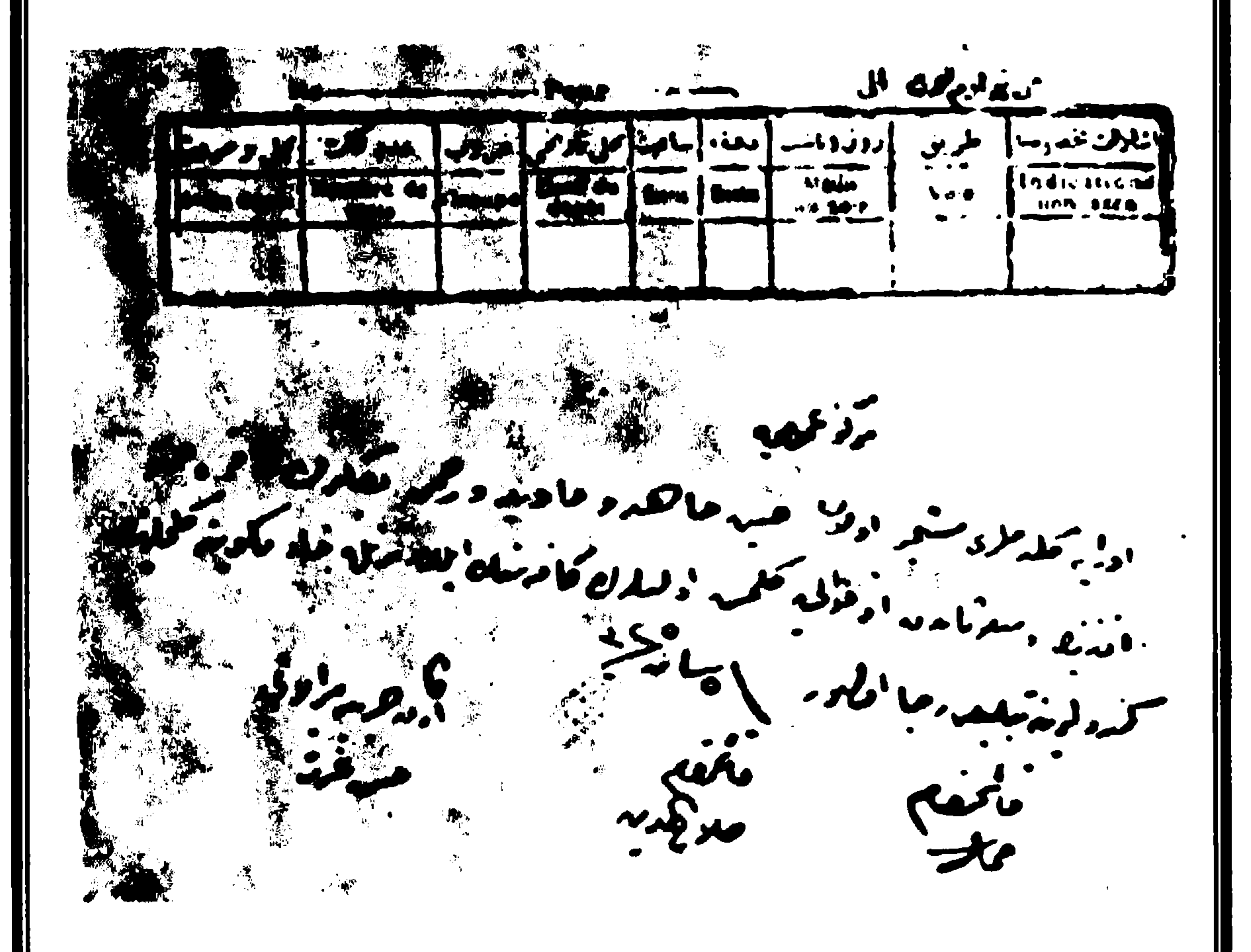
— جنرال أركان حرب —

ملحق رقم (٣)

رسالة جمعية الاتحاد والترقي إلى الصحيفة الصهيونية (Neue Freie Presse) لإشعارها بالثورة على السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٨م.

(1) حسان علي حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908-1909م)، ص113.

نص البرقية الداعية إلى عقد مؤتمر في خادم كوي لخلع السلطان عبد الحميد الثاني . وهي موجهة إلى الشخصيات اليهودية والدونمة .



تعريب الملحق رقم (٨)

الرجا إبلاغ البكوات حسين جاهد وجاويد ورحمي وقره صو افندي الذين علمنا وجودهم لديكم والنواب الآخرين ، بضرورة القدوم إلى خادم كوي في أول قطار .

٥ نيسان ١٣٢٥

القائمقام	القائمقام	اميرالاي اركان حرب
جمال	صلاح الدين	حسن عزت

ملحق رقم (٤)

نص البرقية الداعية إلى عقد مؤتمر في خادم كوي لخلع السلطان عبد الحميد الثاني. وهي موجهة إلى الشخصيات اليهودية والدونمة.

رسالة السلطان عبد الحميد الثاني من سلانيك الى الشيخ محمود ابو الشامات في دمشق يؤكد فيها ان سبب خلعه عن العرش إنما لرفضه الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين الى يوم الدين .

اشبو عريضه مي طريقت عليه شاذليه نك شيخي وجودلره روح وحيات ويرن ومحمد نك افنديسي بولنان الشيخ محمود افندي ابو الشامات حضرتلرينه رفع ايديورم مبارك اللريني اوپرك ودعالريني رجا ايدرك سلام وحرمتلرمي تقديم ايدر نصكره عرض ايدرم كه . سنه حاليه شهر مايسك ٢٢ نجي كوني تاريخلي مكتوبي واصل اولدي صحت وسلامتده وانتم اولديغكزدن دولايي الله حمد وشكر ايلرم . افندم اوراد شاذليه قراءتنه و وظيفه شاذليه يه اللهك توفيقيله كيجه وكوندز دوام ايديورم وبو وظيفه لرمي اداءيه موفق اولديغمدن دولايي الله تعالى حضرتلرينه حمد ايدرم ودعوات قلبيه كزه دائما محتاج اولديغمي عرض ايلرم . بو مقدمه دن صكره شو مهم مسئله يي ذات رشادتپناهيلرينه وذات ساحتپناهيلرينك امثالي عقول سليمه صاحبلرينه تاريخي بر امانت اولارق عرض ايدرمكه . بن خلافت اسلاميه يي هيچ بر سببدن ترك ايتمه دم . انجق واتحاد (جون ترك) اسميله معروف ومشهور اولان اتحاد جمعيتك وسوساسنك تضييق وتهديدي ايله خلافت اسلاميه يي تركه مجبور ايدلدم . بو اتحادجيلر اراضي مقدسه ده فلسطينده يهوديلر ايچون بر وطن قومي تاسيسني قبول وتصديق ايتمه كلكم ايچون اصرارلرده دوام ايله اصرارلرينه وتهديدلرينه رغما قطعيا بو تكليفي قبول ايتمدم وبالآخره يوز اللي مليون التون انكليز ليراسي ويره جكلريني وعد ايتديلر

ملحق رقم (٥)

تتمة رسالة السلطان عبد الحميد الثاني

بو تكليفى دخى قطعيا رد ايتدم . وكنديلرينه شو سوزلرله مقابله ده
بولندم . سوز كل ۱۰۰ مليون التون انكليز ليراسى دنيا دولوسى
التون ويرسه كز بو تكليفكزى قطعيا قبول ايتمه م . بن اوتوز سنه دن
فضله بر مدتده ملت اسلاميه يه وامت محمديه يه خدمت ايتدم بوتون
مسلمانلرك وسلاطين وخلفاء عثمانيه دن آباء واجدادمك صحيفه لرينى
قرارتمام . بناء عليه بو تكليفكزى مطلقا قبول ايتمام ديه قطعى جواب
ويردكدنصكره خلعمه اتفاق ايتدلمر وبنى سلانيكه كوندره جكلرينى بلديردلر
بو صوك تكليفلرينى قبول ايتدم . والله تعالى يه حمد ايتدمكه وايدرمكه دولت
عثمانيه يى وبوتون عالم اسلامى ابدى بر لكه اولاجغى اولان تكليفلرينى يعنى
اراضى مقدسه ده فلسطينده يهودى دولتى قورلمسنى قبول ايتمه دم . ايشته
بوندن صكره اولان اولدى وبوندن دولايى ده مولاى متعال حضرتلرينه حمد ايدرم
بو مهم مسئله ده شو معروضاتم كافيدر . وشو سوزلرله مكتوبمه ختام ويريورم .
مبارك اللريكزى اوپرك حرمتلرمى قبول بيورمكزى سزدن رجا واسترحام ايدرم
اخوان واصدقائك جمله سنه سلاملر ايدرم . اى محترم معظم استادم . بو بابده سوزمى
اوزاتدم محافظه علم عالى سماحتپناهيلرى وبوتون جماعتكزك معلومى
اولمق ايچون اوزاتمغه مجبور اولدم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

۲۲ ايلول ۳۲۹ — خادم المسلمين

عبد الحميد

قام بتعريب هذه الرسالة الشيخ احمد القاسمي
مدير عام الاوقاف السورية السابق سنة ١٩٥٧

يا هــــو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

أرفع عريضتي هـــذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى مفيض الروح والحياة إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامي ، أعرض انني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مايس من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمين .

سيدي : انني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً . وأعرض انني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم ، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة ، والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ : إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب مـا سوى أنني – بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الإتحاد المعروفة بإسم « جون تورك » وتهديدهم – اضطررت واجبرت على ترك الخلافة الإسلامية . إن هؤلاء الإتحاديين قد أصروا وأصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة – فلسطين – ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هـذا التكليف . وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً ، فرفضت هذا

التكليف بصورة قطعية أيضاً ، وأجبتهم بالجواب القطعي الآتي : إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً – فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلن أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي ، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك ، فقبلت بهذا التكليف الأخير هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين . وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فانني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال . واعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع المهم وبه أختم رسالتي هذه .

ألثم يديكم المباركتين وأرجو واسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي . سلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء

يا استاذي المعظم

لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعني لهذه الإطالة أن نحيط سماحتكم علماً ، ونحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً

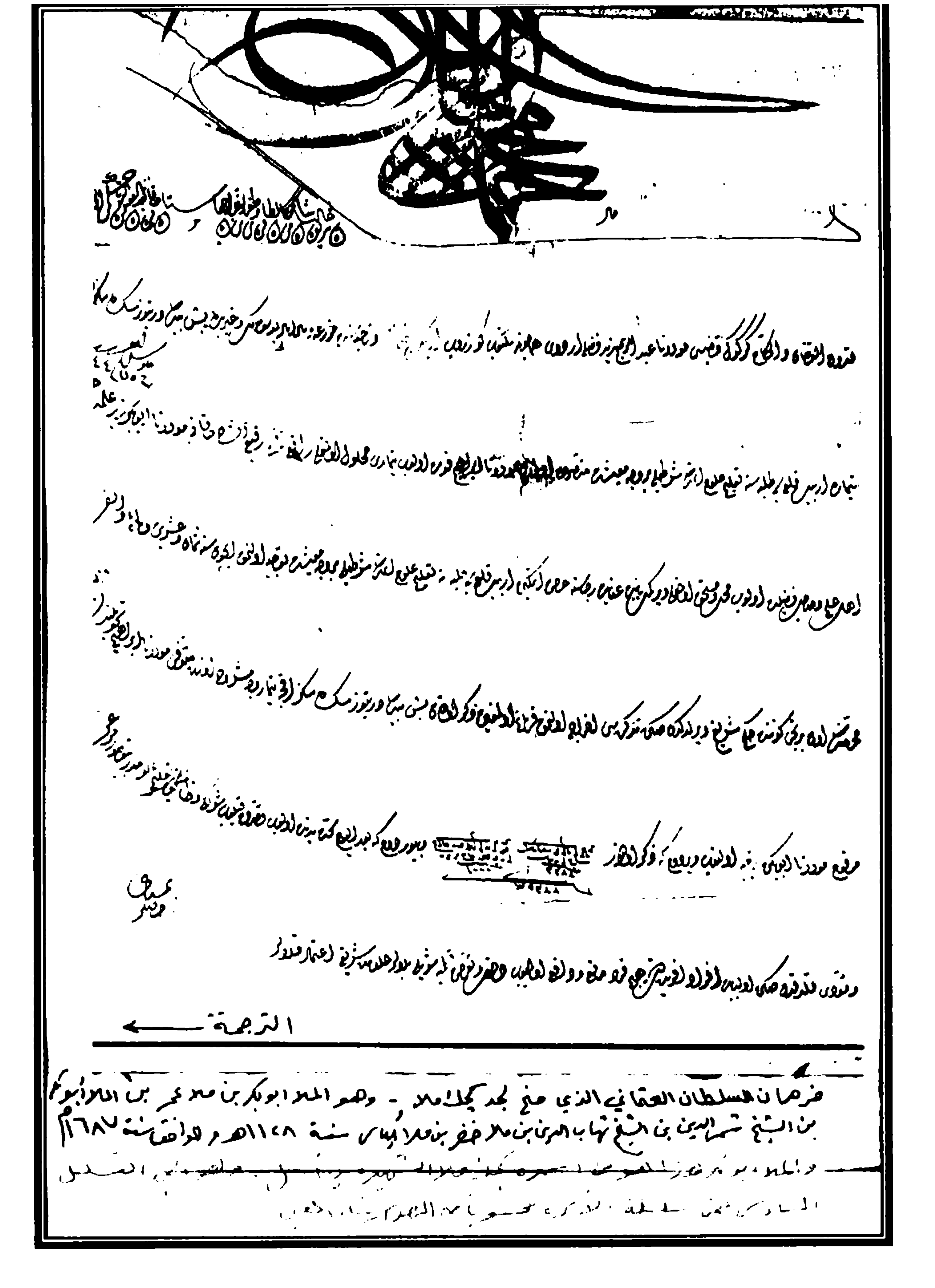
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩ خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

ملحق رقم (٦)

[1] حسان علي حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908-1909م)، ص118.


الترجمة ←

فرمان السلطان العثماني الذي منح لجد كجك ملا - وهو الملا ابو بكر بن ملا عمر بن الملا ابو بكر بن الشيخ شمس الدين بن الشيخ شهاب الدين بن ملا خضر بن ملا الياس سنة ١١٢٨هـ الموافق سنة ١٦٨٧م

ملحق رقم (٧)

(1) رشـاد محمـد المفـتي آل كوجـك مـلا: سبائك الإمـلا في سلسلة جـدي كوجـك مـلا، ج١، (مخطوط)، جمع وتحقيق عثمان رشاد المفتي، 1413هـ-1992م.

السلطان أحمد خان الثالث :-

إلى/ قدوة القضاة والحكام مولانا عبد الرحيم زيد فضله

قصبة كركوك - سنجق (ناحية أربيل) .

إن مزرعة (بادا باد) المرقمة خمسة آلاف وسبعمائة وثمانية وثمانين

قد خصصت إيراداتها لحامل هذا التوقيع الخاقاني ونعني به

مولانا رفيع الشان أبوبكر زيد علمه والذي هو أهل علم

وصاحب فضيلة ومحل تقدير . وذلك للتصرف في معيشة

طلبة العلوم في قلعة أربيل . جامع الكبير في القلعة

وقد كتب هذا الفرمان في اليوم الحادي عشر من شهر محرم

سنة ألف ومائة وثمانية وعشرون هجرية .

وله حق التصرف في تلك المزرعة بعد هذا التاريخ .

ملاحظة

١. لم أعثر على شخص يستطيع قراءة هذا الفرمان .. فتوكلت على الله واستطعت بعد أيام طوال وجهد جهيد أن أقرأ الذي ٧٠٪ من الفرمان .. وكتبت محتواه . وحتى يحين وقت أستطيع فيه ترجمة الفرمان حرفياً أكتفي بهذا القدر . لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله .

مستشار

٢. كتب والدي رحمه الله خلف هذا الفرمان ما يلي :-

[إن هذا الفرمان أعطي في زمن السلطان محمد خان الرابع المتوفي ١٦٨٧م .]

عثمان باشا المفتي
أربيل ٢٩/١١/١٩٩٦

صورت فرمان عالیشان شاه باکرم

« عمدة الافاضل ، قدوة ارباب الفضائل ، سالك مسالك طريقت ، هادي مناهج شريعت ، كشاف المشكلات الدينية ، حلال المعضلات اليقينية ، خلاصة الماء والطين ، مقرب الملوك والسلاطين ، برهان اهل التوحيد والتقديس مولانا حكيم الدين ادريس ، ادام الله تعالى فضائله : توقيع رفيع همايون واصل اولیجق معلوم اوله كه شمديكيحالده سدة سعادتمه مكتوبك واصل اولوب ، سندن اومولان حسن ديانت وامانت ، وفرط صداقت واستقامتك مقتضا سنجه ، دياربكر ولايتينك فتح كلبسنه باعث اولديغك اعلام اولمش يوزك آغ او لسون انشاءالله الاعز سائر ولايتلرك دخي فتحنه سبب كلي اوله سين . بنم انواع عنايت عليه خسروانم سنك حقنده مبذول ومنعطف در والحالة هذه آخر شوال مباركة دكين وانع اولان علوفه كزايله ايكى بيسك فلاقلو مذهب قلج انعام وارسال اولندى ، انشاءالله الاكرم وصول بولدقده سكه افرنجية فلوري ، وبرسمور ويروشق وايكي مربع صوف وايكي جوقه ، وبونلردن غيري برسمور وبروشق كورك قابلو صوفلر دخي ، وبرلرنكى كمخا فلاقلو مذهب قلج انعام وارسال اولندى ، انشاء الله الاكرم وصول بولدقده صحت وسلامتله آلوب مصارفكه صرف ايليه سين . مقابله خدمات ومجازات استقامتكده واخلاصكده انواع عواطف جليه خسروانمه سزاوار اولوب بهمره

ملحق رقم (٨)

مند اوله سين . دياربكر جانبندن سزه اتباع ايدوب كلن بكلرك مقابله صداقت
واخلاص ومحاذات خدمات واختصاصلرينه كوره اول ولايتده ، توجيه وتعيين
اولان سنجقلرينك احوالي والقابي ومقاديري سنك معلومك اولديغي اجلدن .
افتخار الامراء العظام ، ظهير الكبراء الفخام ، ذو القدر والاحترام ، صاحب المجد
والاحتشام ، المؤيد بانواع تأييدات الله الملك الصمد ، دياربكر بكلر بكيسى
« محمد » دام اقباله يه نشان شريفمله ممنون بياض احكام شريفه ارسال اولندي
كركدركه اول جانبده هربكه توجيه اولنان ولايتك احوالي ونوجله توجيه اولنوب ،
واول بكلرك القابي ومقاديري نه اسلوب ايله اولمق مناسب ايسه براتلري انشا
اولنوب يازي ويره سز . ومفصلا اول يازيلي براتك صور تلري وتيمارلرينك
مقدار لريني دخي برصورت دفتر ايدوب سدة سعادتمه دخي ارسال ايده سزكه ،
بونده دخي حفظ اولنوب هر خصوص مفهوم معلوم اوله . وهر بكه نه سنجق
ويرلديكي ونوجهله تفويض اولندوغي والقابلري نيجه يازلدوغي ورعايتلري
وانعاملري نوجهله اولديغي برسبيل تفصيل اعلام اولنوب . اما بروجهله ترتيب
وتعيين اولنه كه بري بري اراسنده اولان اساس ارتباط تزلزل وتخلل بولمق
احتمالي اوليه . واول براتدن غيري استمالت نامه لر كوندرلمك لازم اولان بكلر
ايچون نشانلو بياض كاغد لر ارسال اولندي آنلردخي هربكه نوجهله استمالت نامه
كوندرلمك مناسب ايسه انشا اولنوب انعاملري برله ارسال اولنه . وآنلرك
مفصلا صورتلرين وانعامده نوجهله رعايت اولند قلرين ، اول برات صورتلري
ايله بردفتر ايدوب دوكاه جهان پناهمه ايصال ايده سزكه ، هر خصوص بونده
دخي مفصل ومشروح معلوم اوله . وبوجانبده اولان مهمات سلطاني مراد شريفم
اوزره يتشمتشدر .انشاءالله الاعزيتم عنان عزيمتم اول جانبه منعطف ومنصرف قلدر
اول بكلر حقنده دخي عواطف عليه خسروانم ملاحظه ايتدكلرندن زياده در
وشيمديكي حالده اردبيلي اوغلي اسماعيل پر تضليل سعادتمه حسين بك نام
وبهرام اغا نام رسالت خدمتنه كوندروب تقريرا وتحريرا انواع عبوديت وتضرع علر
عرض ايدوب ، مابينده صلح وصلاح ميسر اولورسه اول جانبده نه مراد اولنورسه
رضاي شريفم اوزره قبول صورتن كوستروب انواع تملقلر ايلمش . اما آنك
كلماتنه وصلاحنه قطعا اعتمد جائز اولمديغي اجلدن مذكور ايلچيلري « ديمتوقه »
حصارنه وسائر آدملريني « كليد البحر » قلعه سنه حبس ايتدردم . سن دخي
كركدركه مقهور مزبورورك امورنده احسن تدبير ، نه ايسه آنك تدبير نده اولوب ،
دولت لبد پيوند روز افزونم مهام ومصالحنده مجدوساعي اوله سين ، من بعد

عمدة الأفاضل، وقدوة أرباب الفضائل، والسالك مسالك الطريقة، والهادئ إلى مناهج الشريعة، كشاف المشكلات الدينية، وحلال المعضلات اليقينية، وخلاصة الماء الطين، مقرب الملوك والسلاطين، برهان أهل التوحيد والتقديس مولانا حكيم الدين "إدريس"، أدام الله فضائله:

ليعلم عندوصول الفر مان العالي الهمايوني، أن كتابكم وصل الآن إلى سدتي السعيدة مفيداً بشرى تسببكم في فتح ولاية (ديار بكر) كلها، على مقتضى حسن ديانتك وأمانتك، وفرط صداقتك واستقامتك، كما هو المأمول منك بيض الله وجهك. وإن شاء الله الأعز تكون سبباً فعالاً في فتح سائر الولايات وأنواع عناياتي العلية الملكية متوجهة إليك ومبذولة في حقك.

وقد أرسل مع مخصصاتكم إلى آخر شهر شوال المبارك، ألفا جنيه ذهب (فلوري) وفروة سمور وأخرى وشق و (مربعان – ثوبان) من الصوف واثنان من الجوخ وكذاكرك من الصوف مبطناً بفروة سمور وآخر مبطناً بفروة وشق وسيف مذهب بغلاف مكسو بجوخ أفرنجي. فلدى وصولها إليك إن شاء الله الأكرم، تتسلمها بالصحة والسلامة وتصرفها في نفقاتك. ودمت متمتعاً بما أنت جدير به من أنواع تعطفاتي الملكية الجليلة، تقديراً لخدماتك ومكافأة لاستقامتك وإخلاصك.

وبما أن الأمراء الذين أتوا من ديار بكر وتابعوك، معلومة لديك أحوالهم وألقابهم ومقادير ما يخصص لهم من السناجق "ألوية" في تلك الولاية، وبالنسبة إلى صداقتهم وإخلاصهم واختصاصهم وخدماتهم، فقد أرسلت مراسيم ملكية شريفة، على البياض، معنون أعلاها بعلامتي الملكية الشريفة، إلى افتخار الأمراء العظام، ظهير الكبراء الفخام، ذي القدر والاحترام، صاحب المجد والاحتشام، المؤيد بأنواع تأييدات الملك الصمد، أمير أمراء ديار بكر (محمد) دام إقباله. فينبغي أن تكتبوا البراءات السلطانية عن أحوال السناجق التي خصصت لكل أمير وكيفية توجيهها وألقاب هؤلاء الأمراء، ومقادير إقطاعاتهم على الأسلوب المناسب مع تسجيل صور تلك البراءات السلطانية تفصيلاً، ومقدار إقطاعاتهم في دفتر خاص وإرساله إلى سدتي السعيدة، ليحفظ هنا وليكون كل شيء مفهوماً ومعلوماً، مع

مذكرة تفصيلية عن السناجق (المقاطعات) التي وجهت إلى الأمراء وكيفية تفويضها، ووجه كتابة ألقابهم، ونوع الإنعام، بشرط أن يكون هذا التوزيع والتخصيص لا يخلان بالأصل بحيث لا يحتمل أن يؤدي إلى تزلزل ما بينهم من أس الارتباط. وأرسلت أيضاً أوراق بيضاء متوجة بالعلامة الشريفة السلطانية، لأجل إرسالها إلى أمراء يلزم إرسال كتب استمالة إليهم، فتحرر كتب الاستمالة على الصورة المناسبة وترسل إليهم مع الإنعامات الملكية، فتدون صور تلك البراءات السلطانية وكيفية إنعاماتهم، ووجوه مراعاتهم في دفتر خاص، وتبعثون بها إلى سدتي التي هي ملجأ العالم، ليكون كل شيء منها معلوماً هنا على التفصيل.

وأن المهام السلطانية في هذا الجانب قد تمت حسب رغبتي الشريفة، على هؤلاء الأمراء أكبر مما يأملونه.

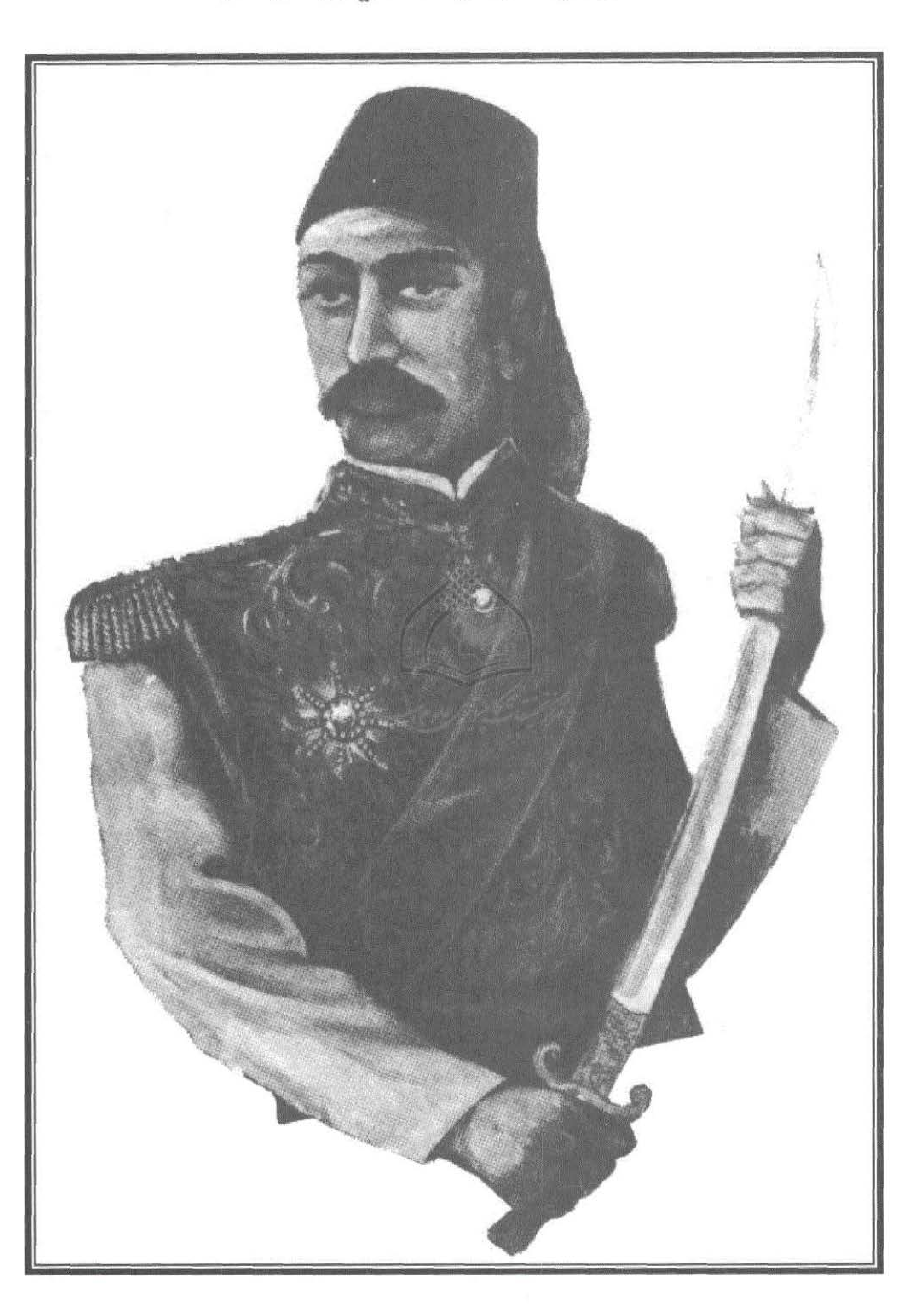
هذا وقد أوفد الآن إسماعيل الضلالي ابن الشيخ الأردبيلي، المدعوين حسين بك وبهرام آغا من رجاله بسفارة إلى سدتي السعيدة، يعرض بواسطتهما تقريراً وتحريراً أنواع الخضوع والطاعة ويتضرع ويتلمس، بضروب من الملق والدهان عقد الصلح والسلامة، قائلاً إنه يقبل جميع ما أطلبه وابتغيه من ذلك الطرف بلا قيد ولا شرط. ولكن لا يجوز الاعتماد على قوله وخلوص نيته، فلذا أمرت بحبس الرسولين المذكورين في قلعة (ديمتوقه) وحاشيتهما في قلعة (كليد البحر). فيجب عليك أن تقوم بدورك في اتخاذ التدابير من جانبك في شأن المقهور المذكور.

وفي الختام أرجو أن تظهر منك ضروب من الآثار الجليلة والمآثر الحميدة. إعلم هذا، واعتمد على علامتي الشريفة تحريراً في أواسط شهر شوال المبارك سنة إحدى وعشرين وتسعمائة الهجرية بمقام دار الخلافة. أدرنه(*)

(أوائل نوفمبر سنة 1515م)

المترجم

(*) شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ص 437-438. ومحمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص 172-175.



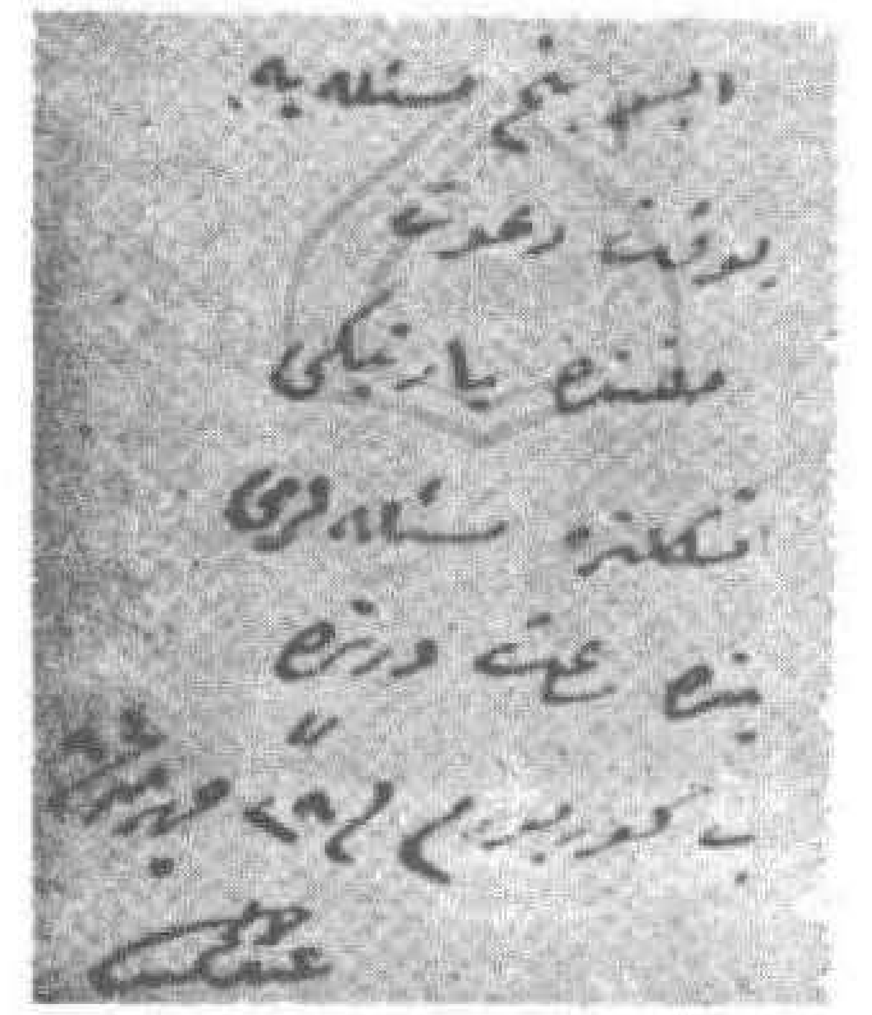


البارزاني والقاضي محمد في مهاباد 1946

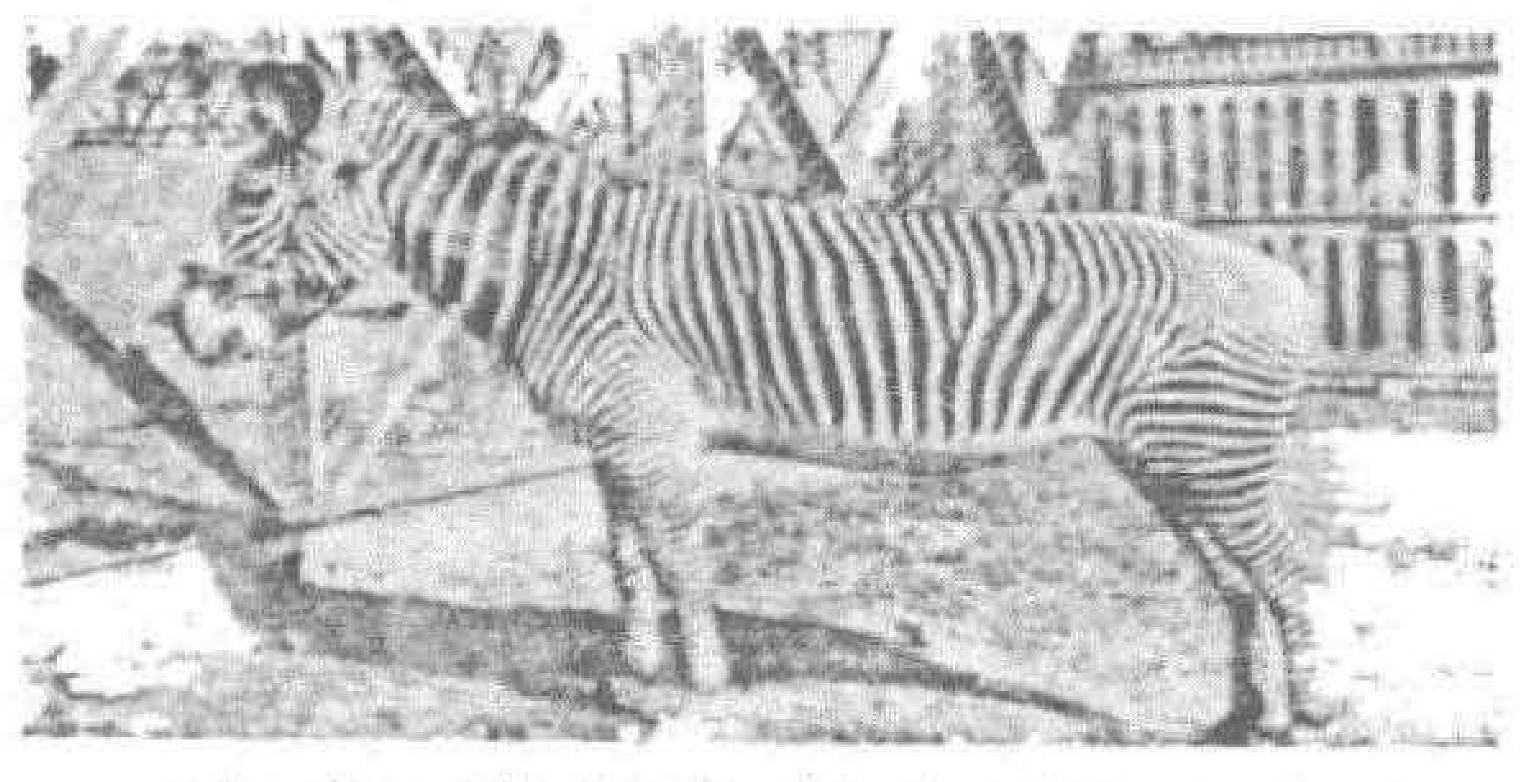




البلاغ السلطاني باعلان ولادة عبدالحميد بن عبدالمجيد خان



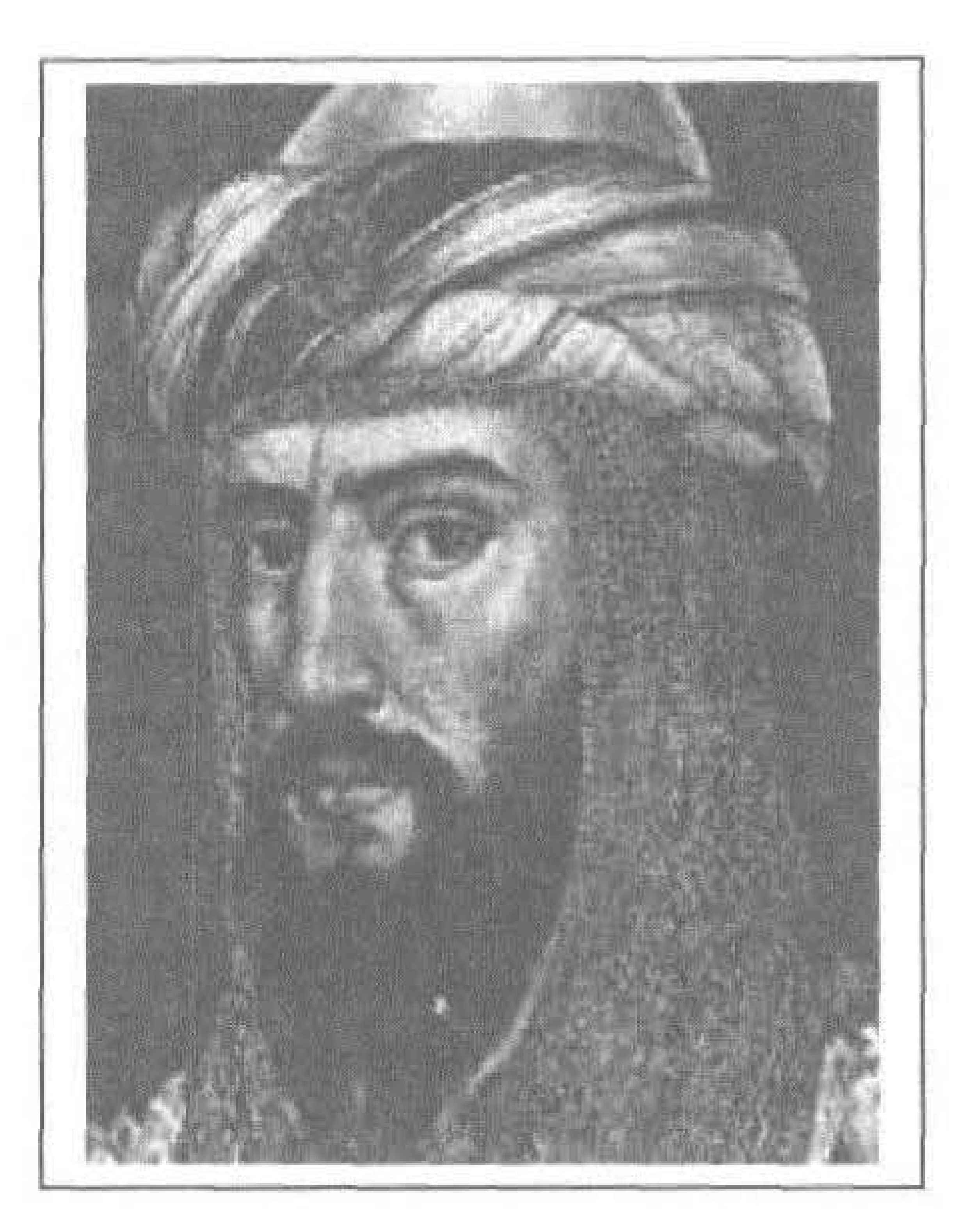
نموذج توقيع السلطان عبدالحميد الثاني، وخطه في مراسلاته الخاصة



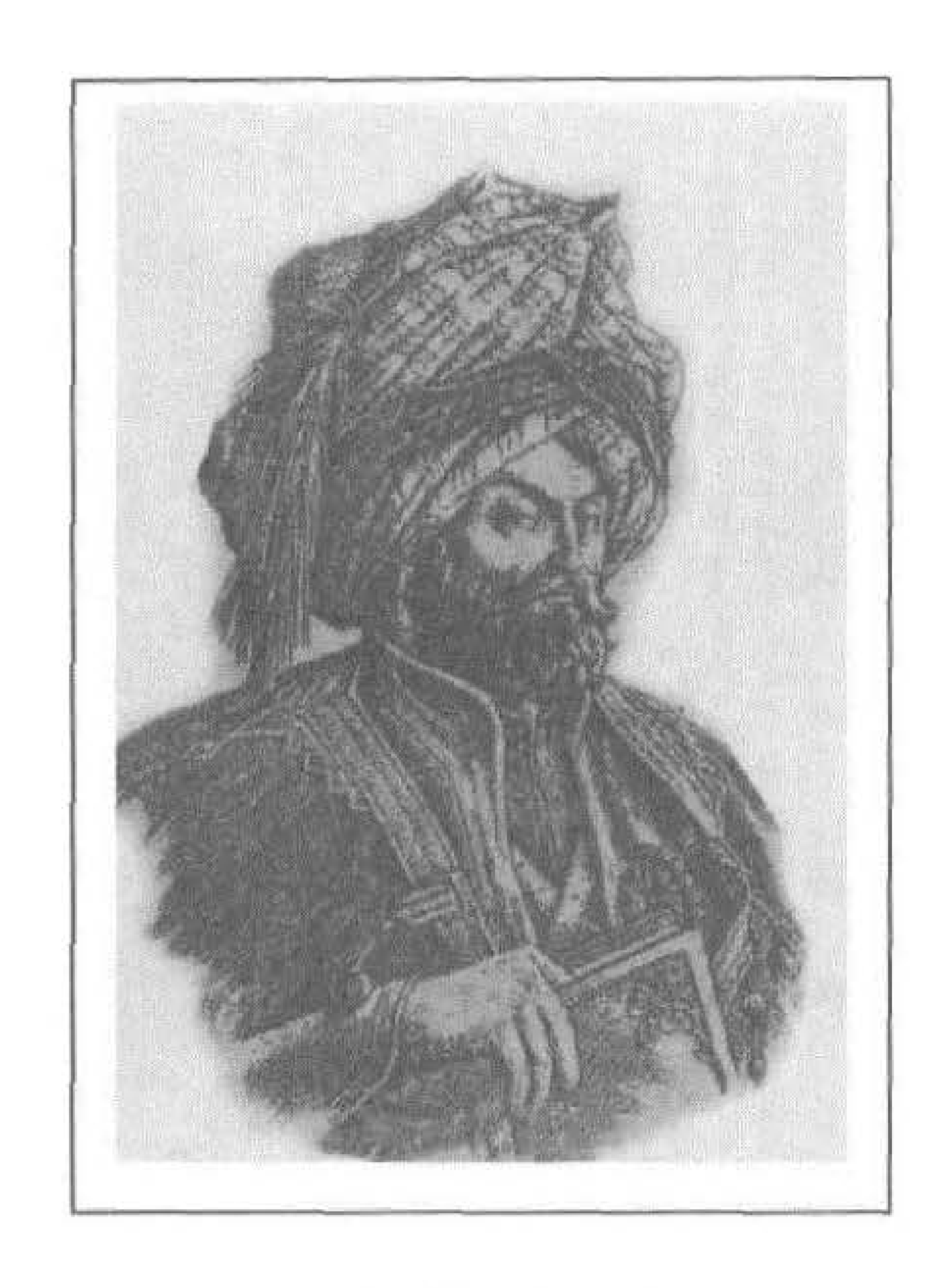
حمار الوحش هدية من امبراطور الحبشة للسلطان عبدالحميد الثاني.

القاضي محمد يعلن قيام جمهورية كوردستان في مهاباد – كوردستان إيران
22 كانون الثاني 1946

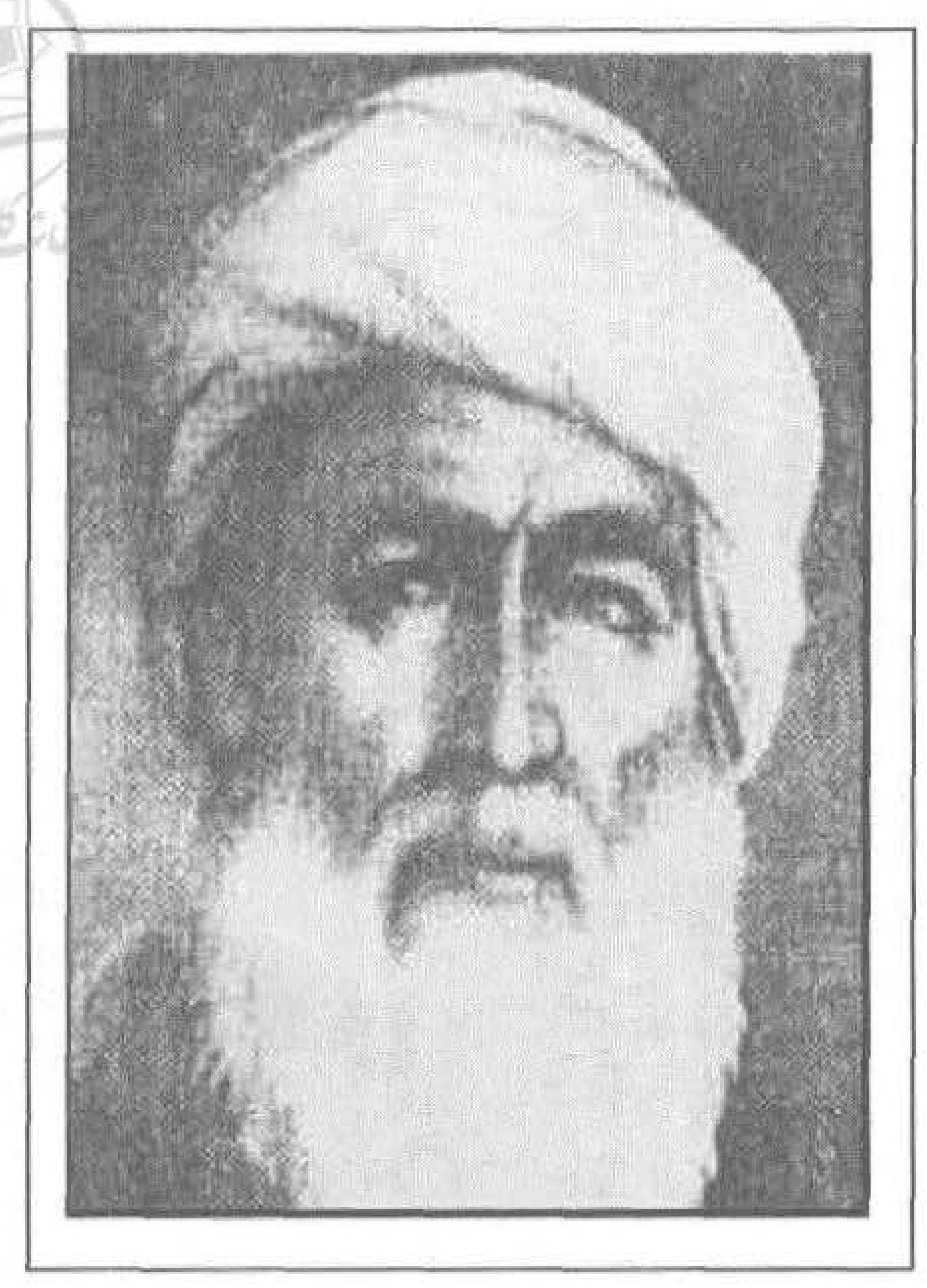
وجهاء عشيرة الهموند مع ناظم باشا في بغداد



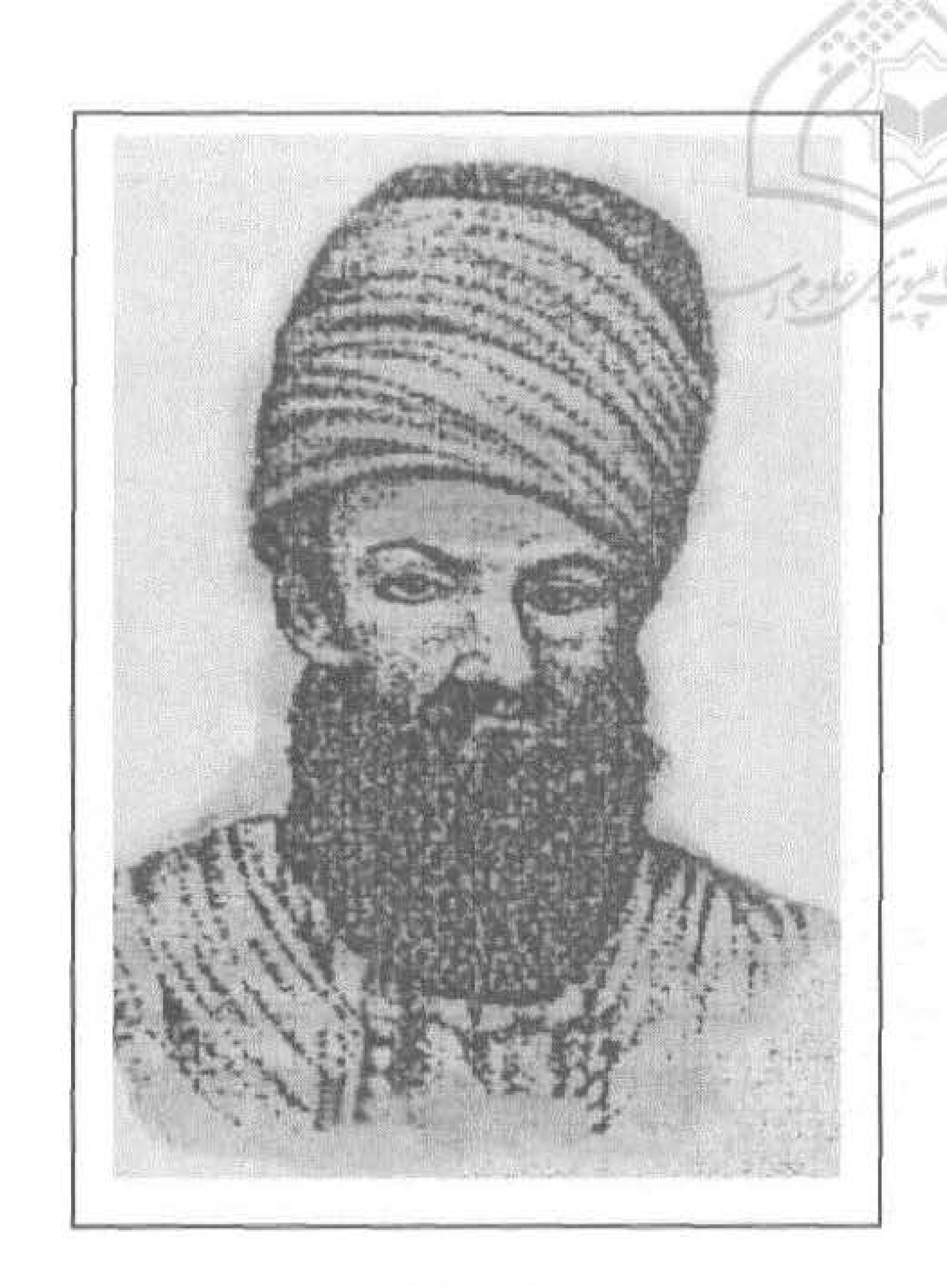
القائد صلاح الدين الأيوبي



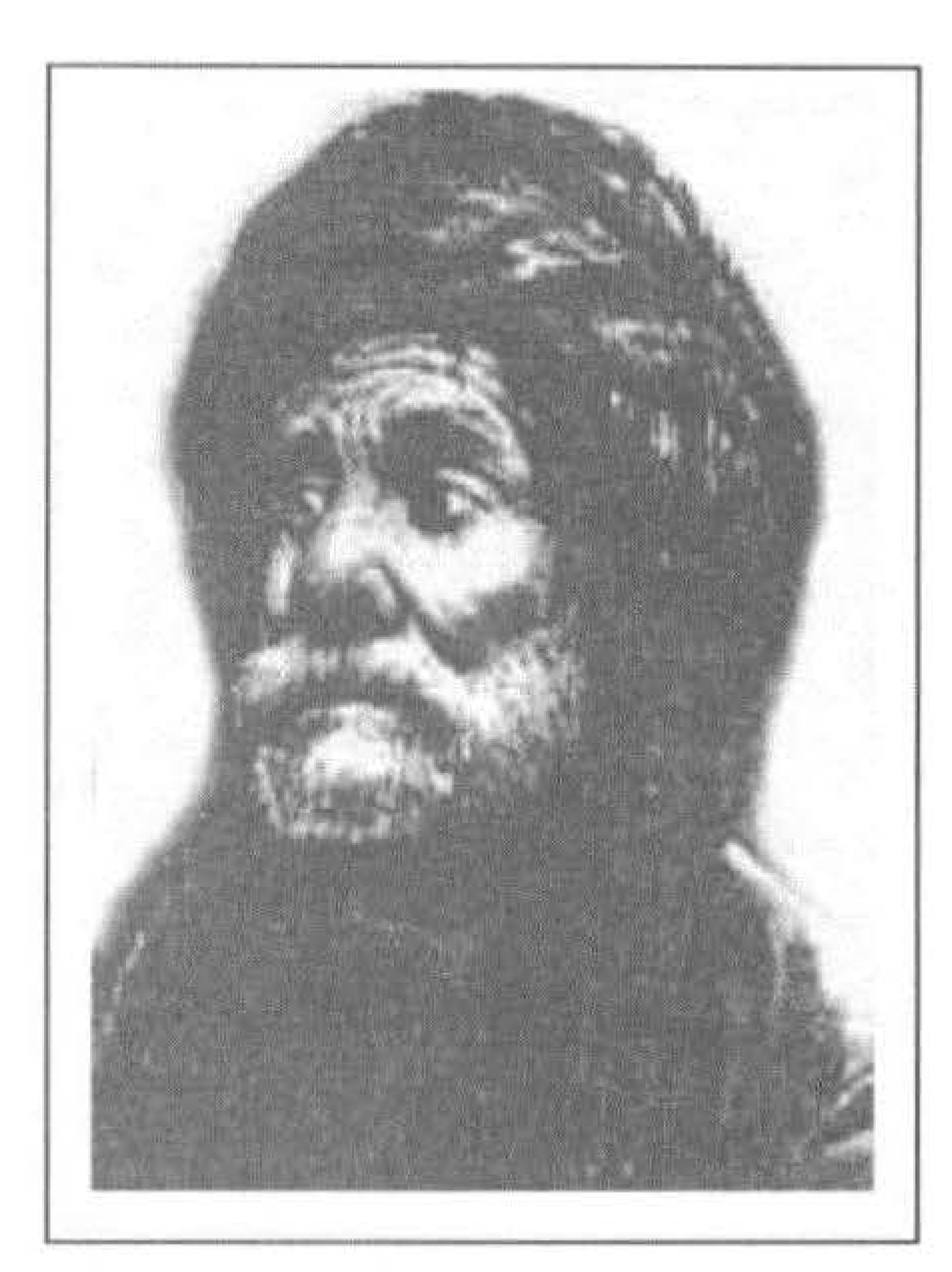
شرف خان البدليسي



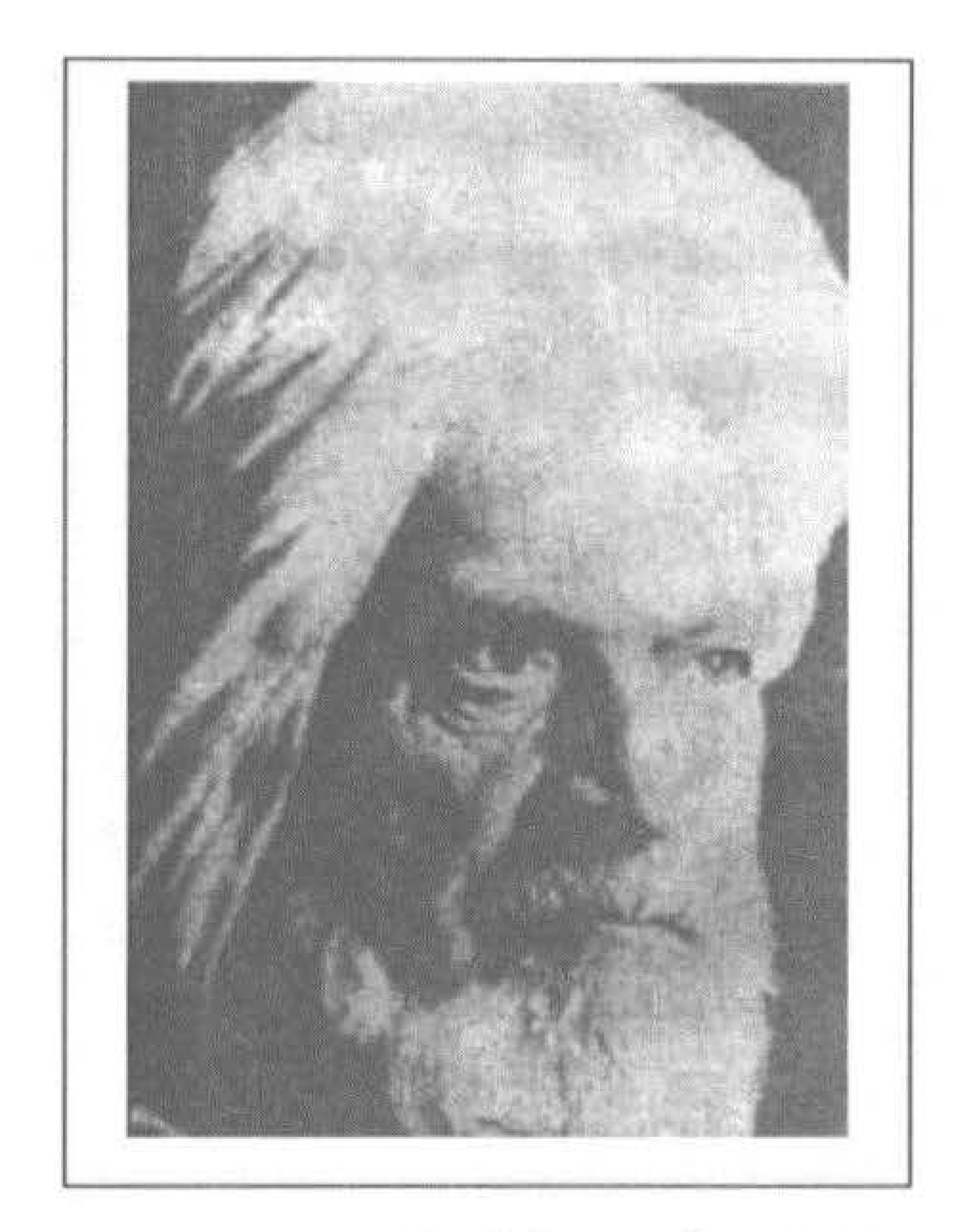
الشيخ سعيد بيران



كريم خان زاده



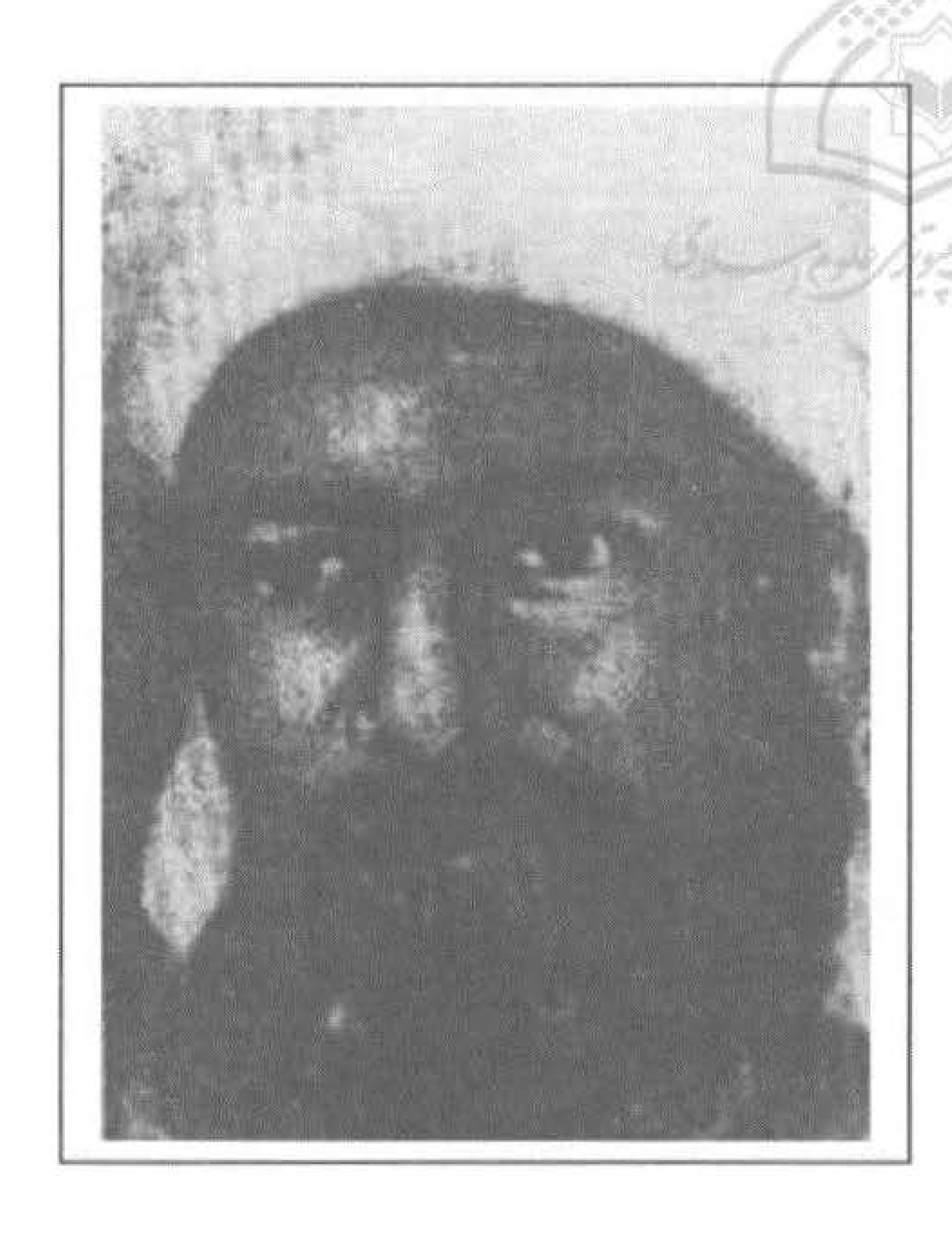
توفيق بن محمود (بيره مرد)



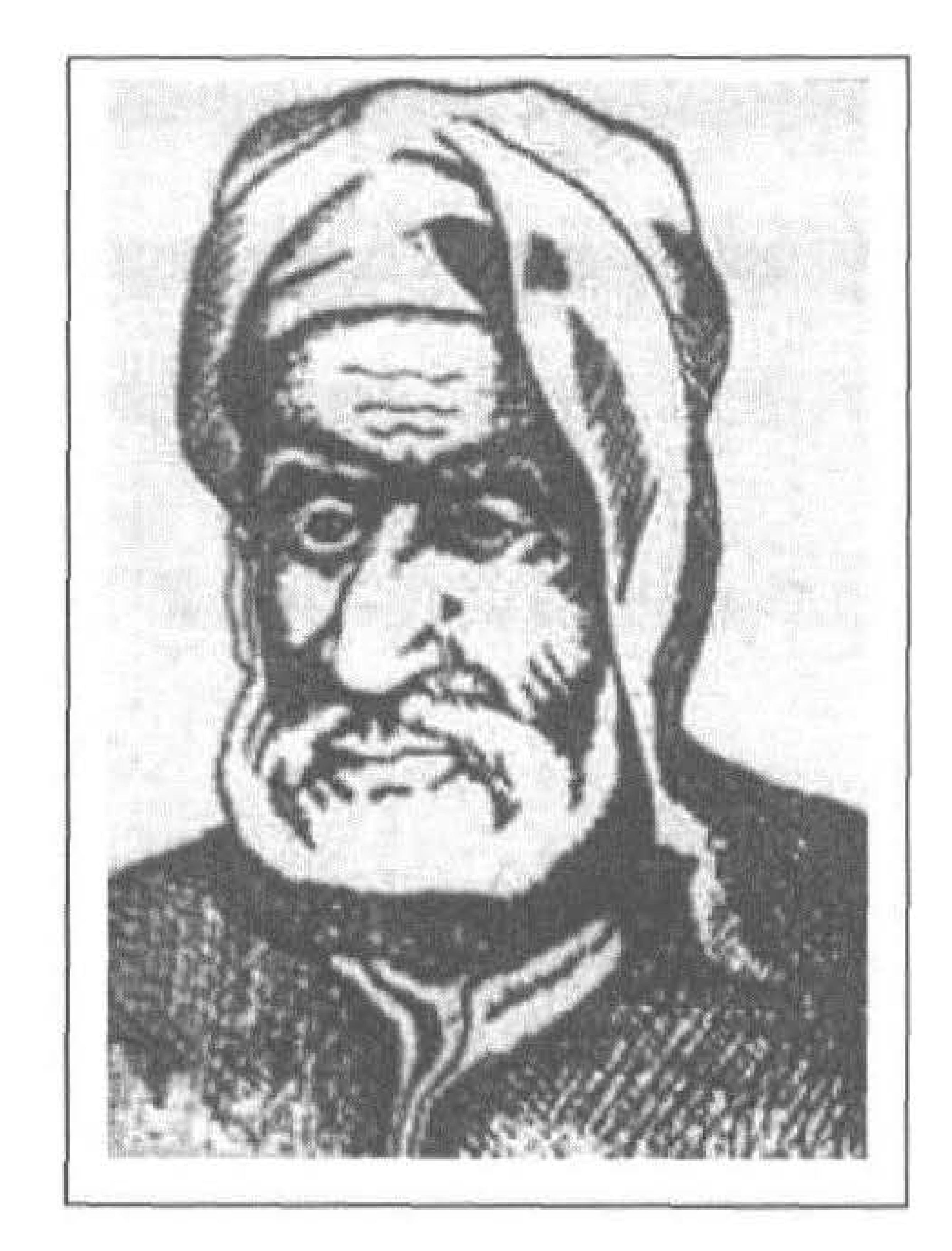
الشيخ أحمد فائز البرزنجي



الشيخ معروف النودهي



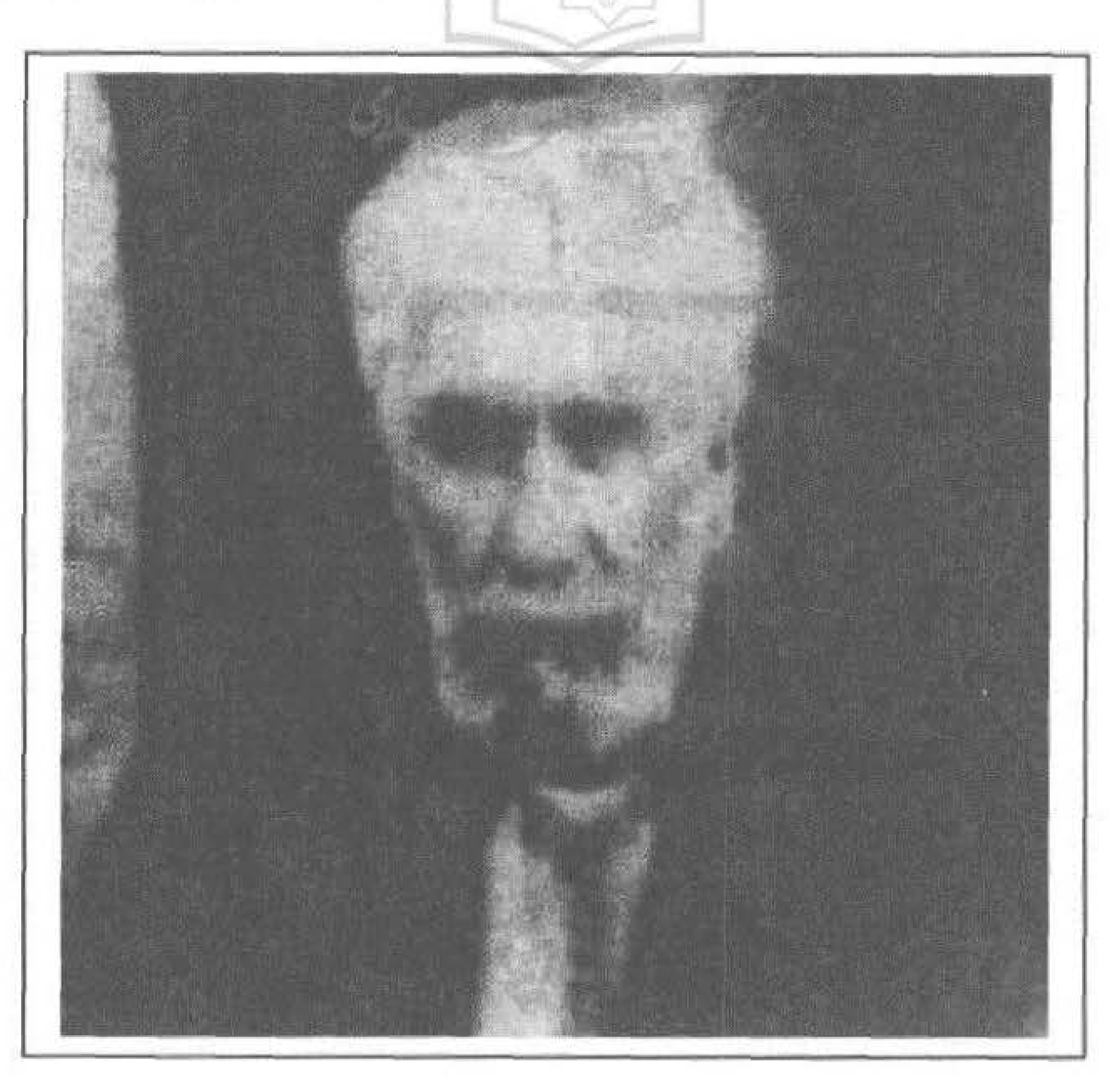
الشيخ عبد الله البيتوشي



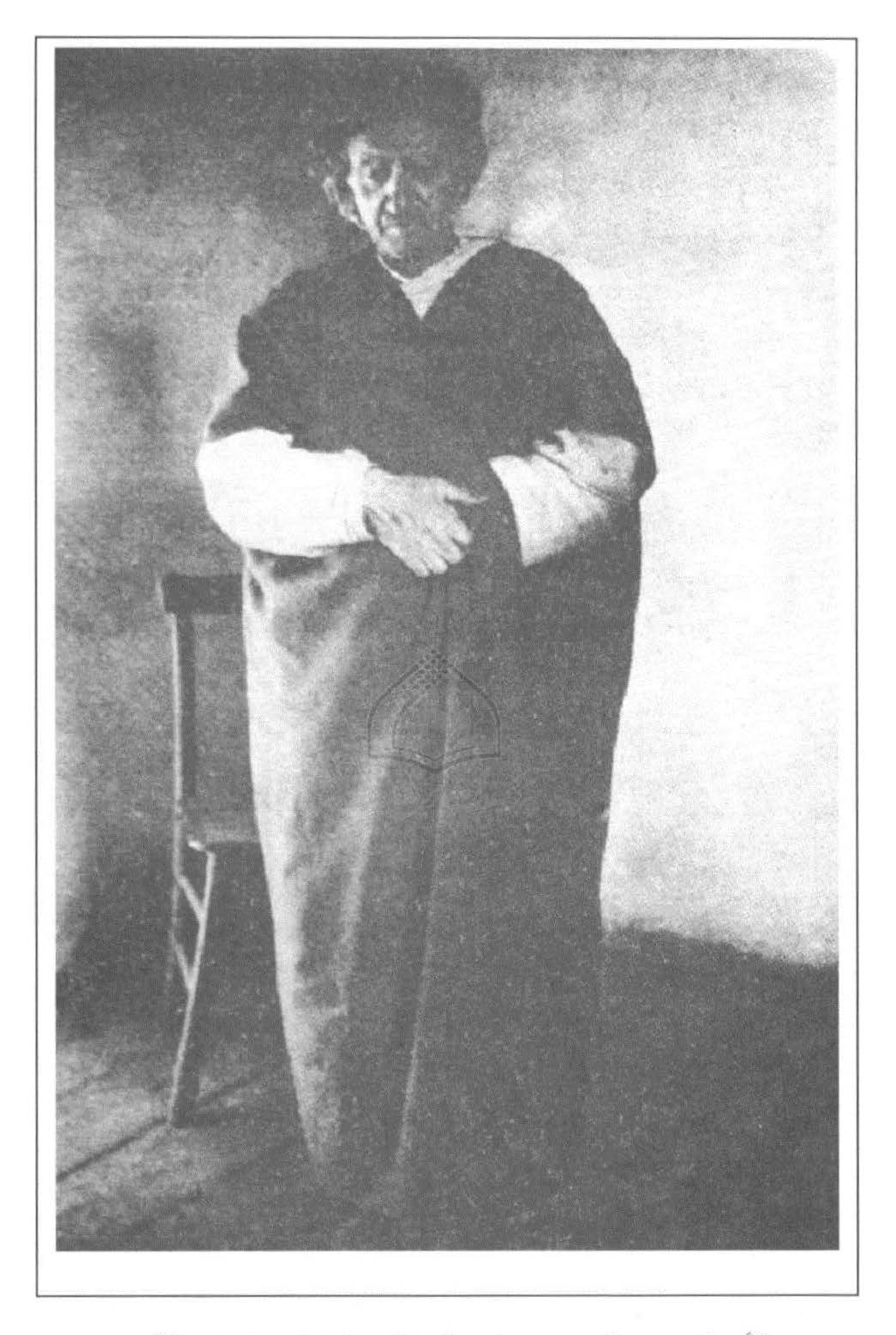
الشيخ رضا الطالباني



الشيخ كاك أحمد مرشد الطريقة
القادرية مع أحد زعماء الكورد
هذه الصورة تنشر لأول مرة

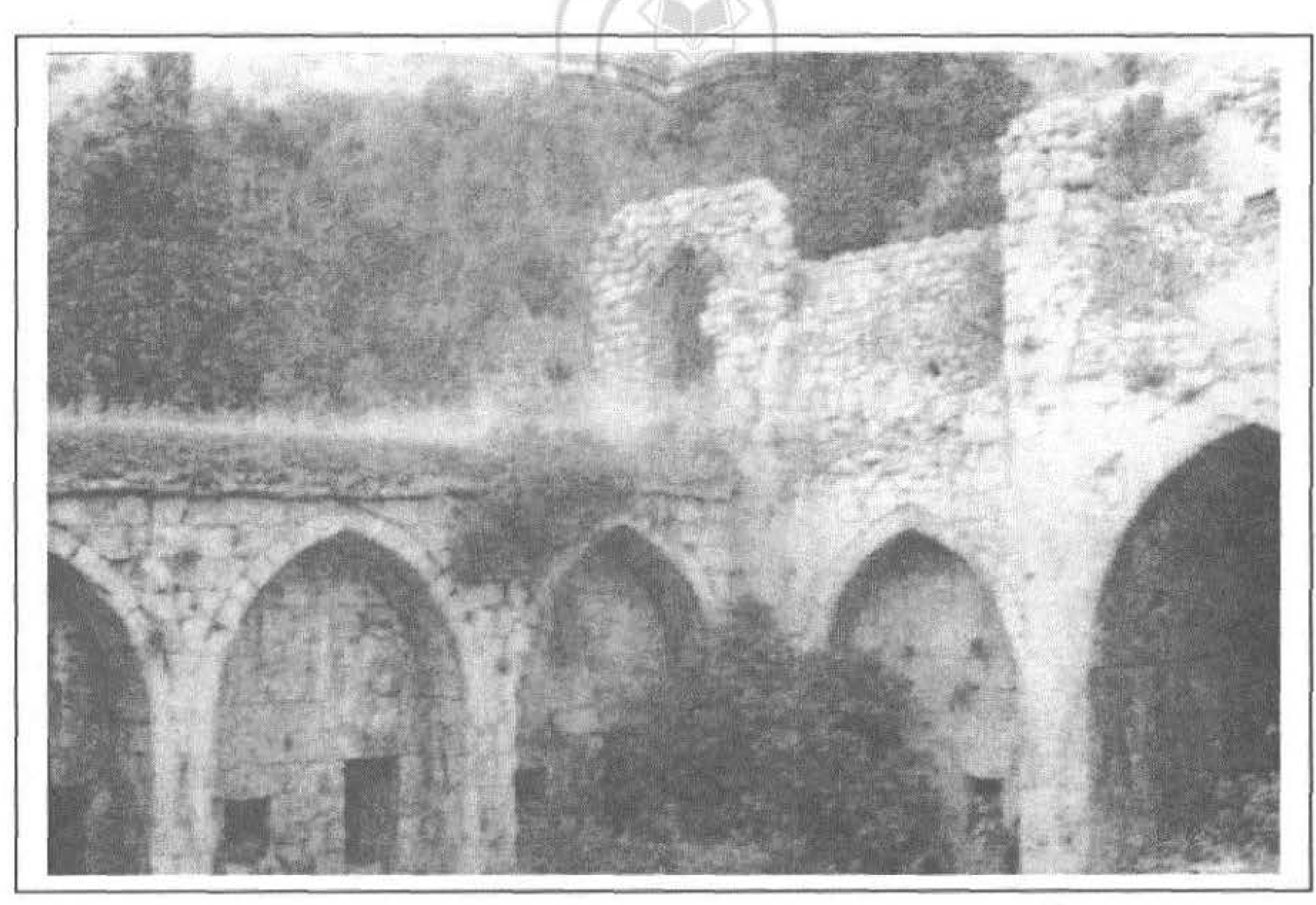


ملا محمد جلي زاده

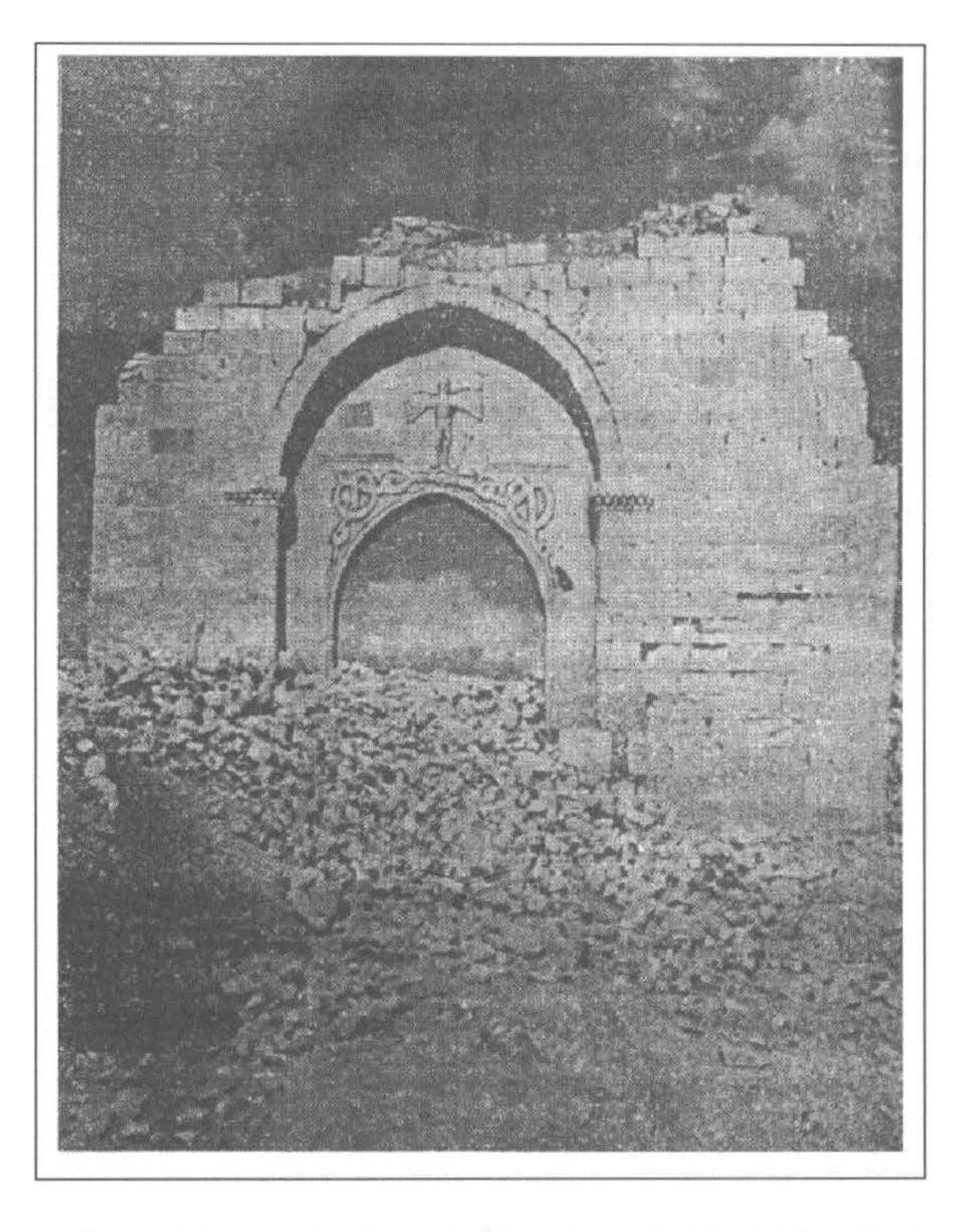


الأستاذ سعيد النورسي، يؤدي الصلاة في فترة محاكمته في آفيون

جامع العمادية الكبير، شيده السلطان حسين الولي سنة 984 هـ-1576م
يبلغ ارتفاع منارته 30 م وعدد درجاتها 102 درجة



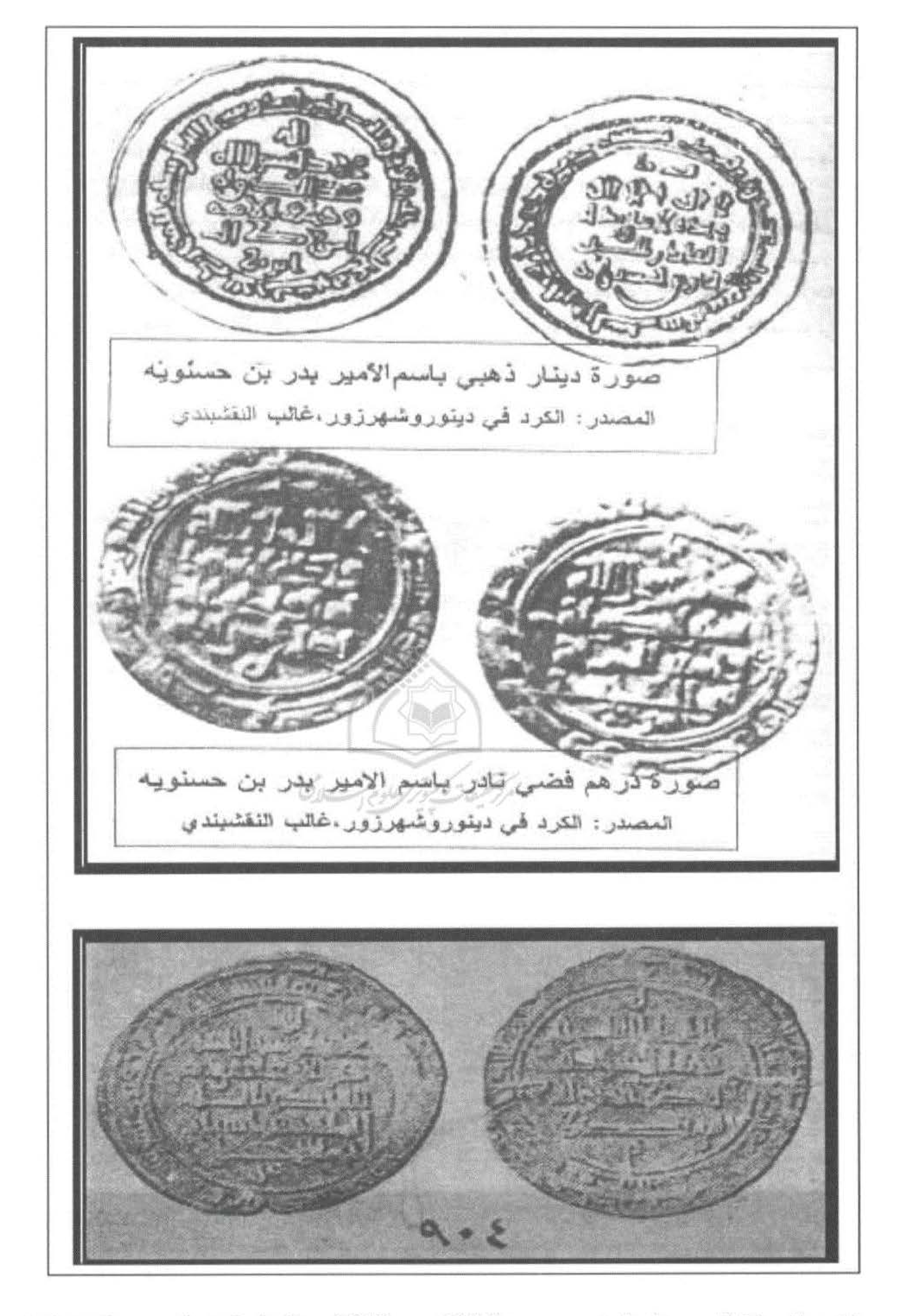
مدرسة قبّهان في ئاميدي (العمادية)، من مدارس كوردستان الدينية،
تأسست في القرن الرابع الهجري



باب قصر الإمارة المندثر، ويظهر في أعلاه شعارها وهو عبارة عن طائر العنقاء وفي أسفل رجليها حيتين ضخمتين. وتعني (الحية والعنقاء) فطنة الحكومة وسهرها على رعاياها، فالحية مشهورة بالفطنة، أما العنقاء فهي مشهورة بانها تدّخر طعام صغارها في حوصلتها، وعندما تحدث مجاعة تشقها بمنقارها لتغذي أطفالها ثم تموت وهي مسرورة بما فعلته من أجل أطفالها.

دار الإمارة في مدينة زاخة وهي مطلة على نهر الخابور

خانقاه محوي ومسجد آغجلر بناهما السلطان عبد الحميد الثاني في مدينة السليمانية بكوردستان العراق



صورة دينار ذهبي باسم الأمير بدر بن حسنويه

المصدر: الكرد في دينوروشهرزور، غالب النقشبندي

صورة درهم فضي نادر باسم الامير بدر بن حسنويه

المصدر: الكرد في دينوروشهرزور، غالب النقشبندي

نقود الدولة الدوستكية ضربت سنة 410 هـ-1019م في فارقين بكوردستان تركيا



المؤتمر الرابع لاتحاد علماء الدين الاسلامي المنعقد في اربيل عاصمة اقليم كردستان وبرعاية الرئيس مسعود البارزاني في الفترة من 4/23 و لغاية الخامس منه من عام 1422هـ - 2001م الذي تشرف الباحث بالحضور

الفهرس

الاهداء 5

المقدمة 7

جغرافية كوردستان 15

الحدود والمساحة 15

حدود كوردستان الكبرى 17

المساحة 20

الفصل الأول: كوردستان نظرة عامة 25

فقه مصطلح كوردستان 27

لغوياً 27

سياسياً 28

تاريخياً 29

التقسيم الإداري لكوردستان 32

كوردستان تركيا 32

كوردستان إيران 33

كوردستان العراق 33

الأكراد في سوريا 33

مراحل تقسيم كوردستان 39

أسباب التقسيم 41

كوردستان نظرة جغرافية 42

السطح 42

المناخ 44
الغابات 45
السهول 45
الانهار 46
السدود والبحيرات 48
كوردستان نظرة تاريخية 49
منشأ الكورد وأصلهم 49
النظريات الجديدة عن أصل الكورد 51
اللغة الكوردية 56
الأبجدية الكوردية 57
عدد السكان 58
الديانة 60
كوردستان نظرة اقتصادية 63
الصراع على كوردستان 64
الثروة المعدنية في كوردستان 65
الزراعة في كوردستان 69
كوردستان نظرة سياسية – تاريخية 70
الكورد في العصر القديم 70
الحكومات الكوردية قبل الميلاد 71
الامبراطورية الميدية الكوردية 71
الكورد في العصور الاسلامية 73
الأنظمة الإدارية في تاريخ كوردستان 74
الحكومات الكوردية 75

الإمارات الكوردية الكبيرة 82
النقود والعملات الكوردية 86
جمهورية مهاباد الكوردية في إيران 1946 90
حكومة إقليم كوردستان العراق 91
مراحل التاريخ الكوردي 92
السياسة الصفوية تجاه الكورد 94
السياسة العثمانية تجاه الكورد 95
تقسيم كوردستان بين الدولتين الصفوية والعثمانية 96
مصير كوردستان فارس 97
معاهدتا الأمل سيفر والألم لوزان........................ 98
بعض القادة ممن صنعوا التاريخ وضاع تاريخ أمتهم........................ 99
الفصل الثاني: الخلافة العثمانية، مراجعة تاريخية 105
تكوين الخلافة العثمانية وفترة حكمها 107
الأتراك القدامى........................ 107
موطنهم 107
اعتناق الأتراك الاسلام 108
فتح الأتراك للأناضول........................ 109
نشأة الدولة العثمانية 112
أولاً : أصل الأتراك العثمانيين 112
ثانياً : تأسيس الدولة العثمانية 113
السياسة الداخلية العامة للدولة العثمانية 120
السياسة الخارجية العامة للدولة العثمانية 132

الفصل الثالث: موقف علماء كوردستان من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 147
التقسيم الإداري العثماني الأول 149
حدود كوردستان العراق في العهد العثماني 151
التشكيلات الإدارية لولاية الموصل 154
التنظيمات الإدارية العثمانية الجديدة وتطبيقاتها في ولاية الموصل 1879-1918م 156
الوضع الإداري لكوردستان العراق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 156
الموصل في التاريخ 158
ولاية الموصل 159
التقسيمات الإدارية لسنجق (لواء السليمانية) 170
الولاة ووجهاء السلطنة العثمانية 172
سلوك الموظفين العثمانيين بصورة عامة 172
موقف علماء كوردستان من الوضع الاقتصادي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 175
الزراعة 175
الاقطاعيون في كوردستان العراق 181
الصناعة في ولاية الموصل 187
الصناعة المحلية في كوردستان 188
التجارة 189
عرض آراء فئة من علماء كوردستان في الوضع الاقتصادي 192
موقف علماء كوردستان من الوضع الاجتماعي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 198

الهيكل التنظيمي للمجتمع الكوردي 198
المجتمع الكوردي والدين 198
علماء الدين ودورهم في المجتمع الكوردي 200
الأسرة الكوردية 201
الأب رئيس العائلة 202
المرأة في المجتمع الكوردي 202
الزواج في المجتمع الكوردي 203
الطلاق 204
الحياة الخلقية في المجتمع الكوردي 204
كورديات يتسلمن السلطة الزمنية والقيادة الروحية 204
العشيرة الكوردية 206
الزعامة العشائرية 207
العشائر الكوردية الرحالة 209
العشائر الكوردية شبه الرحالة 209
العشائر الكوردية المستقرة 209
آراء بعض الكتاب والمؤرخين حول الشخصية الكوردية 210
الهوايات الاجتماعية 212
النظافة والهندام 213
الأزياء الكوردية 213
الاحتفال بالاعياد والمناسبات 214
الحكم الشرعي في الاحتفال بنوروز 215
النوروز في المصادر الاسلامية 216

الاحتفال بنوروز مباح وشرعي 218

حكم النوروز 218

دلالات عيد نوروز عند الكورد 218

رؤية فريق من علماء كوردستان للوضع الاجتماعي............ 219

دور علماء الدين في المجتمع الكوردستاني 220

موقف علماء كوردستان من الوضع السياسي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 232

تازم الوضع الاقتصادي في كوردستان عام 1879م 232

الانتفاضات المناهضة للحكم العثماني 233

انتفاضة أبناء بدرخان الثانية 1889م 235

دور الكورد في الحرب الروسية العثمانية 1877-1878م 236

أساليب تعامل العثمانيين مع العشائر الكوردية 238

علاقة بعض العشائر الكوردية مع العثمانيين 238

ثورة الشيخ عبيد الله النهري 1880-1881م 242

حركة الشيخ عبد السلام الثاني البارزاني 246

موقف علماء كوردستان من الانتفاضات المناهضة للحكم العثماني 249

الكورد في البرلمان العثماني 252

نظرة بعض علماء كوردستان للوضع السياسي 254

الوضع السياسي في العراق وكوردستان عقب إعادة الدستور 1908م 261

موقف علماء الدين وغالبية الشعب من إنقلاب 1908م 261

المشروطية عند الكورد ومفهوم معنى الحرية في إنقلاب 1908م 262

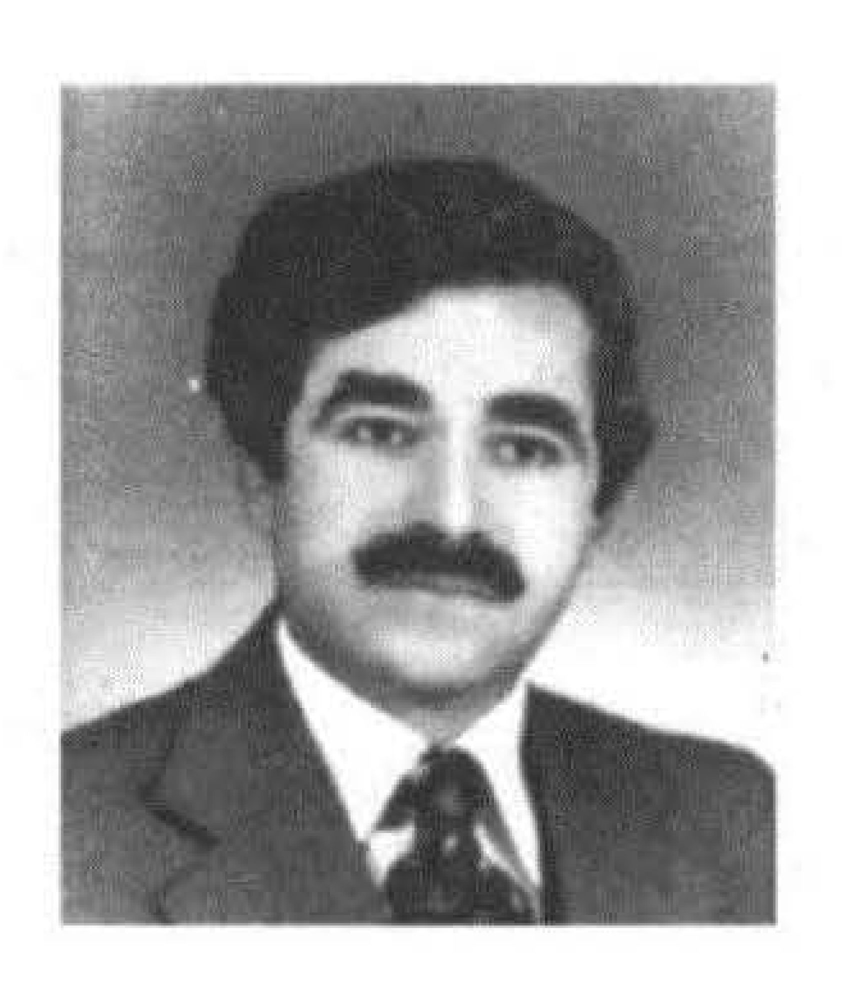
موقف علماء كوردستان من الوضع العسكري في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 264

الفصل الرابع: آراء بعض علماء كوردستان العراق حول السلطان عبد الحميد الثاني 271
أولاً: الحالة العلمية والمساجد المدرسية في كوردستان 273
ثانياً: التعريف بعلماء كوردستان 289
ثالثاً: العلماء الكورد المعاصرون للسلطان عبد الحميد الثاني والمؤيدين لسياسته 301
موقف علماء الكورد من الخلافة العثمانية بصورة عامة 364
موقف مشائخ الطرق الصوفية في كوردستان تجاه السلطان 380
أولاً: تعريف التصوف 381
ثانياً: التصوف لغة وحسب الأصول النظرية 381
ثالثاً: نشأة التصوف 382
رابعاً: التوجه العثماني العام وانعكاسات الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي 383
خامساً: الطرق الصوفية في كوردستان 384
مشاهير الطريقة القادرية في كوردستان 385
مشاهير الطريقة النقشبندية في كوردستان 387
الفصل الخامس: موقف علماء كوردستان من عزل السلطان عبد الحميد . 391
نبذة من سيرة السلطان عبد الحميد 393
ثقافته 393
هواياته 394
شخصيته 395
براءة السلطان من التخرصات والبهتان 397
رجال يشهدون أمام محكمة التاريخ للسلطان 399

السياسة العامة الداخلية للسلطان 402
السلطان عبد الحميد والألوية الحميدية الكوردية (1881-1909) 407
السياسة الاقتصادية للسلطان 414
السياسة التعليمية للسلطان 418
السياسة الدولية للسلطان 420
سياسته الاسلامية 422
السلطان يضحي بعرشه في سبيل المقدسات الاسلامية 424
السلطان يعدل الوضع الإداري للقدس ويصدر فرمانات لحمايتها 425
السلطان وفكرة الجامعة الاسلامية 428
اتجاهات فكرية لحركة الاصلاح العثماني 429
الجامعة الاسلامية 430
عوامل عزل السلطان 433
دور التحالف الصهيوني اليهودي التآمري في عزل السلطان 434
دور الماسونية التضامني مع القوى المتآمرة لعزله 437
التحالف الاتحادي الترقي الماسوني الصهيوني لعزله 439
وقفة تاريخية لا تنساها ذاكرة التاريخ لصانع التاريخ 441
فتوى عزل السلطان 443
إبلاغ قرار العزل للسلطان 444
النتائج المترتبة على عزله 444
عزل السلطان وإلغاء الخلافة الاسلامية 445
قيام الجمهورية التركية وموت الخلافة المريضة 446
الآثار المدمرة المترتبة على عزل السلطان وإلغاء الخلافة 447
موقف علماء كوردستان من خلع السلطان 450

خاتمة واستنتاجات 457
ملحق صور ووثائق 467

المؤلف في سطور



- ولد سنة 1945م في قرية اسبندار بـرواري زير التابعة لناحية سرسنك/ محافظة دهوك

- انظم في الدراسة الابتدائية. طلب منه والده التفرّغ للتخصص في العلوم الإسلامية والعربية وانخرط مع مئات الطلبة من كوردستان العراق وتركيا وسوريا في الحلقات الدراسية المسجدية المقامة في المدرستين الدينيتين الشهيرتين، في قرية (اسبيندار) يتلقون العلوم على يد والده العالم المحقق (الملا حسين بن الحاج احمد) لسنين طوال.

- انضم الى الدراسة في ثانوية الدراسات الإسلامية (المعهد الإسلامي سابقاً) بدهوك ونال الشهادة العلمية.

- عيّن معلماً في المدارس الابتدائية لسنوات عديدة.

- سافر الى القاهرة عن طريق دائرة البعثات العلمية العراقية عام 1972م ودرس في جامعة الأزهر الشريف وحصل على شهادة الليسانس من كلية الشريعة والقانون عام 1977م.

- قبل في الدراسات العليا في القاهرة (قسم الفقه المقارن) وواظب على الدراسة لمدة سنة إلاّ آن الظروف الاقتصادية حالت دون التتويج.

- رقي الى درجة (مدرس) ومارس التدريس في المدارس المتوسطة والثانوية وثانوية الدراسات الإسلامية ودار المعلمين الابتدائية لفترة طويلة.

- اشترك في عدة دورات تربوية وحصل على درجة (امتياز) في مشروع الدراسة التربوية واللغوية المقامة لمدة سنة على مستوى العراق.

- حصل على مقعد في الدراسات العليا من فرع الجامعة الباكستانية في دمشق واستمر على الدراسة لمدة سنة إلاّ أن الفرع سحب من هناك فلم يتمكن من السفر الى مقر الجامعة الأم.

- كان محاضراً في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بدهوك لمدة عام.

- نصب أمينا لمكتبة الكلية المذكورة لأعوام عدة.

- فاز بالقبول في كلية الأمام الاوزاعي عن الدراسات الإسلامية العليا والتي مدتها ثلاث سنوات في الجمهورية اللبنانية ببيروت وحصل على شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية في 10 شباط 1998م.

- عين مدرساً في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة دهوك لعدة سنوات.

- ثم أكمل الدراسات العليا بنيل شهادة الدكتوراه في 7/تشرين الأول/2002م.

- يعمل حالياً في جامعة دهوك /كلية التربية ك (مدرس) ويقوم أيضاً بإلقاء المحاضرات في معهد الأئمة والخطباء بدهوك.

- كان يقدم سلسلة حلقات عن سيرة ومؤلفات علماء الكورد في العلوم الإسلامية من قناة فضائية كوردستان العالمية.

- له أبحاث مطبوعة منها:

1- دور المساجد في كوردستان. 2- الزفاف وضوابطه الشرعية. 3- تعديل المناهج في كوردستان وفق المنظور الإسلامي. 4- الاستثناء وأحكامه في سورة البقرة. 5- المسكرات في الأديان والحضارات والطب. 6- المؤرخ محمد أمين زكي وقراءة في مؤلفه (خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان).

- شرفنامه: الجزء الأول: في تاريخ الدول والإمارات الكردية، تأليف: الأمير شرف خان البدليسي، ترجمة: محمد علي عوني.
- شرفنامه: الجزء الثاني: في تاريخ سلاطين آل عثمان ومعاصريهم من حكام إيران وتوران، تأليف: شرف خان البدليسي، ترجمة: محمد علي عوني
- قواعد اللغة الكردية، تأليف: رشيد كورد.
- تعلم اللغة الكردية، إعداد: عباس اسماعيل.
- مع روائع جكرخوين الشعرية، إعداد وتقديم: عبد الوهاب الكُرمي.
- شذى الطفولة في سانات، أحوال قرية مسيحية في كردستان العراق، مذكرات: أفرام عيسى يوسف، ترجمة: نزار آغري
- كان يا ما كان، قراءة في حكايات كردية، تأليف: نزار آغري.
- تل حلف والمنقب الأثري فون أوبنهايم، تأليف: ناديا خوليديس – لوتس مارتين، ترجمة: د. فاروق إسماعيل.
- حينما في العُلى، قصة الخليقة البابلية، الترجمة الكاملة للنص المسماري للأسطورة، الدكتور نائل حنون.
- مشاهير الكرد وكردستان في العهد الإسلامي 2/1، تأليف: العلامة المرحوم محمد أمين زكي بك، ترجمة: سانحة خانم، راجعه وأضاف إليه محمد علي عوني.
- القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية، مارك سايكس، ترجمة: أ د. خليل علي مراد، تقديم ومراجعة وتعليق: أ د. عبد الفتاح علي البوتاني.
- هكذا عشت في سوريا، في شاغر بازار وتل براك وتل أبيض، مذكرات، أغاثا كريستي، ترجمة: توفيق الحسيني.
- القاموس المنير (Ferhenga Ronak)، كردي – عربي، إعداد: سيف الدين عبدو.
- اللغة كائن حي، رؤية ونظرة فكرية حول اللغة الكردية انموذجاً، د. آزاد حموتو.
- أسرة بابان الكردية، شجرتها التاريخية وتسلسل أجيالها، إعداد: إياد بابان.
- حقيقة السومريين، ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، تأليف: د. نائل حنون.

- قاموس روسي - عربي مدرسي، إعداد: جلال العبدلله.
- اتجاهات الخطاب النقدي العربي وأزمة التجريب، د. عبد الواسع الحميري.
- خطاب الضدّ، مفهومه، نشأته، آلياته، مجالات عمله، د. عبد الواسع الحميري.
- تاريخ الاصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، تأيف: انكه لهارد، ترجمة: أ. د. محمود عامر.
- بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية (دولة الجراكسة البرجية)، 1381 – 1517، تأليف: د. فيصل الشلّي.
- العراق، دراسة في التطورات السياسية الداخلية، 14 تموز 1958 – 8 شباط 1963، أ. د. عبد الفتاح علي البوتاني.
- إسهام علماء كردستان العراق في الثقافة الإسلامية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين - الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، د. محمد زكي البرواري.
- سعيد النورسي، حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا 1876-1960 م، د. آزاد سعيد سمو.
- مم و زين، أحمد خاني، شرح وترجمة: جان دوست.
- بوراق، رواية، تأليف: بيان سلمان.
- تلك الغيمة الساكنة (سيرة هجرة)، تأليف: بيان سلمان.
- الإيزيديون، نشأتهم، عقائدهم، كتابهم المقدس، توفيق الحسيني.
- عيد نوروز، الأصل التاريخي والأسطورة، إعداد: عبد الكريم شاهين.
- انطولوجيا شعراء النمسا، ترجمة وإعداد: بدل رفو مزوري.
- جولة وجدانية مع القصائد النورانية، للشيخ نور الدين البريفكاني، تقديم وشرح وتعليق: عبد الوهاب الكُرمي.
- البخار الذهبي، شيركو بيكه س، المنتخبات الشعرية، ترجمة: مجموعة من الأدباء الكرد.
- تاريخ الأشوريين القديم، إيفا كانجيك – كيرشباوم، ترجمة: د. فاروق إسماعيل.
- تاريخ الإمارة البابانية 1784 – 1851 م، عبد ربه إبراهيم الوائلي.
- مشكلة الاتحاد والتعالي في عقيدة الشيخ محي الدين بن عربي، الأخضر قويدري.
- الكورد والأحداث الوطنية في العراق خلال العهد الملكي 1921-1958 م.

- التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي الحديث، ديندار شفيق الدوسكي.
- التصوف في العراق ودوره في البناء الفكري للحضارة الإسلامية، د. ياسين حسن الويسي.
- دارمية النص الشعري الحديث، دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح، علي قاسم.
- دراسات في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: أ. د. نزار محمد قادر – أ. د. نهلة شهاب أحمد.
- الكرد وكردستان، أرشاك سافراستيان، ترجمة: د. أحمد محمود الخليل.
- الفلسفة الإسلامية، دراسات في المجتمع الفاضل والتربية والعقلانية، أ. د. علي حسين الجابري.
- في آفاق الكلام وتكلّم النّص، د. عبد الواسع الحميري.
- تركيا وكوردستان العرق، الجاران الحائران، بيار مصطفى سيف الدين.

تحت الطبع

- نوبهار، قاموس كردي – عربي، للشيخ أحمد خاني، إعداد وتقديم: قاسم عبد الله.
- شوقاً إليك، أبليتُ الزّناجيرَ، مجموعة شعرية، ترجمة: عبدالرحمن عفيف.
- تحليل الخطاب الروائي، مقاربة بنيوية سيميائية في رواية نجمة لكاتب ياسين.
- الملاّ الجزري، شرح ونقد لمختارات من ديوانه، عبد الوهاب الكُرمي.
- تاريخ السليمانية وأنحائها، العلامة محمد أمين زكي بك، ترجمة: محمد جميل بندى الروژبياني.
- الفكر الإسلامي، دراسات في علم الكلام والفلسفة والتصوف، أ. د. علي حسين الجابري.
- العقل العربي المعاصر، قضايا وإشكاليات، أ. د. علي حسين الجابري.
- فلسفة الوجود في الفكر الرافديني القديم وأثرها عند اليونان، د. محمد حسين النجم.
- الرموز الفكرية في حضارة بلاد الرافدين، حكمت بشير الأسود.
- السرد العربي القديم، من الحكاية إلى ما وراء الحكاية، . د. قيس كاظم الجنابي.
- الأسر الحاكمة في إيران القديمة، ميترا مهر آبادي، ترجمة: د. مازن النعيمي
- الحركات الدينية الإيرانية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، د. غلام حسين صديقيّ، ترجمة : د. مازن إسماعيل النعيمي.

- دراسات في تاريخ اليهودية والمسيحية في كوردستان، د. فرست مرعي.
- نجم الدين أربكان ودوره في السياسة التركية 1969 – 1996، منال محمد الحمداني.
- كوردستان في العهد المغولي والجلائري، د. زرار صديق توفيق.
- الكورد وبلادهم في أعمال البلدانيين والرحالة المسلمين 846 - 1229 م، د. حكيم أحمد مام بكر.
- أكراد العراق 1851 – 1914، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، د. عبد ربه إبراهيم الوائلي.
- إشكالية الحداثة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة، د. رواء محمود.
- التجلّيات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، تطبيقاً على الشعراء: (أدونيس، محمود درويش، سعدي يوسف، عبد العزيز المقالح، عبد الوهاب البياتي، أمل دنقل)، د. أحمد ياسين السليماني.
- الإمارات الكُردية في العصر العباسي الثاني، 350-511هـ / 960- 1117م، د. فرست مرعي.
- الفتح الإسلامي لكردستان، د. فَرسَت مرعي.
- نشأة الفكر اللاهوتي المسيحي، د. أنمار أحمد محمد
- تحليل الخطاب الروائي، مقاربة بنيوية سيميائية في رواية نجمة لكاتب ياسين.
- جمهورية مهاباد، 22 كانون الثاني 1946 – 17 كانون الأول 1946، دراسة تاريخية سياسية، هوزان سليمان ميرخان الدوسكي.
- مدن قديمة ومواقع أثرية، دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي، د. نائل حنون.
- الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي 565 – 622 هـ/1169 – 1225 م، شفان ظاهر عبدالله الدوسكي.